

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (وباعى) : حاسن عليّ صوّان الغامدي / كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم : الكتاب والسنة .
الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير . في تخصص : القرآن والسنة .
عنوان الأطروحة : منهج النبي ﷺ في الدعوة من القرآن الكريم والسنة المطهرة .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :
فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه - والتي تمت مناقشتها
بتاريخ : ٢٧ / ٨ / ١٤٢٢ هـ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ،
فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...
والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف

الاسم : هـ / سليمان الصادق البيرة

التوقيع :

المناقش الداخلي

الاسم : هـ / محمد عبد العزيز الداود

التوقيع :

المناقش الداخلي

الاسم : هـ / أحمد عطا الله بن الجواد

التوقيع :

يعتمد

رئيس قسم الكتاب والسنة

الاسم : د / مطر أحمد الزهراني

التوقيع :

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

منهج النبي ﷺ في الدعوة من القرآن الكريم والسنة المطهرة

رسالة مقدمة لنيل درجة " الماجستير "

إعداد الطالب

حاسن بن علي صوّان الغامدي

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور

سليمان الصادق اليرة

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة : « منهج النبي ﷺ في الدعوة من القرآن والسنة » .

موقع البحث من مقاصد التصنيف : « جمع متناثر ، وتصنيفه ، وتبويبه ، وتنظيمه بطريقة معاصرة » .

هدف البحث : جمع منهج النبي ﷺ في الدعوة من الكتاب والسنة على سبيل الشمول ؛ لتسهيل مهمة الدعاة والمرّين .

مضمون دعوته ﷺ : دعوة الناس كافة إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة ، والخلوص له من الشرك ، وتعليمهم الصلاة وسائر شرائع

الدين ، وتقديم الأهم ، والتدرّج فيه ، والترقي بهم في مراتب الدين ، وتربية المجتمع وإقامة شرائع الدين وشعائره لإخراج أمة

الوسط والشهادة ، والريادة والقيادة لدعوة الأمم الأخرى إلى الهدى وإخراجها من الظلمات إلى النور .

أسلوبه وسبيله : الدعوة إلى الله على بصيرة هو ومن أتبعه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن .

وسائل دعوته ﷺ :

تلاوة القرآن الكريم : وهي أولى مهمّاته ، ولها أبلغ الأثر وأعمقه في النفوس .

التربية : وهي التربية في أسمى صورها ؛ وهي فرض عين على كلّ أحد ، بخلاف التعليم سوى الواجب منه ، ولها أساليبها

ورسائلها وتطبيقاتها ، وهدفها الأسمى الأول تحقيق التوحيد والترقي بالمسلم إلى مرتبة الإيمان والإحسان ، وتنصبّ على تربية

إرادة القلب . والهدف الآخر ؛ تربية المجتمع وتكوين أمة الإسلام .

تعليم الكتاب والحكمة : كان تعليمه ﷺ فردياً وجماعياً ، ومتدرّجاً ، في المسجد والبيت والطريق وغيره ، وكان يقرنه

بالتربية ، ويهتمّ فقط بالعلم النافع ؛ الذي يثمر العمل .

الجهاد : مقصوده الرحمة وإنقاذهم من العذاب ، ودعوتهم إلى الإسلام ، فإن أبوا فالجزية ، فإن أبوا قاتلهم ، وليس القتل

مقصوداً في ذاته ، بل ينهاهم عن الغدر والغلول والتمثيل وقتل النساء والصبيان والشيوخ .

منهجه مع الكفار والمشركين عامّة : دعوتهم إلى التوحيد وإبلاغهم ما جاء به وجهادهم به ، والصبر على أذاهم ، وسماع عروضهم ،

ومجادلتهم ، والاستشهاد بما يقرّونه على ما ينكرونه ، ودعوتهم إلى التفكير والاعتبار وتألفهم بالعطايا ، وغشيان أسواقهم ونواديتهم

ومجتمعاتهم ، وإرسال الرّسل لدعوتهم ، واستقبال وفودهم لتعليمهم وتفقيهم في الدين لينذروا أهلهم إذا رجعوا إليهم .

منهجه مع أهل الكتاب : دعوتهم بالحكمة وعدم مجادلتهم إلاّ بالتي هي أحسن إلاّ الذين ظلموا منهم ، وتبشيرهم بالأحر مرتين إن

هم استجابوا . وإجابتهم على أسئلتهم التعميرية ، وتوضيح بطلان عقيدتهم ، ودعوتهم إلى المباحلة حال الرّفص .

منهجه مع المنافقين : قبول علانيتهم وإيصال سرّاتهم إلى الله ، ووعظهم ، والصبر على أذاهم ، وكشف خبطهم وموارثهم ،

وإبطالها قبل وقوعها ، والتعامل معها بحكمة إذا وقعت ، والتأكد من فاعلها ، وتجاوزها ، وإشغال أصحابه بما ينفعهم وإزالة ما

علق بقلوبهم من فتن .

نتائج البحث :

١ - منهج النبي ﷺ في الدعوة هو بعض منهجه الشامل الوارد في قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَمَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] ، وهو

منهج توقيفي والخروج عنه خروج عن سبيل المؤمنين .

٢ - المقصود الأعظم من دعوته وتربيته وتعليمه وجهاده ﷺ تحقيق التوحيد ودعوة الناس كافة إليه ، وقد قضى النبي ﷺ حياته في ذلك .

٣ - التربية فرض عين على كلّ أحد ، بخلاف التعليم ، فهو من فروض الكفايات سوى الواجبات منه ، والتربية والتعليم متلازمان في

منهج النبي ﷺ ، والفصل بينهما من أكبر عيوب التعليم في هذا العصر . وقد كان أصحابه ﷺ لا يتجاوزون عشر آيات حتى يعلموا

ما فيها ويعملوا بها .

٤ - مدار تربية النبي ﷺ تركز على إصلاح القلوب وتربية إرادتها ، فصلاح القلوب وأعمالها سبب في صلاح الأحساد وأعمالها .

٥ - لتربية النبي ﷺ هدفان : الأول إصلاح الفرد وتحقيق توحده ، والتدرّج به إلى مرتبة الإحسان ، والثاني التربية الجماعية للأمة

لإخراج أمة الوسط والشهادة ، لتكون شاهدة على الأمم الأخرى وداعية لها إلى الهدى لتخرجها إلى سعادة الدنيا والآخرة .

٦ - من أصول دعوته ﷺ التّحبيب في الله ورسوله ودينه والمؤمنين ودعوتهم إلى الألفة والاجتماع وترك الفرقة والاختلاف .

٧ - كان أحرص الخلق على هدايتهم رحمة بهم وشفقة عليهم تطبيقاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ،

أما إقامة الحجّة فهدفه الأخير . والله ولي التوفيق .

عميد كلية أصول الدين

د . عبد الله الدميحي

المشرف على البحث

د . سليمان الصّادق البيرة

الطالب

حاسن عليّ صوّان الغامدي

Abstract

The research's title : " The methodology of the Prophet Mohammed " Peace and prayers of Almighty Allah may be upon him" in calling for Islam from Qura'an and Sunnah".

The research's importance is to " collect the sparse data, to classificate this data, distribute the data into sections, and to organize the getting data into a modern method."

The research's aim: is to collect the methodology of the Prophet Mohammed " Peace and prayers of Almighty Allah may be upon him" in calling for Islam from Qura'an and Sunnah and collect the required data to facilitate the caller of Islam and the educators' missions.

The components of the prophet's message: The message of our prophet aims to call the all peoples to worship Allah without a partner, teaching them the prayers performance and the other deeds of the religion. Every one should start with the most important, graduating in his performance, ascending in the worship grades, society education, and establishing the nation of middle distance and belief, a leading nation put lights on the right path.

His approach and manner: He calls for Allah by wisdom, right peaches and calm discussion with the other.

His means :

Reading the holy Qura'an : It is the most important and effective mean.

Purification : It is the most supreme method of the education, obligatory method, has its own means and applications, its main aim is to fulfill worshipping only Allah, and raising the souls in the worship grades. The other main aim is to educate the society and the Islamic nation.

The holy Book and wisdom teaching : He teach personals and groups, graduating in the belief's grades, in the mosques, houses, roads and so on. The teaching process accompanied with the education, the fruitful word and science.

Al-Jehad : Al-Jehad means the mercy, salve them from Allah's travail and calling them for Islam. If they refuse, they should pay the Jeziah. If they refuse, we should fight them. His aim is not the fight itself but to stop the fighting against the women, boys, old peoples.

His method with the faithless and unbelievers as all: He calls them for worshipping only Allah, reaching the message to all people, fighting them, be patient with them, discussing them, giving evidences upon his message, calling them for mental discussions, calling them in their markets, their clubs, societies, receiving their delegations, teaching them and calling their societies to Islam.

His method with the Christian and Jews: his method is to use wisdom in discussing them, except who fight with Islam, calling them to the right path and clarifying the vanity of their religion.

His method with the canters : The prophet has accept their stated beliefs, and let what they heartily beliefs to Allah. He was patient with them, teach and call them to the right path, warning from their conspiracies and plans, dealing with them wisely, insuring their deceiving bidding his followers to exceed them to worship Allah.

The research results :

1. the methodology of the prophet Mohammed is to take the path of the comprehensive method of the verse says " Peoples have their own legislation and method" (Al-Medah – verse : 48). It is the method of the Muslims and should be followed.
2. The most important aim of his message is to fulfill the worshipping of only Almighty Allah, and he spent his life in this aim.
3. Purification is an obligated method on every one. Schooling and education are correlative sides in the methodology of the prophet Mohammed. His followers used to read 10 verses and began to ask about the explanations and lessons taken from them.
4. The core of the prophet's message is to educate the mentality of the believers and their deeds.
5. The prophet's aims is to fulfill the personal reform and worshipping Allah gradually . The second aim is to educate the society to be the middle distance nation and witness on the others calling them to the right path.
6. The most important part of the prophet Mohammed is to love Allah, his messengers, books, and the believers.
7. He was very careful and looking for the guidance of the others and at last to be witness on them as Allah Almighty says " We send you as a mercy for all the world " (Al-Anbia, Verse : 107)

Student's name :
Hasen A. S. Al-Ghamdi

The supervisor
Dr. Solayman S. Al-Beirah

Faculty of religious origins dean
Dr. Abdullah Al-Dmiji

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ،
وبعد :

فإنني أشكر الله ﷻ على أن وفقني وأعانني على إتمام هذا البحث ،
وأسأله تبارك وتعالى أن يجعله عملاً صالحاً مقبولاً .

وأشكر صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور : أبا عبداللطيف /
سليمان الصادق البيرة : المشرف على هذا البحث ، على توجيهاته
السديدة ، ونُصْحِهِ وُبُعد نظره ، وخلقُه الرفيع ، وصدقُه وصبره .

فأسأل الله أن يحفظه بحفظه ، ويبارك له في عُمرِه وجهده ، وأن
ينفع بعلمه ، ويُصلِح له في عَقْبِهِ .

إنه وليّ ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا
محمد ، وعلى آله وصحبه وأتباعه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

منهج النبي ﷺ في الدعوة

من القرآن الكريم والسنة المطهرة

المقدمة :

الحمد لله القائل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ^(١) .

والقائل : ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) .

والصلاة والسلام على عبده ورسوله ؛ وخليته ، وخيرته من خلقه ؛ وأمينه على وحيه ؛ محمد المصطفى والنبي المجتبي ؛ « أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرُ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » ^(٣) ، ختم محمد ﷺ أنبيائه ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الله به الغمّة ، وجاهد في الله حقّ جهاده ، فجزاه الله خير ما يجزي نبياً عن أمته .

وجعل له حواريين وأصحاب ، هم خير خلقه بعد أنبيائه ، اختارهم لصحبة نبيه ﷺ ؛ ونصرتهم ، وحمل هذا الدين وتبليغه .

(١) التوبة : الآية (٣٣) .

(٢) يوسف : الآية (٢١) .

(٣) صحيح مسلم : (٧) كتاب الجمعة (١٣) باب تخفيف الصلاة والخطبة :

٥٩٢/١ ، طرف من الحديث رقم ٨٦٧ .

وختم رسالاته بهذه الرسالة العظيمة ، وأكمل بها الدين ، فقال : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ^(١) ، وختم الأمم بهذه الأمة ؛ فهي آخر أمة ، وأول أمة ، وخير أمة ، وقال : ﴿ كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ ^(٢) . وجعلها أمة العدل والشهادة على الأمم ، فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ^(٣) .

أمة واحدة على ملة واحدة ؛ ملة أبيها إبراهيم ؛ الحنيفية السمحة ، ملة التوحيد . وشريعة واحدة ، ومنهج واحد ، هو منهاج النبوة . ربّاهها به على التوحيد ، وجمعها به على السنة ، ووحدتها على شرعته . فأصبحوا إخواناً متحابين ، متآلفين ، وثلة متراحمين متناصرين ، مؤتمرين بالمعروف ، متناهين عن المنكر . كما قال الله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(٤) .

وقال : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ ^(٥) . وقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ^(٦) . لذا فإن أساس

(١) المائة : الآية (٣) .

(٢) آل عمران : الآية (١١٠) .

(٣) البقرة : الآية (١٤٣) .

(٤) التوبة : الآية (٧١) .

(٥) المائة : الآيتان (٥٥ ، ٥٦) .

(٦) المحررات : الآية (١٠) .

الارتباط والاجتماع بينهم هو الإيمان وكلمة التوحيد « لا إله إلا الله » ، والقيام بحقوق هذا الارتباط ، من الولاء والنصرة ، والود والإخاء هو ثمرة هذا الإيمان . ومن الإيمان ؛ الحب في الله ، والبغض في الله . قال ﷺ : « أوثق عرى الإيمان : ... والحب في الله ، والبغض في الله » (١) . وكل ذلك نابع من حب الله والخضوع والعبودية له . وهذه الحقوق تترتب على المؤمن تجاه إخوانه منذ إسلامه ، وهي من معاني لزوم الجماعة ، التي وصفها الرسول ﷺ بالجسد الواحد ، وبالرجل الواحد ، كما في حديث النعمان بن بشير ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ . إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى » ، وفي رواية : « الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ . إِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى » ، وفي رواية : « الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ . إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلَّهُ ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلَّهُ » (٢) .

وقوله ﷺ : « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » (٣) .

وكل ذلك من حقوق الإيمان . والقيام بحقوق الأخوة الإيمانية ، من التراحم والتعاطف والتلاطف والتعاطف والتناصر في الحق من الإيمان . وهم متساوون كأسنان المشط متكافئون في الحقوق والواجبات .

(١) سيأتي تخريجه إن شاء الله ، في التريفة والتزكية ص (٣٦١) .

(٢) مسلم (٤٥) البر والصلة (١٧) تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم : ١٩٩٩/٤ ، ٢٠٠٠ ، رقم ٢٥٨٦ . والروايتان بعده في الموضع نفسه .

(٣) المصدر السابق : الموضع نفسه ، رقم الحديث ٢٥٨٥ .

كما في حديث عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ بِمَاؤُهُمْ : يَسْقَى بِدِمْتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ ، وَهُمْ يَدُ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ، يَرُدُّ مُشِدَّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ ، وَتَسْرِيهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ ... » (١) .

والتفاضل بينهم والمعيار الوحيد هو التقوى كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٢) . لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى . منتهى العدالة والمساواة . كان من ثمارها خير أمة أخرجت للناس . أمة مترابطة كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضاً ، يرحم كبيرها صغيرها ، وقويها ضعيفها ، وغنيها فقيرها .

أمة مرحومة موحدة مجتمعة على السنة ، متعاونة على البرِّ والتقوى .

ذات هدف ورسالة إلى الناس كافة ؛ البشرية جمعاء ، كما خاطب الله قلوبها وقائدها ﷺ بقوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... ﴾ (٣) . وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

وقال ﷺ : « ... وَكَانَ النَّبِيُّ يَنْبَغْتُ إِلَيَّ قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبِعِثْتُ إِلَيَّ النَّاسَ كَافَّةً ... » (٥) .

(١) سنن أبي داود : كتاب الجهاد : (١٥٩) باب في السرية : رقم الحديث ٢٧٥١ .

وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود : ٥٢٥/٢ ، رقم ٢٣٩٠ .

(٢) الحجرات : الآية (١٣) .

(٣) الأعراف : الآية (١٥٨) .

(٤) سبأ : الآية (٢٨) .

(٥) البحاري : (١١) المساجد ٢٣ ، وقول النبي ﷺ : حُجِّلْتُ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا

وطهوراً : ١٦٨/١ ، رقم ٤٢٧ .

وقوله ﷺ : « لا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ ، إِمَّا يُعِزُّهُمْ اللَّهُ ﷻ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا ، أَوْ يَنْزِلُهُمْ فَيُتَيْدِنُونَ لَهَا » (١) . وهذا من المبشرات التي تدفع إلى الدعوة إلى الله ﷻ .

وعن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ ؛ أنه قال : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ : يَهُودِيٍّ ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » (٢) .

وعن ثوبان ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ اللَّهُ زَوَى لِي الْأَرْضَ . فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا . وَإِنْ أُمَّتِي سَيَبُلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا » (٣) .

ولقد بذل رسول الله ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - الوسع في دعوة الناس في مشارق الأرض ومغاربها ، فجهّز الجيوش ، وبعث البعث ، وأرسل الرُّسل والرسائل إلى ملوك أهل الأرض لدعوتهم لهذا الدين .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢١٦/٩ ، رقم ٢٣٨٧٥ ، طبعة دار الفكر .

وصحّح إسناده الألباني : وقال : « رواه جماعة آخرون ، وهذا الحديث من المبشرات بأن المستقبل للإسلام ، وقد جمعت ما في معناه ونشرتها في مجلّة التمدّن الإسلامي العدد الأوّل من هذه السنة (١٣٧٩ هـ) تحت عنوان (المستقبل للإسلام) ، فليراجع فإتاه مهم » انظر : المشكاة : ٢٠/١ .

(٢) مسلم : ١ - كتاب الإيمان : (٧٠) وجوب الإيمان برسالة نبينا إلى جميع الناس : ١٣٤/١ ، رقم ١٥٣ .

(٣) مسلم : (٥٤) الفتن وأشراط الساعة : (٥) باب هلاك هذه الأمة بعضها ببعض : ٢٢١٥/٤ ، رقم ٢٨٨٩ .

وقد قبض ﷺ ، وأمر المسلمين واحد ، وجماعتهم واحدة ، وطريقتهم واحدة . كما قال الخطيب البغدادي - رحمه الله - : « كان المسلمون عند وفاة رسول الله ﷺ على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه ؛ غير من أظهر وفاقاً وأضمر نفاقاً » (١) .

ولم يزل الأمر كذلك في عهد الفاروق حتى استشهد ﷺ عام (٢٣ هـ) ، وفي عهد ذي النورين حتى استشهد ﷺ في عام (٣٥ هـ) ، وكذا في عهد عليّ ﷺ ، إلا أن الفتنة قد استشرت في الأمة ، فكانت فرقتين ، خاضتا حروب الانقسام في صفيين والجمل ، وجهد ﷺ في راب الصدع وإعادة الأمة إلى وحدتها ؛ ولكن ما لبث أن استشهد ﷺ على رأس (٤٠) سنة . متممًا عصر الخلافة الراشدة ، فبويع معاوية ﷺ بعد نزول الحسن بن عليّ ﷺ عن الخلافة حقًا لدماء المسلمين وجمعًا لشمل الأمة ووحدها ، وقد أخرج بذلك الصادق المصدوق ﷺ ، فقال : « تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًا ، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ، ثُمَّ سَكَتَ » (٢) .

(١) الفرق بين الفرق ، للخطيب البغدادي ، ص ١٢ .

(٢) المسند للإمام أحمد : ٢٧٣/٤ .

وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٨/١ ، رقم ٥ .

ولم تزل الأمة تحت لواء واحدٍ تدين لولاية عامّةٍ واحدةٍ دهوراً طويلاً ؛ مجموعٌ شملها ، موحدٌ أمرها ؛ ذاتُ شوكةٍ ومنعةٍ وكلمةٍ . لكن نوابت الشرُّ قد نبئت ، والأهواء قد كثرت ، والفرقُ قد ازدادت ، والفتنةُ قد استشرت ، ونارُها قد استعرت ، فحدث التفكك والتفتت ، ووقع الانقسام والافتراق .

وكانت الفرق ذات مشارب شتى عقديّة ومذهبية ومنهجية .

قال الإمام الشاطبي - رحمه الله - : « ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَزِيدُ الْإِسْلَامِ ، وَاسْتَقَامَ طَرِيقُهُ عَلَى مَدَّةِ حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَمِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ ، وَأَكْثَرُ قَرْنِ الصَّحَابَةِ ﷺ ، إِلَى أَنْ نَبَغَتْ فِيهِمْ نَوَابِغُ الْخُرُوجِ عَنِ السُّنَّةِ ، وَأَصْغَوْا إِلَى الْبِدَعِ الْمُضِلَّةِ ، وَهَذَا كُلُّهُ فِي آخِرِ عَهْدِ الصَّحَابَةِ .

ثُمَّ لَمْ تَزَلِ الْفِرَقُ تَكْثُرُ حَسْبَمَا وَعَدَّ بِهِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ فِي قَوْلِهِ : « افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً » ^(١) . وفي الحديث الآخر : « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِيْرًا بِشِيْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ . قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ : فَمَنْ ؟ » ^(٢) .

(١) سنن أبي داود (١) كتاب السنة (١) باب شرح السنة ، رقم ٤٥٩٦ .

وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن أبي داود : ٨٦٩/٣ ، رقم ٣٨٤٢ ، بلفظ مقارب ، وكذا في صحيح سنن ابن ماجه ، برقم ٣٢٢٥ بلفظ « تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة » .

(٢) البخاري : (٦٤) الأنبياء (٥١) ما ذكر عن بني إسرائيل : ١٢٧٤/٣ ، رقم ٣٢٦٩ ، بلفظ مقارب .

وهذا أعمّ من الأوّل ؛ فإنّ الأوّل عند كثيرٍ من أهل العلم خاصٌّ بأهل الأهواء ، وهذا الثاني : عامٌّ في المخالفات ، ويدلُّ على ذلك من الحديث قوله ﷺ : « حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ » .

وكلُّ صاحب مخالفة ؛ فمن شأنه أن يدعو غيره إليها ، ويحضُّ سواء عليها ، إذ التأسّي في الأفعال والمذاهب موضوعٌ طلبه في الجبلة ، وبسببه تقع من المخالف المخالفة ، وتحصل من الموافق الموافقة ، ومنه تنشأ العداوة والبغضاء للمختلفين .

كان الإسلام في أوّله وحِدِّته مقاوماً - بل ظاهراً - وأهله غالبون ، وسوادهم أعظم الأسود ، فخلا من وصف الغُربة بكثرة الأهل والأولياء الناصرين ، فلم يكن لغيرهم - ممن لم يسلك سبيلهم ، أو سلكه ولكنه ابتدع فيه - صولة يعظّم موقعها ، ولا قوّة يضعف دونها حزب الله المفلحون ، فصار على استقامة ، وجرى على اجتماع واتساق ، فالشاذُّ مقهورٌ مضطهد .

إلى أن أخذ اجتماعه في الافتراق الموعود ، وقوّته إلى الضعف المنتظر ، والشاذُّ عنه تقوى صولته ويكثرُ سواده ، واقتضى سرُّ التأسّي المطالبة بالموافقة ، ولا شكّ أن الغالب أغلب ، فتكالت على سوادِ السنّة البدعُ والأهواء ، ففرّق أكثرهم شيعاً .

وهذه سنّة الله في الخلق ؛ أن أهل الحقّ في جنب أهل الباطل قليل ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) . ولينجز الله ما وعد به نبيه ﷺ من عودٍ وصفّ الغربة إليه ؛ فإنّ الغربة لا تكون إلاّ مع

(١) يوسف : الآية (١٣٠) .

فقد الأهل أو قلتهم ، وذلك حين يصير المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، وتصيرُ السنَّةُ بدعةً ، والبدعةُ سنَّةً .

فيُقام على أهل السنَّةِ بالثريب والتعنيف كما كان أولاً يُقام على أهل البدعة ؛ طمعاً من المبتدع أن يجتمع كلمة الضلال ، ويأبى الله أن يجتمع حتى تقوم الساعة ، فلا يجتمع الفرق كلها - على كثرتها - على مخالفة السنَّةِ عادةً وسمعاً ؛ بل لا بُدَّ أن تثبت جماعة أهل السنَّةِ حتى يأتي أمرُ الله ؛ غير أنهم لكثرة ما تناوشهم الفرق الضالَّة وتناصبهم العداوة والبغضاء « استدعاءً إلى موافقتهم - لا يزالون في جهادٍ ونزاع ، ومدافعةٍ وقراع ، آناء الليل والنهار ، وبذلك يضاعف الله لهم الأجر الجزيل ، ويشيهم الثواب العظيم .

فقد تلخَّص ممَّا تقدَّم أن مطالبة المخالف بالموافقة جارٍ مع الأزمان ، لا يختصُّ بزمانٍ دون زمان ، فمن وافق ؛ فهو عند المطالب المصيب على أي حالٍ كان ، ومن خالف ؛ فهو المخطئ المصاب . ومن وافق فهو المحمود السعيد ؛ ومن خالف فهو المذموم المطرود . ومن وافق فقد سلك سبيل الهداية ، ومن خالف فقد تاه في طُرُق الضلالة والغواية « (١) .

أمَّا جماعة أهل السنَّةِ فهم ثلَّةٌ من المؤمنين ، متمسكين بالسنَّةِ ، مجتمعين عليها في وسط أهل البدع والتفرُّق .

وقد أخبر عنها الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلّم - في أحاديث كثيرة مستفيضة :

(١) الاعتصام ، للشاطبي : ٢٨/١ - ٣١ ، مختصراً .

فعن ثوبان رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورِينَ ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ﷻ » (١) .

وعن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ » (٢) .

وفي لفظ مسلم في حديث ثوبان : « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ » (٣) . وفي حديث المغيرة رضي الله عنه : « لَنْ يَزَالَ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ » (٤) ، وفي حديث جابر رضي الله عنه : « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يَقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ، ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » (٥) ، وفي حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه : « يَقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » (٦) . وعند البخاري : « ... وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ... » (٧) .

-
- (١) سنن ابن ماجه : باب اتباع سنة رسول الله ﷺ ، رقم ١٠ .
 وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه : ٧/١ ، رقم ١٠ .
 وهو في مسلم برقم ١٩٢٠ مع اختلاف في اللفظ دون كلمة (منصورين) .
- (٢) البخاري : ٦٥ - المناقب ، ٢٤ - سوال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر : ١٣٣١/٣ ، رقم ٣٤٤٢ .
- (٣) مسلم : ٣٣ - الإمارة ، ٥٣ - لا تزال طائفة : ١٥٢٣/٣ ، رقم ١٩٢٠ .
- (٤) المصدر السابق ، الموضع نفسه . رقم ١٩٢١ .
- (٥) المصدر السابق ، الموضع نفسه . رقم ١٩٢٣ .
- (٦) المصدر السابق ، الموضع نفسه . رقم ١٩٢٤ .
- (٧) البخاري : ٩٩ - الاعتصام بالكتاب والسنة ، ١٠ - باب قول النبي ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق » وهم أهل العلم : ٢٦٦٧/٦ ، رقم ٦٨٨٢ .

قال الإمام البخاريّ - بعد تبويبه على هذا الحديث - : وهم أهل العلم .

« وقال أحمد بن حنبل : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم ؟ . قال القاضي عياض : إنما أراد أحمد أهل السنّة والجماعة ومن يعتقد مذاهب أهل الحديث . قال الإمام النووي : يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين . فمنهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد وأمرون بالمعروف ، وناهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير . ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين ، بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض » (١) .

وقد ثبت من مجموع هذه الأحاديث وغيرها ، أن أمر هذه الأمة لن يزال مستقيماً حتى تقوم الساعة أو يأتي أمر الله ، إذ إن أمة منها لم تزل قائمة بأمر الله ظاهرين على الحقّ ، يقاتلون عليه ، قاهرين عدوهم ، ظاهرين على من ناوهم ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم .

هذه الثلثة الظاهرة على الناس ؛ هي الفرقة الناجية ، والطائفة المنصورة ، وهي من كانت على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ، لم تنقطع لحظة واحدة عن الجماعة الأولى في الصدر الأوّل . إنما هي امتداد لها ، لم يفصلها عنها فاصل ، ولم يحل دونها حائل .

فهي طائفة ممتدة ، ضاربة أطناؤها في أعماق التاريخ ، وليست فرقة أو جماعة حادثة ، إنما هي امتداد للثلة الأولى ، وحلقة من حلقاتها المتصلة التي لم تنقطع ولن تنقطع حتى يأتي أمر الله ، عقيدتها عقيدتها ، ومنهجها منهجها .

(١) عن حاشية مسلم : ١٥٢٣/٣ .

ظاهرة للناس عياناً ، كيما يتأسوا بها ، شاهدة على من سواها من أهل البدع والاختلاف ، فالصراع بينهم قائم ، والاختلاف دائم . وقد نهاها الله ﷻ عن التفرُّق والاختلاف والتنازع فيما بينها ، فقال : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا... ﴾ ^(١) . وقال : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٢) . وقال : ﴿ ... أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ ^(٣) . وقال : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ ^(٤) .

ولما كان التفرُّق والاختلاف مكتوباً كوناً ، وأنه واقع لا محالة ، وقد وقع بالفعل ، فقد أخبرنا الله بالمخرج منه ، فأمر بالرد إليه وإلى رسوله ﷺ وإلى الاحتكام إلى الله ﷻ وإلى رسوله ﷺ ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ^(٥) . وقال : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ ^(٦) . فقد أوجب الله على المسلمين أن إذا وقع الخلاف بينهم أن يجتهدوا في إدراك الحق والصواب ، برد مواضع النزاع والاختلاف إلى الله ورسوله ، والرد إلى الكتاب والسنة هو ردُّ إلى الله ورسوله . والتعاون في ذلك

(١) آل عمران : الآية (١٠٣) .

(٢) آل عمران : الآية (١٠٥) .

(٣) الشورى : الآية (١٣) .

(٤) الأنفال : الآية (٤٦) .

(٥) النساء : الآية (٥٩) .

(٦) الشورى : الآية (١٠) .

واجبٌ عليهم حتى يعرفوا الحقَّ ويتفقوا عليه ، ويرتفع الخلاف بينهم .
ومن أعظم أسباب الفرقة والتنازع بين كثير من دُعاة الإسلام في
زماننا ، اختلافُ مناهجهم وتعدُّدِها ، واعتقادُ كلِّهم أنَّه على الحقِّ ، وقد
امتدت هذه الفرقة إلى الأتباع ، وهم كثرٌ .

فلزم ردُّ ما اختلف فيه إلى الله ورسوله امتثالاً لأمر الله ﷻ . وإن
من أعظم الردِّ ؛ بيان منهاج النبوة في الدعوة ؛ من الكتاب ؛ وصحيح
السنة والسيرة ، وما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه .

وإثبات كليّاته وجزئياته وتأصيلها والتأليف بينها ، وإخراج ما ليس
منه ، ليكون معياراً يقاس عليه غيره . وهذا من أعظم الأسباب التي
دعت لهذا البحث .

ومنها : رجاء أن يجمع الله عليه دعاة الحقِّ ويؤلف بين قلوبهم كما
ألف بين قلوب الصحابة رضوان الله عليهم .

ومنها : تيسير التأسّي والافتداء بمنهاج النبوة ابتداءً ؛ لمن أراد
سلامة المنهج ، وحفظ عمره وجهده من الضياع والتهيه في تجارب البشر
واجتهاداتهم ، وركوب السُّبُل التي تفرِّق بهم عن سبيله ، وتنقطع
بهم دونه .

ومنها : بيان منهج الإصلاح الذي يصلح به آخر هذه الأمة كما
صلح به أولها ، وتزول به غربة الإسلام الثانية كما زالت به الأولى ، إذ
لا يمكن أن يتم ذلك إلا بتسُّم منهاج النبوة واقتفاء أثر الجماعة الأولى
التي سارت عليه ، فزالت بها الغربة الأولى ، وقامت على يدها
دولة الإسلام .

ومنها : أنّ الجهل بالمنهج النبوي أدى إلى تعدّد المناهج والاختلاف ، فلزم البيان .

ومنها : إثبات وجوب لزوم المنهج النبوي ، وأنه لا يسع الخروج أو الحيدة عنه .

ولعلّ هذا البحث قد وضع لبنة في هذا السبيل ، وحسبي أنني قد بلغت فيه الجهد ، ولسان حالي وقالي يقول ما قاله فقيه هذه الأمة ؛ ابن أمّ عبد الله ، قال : « فَإِنْ يَكُ صَوَابًا فَمِنْ اللَّهِ ، وَإِنْ يَكُنْ خَطَأً فَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَانِ ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ بَرِيئَانِ » (١) .

وأستغفر الله من الزلل والخطل ، وأعوذ به أن أقول عليه ما لا أعلم ؛ أو أن أقدم بين يدي الله ورسوله .

ربّي اجعله عملاً صالحاً خالصاً متقبلاً ، وانفعني به وإخواني المؤمنين يوم يقوم الأشهاد .

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مَا دَخَفِي وَمَا تَعَلَّنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (٢) .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) .

(١) سنن أبي داود : كتاب النكاح : (٣٢٠) ، باب فيمن تزوج ولم يُسمِّ صداقاً حتى مات ، رقم الحديث ٢١١٦ .

وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن أبي داود : ٣٩٧/٢ ، رقم ١٨٥٨ .

(٢) إبراهيم : الآية (٣٨) .

(٣) الحشر : الآية (١٠) .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ ^(١) .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٢) .

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَرْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ^(٣) .



-
- (١) إبراهيم : الآية (٤١) .
 (٢) البقرة : الآية (٢٨٦) .
 (٣) غافر : الآيات (٧ - ٩) .

منهج البحث

لما كان الأمر متعلقاً بالنبي ﷺ ومنهجه وطريقته ، فإن الخطأ فيه ليس كالخطأ في غيره ، والقول فيه بغير علم هو افتئات عليه . لذا فقد ارتبطت بالمصادر الأصلية : الكتاب وما صحَّ من السنة والسيرة . وعقدت العزم مستعيناً بالله على قراءة ما استطعت منها وما سمح به الوقت ، قراءة متأنية أسجل ما يتعلّق بالموضوع ؛ إذ لم أكتفِ بتتبعه من خلال الفهارس .

فبدأت بقراءة الجامع الصحيح للإمام البخاريّ حتى أتمته بفضل الله ، وثنيتُ بقراءة صحيح الإمام مسلم ، مثبتاً ما زاد على البخاريّ . وهكذا قمت بقراءة سنن أبي داود . وسنن الترمذيّ ، وسنن النسائيّ ، وسنن ابن ماجه .

وبعد إتمام قراءة الكتب السنة وتدوين النصوص المتعلقة بالموضوع شرعت في قراءة ما تيسر من كتب السنة مبتدئاً بالسنة لابن أبي عاصم ، ثمّ كتاب السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل ، وكتاب السنة للإلكائيّ ، وكتاب السنة للربھاريّ ، والرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة للإمام أبي إسماعيل الصابونيّ ، وتجريد التوحيد للمقرزيّ ، ثمّ كتاب السيرة النبوية لابن هشام .

وقد استغرق ذلك زمناً ليس باليسير : ولم يغنِ عن مراجعة كثير من كتب السنة ، كالمسند ، والموطأ ، وصحيح ابن حبان ، وكذا كثير من كتب التوحيد ، كالتوحيد لابن منده ، والتوحيد لابن خزيمة ، والأسماء والصفات للبيهقيّ .

وقد اطلعت على كتب كثيرة في العلم والسلوك ، قرأت بعضها ، وقطعاً كبيرة من بعضها الآخر ، مثل : جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ، والفقيه والمتفقه للخطيب ، والجامع لأخلاق الرأوي وآداب السامع للخطيب ، وتذكرة السامع والتكلم لابن جماعة ، واقتضاء العلم العمل ، والعلم لأبي خيثمة ، والحث على طلب العلم لأبي هلال العسكري ، وتعليم المتعلم للزرنوجي .

واطلعت أيضاً على بعض الكتب التي تعنى بالتزكية والسلوك . مثل : إحياء علوم الدين ، ومختصر منهاج القاصدين ، ومدارج السالكين ، والآداب الشرعية لابن مفلح ، وبعض المجلدات من الفتاوى لشيخ الإسلام ، ورسائل في التزكية كرسالة شيخ الإسلام ، وابن القيم ، وأدب الدنيا والدين للماوردي ، والأمد الأقصى للقاضي الدبوسي .

وقرأت قطعاً من كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ، وكذا الموافقات للشاطبي ، وزاد المعاد لابن القيم ، وجامع الرسائل ، والإيمان ، والعبودية ، واقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ، والفوائد لابن القيم .

أما الكتب المعتمدة في فهم كتاب الله فهي كتب التفسير المعتمدة ، وكنت أكثر التصاقاً بتفسير الطبري ، وابن كثير ، وابن عطية ، والسعدي ... أما فهم الحديث فكتب الشروح ، وأكثرها فتح الباري ، وإكمال المعلم بفوائد مسلم ، والمفهم للقرطبي ، والنووي على مسلم .

أما الكتب والرسائل والكتيبات المعاصرة فقد اطلعت على قدر كبير منها ، وأفدت منها .

وقد اجتمع ما يربو على أربعة آلاف نصّ . تمّ تصنيفها موضوعياً ، وتوزيعها إلى أبواب وفصول ومباحث ومطالب ، ولا زلت أصحّح وأعدّل وأراجع التقسيم مرّات ومرّات ، ولقد أعيد تخطيط وتصنيف بعض الأبحاث ، وعلى سبيل المثال فصل التزكية فقد أعيد أكثر من ثلاثين مرّة ؛ تحريّاً للصّحة والدقّة في اتباع سنّة المصطفى ﷺ .

ولما كانت الفهوم مختلفة ، فإنّ الضابط لصحّة الفهم ؛ إمّا دليل صريح من كتاب الله ، أو دليل صحيح صريح من سنّة رسول الله ﷺ أو منهما ، أو من أقوال الصّحابة . فإن لم أقف على شيء من ذلك فمن أقوال وعلماء السنّة .

ويمكن الحديث عن منهج البحث في عدّة أمور :

أولاً : لكثرة موضوعاته ، وتعدّد مسائله وتشعبها وتنوعها ، ولغرض جمع متناثره واستيعاب مسائله وشمولها بقدر الإمكان في موضع واحد ؛ فقد سلكت منهج الاختصار والتجوّز غالباً ، إلّا فيما تمسّ الحاجة إلى تفصيله وإيضاحه ؛ إمّا لأهمّيّته الشديدة ، وأنّ عليه مدار البحث كتحقيق التوحيد وترسيخ الإيمان الذي هو هدف التريّة النبوية ، وإمّا لعدم وضوح المسألة لدى كثير من طلبة العلم ، أو أريد إزالة مفهوم خاطئ قد علق بأذهانهم ، والتأكيد على المفهوم الصحيح ، مثل مسألة الحفظ والفهم . أو لطبيعة المسألة وجوانبها المتعدّدة ؛ مثل الأساليب النبوية في التريّة ؛ والتعليم ؛ وأخصّ التريّة بالقُدوة .

فالعلّة إذاً في طول البحث وضخامته ؛ كثرة موضوعاته وتشعبها وتفرّعها ؛ إذ لم يكن التوسّع في المسألة الواحدة واستقصائها هو القاعدة ؛ بل كان الشمول والتجوّز هو الأصل ، امثالاً لما رواه

عَمْرُو بن العاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لَقَدْ رَأَيْتُ - أَوْ أَمِرتُ - أَنْ أَتَجَوَّزَ فِي الْقَوْلِ فَإِنَّ الْجَوَّازَ هُوَ خَيْرٌ » ^(١) . وكذا الكتب ، والله أعلم .

ثانياً : لم أشتغل بالمباحث النظرية التي لا تُثمرُ عملاً ممثلاً بقول الإمام الشاطبي - رحمه الله - : « الاشتغال بالمباحث النظرية التي ليس لها ثمرة عملية مذمومٌ شرعاً ، وأنه لا ينبغي السؤال إلا فيما يفيد في التعبُد لله » ^(٢) .

ثالثاً : لم أتعَمَّق في التعاريف والأدلة إلا ما مسَّت الحاجة لتقريب المعاني إلى الأفهام ، أو إرادة ترسيخ المفهوم بتضافر الأدلة ؛ وتأكيدها لبيان الراجح في مسألة فيها خلاف قائم . ومثال التعاريف : تعاريف التزكية والتربية والمقارنة بينهما .

قال الإمام الشاطبي : « التعمُّق في التعاريف والأدلة ، والبُعد بهما عن مدارك الجمهور بدعة » ^(٣) .

رابعاً : لما كانت الموضوعات ذات كثرةٍ كاثرة ، واختلاف في طبائعها ؛ إذ كلُّ موضوع يتَّسِم بطابعٍ خاصٍّ ؛ تركتُ لكلِّ جزئيةٍ

(١) سنن أبي داود : كتاب الأدب (٩٤) باب ما جاء في التشدُّق في الكلام برقم ٥٠٠٨ .

وحسن إسناده الألباني : انظر صحيح سنن أبي داود : ٩٤٥/٣ ، رقم ٤١٨٧ .

(٢) الموافقات : ٤٧/١ .

والثمرة العملية يقصد بها العمل (عمل الجوارح وعمل القلوب) .

(٣) الموافقات : ٥٧/١ .

طابعها وخاصيتها وما يليق بها ؛ وفي ذلك ما فيه أيضاً من التنوع خشية الإملال .

ولكن يجمعها غالباً ما يلي :

- ١ - التقديم لكلّ جزئية ، وإيضاح المقصود منها غالباً .
- ٢ - إثبات أنّ الجزئية موضوع البحث هي إحدى مفردات المنهج النبوي .
- ٣ - وذلك بإيراد بعض الآيات الدالة عليها ، والتوسّع أحياناً في الآيات لزيادة إيضاح الموضوع .
- ٤ - الرجوع غالباً إلى تفسير الآيات إلاّ أن تكون صريحة لا تحتاج إلى مزيد بيان .
- ٥ - إيراد بعض الأحاديث لفهم الموضوع وإثباته من السنة .
- ٦ - الرجوع إلى كتب شروح الحديث عند الحاجة .
- ٧ - إيراد بعض الآثار عن الصحابة أو التابعين أو أقوال العلماء غالباً لإثبات صحّة الفهم ، وتوضيح وبيان للموضوع .
- ٨ - الحرص - غالباً - على ذكر الخلاصة إن كان الموضوع طويلاً ؛ إمّا استقلالاً أو امتداداً للكلام .
- ٩ - الحرص غالباً على ذكر مثال تطبيقي عملي من حياة النبي ﷺ في المواضع التي تحتاج إلى ذلك لمعرفة الطريقة العملية التي سلكها النبي ﷺ .
- ١٠ - العزو لكلّ ما أثبتته من الآيات والأحاديث والآثار وأقوال

العلماء ، ولم أنقل قولاً عن أحد العلماء إلا عن قناعة مني بما ذهب إليه ، وفي نقل قول العالم استئناساً وإثباتاً لصحة الفهم ، وتوضيحاً للفكرة .

ومما تجدر الإشارة إليه كثرة النقول أحياناً لبعض العلماء كشيخ الإسلام ، وما ذاك إلا لأن قول عالم تلقته الأمة بالقبول مقدّم وأفضل من قول طالب علم مبتدئ ، وإلا فقد كان بالإمكان دراسة القول وتلخيصه أو الاقتباس ، ولكني فضّلت نقله كما هو إلا في بعض المواضع التي تمّ اختصار بعض النقول أو إعادة ترتيبها ، وهذا نادر .

خامساً: فقد أخذت على نفسي أن لا أنقل حديثاً ضعيفاً في هذا البحث ، بل يكون مقبولاً صالحاً للاحتجاج ؛ بأن يكون في دائرة الصحيح أو الحسن ، وكذا الآثار .

وقد عرضتُ عن روايات كثيرة شائعة لم أقف على من اعتنى بدراستها والحكم عليها ، وهناك بعض الأحاديث أو الآثار التي لم أقف على من حكم عليها ، وقد نبّهتُ عليها ، وهي لا تتجاوز أصابع الكفّ الواحد ، نقلتها اضطراراً .

أمّا اعتبار الحديث ممّا سوى الصحيحين قبولاً وردّاً صحّة وضعفاً ؛ فالعمدة على علماء الحديث المتقدّمين ، والمختصين بالحديث وعلمه من المتأخرين .

ولم يكن من مقاصدي تخريج الحديث من جميع مصادره التي أخرجته وجمع طرقه وذكر رواياته ، والمهمّ عزوه إلى إحداها مع الإشارة إلى من صحّحه أو حسّنه .

قال الإمام الشاطبي - رحمه الله - : « التأنق في استخراج الحديث من طرق كثيرة ؛ لا على قصد طلب تواتره ، بل على أن يُعدَّ آخذاً له عن شيوخ كثيرة ، ومن جهات شتى ، وإن كان راجعاً إلى الآحاد في الصحابة ، أو التابعين ، أو غيرهم ، فالاشتغال بهذا من الملح ؛ لا من صلب العلم .

لأن تخرجه من طرق يسيرة كافٍ في المقصود منه ؛ فصار الزائد على ذلك فضلاً » (١) .

أما طريقة اختيار الأحاديث وانتقائها فعلى النحو التالي :

تقديم الصحيحين على ما سواهما ، ويُكتفى بالجزء إلى أحدهما ، ويقدم صحيح البخاري غالباً ، مع البحث عن أتم الروايات وأجملها ؛ مما يتم به المعنى ، ويكون الدليل فيه صريحاً .

فإذا لم تكن الرواية تامة فإنه يستكمل الموضوع من الروايات الأخرى ، ويتم عزوها جميعاً .

وإذا لم يكن الحديث في البخاري فيتم البحث عنه في صحيح مسلم . فإن لم يخرجاه أُتقل إلى السنن أو المسند أو الموطأ أو المستدرک أو غيرها من دواوين السنّة . إذا وقفتُ على من اعتنى بدراسته والحكم عليه .

أما إذا كان الحديث تاماً في إحدى دواوين السنّة من غير الصحيحين وأصله فيهما أو في أحدهما . فإني اختار الرواية التامة وأشير إلى أصلها في أحدهما .

(١) الموافقات : ١١٣/١ - ١١٤ ، مختصراً . طبعة دار ابن عفران .

خطة البحث^١

قُسِّمَ منهج النبي ﷺ في الدعوة إلى قسمين رئيسين :

القسم الأول : (دعوة المسلمين)

الباب الأول : (التلاوة) .

الباب الثاني : (التربية والتزكية) .

الباب الثالث : (التعليم) .

القسم الثاني : دعوة غير المسلمين (الكفار)

الباب الأول : (منهج النبي ﷺ في دعوة المشركين عامة) .

الباب الثاني : (منهج النبي ﷺ في دعوة أهل الكتاب) .

الباب الثالث : (منهج النبي ﷺ وهدية في المنافقين) .

وفيما يلي تفصيلات هذه الأبواب :

القسم الأول

(منهجه ﷺ في دعوة المسلمين)

الباب الأول : (التلاوة) .

الفصل الأول : (التلاوة من أولى مهمات النبي ﷺ) .

الفصل الثاني : (أهمية التلاوة وتأثيرها العميق في النفوس) .

الفصل الثالث : (تلاوة النبي ﷺ وأصحابه على الناس) .

الفصل الرابع : (قدر قراءة النبي ﷺ وأصحابه) .

الفصل الخامس : (صفة تلاوة النبي ﷺ) .

الباب الثاني : (المنهج النبوي في التربية والتزكية) .

تمهيد : في معاني التربية والتزكية وعلاقتها ، ومقاصد التربية وأهدافها ، وشواهد تصنيف منهجها :

أولاً : التربية في اللغة .

ثانياً : التربية في الاستعمال الشرعي .

ثالثاً : التزكية في اللغة .

رابعاً : التزكية في الاستعمال الشرعي .

خامساً : علاقة التزكية بالتربية .

سادساً : غاية التربية النبوية ومقاصدها الأعظم .

سابعاً : أهداف التربية النبوية .

ثامناً : شواهد تصنيف منهج التربية النبوية .

الفصل الأوّل : (التربية والتزكية النبوية) .

المبحث الأوّل : (تعليم الهدى ودين الحق) .

المطلب الأوّل : (تعليم الهدى) .

المسلك الأوّل ، الدعوة إلى التوحيد .

المسلك الثاني ، التربية النبوية على تحقيق التوحيد ..

المسلك الثالث ، التربية النبوية على ترسيخ الإيمان .

المسلك الرابع ، التربية النبوية على حماية جناب التوحيد وحمه ، وسدّ

فراق الشرك .

المطلب الثاني : (تعليم دين الحق) .

المسلك الأوّل ، تهليم أعمال القلوب ، وسيئاتي في إصلاح القلوب .

المسلك الثاني ، تهليم أعمال الجوارح ، وسيئاتي في مطلب باب العلم .

المبحث الثاني : تربية العمل بالعلم (إصلاح أداة التعلّم) .

المطلب الأوّل : إصلاح القلوب وتربية الإرادة الدافعة والمحرّكة للقيام بالعمل .

المسلك الأوّل ، (تطهير القلوب) .

المسلك الثاني ، تربية المعرفة (معرفة الله وأسمائه وصفاته ،

وآونه وأفعاله) .

المسلك الثالث ، (تربية المحبة) .

المسلك الرابع ، تربية الخوف والرجاء .

المطلب الثاني : (تزكية النفوس) ، و (التربية على مكارم الأخلاق والتخلّص من رذائلها) ،

وتحصّل بما ورد في هذا الفصل كلّهُ .

المبحث الثالث : التواصي بالحقّ ، والتواصي بالصبر .

الفصل الثاني : الأساليب والوسائل التربوية النبوية .

المبحث الأوّل : (الأساليب التربوية النبوية) .

الفصل الثالث : (أصول وقواعد منهجية في طلب العلم مستقربة من المنهج النبوي) .

المبحث الأول : (التحيؤ للعلم والاجتهاد فيه) .

المطلب الأول : (إخلاص النية في طلب العلم) .

المطلب الثاني : (الحلم قبل العلم) .

المطلب الثالث : (الجدُّ والمجاهدة) .

المطلب الرابع : (حفظُ العُمُرِ والشباب خاصة) .

المبحث الثاني : (ما يؤخذ من العلم وعمّن يؤخذ) .

المطلب الأول : (أخذ المهم وتقديم الأهم والتدرج فيه) .

المسلك الأول ، (أخذ المجهر من كلِّ علم ثمَّ التخصص) .

المسلك الثاني ، (تفهيم الأهم) .

المسلك الثالث ، (التدرُّج في التعلُّم) .

المطلب الثاني : (أخذ العلم عن أهله ، وعن كلِّ شيخٍ ما يُحسِن) .

المطلب الثالث : (اتباع السُّنة وتعظيمها ، وترك التقليد) .

المبحث الثالث : (حفظُ العلم وفهمه واستذكاره) .

المطلب الأول : (الجمع بين الحفظ والفهم) .

المسلك الأول ، (الحفظُ أهلٌ في المنهج النبوي) .

المسلك الثاني ، (الفهمُ أهلٌ في المنهج النبوي) .

المسلك الثالث ، (الحاجةُ إلى الجمع بين الحفظ والفهم) .

المطلب الثاني : (استذكار العلم وتعاوده) .

المطلب الثالث : (كتابة العلم وتقييده) .

المبحث الرابع : (تطبيق عملي) .

المطلب الأول : (أوصاف علماء السنة الذين يؤخذ عنهم العلم) .

المطلب الثاني : (خوارم المنهج ومعوقاته) .

المطلب الثالث : (مراحل سُلْمِ التعلُّم) .

المطلب الرابع : (مفردات المنهج) .

القسم الثاني

دعوة غير المسلمين (الكفار)

الباب الأول : (دعوة المشركين عامة) .

الفصل الأول : (دعوتهم إلى التوحيد)

الفصل الثاني : (الأساليب النبوية في دعوة المشركين)

المبحث الأول : (دعوتهم بالحكمة) .

المبحث الثاني : (دعوتهم بالموعظة المسنة) .

المبحث الثالث : (مجادلتهم ومحاورتهم) .

الفصل الثالث : (وسائله ﷺ في الدعوة)

الباب الثاني : (منهجه ﷺ في دعوة أهل الكتاب) .

الفصل الأول : دعوتهم إلى التوحيد والتدرج في إخبارهم بالفرائض .

الفصل الثاني : بشارتهم بالسلامة والأجر مرتين إن هم استجابوا .

الفصل الثالث : إجابته ﷺ على أسئلتهم التعجيزية .

الفصل الرابع : مجادلتهم وإقامة الحجّة عليهم .

الفصل الخامس : دعوتهم إلى المباهلة حال الرفض .

الفصل السادس : هديه ﷺ في التعامل معهم .

الفصل السابع : جهادهم .

الباب الثالث : (منهجه ﷺ وهدية في المنافقين) :

- تمهيد : في معنى النفاق ، وأقسامه ، وأحكامه ، ونجومه .
- الفصل الأول : قبول علانيتهم ، وإيكال سرائرهم إلى الله .
- الفصل الثاني : الإعراض عنهم ، ووعظهم ، والصبر على أذاهم .
- الفصل الثالث : عدم توقييرهم أو الاستغفار لهم أو الصلاة عليهم والقيام على قبورهم .
- الفصل الرابع : جهادهم والإغلاظ عليهم .
- الفصل الخامس : محاصرتهم والتضييق عليهم وتهديدهم .
- الفصل السادس : كشف خططهم ومؤامراتهم وإيظاها .
- الفصل السابع : منهجه ﷺ في معالجة المواقف الناجمة عن فتن المنافقين .
- الفصل الثامن : إشهار علاماتهم وأعمالهم دون أسمائهم .

تمهيد

تقرير وجوب اتباع المنهج النبوي

- أولاً : الأمر باتباع الصراط ، وترك السُّبُل .
- ثانياً : دين الأنبياء واحد ، ولكلِّ نبيٍّ شرعةٌ ومنهاجاً .
- ثالثاً : الوعيد الشديد لمن اتبع غير سبيل المؤمنين .
- رابعاً : الأمر ببيان منهجه ﷺ هو وأتباعه .
- خامساً : الأمر بالدعوة بأسلوب محدد .
- سادساً : الدعوة عبادة يجب فيها الاتباع .
- سابعاً : اتباع المنهج النبوي يؤرث الاجتماع والائتلاف المأمور به ، وتركه يُفضي إلى التفرُّق والاختلاف المنهي عنه .

تمهيد

نقد وجوب اتباع المنهج النبوي

أولاً : الأمر باتباع الصراط ، وترك السبل .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) .

قال أبو جعفر : « وهذا الذي وصاكم به ربكم في هاتين الآيتين من قوله : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ﴾ وأمركم بالوفاء به ، هو (صراطه) يعني : طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده . (مستقيماً) يعني : قويمًا لا اعوجاج به عن الحق ، (فاتبعوه) : فاعملوا به واجعلوه لأنفسكم منهاجًا تسلكونه . (ولا تتبعوا السبل) : ولا تسلكوا طريقًا سواه ، ولا تركبوا منهاجًا غيره ، ولا تبغوا دينًا خلافه . (فتفرق بكم عن سبيله) : فيشتت بكم إن اتبعتم السبل المحدثه . (عن سبيله) يعني عن طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه ، وهو الإسلام الذي وصى به الأنبياء ، وأمر به الأمم قبلكم . وعن مجاهد في قول الله : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ قال : البدع والشبهات ، وعن ابن عباس ، قوله : ﴿ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ ، وقوله : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ ونحو هذا في القرآن . قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة . ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله » (٢) .

(١) الأنعام : الآية (١٥٣) .

(٢) تفسير الطبري : تحقيق شاكر : ٢٢٨/١٢ - ٢٣٠ مختصرًا .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « خَطُّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا خَطًّا فَقَالَ : هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ، ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِ ذَلِكَ الْخَطِّ وَعَنْ شِمَالِهِ خَطُّوطًا فَقَالَ : هَذِهِ سَبِيلُ ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهَا ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ ^(١) الموصول إليه .

وعن النُّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَعَلَى جَنْبَيْهِ الصُّرَاطُ سُورَانِ ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُورٌ مُرْخَاةٌ ، وَعَلَى بَابِ الصُّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! ادْخُلُوا الصُّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَتَّعَوْجُوا ، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصُّرَاطِ ، فَإِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ : وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلْجَهُ .

فَالصُّرَاطُ : الْإِسْلَامُ ، وَالسُّورَانِ : حُدُودُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ : مَحَارِمُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصُّرَاطِ : كِتَابُ اللَّهِ ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقٍ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ ^(٢) .

وروى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في (الصراط المستقيم) قال : كتابُ الله ^(٣) .

(١) المصدر السابق في الموضوع نفسه ، وقال الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - : صحيح الإسناد .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٨٢/٤ .

وصححه الألباني . انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته : ٤/٤ ، رقم ٣٧٨٢ .

(٣) تفسير الطبري : ١٧٣/١ ، رقم الأثر ١٧٧ ، وقال شاكر بعد استعراضه لسنده ،

وقال ابن كثير : « وهاهنا لما أخبر الله تعالى عن القرآن بقوله : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ عطف بمدح التوراة ورسولها » (١) .

وقال - رحمه الله - في قوله : ﴿ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ : « إنما وُحِّدَ سبيله لأنَّ الحقَّ واحد ، ولهذا جمع السُّبُلَ لتفرُّقها وتشعبها » (٢) .

وقال أبو جعفر في قول الله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ قال : « فكان معنى الكلام : اللهم إياك نعبد وحنك لا شريك لك مخلصين لك العبادة دون ما سواك من الآلهة والأوثان ؛ فأعنا على عبادتك ، ووقفنا لما وقفت من أنعمت عليه من أنبيائك وأهل طاعتك من السبيل والمنهاج » (٣) . وقال في تأويل الصراط المستقيم : « أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أنَّ ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه » (٤) . وقال : « إنما وصفه الله بالاستقامة لأنه صوابٌ لا خطأ فيه » (٥) .

وقال : « والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي ، أعني ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ؛ أن يكون معنياً به : وقفنا للثبات على ما ارتضيته

قال : وهذا الخبر رواه الحاكم في المستدرک : ٢٥٨/٢ من طريق عمر بن سعد أبي داود الحضري عن الثوري بهذا الإسناد . وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه النهي .

(١) تفسير القرآن العظيم : ١٣٩٠/٣ . ط مؤسسة علوم القرآن .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ١٣٩٠/٣ .

(٣) تفسير الطبري ، طبعة شاكر : ١٦٦/١ .

(٤) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، ص ١٧٠ .

(٥) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، ص ١٧٧ .

ووفقت له من أنعمتَ عليه من عبادك ، من قول وعمل ، وذلك هو الصراط المستقيم . لأنَّ من وُفِّقَ لما وُفِّقَ له من أنعمَ اللهُ عليه من النبيين والصدِّيقين والشُّهداء ، فقد وُفِّقَ للإسلام ، وتصديق الرُّسُل ، والتمسُّك بالكتاب ، والعمل بما أمر اللهُ به ، والانزجار عمَّا زجره عنه ؛ واتباع منهج النبي ﷺ ، ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . وكلُّ عبده لله صالح ، وكلُّ ذلك من الصراط المستقيم» (١) .



(١) تفسير الطبري ، الموضع نفسه : ١٧١/١ .

ثانياً : هين الأنبياء واحدا ؛ ولكل نبيّ شرعة ومنهاجاً .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ .^(١)

قال شيخ الإسلام : « أي ملتكم ملّة واحدة ، كقوله : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴿٣﴾ ﴾ »^(٢) .

وقال النبي ﷺ : « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد »^(٣) .

قال أبو الفداء ابن كثير : « فإن أولاد العلات هم الإخوة من أبٍ واحدٍ وأمّهاتٍ شتى ، فالدين واحدٌ ، وهو عبادةُ الله وحده لا شريك له ، وإن تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الأمهات ، كما أن إخوة الأخياف عكسُ هذا ، بنو الأمّ الواحدة من آباءٍ شتى ، والإخوة الأعيان الأشقاء من أبٍ واحدٍ وأمّ واحدة ، والله أعلم »^(٤) .

وقال شيخ الإسلام : « فدين الأنبياء واحد ، وهو دين الإسلام ، لأنّ بعض الشرائع تنوّع ، فقد يُشرع في وقتٍ أمراً لحكمة ثم يُشرع في وقتٍ آخر أمراً آخر لحكمة ، فتنوّعت الشريعة ، والدين واحد »^(٥) .

(١) المؤمنون : الآيات (٥١ - ٥٢) .

(٢) الزخرف : الآية (٢٣) .

(٣) جامع الرسائل ، لابن تيميّة : ٢٨٣/١ .

(٤) البخاريّ : ٦٤ الأنبياء ٤٩ : باب ﴿ وأذكر في الكتاب مريم إذ أحضت من أهلها ﴾ : ١٢٧٠/٣ ، رقم ٣٢٥٩ .

(٥) تفسير القرآن العظيم : ١٤٠٢/٣ ، طبعة مؤسسة علوم القرآن ودار ابن حزم .

(٦) جامع الرسائل : ٢٨٣/١ .

قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا ﴾ ^(١) .

وقال أبو الفداء : « وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي ، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراماً ، ثمَّ يحلُّ في الشريعة الأخرى ، وبالعكس ، وخفيفاً فيُزاد في الشدَّة في هذه دون هذه ، وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة والحجَّة الدامغة » ، ثمَّ قال : « ... ولكنه تعالى شرع لكلِّ رسولٍ شرعة على حدة ، ثمَّ نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده ، حتَّى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمداً ﷺ » ^(٢) .

وقال أبو جعفر الطبري : « والشرعة هي الشريعة بعينها ، وأما المنهاج فإنَّ أصله : الطريق البين الواضح . فمعنى الكلام : لكلِّ قومٍ منكم جعلنا طريقاً إلى الحق يؤمُّه ، وسبيلاً واضحاً يعمل به » ^(٣) .

وأخرَجَ عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا ﴾ قال : سُنَّةٌ وسبيلاً ^(٤) .

وقال أبو عبيدة : « ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً ﴾ أي : سُنَّةٌ ، ﴿ وَمَنْهَاجًا ﴾ أي سبيلاً بيناً واضحاً » ^(٥) .

وقال الحافظ : « قوله : (وقال ابن عباس) وصل هذا التعليق

(١) المائة : الآية (٤٨) .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ١١٨٧/٣ ، طبعة مؤسسة علوم القرآن ودار ابن حزم .

(٣) تفسير الطبري : ٣٨٤/١٠ ، تحقيق شاکر .

(٤) المصدر السابق : ٣٨٧/١٠ ، رقم الأثر ١٢١٣٣ ، وصحَّح إسناده المحقق .

(٥) فتح الباري : كتاب التفسير : باب ٥ - المائة : ١١٩/٨ .

عبدالرزاق في تفسيره بسندٍ صحيح . والمنهاج السبيل ، أي الطريق الواضح . والشرعة والشريعة بمعنى ، وقد شرع أي سنَّ « (١) .

فتبين بهذا أن الشريعة هي السنن التي سنّها المصطفى ﷺ ، والأحكام الشرعية التي انتهت إليها واستقرت عليها شريعته ﷺ .

وأما المنهج : فهو السبيل ، وهو طريقة النبي ﷺ في فهم وتطبيق هذا الدين ؛ عقيدة وشريعة وأخلاقاً ، والدعوة إليه وفق مراد الله .

وهو منهج واحد ، وسبيل واحد ، ورد بصيغة الإفراد ، كما في قوله ﷺ : « ... ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَىٰ مَنَاجِجِ النَّبُوءَةِ » (٢) ، ولم يقل : مناهج النبوة . وقال ﷺ : « قد تركتكم على البيضاء ، ليلها كنهارها » (٣) .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٤) . أتى السبيل مفرداً ، وغير سبيل المؤمنين سبيل كثيرة لا تنحصر .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ (٥) . أي طريقي .

وهذا السبيل والمنهج هو منهج الفرقة الناجية التي أخبر عنها

(١) فتح الباري : كتاب الإيمان . الباب الأول : ٦٤/١ .

(٢) المسند ، للإمام أحمد : ٢٧٣/٤ .

وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٨/١ ، رقمه .

(٣) المستدرک للحاکم : ٤٣/٣٣١ ، وسكت عنه النهي في التلخيص ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ، وصححه بعد أن عزاه للإمام أحمد .

(٤) النساء : الآية (١١٥) .

(٥) يوسف : الآية (١٠٨) .

المصطفى ﷺ في حديث الافتراق بقوله : « مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي » (١) .
أي في العقيدة والشريعة والمنهاج والأخلاق والآداب .

فتبين بهذا أن منهاج النبوة واحد لا يتعدّد . وأنه الطريق الذي
اتبعه ﷺ وسلّكه هو وأصحابه في تطبيق شرع الله ؛ عقيدة وعبادة ،
وأحكاماً ، وأخلاقاً وآداباً ، والطريق الذي سلّكوه في تنفيذ ذلك كلّه
وتقريره والدعوة إليه .

وهو سبيل المؤمنين الذي توعدّ الله من اتبع غيره أن يوليه ما تولى
ويصليه جهنم ، وهو من (صراطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصّٰدِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصّٰلِحِينَ) (٢) .



(١) الترمذي ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، وقال :
حسن غريب .

انظر : شرح السنة للبيهقي : ٢١٣/١ .

(٢) كما ذكر ذلك ابن جرير الطبري ، ومرّ قريباً . انظر تفسيره : ١٧١/١ ، ط . شاکر .

ثالثاً : (الوعية الشبهة لمن اتبع غير سبيل المؤمنين .

وسبيل المؤمنين هو منهجهم : وهو طريقهم في تطبيق النصوص وفق مراد الله وفهم النبي ﷺ وأصحابه . وقد ورد ذكره في قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « إنها تدلُّ على وجوب اتباع سبيل المؤمنين وتحريم اتباع غير سبيلهم ، ولكن مع تحريم مشاققة الرسول من بعدما تبين له الهدى ، وهو يدلُّ على ذمِّ كلِّ من هذا وهذا كما تقدّم ، لكن لا ينبغي تلازمهما كما ذكر في طاعة الله والرسول .

ثمَّ قال : فمن خرج عن إجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعاً ، والآية توجب ذمَّ ذلك . وإذا قيل : هي إنما ذمته مع مشاققة الرسول . قلنا : لأنهما متلازمان « (٢) .

وقال - رحمه الله - في الآية : « وقد شهد الله لأصحاب نبيه ﷺ ومن تبعهم بإحسان بالإيمان ، فعلم قطعاً أنهم المراد بالآية الكريمة ؛ فقال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٣) .

(١) النساء : الآية (١١٥) .

(٢) الفتاوى : ١٩٣/١٩ - ١٩٤ .

(٣) التوبة : الآية (١٠٠) .

فحيث تقرر أن من اتبع غير سبيلهم ولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم . فمن سبيلهم في الاعتقاد : « الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه وسمى بها نفسه في كتابه وتنزيله ، أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ولا نقصان منها ، ولا تجاوز لها ولا تفسير لها ، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها ، ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين ؛ ولا سمات المحدثين ، بل أمرؤها كما جاءت ، وردوا علمها إلى قائلها ، ومعناها إلى المتكلم بها ، وعلموا أن المتكلم بها صادق لا شك في صدقه فصدقه ، ولم يعلموا حقيقة معناها فسكتوا عما لم يعلموه . وأخذ ذلك الآخر عن الأول ، ووصى بعضهم بعضاً بحسن الاتباع والوقوف حيث وقف أولهم ، وحذروا من التجاوز لهم والعدول عن طريقهم ، وبينوا لنا سبيلهم ومذهبهم ، ونرجو أن يجعلنا الله تعالى ممن اقتدى بهم في بيان ما بينوه ؛ وسلوك الطريق الذي سلكوه .

ثم قال : « بل بلغ من مبالغتهم في السكوت عن هذا : أنهم كانوا إذا رأوا من يسأل عن المتشابه بالغوا في كفه ، تارة بالقول العنيف ؛ وتارة بالضرب ، وتارة بالإعراض الدال على شدة الكراهة لمسألته .

ولذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه أن صبيغاً يسأل عن المتشابه أعد له عراجين النخل ، فبينما عمر يخطب قام فسأله عن : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴾ ﴿ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴾ وما بعدها ، فنزل عمر ، فقال : « لو وجدتك مخلوقاً لضربت الذي فيه عينك بالسيف » . ثم أمر به فضرب ضرباً شديداً ، وبعث به إلى البصرة ، وأمرهم أن لا يجالسوه ، فكان بها كالبعير الأجر ، لا يأتي مجلساً إلا قالوا : (عزمة أمير المؤمنين) ، فترقوا عنه ، حتى تاب وحلف بالله ما بقي يجد مما كان في نفسه

شيئاً ، فأذن عمر في مجالسته . فلما خرجت الخوارج أتي ، فقيل له : هذا وقتك ، فقال : لا ، نفعني موعظة العبد الصالح .

ولما سُئِلَ مالك بن أنس - رحمه الله تعالى - فقيل له : يا أبا عبد الله ! ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ كيف استوى ؟ فأطرق مالك وعلاه الرُّحضاء - يعني العرق - وانتظر القوم ما يجيء منه فيه . فرفع رأسه إلى السائل وقال : « الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأحسبك رجل سوء » وأمر به فأخرج .

فيقال في مثل النزول : النزول معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . وهكذا يُقال في سائر الصفات ، إذ هي بمثابة الاستواء الوارد به الكتاب والسنة .

وثبت عن محمد بن الحسن - صاحب أبي حنيفة - أنه قال : « اتفق الفقهاء كلهم من الشرق والغرب : على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب ﷻ من غير تفسير ، ولا وصف ، ولا تشبيه ، فمن فسّر شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ ، وفارق الجماعة . فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا . فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة » انتهى (١) .

وحيث وضّح شيخ الإسلام جانباً من المنهج الذي كان عليه السلف في تطبيق هذا الدين في أحد مجالاته وهو مجال الاعتقاد ، وأنه

(١) الفتاوى : ٢/٤ - ٥ ، مختصراً .

جزء من سبيلهم ، وقد ضرب لذلك الأمثلة ، فإنَّ منهج النبي ﷺ وأصحابه في الدعوة إلى هذا الدين ، وما وضَّحه الله في كتابه ، وسار عليه النبي ﷺ في سيرته وسنته بهذا الخصوص جزء من سبيل المؤمنين الكلي .

ومن لم يتبعه فقد اتبع غير سبيل المؤمنين ، وقد توعدَّه الله بالنار .



رابعاً : الأمر ببيان منهجه ﷺ هو وأتباعه .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(١) .

قال ابن عطية في قوله ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ : « إشارة إلى دعوة الإسلام والشريعة بأسرها » ^(٢) .

وقال أبو جعفر : « قل يا محمد : هذه الدعوة التي أدعو إليها ، والطريقة التي أنا عليها ، من الدعاء إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان ، والانتهاج إلى طاعته ، وترك معصيته ﴿ سَبِيلِي ﴾ ، وطريقي ودعوتي أدعو إلى الله وحده لا شريك له » ^(٣) .

ونقل عن ابن زيد في الآية ، قال : ﴿ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ هذا أمري وسنتي ومنهاجي ، ﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ . قال : وحقُّ والله على من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه » ^(٤) .

وقال الشوكاني : « ﴿ سَبِيلِي ﴾ طريقي وسنتي » ^(٥) .

وملخص ما سبق في ﴿ سَبِيلِي ﴾ : أي أن منهجي وطريقي وسنتي التي أنا عليها أنا ومن اتبعني أنني أدعو إلى الله على بصيرة .

(١) يوسف : الآية (١٠٨) .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية : ٣٨٧/٩ ، ط : مطابع فضالة .

(٣) الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية ، لابن باديس (ت ١٣٥٩) ، ص ٨ - ١٣ ، باختصار وتقديم وتأخير .

(٤) تفسير الطبري : ٢٩١/١٦ ، ٢٩٢ .

(٥) فتح القدير ، الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير : ٥٩/٣ .

وفي الآية دعوة لأتباعه للتأسي به من جهة ، وتصريح من جهة بأن مقتضى الاتباع اتباعه .

قال العلامة عبد الحميد بن باديس : « أمر الله نبيه ﷺ أن يبين سبيله بياناً عاماً للناس لتتضح المحجة للمهتدين ، وتقوم الحجّة على الهالكين . ثم يبين سبيله بثلاثة أشياء : الدعوة إلى الله على بصيرة ، وتنزيه الله تعالى ، والبراءة من المشركين . فالنبي من يوم بعثه الله إلى آخر لحظة من حياته كان يدعو الناس كلّهم إلى الله ، يدعو إلى عبادة الله وتوحيده ، ويشاهد الناس تلك العبادة والتوحيد والطاعة ، فكان ﷺ كله دعوة إلى الله بأقواله وأفعاله وتقريراته وجميع مواقفه في سائر مشاهدته . وكانت دعوته واضحة جليّة لا خفاء فيها ، كما قال ﷺ : « قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ ، لَيْلَهَا كَنْهَارُهَا ، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَغْدِي إِلَّا هَالِكٌ » (١) ، كان يدعو إلى دين الله ، فما دعا لنفسه ، وما دعا إلى قومه ، كان يدعو الناس كلّهم ، يدعو الكافرين كما يدعو المؤمنين : يدعو أولئك إلى الدُّخُولِ فِي دِينِ اللَّهِ ، ويدعو هؤلاء إلى القيام بدين الله ، فلم ينقطع يوماً عن الإنذار والتبشير والوعظ والتذكير .

لقد كان في بيان أن الدعوة إلى الله هي سبيلُ محمد ﷺ ما يُفيدُ أن على أتباعه - وهو قدوتهم ولهم فيه الأسوة الحسنة - أن تكون الدعوة إلى الله سبيلهم . ولكن لتأكيد هذا عليهم وبيان أنه من مقتضى كونهم

(١) سنن ابن ماجه : باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين : ٤٣/١ .

وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه : ١٣/١ ، رقم ٤١ .

أتباعه ، وأن أتباعهم له لا يتم إلا به - جاء التصريحُ بذلك هكذا :

﴿ ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ . وأن تكون دعوتهم على بينةٍ وُحجةٍ وإيمانٍ و يقينٍ ، وأن تكون وفقاً لدعوته ، وتبعاً لها .

ثم قال - رحمه الله - : ومن الدعوة إلى الله تعريف المسلمين بدينهم وتربيتهم في عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم على ما جاء به وتحييهم فيه ، ببيان ما فيه من خيرٍ وسعادة لهم ، وبيان أنه ما من سببٍ مما تسعدُّ به البشريةُ إلا بينه لهم ودعاهم إليه ، وما من سببٍ مما تشقى به البشريةُ إلا بينه لهم ونهاهم عنه « (١) .



(١) الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية ، لابن باديس . ت ١٣٥٩ . النص (٨ -

١٣) باختصار وتقديم وتأخير .

خامساً : (الأمر بالعمارة بأسلوبٍ محمداً .

أمر الله نبيه ﷺ بالدعوة إلى سبيله بأسلوب محدد لا يتجاوزه ، فقال ﷺ : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٧٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ (١٧٦) وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (١٧٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿ (١)

قال العلامة ابن باديس : « شرع الله لعباده - بما أنزل من كتابه وما كان من بيان رسوله - ما فيه استتارة عقولهم ، وزكاء نفوسهم ، واستقامة أعمالهم ، وسماه سبيلاً ليلتزموه في جميع مراحل سيرهم في هذه الحياة ، ليفضي بهم إلى الغاية المقصودة ، وهي السعادة الأبدية في الحياة الأخرى ، وأضافه إلى نفسه ليعلموا أنه هو وضعه ، وأنه لا شيء يوصل إلى رضوانه سواه . وذكر من أسمائه الرب ليعلموا أن الرب هو الذي وضع لهم هذه السبيل لطفاً منه بهم ، وإحساناً إليهم ، لينهجوها في مراحل حياتهم ، فكما كان رحيماً بهم في خلقه ، كان رحيماً بهم في شرعه ، فيسيروا فيها عن رغبةٍ ومحبةٍ فيها ، ومع شكر له وشوقٍ إليه . وأمر نبيه أن يدعو - وحذف معمول (ادع) لإفادة العموم [عموم الإنس والجن] (٢) - إلى هذا السبيل . فما ترك شيئاً من سبيل ربه إلا دعاً إليه ، فعرفنا بهذا أن ما لم يدعُ إليه فليس من سبيل الرب جلّ

(١) النحل : الآيات (١٢٥ - ١٢٨) .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

جلاله . فالمسلم المتبع للنبي ﷺ لا يألو جهداً في الدعوة إلى كل ما عرف من سبيل ربّه .

وهذه الآية الكريمة جاءت في بيان كيفية الدعوة ، وبماذا تؤدّى ؟ وكيف يُدافع عنها ، مع ذكر الداعي وهو النبي ﷺ ، والمدعو إليه ، وهو سبيلُ الربّ جلّ جلاله . والدعوة إلى سبيله الموصل إليه دعوة إليه ، فالمدعو إليه في الحقيقة هو الله تعالى .

فقال تعالى : ﴿ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

فالحكمة التي أمر الله نبيه ﷺ أن يدعو الناس إلى سبيل ربّه بها هي البيان الجامع الواضح للعقائد بأدلتها ، والحقائق ببراهينها ، والأخلاق الكريمة بمحاسنها ، ومقايح أضرارها ، والأعمال الصالحة : من أعمال القلب واللسان والجوارح بمنافعها ومضارّ خلافها . فأيات القرآن وأحاديثه ﷺ هما الحكمة التي كان يدعو إلى سبيل ربّه بها . وتلك الأشياء كلّها هي أيضاً حكمة .

(ف) الحكمة هي العلم الصحيح الثابت الثمر للعمل المتقن المبني على ذلك العلم . فالعقائد الحقّة ، والحقائق العلميّة الراسخة في النفس رسوخاً تظهر آثاره على الأقوال والأعمال : حكمة ، والأعمال المستقيمة ، والكلمات الطيبة التي أثمرتها تلك العقائد حكمة ، والأخلاق الكريمة كالحلم والأناة - وهي علمٌ وعملٌ نفسيٌّ : حكمة .

والبيان عن هذا كلّه بالكلام الواضح الجامع حكمة ؛ تسمية للدّال باسم المدلول .

في سورة الإسراء ثمان عشرة آية جمعت أصول الهداية ، من قوله

تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَدَّمَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴾ إلى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴾^(١) ، وقد جمعت تلك الآيات كل ما ذكرنا من العقائد الحقّة . والحقائق العلمية ، والأعمال المستقيمة ، والكلمات الطيبة ، والأخلاق الكريمة ، وسمى الله ذلك كله حكمة ، فقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾^(٢) .

(ولقد) هدتنا الآية الكريمة ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ إلى أسلوب الدعوة : وهو الحكمة ، وتجلّت هذه الحكمة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، فعلينا أن نلتزمها جُهدنا حيثما دعونا ، ونقتدي بأساليب القرآن والسنة في دعوتنا ، فيما يُحصّل الفهم واليقين ، والفقه في الدين ، والرغبة في العمل ، والدوام عليه . وهي التي كان يعلمها كما في قوله تعالى : ﴿ وَتَعَلَّمُوا الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ فصلى الله وسلّم عليه من داع إلى الحكمة ، ومعلّم للحكمة بالحكمة «^(٣) .

وقال - رحمه الله - في الدعوة بالموعظة الحسنة : « هدتنا الآية الكريمة بمنطوقها ومفهومها إلى أنّ من الموعظة ما هو حسن ، وهو الذي تكون به الدعوة ، ومنها ما هو ليس بحسن فيتجنب ، ويبت مؤاعظ القرآن ، ومواعظ النبي ﷺ ذلك الحسن فعلينا أن نلتزمه ، لأنّه هو الذي تبلغ به الموعظة غايتها وتثمر بإذن الله ثمرتها .

الموعظة التي تحصل المقصود منها : من ترقيق للقلوب ، للحمل على

(١) الإسراء : الآيات (٢٢ - ٣٩) .

(٢) الإسراء : الآية (٣٩) .

(٣) الدرر الغالية ، لابن باديس ، ص ٢٥ - ٣١ ، باختصار وتقديم وتأخير .

الامتثال لما فيه خير الدنيا والآخرة هي الموعظة الحسنة . وإنما يحصل المقصود منها إذا حُسِّنَ لفظها بوضوح دلالاته على معناها ، وحسُنَ معناها بعظيم وقعه في النفوس فعذبت في الأسماع ، واستقرت في القلوب ، وبلغت مبلغها من دواخل النفس البشرية ، فأثارت الرغبة والرغبة ، وبعثت الرجاء والخوف بلا تقنيط من رحمة الله ، ولا تأمين من مكره ، فتلقته النفس من النفس ، وتلقفها القلب من القلب ، إلا نفساً أحاطت بها الظلمة ، وقلباً عمي عليه الرآن ، عافى الله قلوب المؤمنين .

ففي حديث العرياض رضي الله عنه : « وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعَيْونُ ... » (١) ، فهذه حقيقة الموعظة .

(و) يكون الوعظُ بذكر أيام الله في الأمم الخالية ، وباليوم الآخر ، وما يتقدمه ، وما يكون فيه من مواقف الخلق وعواقبهم ، ومصيرهم إلى الجنة أو النار ، وما في الجنة من نعيم ، وما في النار من عذاب أليم ، وبوعده الله ووعيده ، وهذه أكثر ما يكون بها الوعظ .

ويكون بغيرها كتذكير الإنسان بأحوال نفسه ليعامل غيره بما يحب أن يُعامل به ، وهو من أدق فنون الوعظ وأبلغها ، مثل قوله تعالى - وقد نهى أن يُقال لمن ألقى السلام : لست مؤمناً - : ﴿ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ (٢) .

(١) سنن الترمذي : رقم ٢٦٧٦ .

(٢) النساء : الآية (٩٤) .

وقوله تعالى - وقد أمر بالعفو والصفح - : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(١) .

ويُفرَّق - رحمه الله - بين الحكمة والموعظة فيقول : يقولُ الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾^(٢) ، ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾^(٣) . هذه موعظة . ويقول تعالى ﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾^(٤) هذه موعظة . وهكذا تمتزج المواعظ الحسنة بالحكمة البالغة في آيات القرآن العظيم ، فتتبعها في جميع سورته تجدها «^(٥) .

فعلَمَ أنّ ما له تأثيرٌ على القلب بوجلٍ وانكسارٍ ورهبةٍ أو رغبةٍ فإنّ ذلك من الموعظة الحسنة .

وقال - رحمه الله - في المجادلة بالتي هي أحسن : « هدتنا الآية الكريمة إلى الطريقة المحمودة المشروعة في الجدل : وفي آيات القرآن بيانٌ لهذه الطريقة البيان التام . وجاءت السنة النبوية الكريمة ، والسيرة المحمدية الشريفة ، مطبقةً لذلك ومنفذة له ؛ فالكتاب والسنة فيهما البيان الكافي الشافي للجدال بالتي هي أحسن ، كما فيهما البيان الشافي الكافي للحكمة والموعظة الحسنة .

(١) النور : الآية (٢٢) .

(٢) الأنعام : الآية (١٥٢) .

(٣) النساء : الآية (١٠) .

(٤) النساء : الآية (٩) .

(٥) الدرر الغالية ، لابن باديس ، ص ٣٢ - ٣٩ ، باختصار وتقديم وتأخير .

أمر الله بالدعوة والجدال على الوجه المذكور ، فكلاهما واجبٌ على المسلمين أن يقوموا به ، فكما يجب لسبيل الربّ جلّ جلاله أن تُعرف بالبيان بالحكمة ، وأن تُحبّ بالترغيب بالموعظة الحسنة .

كذلك يجب أن يُدافع من يصدّون عنها بالتي هي أحسن ، إذ لا قيام لشيءٍ من الحقِّ إلاّ بهذه الثلاث .

غير أن الدعوة بوجهيها ، والجدال ليستا في منزلة واحدة في القصد والدوام : فإنّ المقصود بالذات هو الدعوة ، وأمّا الجدال فإنّه غير مقصود بالذات ، وإنّما يجبُ عند وجود المعارض بالشبهة ، والصّادّ بالباطل عن سبيل الله .

والجدال يكون عند وجود ما يقتضيه ، ولهذا كانت الدعوة بوجهيها محمود على كلّ حال ، وكان الجدال مذمومًا في بعض الأحوال ، وذلك فيما إذا استعمل عند عدم الحاجة إليه ، فيكون حينئذٍ شاغلًا عن الدعوة مؤدّيًا في الأكثر إلى الفساد والفتنة . فإذا كان جدالاً لمجرّد الغلبة والظهور ، فهو شرٌّ كلّهُ ، وأشدُّ شرًّا منه إذا كان لمدافعة الحق بالباطل .

وفي هذه الأقسام المنوعة مثل قوله : ﴿ وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾^(١) . وقوله ﷺ : « مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ »^(٢) .

(١) الكهف : الآية (٥٦) .

(٢) سنن الترمذي : أبواب فضائل القرآن : ٤٤ — سورة الزخرف ، رقم

الحديث ٣٤٨٣ . وحسنه الألباني . انظر : ج٣ : ص ١٠٣ ، رقم ٢٥٩٣ .

(و) المدافعةُ والمغالبةُ من فطرة الإنسان ، ولهذا كان الإنسان أكثر شيءٍ جدلاً ، غير أن التربية الدينية هي التي تضبط خلقه ، وتقوم فطرته ، فتحعل جداله بالحق عن الحق . فلنحذر أن يطغى علينا خلق المدافعة والمغالبة فنذهب في الجدل شرّ مذاهبه ، وتصير الخصومة لنا خلقاً ، ومن صارت الخصومة له خلقاً أصبح يندفع معها في كل شيء ولأدنى شيء ، ولا يُبالي بحق ولا باطل ، وإنما يُريد الغلب بأي وجه كان ، وهذا هو الذي قال فيه النبي ﷺ : « **إِنْ أَبْغَضَ الرَّجَالُ إِلَيَّ اللَّهُ الْأَدُّ الْخَصِيمُ** » ^(١) ، ومن ضبط نفسه وراقب ربه ، لا يجادل إلا عن الحق وبالتي هي أحسن ، وأن يلتزم في جدالهم كلمة الحق والكلمات الطيبة (و) أن يجتنب كلماتهم الباطلة والقيحة ، وطرائقهم المتناقضة والمتوتية ، وأن يسلك في مدافعتهم طريق الرفق والرجاحة والوقار دون فحش ولا طيش ولا فظاظة . وهذه الطريقة في الجدل هي التي أحسن من غيرها في لفظها ومعناها ومظهرها وتأثيرها وإفصائها للمقصود من إفحام المبطل وجلبه وردّ شرّه عن الناس ، وإطلاعهم على نقصه وسوء قصده ، وهذه الطريقة التي أمر الله نبيه ﷺ بالجدال بها .

(و) علينا الدعوة والجدال ، وإلى الله الهدى والضلال والمجازاة على الأعمال . ثمرة العلم بهذا أن الداعي يدعو ولا ينقطع عن الدعوة ولو لم يتبعه أحدٌ ، لأنه يعلم أن أمر الهدى والضلال إلى الله وإنما عليه البلاغ وأنه يصبر على ما يلقي من إعراض وعنادٍ وكيدٍ وأذى دون أن يُجازي بالمثل ، أو يفتر في دعوته من آذاه ، لِعَلِمِهِ بَأَنَّ الَّذِي يُجَازِي **إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ** » ^(٢) .

(١) البخاريّ : ٥١ - المظالم : ١٦ - باب قول الله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الْأَدُّ الْخَصِيمُ** ﴾ :

ج-٢/٨٦٧ ، رقم ٢٣٢٥ .

(٢) الدرر الغالية ، لابن باديس ، ص ٤١ - ٤٧ ، باختصار مع تقديم وتأخير .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - في معرض حديثه عن قول الله تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ... ﴾ قال : فدلّ على أنّ الداعي لا بُدّ أن يكون على بصيرة ، وهي الدليل الواضح الذي لا لبس في الحقّ معه ، ولا بُدّ أن تكون دعوته بالحكمة وحُسن الأسلوب واللطافة مع إيضاح الحقّ ، فإن كانت بقسوة وعُنف وخرق ، فإنّها تضرُّ أكثر مما تنفع . فلا ينبغي أن يُسند الأمر بالمعروف إسناداً مطلقاً إلا لمن جمع بين العلم والحكمة والصر على أذى الناس ، لأنّ الأمر بالمعروف وظيفه الرُّسل وأتباعهم ، وهو مستلزم للأذى من الناس لأنهم مجبولون بالطبع على معاداة من يتعرّض لهم في أهوائهم الفاسدة ، وأغراضهم الباطلة ، ولذا قال العبد الصالح لقمان الحكيم لولده فيما قصّ الله عنه : ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾ (١) .

واعلم أن الدعوة إلى الله بطريقتين : طريق لئّن ، وطريق قسوة ؛ أمّا طريق اللئّن فهي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وإيضاح الأدلّة في أحسن أسلوب وألطفه ؛ فإن نجحت هذه الطريق فيها ونعمت ، وهو المطلوب ، وإن لم تنجح تعيّن طريق القسوة بالسيف حتّى يُعبد الله وحده وتقام حدوده ، وتمثّل أوامره ، وتُجتنب نواهيه ، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ (٢) . الآية

ففيه إشارة إلى إعمال السيف بعد إقامة الحجّة ، فإن لم تنفع

(١) لقمان : الآية (١٧) .

(٢) الحديد : الآية (٢٥) .

الكتب تعيّنت الكتاب ، والله تعالى قد يزرع بالسلطان ما لا يزرع بالقرآن « (١) .

ومن سبيله ﷺ وطريقه ومنهجه ؛ التذكير ، كما قال الله تعالى :
﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

قال الشنقيطي - رحمه الله - : « ويُشترط في وجوبه (أي الأمر بالمعروف) مظنة النفع به ، فإن جزم بعدم الفائدة فيه لم يجب عليه ، كما يدل له ظاهر قوله تعالى : ﴿ فَذَكَرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى ﴾ (٣) « (٤) .

ومن منهجه ﷺ وسبيله ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٥) .

بل منهجه القرآن كله ، وقد أمر بتبليغه ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ... ﴾ (٦) .
وقال تعالى : ﴿ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (٧) .

قال أبو المظفر السمعاني : « أي عظ بالقرآن من يخافني . فإن

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : ١٧٤/٢ - ١٧٥ .

(٢) الذاريات : الآية (٥٥) .

(٣) الأعلى : الآية (٩) .

(٤) أضواء البيان : ١٧٥/٢ .

(٥) الجمعة : الآية (٢) .

(٦) المائدة : الآية (٦٧) .

(٧) ق : الآية (٤٥) .

قيل : أليس يوعظ بالقرآن الكافر والمؤمن جميعاً . فكيف معنى قوله :
﴿ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ والكافر لا يخاف وعيد الله ؟

والجواب أنه لما لم ينتفع بالقرآن إلا المؤمن ، فكأنه لم يخوف
بالقرآن إلا المؤمنون ، والله أعلم « (١) .

وأفضل منه ؛ قول الإمام السعدي - رحمه الله - : « والتذكير هو
تذكير بما تقرّر في العقول والفطر ، من محبة الخير وإيثاره ، وفعله ، ومن
بُغض الشرِّ ومجانبته ، وإنما يتذكّر بالتذكير ، من يخاف وعيد الله .
وأما من لم يخف الوعيد ، ولم يؤمن به ، فهذا فائدة تذكيره ، إقامة
الحجة عليه ، لئلا يقول : ﴿ مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ « (٢) .

ومن منهجه وسيله ﷺ جهادهم بالقرآن كما أمره ربّه بذلك
فقال : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴾ ﴿٥﴾ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْتُمْ بِهِ
جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٦﴾ . (٣) .

قال أبو الفداء : « يدعوهم إلى الله ﷻ ، ولكننا خصصناك يا محمد
بالبعثة إلى جميع أهل الأرض ، وأمرناك أن تبلغ الناس هذا القرآن ﴿ لَأُنذِرَكُمْ
بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَلَئِنَّ أَمْرَهُمْ لَشَدِيدٌ ﴾ ، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ
وَجَاهِدْتُمْ بِهِ ﴾ يعني : بالقرآن ، قال ابن عباس ، ﴿ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ كما

(١) تفسير القرآن ، للإمام أبي المظفر السمعاني (ت ٤٨٩) ، ج ٥ / ٢٤٩ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للعلامة عبدالرحمن بن ناصر

السعدي : ٨٩ / ٥ .

(٣) الفرقان : الآية (٥٢) .

سماحاً : (الدعوة عبادة) يجب فيها الاتباع .

قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ... ﴾ (١) ، وقال
 ﴿ وادْعُ إِلَى رَبِّكَ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ (٣) ،
 وقال : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ
 فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ (٥) ، وقال : ﴿ وَذَكَرْنَا فِي الذِّكْرِ نَفْعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦) ،
 وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ... ﴾ (٧) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فكلُّ ما أمر الله به عباده من
 الأسباب فهو عبادة ، والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط
 المستقيم ونحو ذلك من الأسماء : مقصودها واحد ، ولها أصلان :
 أحدهما : أن لا يُعبد إلا الله ، والثاني : أن لا يعبد إلا بما أمر
 وشرع . لا يعبد بغير ذلك من الأهواء والظنون والبدع ، قال تعالى :
 ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (٨) .

(١) النحل : الآية (١٢٥) .

(٢) الحج : الآية (٦٧) .

(٣) الشورى : الآية (١٥) .

(٤) فصلت : الآية (٣٣) ، والقصص : الآية (٨٧) .

(٥) المائدة : الآية (٦٧) .

(٦) الذاريات : الآية (٥٥) .

(٧) الجمعة : الآية (٢) .

(٨) الكهف : الآية (١١٠) .

فالعمل الصالح : هو الإحسان ، وهو فعل الحسنات ، والحسنات هي ما أحبه الله ورسوله ، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب ، فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ، ولا في صحيح السنة ، فإنها وإن قالها من قالها ، وعمل بها من عمل : ليست مشروعة فإن الله لا يحبها ولا رسوله ، فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح .

وأما قوله : ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ فهو إخلاص الدين لله وحده ، وكان عمر بن الخطاب يقول : « اللهم اجعل عملي كله صالحاً ، واجعله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً » ، وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ . قال : أخلصه وأصوبه ، قالوا : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص : أن يكون لله ، والصواب : أن يكون على السنة « (١) » .

فالدعوة إذا والتعليم والتركية والتذكير والوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلها عبادات متعدية يجب أن تكون خالصة لله ، وأن تكون عملاً صالحاً ، أي صواباً ؛ تماماً كما جاءت به السنة . دون إحداث فيها ، كما قال ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » (٢) ،

(١) العبودية : ص ٣٨ - ٤١ ، مختصراً . طبعة الإفتاء .

(٢) مسلم : ٣ - الأفضية (٨) نقض الأحكام الباطلة ، وردة محدثات الأمور :

١٣٤٣/٣ ، رقم ١٧١٨ .

وفي رواية : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌ »^(١) . أي مردود وباطل غير مقبول ، وهذا الحديث قاعدة عظيمة في ردّ جميع البدع والمخترعات في الدين .



(١) المصدر السابق : الموضوع نفسه . وهو رواية أخرى عن أمّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - .

سابعاً : اتباع المنهج النبوي يورث الاجتماع والائتلاف (المأمور به ؛ وتركه يفضي إلى التفرُّق والاختلاف المنهي عنه .

أمر الله ﷻ بالاجتماع والائتلاف ، ونهى عن التفرُّق والاختلاف ، فقال سبحانه : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦٣﴾ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٧﴾ .^(١)

أخرج الإمام الطبري في تفسيره عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « كِتَابُ اللَّهِ ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَمْدُودُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ »^(٢) .

(١) آل عمران : الآيات (١٠٣ - ١٠٧) .

(٢) تفسير الطبري : ٧٢/٧ ، رقم الحديث ٧٥٧٢ ، قال أحمد شاکر : وكذلك رواه الترمذي : ٣٤٣/٤ من طريق محمد بن فضيل ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، وعن الأعمش ، عن حبيب ابن أبي ثابت ، عن زيد بن أرقم ، مرفوعاً ، نحوه مطولاً ، فهو عنده عن أبي سعيد وعن زيد بن أرقم ، ثم قال : حديث حسن غريب ، فأما حديث أبي سعيد فقد بينا أنه ضعيف ، من أجل عطية العوفي ، وأما حديث زيد بن أرقم ، فإنه حديث صحيح ، وهو قطعة من قصة مطولة ، رواها أحمد في المسند : ٣٦٦/٤ - ٣٦٧ (حلي) ، ورواها مسلم : ٢٣٧/٢ - ٢٣٨ مطولة ومختصرة .

وقال الطبري - رحمه الله - في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ، ولا تفرّقوا عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في كتابه ، من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، والانتهاء إلى أمره « (١) .
وقال أبو الفداء بن كثير - رحمه الله - : « أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة . وقد وردت الأحاديث المتعدّدة بالنهي عن التفرّق والأمر بالاجتماع والائتلاف . وقد ضُمنت لهم العصمة من الخطأ وخيف عليهم الافتراق والاختلاف ، وقد وقع ذلك في الأمة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة ، منها فرقة ناجية إلى الجنة ومسلّمة من عذاب النار ، وهم الذين على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه » (٢) .

وقد نهى الله ﷻ عن التفرّق في الدين فقال : ﴿ ... أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ... ﴾ (٣) . قال أبو الفداء ابن كثير : « وصّى الله تعالى جميع الأنبياء - عليهم السلام - بالائتلاف والجماعة ، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف » (٤) .

وقال شيخ الإسلام : « وهذا الأصل العظيم - وهو الاعتصام بحبل الله جميعاً وأن لا يتفرّقوا هو من أعظم أصول الإسلام ، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه ، ومما عظم ذمّه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم ، ومما عظمت به وصية النبي ﷺ في مواطن عامّة وخاصة » (٥) .

(١) المصدر السابق : ٧٤/٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٧٤٥/٢ مختصراً .

(٣) الشورى : جزء من الآية (١٣) .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٣١١٩/٧ .

(٥) رسالة الألفة بين المسلمين ، لشيخ الإسلام ، ص ٢٧ .

وقال : « والاجتماع والاتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله »^(١) ، وقال : « التفرُّق والاختلاف المخالف للاجتماع والاتلاف ، حتى يصير بعضهم يُغض بعضاً ويعاديه ، ويُحب بعضاً ويؤايبه على غير ذات الله . وهذا كله من أعظم الأمور التي حرّمها الله ورسوله »^(٢) .

ومن أعظم أسباب الاتلاف : الاجتماع على المنهج النبوي ، ومن أعظم أسباب التفرُّق ؛ الاختلاف في المنهج ، وهو اختلاف تضاد لا اختلاف تنوع ، إذ المنهج واحد لا يتعدّد ، فلزم من ذلك أن تعدّد المناهج يُوجب التفرُّق فنهى عنه .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(٣) . والمنهج النبوي في الدعوة هو من سبيل الله ومن صراطه المستقيم ، والمناهج المختلفة هي السبل المفرقة عن سبيل الله والمنقطعة بأصحابها دونه .

وقد نجم عن اختلاف المناهج وترك اتباع المنهج النبوي ؛ مخالفات وأضرار بالغة على أصحابها وعلى جماعة المسلمين ، وهنا قاعدة مهمّة لفهم منشأ هذه المخالفات :

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٣) الأنعام : الآية (١٥٣) .

قاعدة مهمة في العبادات :

(يجب تعليق الأمور التعبديّة بالأصول المنزلة من عند الله ، وما جاء به الرسول ﷺ ، وعدم تحريفها) .

لما كان الأصل في العبادات وجميع ما يتعلّق بها التوقف حتّى يأتي أمر الله ورسوله ؛ فإنّ الواجب في ذلك إمرارها كما جاءت دون تخصيصٍ لما لم يُخصّص ، أو تعميمٍ لما خصّص ، أو زيادةٍ أو نقص . ذلك أن المقصود الأعظم من العبادة هو رضا الله على عباده ، ورضاؤه مقدّم على كلِّ أحد . ولا يُحصَل إلاّ بتنفيذ أمره كما أمر ، واجتناب نهيه ، فإنّ طاعته وطاعة رسوله ﷺ مقدّمة على اتباع هوى النفس . فالعبادة إذا متعلّقة بطاعة الله ورسوله ، وكثير من الأمور التي أمر الله بها متعلّقة بحبّ الله ورسوله ، وكذا تحكيم الله ورسوله ، فلا يسوغ الإخلال بشيءٍ من ذلك .

وفي هذا يقول شيخ الإسلام : « فالعبادة : متعلّقة بطاعة الله ورسوله ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ^(٢) ، وقال : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ الَّذِي يَتَعَبَقُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ ^(٣) . وكذلك علق الأمور بحبّة الله ورسوله ،

(١) النساء : الآية (٦٩) .

(٢) الأحزاب : الآية (٧١) .

(٣) النور : الآية (٥٢) .

كقوله : ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ^(١) . وبرضا الله ورسوله ،
كقوله : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ ^(٢) . وتحكيم الله ورسوله ،
كقوله : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ ﴾ ^(٤) . وأمر عند التنازع بالرد
إلى الله ، والرسول ، فقال : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ
مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ^(٥) .

فتعليق الأمور من المحبة والبغضة ، والموالاتة والمعاداتة ، والنصرة
والخذلان ، والموافقة والمخالفة ، والرضا والغضب ، والعطاء والمنع ؛ بما
يخالف هذه الأصول المنزلة من عند الله مما هو « أخص منها » أو « أعم
منها » أو « أعم من وجه وأخص من جهة » .

كل ذلك من أمور الجاهلية المفرقة بين الأمة ؛ وأهلها خارجون عن
السنة والجماعة ، داخلون في البدع والفرقة ؛ بل دينُ الله تعالى : أن
يكون رسوله محمد ﷺ هو المطاع أمره ونهيه ، المتبوع في محبته
ومعصيته ، ورضاه وسخطه ، وعطائه ومنعه ، وموالاته ومعاداته ،
ونصره وخذلانه .

ثم ضرب الأمثلة لأنواع المخالفات الثلاث السابقة فقال :

- (١) التوبة : الآية (٢٤) .
- (٢) التوبة : الآية (٦٢) .
- (٣) النور : الآية (٤٨) .
- (٤) النساء : الآية (٦١) .
- (٥) النساء : الآية (٥٩) .

« فالأعم : ما عليه المتفلسفة ، ومن اتبعهم - من ضلال المتكلمة والتصوّفة - في تسويغ التدين بغير ما جاء به محمّد رسول الله ﷺ وإن عظم محمّداً وجعل دينه أفضل الأديان .

والأعم من وجه الأخص من وجه : مثل الأنساب والقبائل والأجناس العربية والفارسية والرومية والتركية أو الأمصار والبلاد .

والأخصّ مطلقاً : الانتساب إلى جنسٍ معيّن من أجناس بعض شرائع الدين كالتجنّد للمجاهدين ، والفقّه للعلماء ، أو الانتساب إلى بعض فرق هذه الطوائف كإمام معيّن ، أو شيخ ، أو مقالة ، أو فعل تميّز به طائفة أو شعار هذه الفرق ، أو نحو ذلك ، كل ذلك من أمور الجاهلية المفرقة بين الأمة ، وأهلها خارجون عن السنّة والجماعة ، داخلون في البدع والفرقة « (١) .

(١) مجموع الفتاوى : ٣/٣٤١ - ٣٤٣ ، باختصار وتقديم وتأخير طفيف .

فحيث تقرّر أن الأمور العبادية : كالحبّة والبغضة ، والموالة والمعادة ، والنصرة والخذلان ، الموافقة والمخالفة ، والرضا والغضب ، والعطاء والمنع ، والتقديم والتأخير ، والتآلف والتنافر ، والاجتماع والافتراق والتآخي ، متعلّقة بمحبّة الله ورسوله ، وطاعة الله ورسوله ، ورضاء الله ورسوله ، وتحكيم الله ورسوله ، والرّد إلى الله ورسوله عند التنازع ؛ فلا يجوز الإخلال بشيء منها : وقد تسبّب الانتماء والانتساب إلى الأسماء الحادثة للأحزاب والتنظيمات والجماعات الدعوية في مخالفة كثير من الأصول الشرعية .

ويُلحق بها ما في حكمها ، فإنّ تعيّر الأسماء أو إلغائها تأسياً بالهدي النبوي مع الإبقاء على الحقائق لا يغيّر من الأمر شيئاً ، فالمضامين باقية ، والأحكام تدور معها حيث دارت .

قال ابن القيم - رحمه الله - : « تبديل الأسماء لا يوجب تبديل الحقائق » ، وقال : « ومعلوم أن تلك المفاصد تابعة لحقائقها لا تزول بتبدل أسمائها وتغيّر صورتها » .



القسم الأول

(منهجه ﷺ في دعوة المسلمين)

الباب الأول : (التلاوة) .

الباب الثاني : (التربية والتزكية) .

الباب الثالث : (التعليم) .

الباب الأوَّل

(التلاوة)

- الفصل الأوَّل : (التلاوة من أولى مهمات النبي ﷺ)
- الفصل الثاني : (أهمية التلاوة وتأثيرها العميق في النفوس)
- الفصل الثالث : (تلاوة النبي ﷺ وأصحابه على الناس)
- الفصل الرابع : (قدر قراءة النبي ﷺ وأصحابه)
- الفصل الخامس : (صفة تلاوة النبي ﷺ)

الفصل الأول

التلاوة من أول مهمات النبي ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (١) .

وقد ورد هذا المعنى في أربع آيات من التنزيل (٢) ، كلها تبدأ بمهمة التلاوة ، ثم التزكية ، ثم التعليم ، سوى آية واحدة ، فالتلاوة لها الصدارة في كل ، والتزكية بعدها ، ثم التعليم ، سوى آية واحدة منها وهي آية دعوة إبراهيم عليه السلام ، ولكن إجابة الله له كانت على النسق السابق .

قال أبو جعفر الطبري - رحمه الله - في معنى الآية : « يقول جل ثناؤه : يقرأ على هؤلاء الأميين آيات الله التي أنزلها عليه » (٣) .

وقال الراغب : « تلاه : تبعه متابعة ليس بينهم ما ليس منها ، وذلك يكون تارةً بالجسم ، وتارةً بالإقتداء في الحكم ، ومصدره : تلو ، وتارةً بالقراءة وتدبر المعنى ، ومصدره تلاوة .

(١) سورة الجمعة : الآية (١٠) .

(٢) وردت في دعوة إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ إِذْ أَنْتَ الْغَزِيْرُ الْعَكِيْمُ ﴾ ، البقرة ، (١٢٩) ، وكذلك في سورة البقرة : الآية (١٥١) ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ ، وفي سورة آل عمران : الآية (١٦٤) ﴿ قَدَّمْنَا اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَهْلِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ .

(٣) جامع البيان : ٩٤/٢٨ ، طبعة الباهي الحلبي ، (ط ٣) .

والتلاوة تختصّ باتباع كتب الله المنزلة ، تارة بالقراءة ، وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي ، وترغيب وترهيب ، أو ما يتوهم فيه ذلك ، وهو أخصّ من القراءة ، فكل تلاوة قراءة ، وليس كلّ قراءة تلاوة ، لا يقال : تلوت رقعتك ، وإنما يقال في القرآن في شيء إذا قرأته وجب عليك اتباعه .

وأما قوله : ﴿ يَتْلُونَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ [البقرة/١٢١] فاتباع له بالعلم والعمل «^(١) .

وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم : « تلاوة : قراءة » «^(٢) .

وروى أبو جعفر بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى : ﴿ يَتْلُونَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ ، « يتبعونه حقّ اتباعه » «^(٣) . وبسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « والذي نفسي بيده ، إن حقّ تلاوته : أن يحلّ حلاله ، ويحرّم حرامه ، ويقراه كما أنزله الله ، ولا يحرف الكلم عن مواضعه ، ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله » «^(٤) .

(١) المفردات : ص ١٦٨ ، مادة : تلو .

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم ، عن مجمع اللغة العربية بمصر : ١٩٦/١ ، مادة : تلو .

(٣) جامع البيان للطبري ، تحقيق أحمد ومحمود شاكر : ٥٦٦/٢ .

(٤) المصدر السابق : ٥٦٧/٢ .

والأمر بتلاوته على الناس ، وتبشيرهم به ، وإنذارهم ، قد احتفى به القرآن الكريم في مواطن كثيرة ، منها :

قول الله تعالى : ﴿ وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٣) ، وقوله ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ ^(٤) ، وقوله سبحانه : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْتَبٍ وَذُرْنَاهُ نَزِيلًا ﴾ ^(٥) .

وقوله جلّ وعزّ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ ^(٦) . فكانه حصر الإنذار بالوحي .

وقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لَّتَلَوْا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ ^(٧) .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ ^(٨) .

(١) الأنعام : الآية (١٩) .

(٢) الأنعام : الآية (٥١) .

(٣) الأعراف : الآية (٢) .

(٤) التوبة : الآية (٦) .

(٥) الإسراء : الآية (١٠٦) .

(٦) الأنبياء : الآية (٤٥) .

(٧) الرعد : الآية (٣٠) .

(٨) مريم : الآية (٩٧) .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدْتُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ ^(١) .
 وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ أَنْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ ^(٢) .
 وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُتَعَلِّكًا الْقُرْآنَ حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّتِهِ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ ^(٣) .

وكان المصطفى ﷺ يقرأ القرآن على الناس كافة ؛ مؤمنهم ، وكافرهم ، ويهوديهم ، ونصرانيهم ، ينذرهم به ، ويبشّرهم به ، ويجاهرهم به كما أمره ربّه ﷻ ، هذا هو الطريق ، وهذا هو المنهج .

روى الإمام البخاري - رحمه الله - من حديث طويل لأسماء بن زيد قال : « ... فَإِذَا فِي الْمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْمُشْرِكِينَ عَبْدَةَ الْأَوْثَانِ ، وَالْيَهُودِ وَالْمُتَسَلِّمِينَ ... فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ... » ^(٤) .

وقال ﷺ : « إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَانِ : الْكَلَامُ وَالْهَدْيُ ، فَأَحْسَنَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ » ^(٥) .

فعلم من هذه النصوص وغيرها أن ما يُدعى به الناس كلام الله ﷻ ، وهدي النبي ﷺ .



-
- (١) الفرقان : الآية (٥٢) .
 (٢) النمل : الآية (٩١ ، ٩٢) .
 (٣) القصص : الآية (٥٩) .
 (٤) صحيح البخاري : ج٤ ، كتاب التفسير ، باب (٧٣) ، رقم (٤٢٩٠) .
 (٥) شرح السنة للالكائي : ٨٤/٤ .

الفصل الثاني

أهمية التلاوة وتأثيرها العميق في النفوس

روى الإمام البخاريّ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » (١) ، وما ذاك إلا لكونه كلام الله المعجز بلسان عربي . قال الله تعالى : ﴿ كِتَابٌ نُصَلِّتُ آيَاتَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ، وقال سبحانه : ﴿ الرِّكَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ نُصَلِّتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (٣) . وقال تعالى : ﴿ ... وَإِنَّ لِكِتَابِ عَزِيزٍ . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٤) .

إنّ هذا القرآن كلام الله ﷻ ، و « فضل القرآن على الكلام كفضل الله على عباده » (٥) . والله الذي خلق النفس البشرية أعلم بمدخلها وخبائها ، وما يؤثر فيها .

(١) البخاريّ : ج٤ ، كتاب فضائل القرآن ، باب كيف نزول الوحي ، ح ٤٦٩٦ ، واللفظ له ، ورواه مسلم في الإيمان ، ج١ ، باب (٧٠) وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ، رقم (٢٣٩ - ١٥٢) .

(٢) فصلت : الآية (٣) .

(٣) هود : الآية (١) .

(٤) فصلت : الآية (٤١ ، ٤٢) .

(٥) قولٌ للحسن . انظر : شرح السنة للبخاري : ٤٣٧/٤ .

أنصت إلى قارئ مُرتلٍ يخرج القرآن من قلبه ، واره سمعك وفؤادك ، واستجمع عليه بكلِّيتك ، وتها لقبوله والاستهداء بنوره . ثم قل لي برُّيك ماذا تجد ؟

إنه شعور غريب يسري إلى الفؤاد ، ويتسلل إلى سويداء القلب ، ويتغلغل في شغافه ، فينتاب صاحبه رعدةً وخوفٌ وخشيةٌ ووجلٌ وقشعريرةٌ ، فرجاءٌ وطمانينةٌ ولينٌ إلى ذكر الله ... أجل إنه كلام الباري ﷻ الذي قال : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ... وَمَنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (٢) .

وقال سبحانه : ﴿ ... إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ (٣) .

نعم تقشعرُّ الجلود ، وتخشع القلوب ، وتخرُّ الأجساد والقلوب معها ساجدةً لله ؛ تخاف عقابه ، وترجو رحمته ... إنها آيات الرحمن تعمل عملها في القلوب ، وتظهر آثارها على الجوارح ، لذلك فهو كتاب هداية ودعوة ، قال الله تعالى : ﴿ ... قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤) .

(١) الزمر : الآية (٢٣) .

(٢) مريم : الآية (٥٨) .

(٣) الإسراء : الآية (١٠٧ - ١٠٩) .

(٤) المائدة : الآية (١٥ ، ١٦) .

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴾ ^(١) . ﴿ وَذَرْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ ^(٢) . ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ^(٣) .

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ ^(٤) .

﴿ وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ أَنْ مَاهُو شِفَاءً وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٥) . ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ ^(٦) . ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ ^(٧) .

إنه كتاب هداية ، ورحمة وبشرى ، كتاب مبارك وهدى وشفاء ورحمة للمؤمنين ، ألا تراه يُتلى على المريض فيشفى ؟ وعلى المعين فيبرأ ؟ وعلى المسحور فيصح وكأنه نشط من عقال ؟ ألا تراه يُذهب ما في الصدور من علل وأمراض وأدواء واضطراب ؟ بلى إنه كلام الله ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ^(٨) .

روى الحاكم بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - « أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن ، فكانه رق له ،

(١) الأنعام : الآية (١٥٥) .

(٢) النحل : الآية (٨٩) .

(٣) الجنائفة : الآية (٢) .

(٤) الإسراء : الآية (٩) .

(٥) الإسراء : الآية (٨٢) .

(٦) الأنبياء : الآية (٥٠) .

(٧) فصلت : الآية (٤٤) .

(٨) الرعد : الآية (٢٨) .

فبلغ ذلك أبا جهل ، فاتاه فقال : يا عمَّ إنَّ قومك يرون أن يجتمعوا لك مالا ، قال : لم ؟ قال : ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله ، قال : قد علمت قريش أنني من أكثرها مالا . قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له . قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجلٌ أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزٍ ولا بقصيدة مني ، ولا بأشعار الجنِّ ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، ووالله إنَّ لقوله الذي يقول حلاوة ، وإنَّ عليه لطلاوة ، وإنَّه لمثمرٌ أعلاه ، معذق أسفله ، وإنَّه ليعلو وما يُعلى ، وإنَّه ليحطم ما تحته . قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه .

قال : فدعني حتى أفكر ، فلما فكر قال : هذا سحرٌ يؤثر يآثره عن غيره ، فنزلت : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ [المدثر/ ١١] « (١) .

« لقد وصفه وصفاً يعجز عنه أكابر البلغاء وأساطين الأدباء ، حتى بلغ وصفه هذا كل مبلغ ، لقد سرى إلى قلبه وفؤاده ، ولكن الشيطان (شيطان الإنس) كان له بالمرصاد ، إنَّه فرعون هذه الأمة ، دخل عليه من المدخل الذي يُدمي فؤاده ، فنكص عن قوله ، ونكل عن الحق ، فنزل فيه تهديدٌ ووعيدٌ يتلى إلى يوم القيامة .

كانَ المحلُّ قابلاً لكن المانع كبير ، إذ هما شرطا التأثير بالقرآن : قابلية المحلِّ وعدم المانع .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک : ج٢ ، كتاب التفسیر ، برقم ٣٨٧٢ ، وقال النهي في التلخيص : على شرط البخاري ، وصححه مصطفى عطا في تحقيقه للمستدرک ، وذكره مقبل الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول ، ص ١٦٥ .

إنَّ إعجاز القرآن سيبقى مهيمناً على ما سواه ، ذلك « أنْ جملة واحدة تُلقى إلى العلماء والجهلاء ، وإلى الأذكياء والأغبياء ، وإلى السوق والمملوك ، فيراها كلٌّ منهم مقدّرة على قياس عقله وعلى وفق حاجته ، فذلك ما لا تجده على أتمه إلا في القرآن الكريم .

فهو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى بلطائف التعبير ، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم ، لا يلتوي على أفهامهم ، ولا يحتاجون منه إلى ترجمان ، وراء وضع اللغة ، فهو متعة العامة والخاصة على السواء ، ميسرٌ لكلّ من أراد .

وفي النفس الإنسانية قوتان : قوّة تفكير ، وقوّة وجدان ، فأما إحداهما فتتقب عن الحق لمعرفة ، وعن الخير للعمل به ، وأما الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم ، والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين ويطيّر إلى نفسك بهذين الجناحين ، فيؤتيها حظّها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معاً .

أولا تراه في معمعة براهينه وأحكامه ، لا ينسى حظ القلب من تشويق وترقيق ، وتحذير وتنفير ، وتهويل وتعجيب ، وتبكيث وتأنيب ؟ إنه طابع لا يلتبس معه غيره ، ولا يجعل طامعاً يطمع أن يحوم حول حماه ، بل يدع الأعناق تشرئب إليه ، ثم يردّها ناكسة الأذقان على الصلور .

فأنت تنتقل فيه بين أسباب وأوتار ، وفواصل على أوضاع مختلفة ، يأخذ منها كلٌّ وترٍ من أوتار قلبك بنصيبٍ سواء .

فلا يعرّوك منه على كثرة ترداده ملالة ولا سأم ، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد « (١) .



(١) النبا العظيم ، محمد عبد الله دراز ، (ص ١٠٠ - ١١٦) بتصرف .

الفصل الثالث

تلاوة النبي ﷺ وأصحابه على الناس (تطبيقات)

لرسول الله ﷺ في التلاوة على الناس ثلاثة أحوال :

الأول : مبلهنتهم بتلاوة القرآن عليهم :

والاكتفاء بذلك ، واختيار الآيات المناسبة للحال ، ومن ذلك ما كان من خبر عتبة بن ربيعة ، لما عرض على الرسول ﷺ المال ، أو الملك ، أو الطبَّ إن كان يغلب عليه التابع . « حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله ﷺ يستمع منه ، قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ؛ قال : فاسمع مني ؛ قال : أفعل ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ١ ﴾ تنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ ٢ ﴾ كِتَابٌ فَصَّلْتُمْ آيَاتَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا قَوْمٌ يَعْلَمُونَ ﴿ ٣ ﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿ ٤ ﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴿ ٥ ﴾ [فصلت / ١ - ٥] . ثم مضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه . فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه ؛ حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها ، فسجد ، ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نخلف با الله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أنني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه

فاعتزلوه ، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعتُ منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العربُ فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزّه عزّكم ، وكنتم أسعد الناس به ؛ قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ؛ قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم « (١) .

الثاني : تلاوة القرآن بها التمهيد لها :

بالدعوة إلى التوحيد ، وتصديق الرسول ﷺ فيما أخبر به ، والموالاتة في طاعة الله ، وغير ذلك من أمور الدين .

ومن ذلك ما جاء في خبر إياس بن معاذ وأبي الحنيس حين قدم إلى مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل ، « يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم في خير مما جئتم له ؟ فقالوا له : وما ذاك ؟ قال : أنا رسول الله بعثني إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل عليّ الكتاب . قال : ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال : فقال إياس بن معاذ - وكان غلاماً حدثاً - : أي قوم ، هذا والله خيرٌ مما جئتم له ... » (٢) .

(١) هذا الخبر أخرجه ابن إسحاق مصرّحاً بالتحديث ، سيرة ابن هشام : ٣٦٢/١ - ٣٦٤ . قال الألباني - حفظه الله - في تعليقه على فقه السيرة للغزالي ، ص ١٣ : هذه القصة أخرجه ابن إسحاق في المغازي بسند حسن عن محمد بن كعب القرظي مراسلاً ، ووصله عبد بن حميد وأبو يعلى البغوي من طريق أخرى من حديث جابر رضي الله عنه كما في تفسير ابن كثير (٩/٤ - ٩١) وسنده حسن إن شاء الله .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام : ٨٠/٢ ، وصححه المحققان : د. همام والصعيليك ، ورواه البيهقي في الدلائل : ٤٢٩/٢ .

ومنه ما تلاه ﷺ على أصحاب بيعة العقبة الثانية وهم مسلمون :
فقد روى ابن إسحاق في بيعة العقبة عن كعب بن مالك ، عندما
اجتمع ثلاثة وسبعون رجلاً ، وامرأتان في الشَّعب ، ينتظرون
رسول الله ﷺ ، حتَّى جاءهم ومعه عمّه العباس بن عبدالمطلب ، وبدأ
بالكلام يستوثق لابن أخيه ، حتَّى إذا انتهى قال كعب : « قلنا له : قد
سمعنا ما قلت ، فتكلّم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .
قال : فتكلّم رسول الله ﷺ ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ،
ورغب في الإسلام ... » الحديث (١) .

الثالث : (الافتقار ببيان ما يعمو إليه :

من التوحيد ، وترك الشرك وعبادة الأوثان والأصنام ، والإيمان
بالله وتصديق نبيّه ﷺ ، وقد يكون بشرح بعض مقاصد الإسلام
كصلة الأرحام ، ومكارم الأخلاق ، وقد يكون بالتشويق بالفلاح ،
كقوله ﷺ : « قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا » (٢) .

وقد يكون ببيان أنه لا يغني عنهم من الله شيئاً ، كما روى
البخاري من حديث أبي هريرة ؓ قال : « قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ
أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ وَأَذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَوْ كَلِمَةً
نَحْوَهَا ، اسْتَرَوْا أَنْفُسَكُمْ ، لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ، يَا بَنِي عَبْدِمَنَافٍ لَا
أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِالمُطَلِّبِ لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ،

(١) السيرة النبوية لابن هشام : ٩٤/٢ - ٩٧ ، وصححه الألباني في تخريج فقه السيرة ،

ص ١٥٩ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد : ٤٢٣/٥ ، رقم ١٦٠٢٣ .

وَيَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَائِلِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي ، لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا « (١) .

وروي أيضاً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصُّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي : يَا بَنِي فَهْرٍ ، يَا بَنِي عَدِي . لِبَطُونِ قُرَيْشٍ ، حَتَّى اجْتَمَعُوا ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِيعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ ، فَقَالَ : أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ أَكْتَنَكُمْ مُصَدِّقِي ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا ، قَالَ : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : تَبَّ لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا ، فَنَزَلَتْ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ « (٢) .

فهنا تقررهم على صدقه واعترفوا أنهم لم يجربوا عليه كذباً ، وبعد ذلك أنذرهم العذاب .

(١) صحيح البخاري : ج٤ ، كتاب التفسير ، ص١٧٨٧ ، باب وأنذر عشيرتك الأقربين ، رقم ٢٦٠ ، ح ٤٤٩٣ .

(٢) صحيح البخاري : ج٤ ، كتاب التفسير ، ص١٧٨٧ ، باب وأنذر عشيرتك الأقربين ، رقم ٢٦٠ ، ح ٤٤٩٢ .

تلاوة الصحابة القرآن على الناس :

وهي كثيرة جداً ، ومنها ما قام به سفير الرسول ﷺ إلى المدينة مصعب بن عمير ، فقد بعثه رسول الله ﷺ وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يُسمى المقرئ بالمدينة ، وقد أنتشر الإسلام في المدينة على يديه ، ومن الأسباب ذات الأثر الكبير في ذلك دعوته لأسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ .

روى ابن هشام أن أسيد بن حضير وقف على مصعب بن عمير ، وعلى أسعد بن زرارة « فوقف عليهما متشتماً ، فقال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب : أوتجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت ، ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلّمه مُصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ؛ فقالا - فيما يذكر عنهما - : والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، في إشراقه وتهلّله ، ثم قال : ما أحسن هذا الكلام وأجمله ... » (١) ، ثم أسلم ورجع إلى سعد بن معاذ ، وحدث له قريباً من هذا الموقف . وقد أسلم بإسلامهما جمٌ غفير .

ومن ذلك ما قاله جعفر بن أبي طالب ﷺ لدى النجاشي ملك الحبشة حينما وشت قريش عنده بمن هاجر من الصحابة ، فذكر ما

(١) السيرة لابن هشام : ٨٨/٢ - ٩٢ . وقد حسن إسناده د. مهدي رزق الله ، وقال : إسناده حسن ، ولكنه مرسل لأنه موقوف على عبد الله بن أبي بكر ، وعبيد الله بن المغيرة بن معيقب ، انظر : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، هامش ص ٢٤٧ ، فهو ضعيف .

جاء به الرسول ﷺ من النهي عن عبادة الأوثان والأحجار ، وقطع الأرحام ، وأكل الميتة ، وارتكاب الفواحش ، والدعوة إلى عبادة الله وحده والانخلاع من ذلك كله ، والأمر بمكارم الأخلاق ، وأداء الأمانة ، وصدق الحديث ، وصلة الأرحام .

فقال له النجاشي : « هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت أم سلمة - رضي الله عنها - : فقال له جعفر : نعم ؛ فقال له النجاشي : فاقرأه عليّ ؛ قالت : فقرأ عليه صدرًا من ﴿ كهيعص ﴾ .

قالت : فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ؛ ثم قال لهم النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يُكادون « (١) .

وقال جعفر أيضًا : « فعدا علينا قومنا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ؛ ورجبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك « (٢) .

(١) السيرة النبوية لابن هشام : ٤١٣/١ - ٤١٨ ، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع ، وقال المحققان : وسنده صحيح ، من طريق ابن إسحاق وأحمد والبيهقي . انظر : حاشية ص ٤١٧ من ج ١ ، السيرة النبوية .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام : ٤١٥/١ ، وقد ذكرت تصحيح إسناده كما في التعليق السابق .

لقد وفق جعفر رضي الله عنه في ثلاثة أمور :

الامر الأول :

عرض محاسن الإسلام المخالفة لما كانوا عليه في الجاهلية من أمور بشعة تابها النفس السوية وتنفر منها .

الامر الثاني :

مناسبة الآيات المختارة للمقام إلى حد كبير ، وقد لامست شغاف قلب الملك وأساقفته ، بدليل بكائهم الشديد جميعاً .

الامر الثالث :

العبارات الأخيرة التي استشار بها حفيظة الملك لكي يهّب لنصرتهم من أمثال قوله : فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ؛ ورجبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك .

فعلّم من هذا أن اختيار أطيب الكلام المناسب للمقام ، والآيات المناسبة ، وبالأخص تلك التي فيها نقاط التقاء بين الإسلام ودين المخاطبين له أعظم الأثر وأبلغه .



الفصل الرابع

قدر قراءة النبي ﷺ وأصحابه

يستحب الإكثار من تلاوة القرآن الكريم ، مع الترتيل والتدبر ، فقد امتدح الله من كان ذلك دأبه فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَهَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٦٧﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (١) .

وبوّب البخاريّ في ذلك فقال : (باب : اغتباط صاحب القرآن) (٢) .

وروى فيه حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا حسدَ إلا على اثنتين : رجلٌ آتاهُ الله الكتابَ وقامَ به آناء الليلِ ، ودَجَلُ أعطاهُ الله مالا فهو يتصدقُ به آناء الليلِ والنهارِ » (٣) .

وقال ﷺ : « يجيءُ صاحبُ القرآنِ يومَ القيامةِ فيقولُ القرآنُ : يا ربُّ حلِّه ، فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يا ربُّ زده ، يا ربُّ ارض عنه ، فيرضى عنه ، ويقال له : اقره وارقه ويزاد بكل آية حسنة » (٤) .

(١) فاطر : ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) البخاريّ : في فضائل القرآن ، باب ٢٠ .

(٣) البخاريّ : في فضائل القرآن ، باب اغتباط صاحب القرآن : ح ٤٧٣٧ : ١٩١٩/٤ .

(٤) الحاكم في المستدرک : فضائل القرآن : باب : أخبار فضائل القرآن جملة ، برقم ٢٠٢٩ ، ج ١ ، ص ٧٣٨ ، وقال الحافظ عنه في التلخيص : صحيح .

وقد كان للسلف في قدر القراءة عادات متفاوتة ، فمقلٌ ومستكثر ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَاقْرَأْهُمَا مَا تيسَّرَ مِنْهُ ﴾ ^(١) ، وثبت في أقل ما يكفي الرجل من القرآن قوله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ بِالْأَيْتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ » ^(٢) ، وقوله ﷺ : « مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يَكْتَبَ مِنَ الْغَافِلِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَائِمِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطِرِينَ » ^(٣) .

وروى الترمذي قوله ﷺ : « اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي أَرْبَعِينَ » ^(٤) ، وأمر ﷺ عبداً لله بن عمرو بقوله : « اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي شَهْرٍ قُلْتُ : إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً ، حَتَّى قَالَ : فَاقْرَأْهُ فِي سِتْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ » ^(٥) .

أما ما ورد في كثرة القراءة فكثيرٌ جداً ، ولعلّ المبالغات التي رُويت قصد بها الحث على الاستكثار من التلاوة .

ولقد ثبت من حديث عبداً لله بن عمرو أنه كان يقرأه في كل ليلة ، فقد سأله ﷺ فقال : « كَيْفَ تَقُومُ ؟ » قال قلت : كل يوم ، قال : « وَكَيْفَ تَخْتِمُ ؟ » قال قلت : كل ليلة ، قال : « صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ ، وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ » ، ثُمَّ أَخَذَ يَسْتَزِيدُهُ حَتَّى قَالَ لَهُ : « وَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً » ^(٦) .

(١) المزمل : ٢٠ .

(٢) البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب في كم يقرأ القرآن ، ح ٤٧٦٤ .

(٣) صحيح سنن أبي داود ، الصلاة : باب تحزيب القرآن ، ح ١٢٤٦ .

(٤) رواه الترمذي ، صحيح سنن الترمذي ، ح ٢٣٤٩ ، ورقم ٣١٢٩ .

(٥) البخاري في فضائل القرآن : باب استذكار القرآن وتعاوده ، ح ٤٧٤٦ .

(٦) البخاري في فضائل القرآن : باب في كم يقرأ القرآن ، ح ٤٧٦٥ .

قال البخاري - بعد هذه الرواية - : « وقال بعضهم : في ثلاث ، وفي خمس ، وأكثرهم على سبع » .

وفي الرواية السابقة : « فأقرأه في سبع ولا تزيد على ذلك » .

وقال له في رواية أبي داود : « أقرأ القرآن في شهر قال : إن بي قوّة ، قال : أقرأه في ثلاث » (١) .

وأخبره ﷺ فقال : « لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث » (٢) .

وروى أبو عبيد : أن سعيد بن جبير قال : « قرأت القرآن في ركعة في البيت ؛ يعني الكعبة » (٣) ، قال الذهبي : « هذا خلاف السنة » (٤) .
وذلك أن الله ﷻ قال : ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ (٥) ، وقال سبحانه : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾ (٦) .

وقد بوب البخاري على ذلك فقال : باب : الترتيل في القراءة وما يكره أن يهذّ كهذّ الشعر . وذكر قول عبد الله ﷺ عندما جاءه رجل فقال : « قرأت المفصل البارحة ، فقال : هذا كهذّ الشعر ؟ إنا قد سمعنا القراءة ، وإني لأحفظ القرآن التي كان يقرأ بهنّ النبي ﷺ ، ثماني عشرة سورة من المفصل ، وسورتين من آل حم » (٧) . وقد رواه أبو

(١) صحيح سنن أبي داود ، كتاب الصلاة : باب في كم يقرأ القرآن ، ح ١٢٤٠ .

(٢) صحيح سنن أبي داود ، كتاب الصلاة : باب تحزيب القرآن ، ح ١٢٤٢ .

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد ، ص ٩١ .

(٤) سير أعلام النبلاء : ٣٢٥/٤ .

(٥) المزمل : الآية (٤) .

(٦) الإسراء : الآية (١٠٦) .

(٧) البخاري : في فضائل القرآن : باب الترتيل في القراءة ، وما يكره أن يهذّ كهذّ

الشعر ، ح ٤٧٥٦ .

داود عَنْ عَلْقَمَةَ وَالْأَسْوَدِ قَالَا : أَتَى ابْنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنِّي أَقْرَأُ الْمُفْصَلَ فِي رَكْعَةٍ ، فَقَالَ : أَهَذَا كَهَذَا الشَّعْرِ وَنَثْرًا كَثِيرَ الدَّقْلِ !؟ لَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ النَّظَائِرَ ، السُّورَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ : (النَّجْمَ) وَ (الرَّحْمَنَ) فِي رَكْعَةٍ ، وَ (اقْتَرَبْتَ) وَ (الْحَاقَّةَ) فِي رَكْعَةٍ ، وَ (الطُّورَ) وَ (الذَّارِيَاتِ) فِي رَكْعَةٍ ، وَ (إِذَا وَقَعْتَ) وَ (نُونَ) فِي رَكْعَةٍ ، وَ (سَأَلَ سَائِلٌ) وَ (النَّازِعَاتِ) فِي رَكْعَةٍ ، وَ (وَيَلُ لِّلْمُطَفِّفِينَ) وَ (عَبَسَ) فِي رَكْعَةٍ ، وَ (الْمُدَّثِّرَ) وَ (الْمُزَّمِّلَ) فِي رَكْعَةٍ ، وَ (هَلْ أَتَى) وَ (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) فِي رَكْعَةٍ ، وَ (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) وَ (الْمُرْسَلَاتِ) فِي رَكْعَةٍ ، وَ (الدُّخَانَ) وَ (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) فِي رَكْعَةٍ « (١) .

قال الخطابي : « الهدى : سرعة القراءة ، وإنما عاب ذلك عليه لأنه إذا أسرع بالقرآن ولم يرتله ، فاته فهم القرآن وإدراك معانيه » (٢) .

(كان يقرأ النظائر) : قال القاضي : هذا صحيح موافق لرواية عائشة وابن عباس أن قيام النبي ﷺ كان إحدى عشرة ركعة بالوتر « (٣) ، « وأن هذا كان قدر قراءته غالباً ، وأن تطويله الوارد ، إنما كان في التدبر والترتيل ، وما ورد من غير ذلك في قراءته البقرة والنساء وآل عمران كان في نادر الأوقات » (٤) ، قاله النووي .

(١) صحيح سنن أبي داود : في الصلاة ، باب تحزيب القرآن ، ح ١٢٤٤ .

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود : ٢٧٣/٤ .

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود : ٢٧٣/٤ .

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود : ٢٧٤/٤ .

وقد تأملت هذه النظائر فإذا هي قدر جزئين من كتاب الله ،
جزئهُ ﷺ الذي كان يقوم به غالباً ، في عشر ركعات دون الوتر .

وقد قال ﷺ : « مَنْ نَامَ عَنِ حِزْبِهِ ، أَوْ عَنِ شَيْءٍ مِنْهُ ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ
صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كَتَبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ » (١) .

لقد ارتبطت التلاوة وقراءة القرآن بقيام الليل ، وذلك كان ديدن
السلف ﷺ ، فقد حث رسول الله ﷺ على القيام بالقرآن لكيلا يتفلت
من صاحبه .

روى الإمام مسلم من حديث موسى بن عقبة قال : قال
رسول الله ﷺ : « وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذِكْرَهُ ، وَإِذَا
لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ » (٢) .

وروى الطبراني عن سهل بن سعد ؓ عن رسول الله ﷺ قال :
« شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ » (٣) .

وقال ﷺ : « تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ
تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عَقْلِهَا » (٤) .

(١) مسلم في الصلاة ، باب : جامع صلاة الليل ، ومن نام عن حزه أو مرض ، انظر
مسلم بشرح النووي : ٦/٥ ، ح ١٧٤٢ .

(٢) رواه مسلم في الصحيح ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضائل القرآن ،
ح ٢٢٧ ، ج ١ ، ص ٥٤٤ .

(٣) رواه الطبراني ، وحسنه الأرنؤوط ، انظر : التبيان في آداب حملة القرآن ،
ص (٥١) .

(٤) رواه مسلم في الصحيح ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضائل القرآن ،
ح ٢٣١ ، ج ١ ، ص ٥٤٥ .

وعند البخاريّ: « تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهَوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنَ الْإِبِلِ فِي عَقْلِهَا » (١) .

وفي المستدرک للحاكم : « تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ وَحْشِي ، أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرُّجَالِ مِنَ الْإِبِلِ فِي عَقْلِهَا ، وَلَا يَقُولُنَّ أَحَدُكُمْ : نَسِيتُ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ ، بَلْ هُوَ نُسِّي » (٢) .

وللإمام النووي اختيار في كثرة القراءة وقتها :

قال : « والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص ، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف ، فليقتصر على قدر ما يحصل له به كمال فهم ما يقرؤه ، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة ، فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصده له ، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين ، فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهزيمة » (٣) .

وقال الإمام السيوطي : « أخرج ابن أبي داود عن مكحول ، قال الليث في البستان : ينبغي للقارئ أن يختم في السنة مرتين ، إن لم يقدر على الزيادة ، وقد روى الحسن عن ابن زياد ، عن أبي حنيفة أنه قال : من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى حقه ، لأن النبي ﷺ عرض على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين ، وقال غيره : يكره التأخير عن ختمه أكثر من أربعين يوماً بلا عذر ، نص عليه أحمد » (٤) .

(١) صحيح البخاريّ في : فضائل القرآن ، باب استذكار القرآن وتعاهده ، ح ٤٧٤٦ .

(٢) المستدرک للحاكم ، في فضائل القرآن ، باب : أخبار وردت في فضائل القرآن جملة : ٧٣٩/١ ، ح ٢٠٣٢ ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن : ص (٤٨ ، ٤٩) .

(٤) الإتقان في علوم القرآن : النوع الخامس والثلاثين ، ص ١٣٨ .

خلاصة هذا الفصل :

أولاً : استحباب كثرة التلاوة ، ترتيباً وتدبراً وفهماً وفقهاً ، وأن يقوم بها صاحبها في جوف الليل ، والأمر في حدّها الأدنى مبني على التيسير ، فلم أقف على نصّ يذكر الحدّ الزمني الأدنى الذي يوجب على القارئ أن يختمه فيه ، إلاّ وجد له معارض .

ولكن كره العلماء ، ومنهم الإمام أحمد تأخير ختمه أكثر من أربعين يوماً بلا عذر ، كما مرّ آنفاً ، فحري بطالب العلم أن لا يزهد في كتاب الله .

ثانياً : السنّة القولية في أقلّ مدّة يُقرأ فيها القرآن ثلاثة أيام ، وما روي عن بعض الصحابة والسلف في قراءته في ليلة واحدة أو أقلّ ، إنّما هو اجتهاد منهم ﷺ ، واتباع السنّة أولى ، فقد أمر النبي ﷺ عبداً لله بن عمرو أن يقرأه في سبع (وهو ما عليه كثير من الصحابة رضوان الله عليهم) ، ونهاه أن يزيد عليها ، فلمّا أعاد عليه أمره أن يقرأه في ثلاث ، وقال : « لا يفقه من قرأ القرآن في أقلّ من ثلاث » .

ثالثاً : يجملُ بقارئ القرآن أن يكون ذا همّة عالية ، وأن يأخذ بحظّ وافٍ ، وقسطٍ وافٍ ، وأن تكون له الدرجة العالية الرفيعة من كتاب ربّه ، ولا يرضى لنفسه اللّون ، متخطياً للعوائق ، متجاوزاً للعقبات ، متحللاً من الذنوب المكبّلة عن القيام ، آخذاً بالحزم ، لحزبٍ يلتزم به لا يشغله عنه شاغل ، ولا يصرفه عنه صارف ، مراعيّاً لأمر أربعة :

١ - أن يرتله ترتيباً يستشعر فيه عظمة قائله ، ويتدبر أحكامه ومواعظه ، وتبشيره وإنذاره ، وأوامره وزواجره ، وقصصه وأمثاله ، فلا يهذه هذ الشعر ، ولا ينثره نثر الدقل .

- ٢ - أن يقرأه ما اتلف عليه قلبه ، فإذا ما اختلف فليقم عنه .
- ٣ - الثبات عليه ، والمداومة ، وترك التَّنْقُلُ والانقطاع ، فأحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ ، وإذا فاتته حزبه من الليل قضاه من الغداة.
- ٤ - أن لا يُخلَّ بشيءٍ من الواجبات ، أو بما أعدّ نفسه له من مهمّات الدين ، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم العلم ، والدعوة إلى الله .



الفصل الخامس

صفة تلاوة النبي ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (١) .

فالفائدة من إنزال الكتاب المبارك هو التدبُّر وحصول التذكُّر والتأثُّر ، والتفكُّر حتى تحدث الهداية ، فإنَّ هذا الكتاب كتاب هداية ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي فِيهِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

وقد أمر الله نبيه ﷺ بترتيل القرآن الكريم عند تلاوته له فقال : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ (٣) ، وسئل علي بن أبي طالب عليه السلام عن هذه الآية فقال :

« الترتيل هو : تجويد الحروف ومعرفة الوقوف » (٤) ، و « قال مجاهد : بعضه على إثر بعض ، على تودة . وقال : ترسل فيه ترسلًا ، وعن عطاء قال : الترتيل النبذ : الطرح .

وعن ابن عباس قال بيَّنه بيانا ، وعن الحسن قال : اقرأه قراءة بيَّنة ، وقال أبو جعفر : ويُن القرآن إذا قرأته تبيِّنا ، وترسل فيه ترسلًا » (٥) .

(١) ص : الآية (٢٩) .

(٢) فصلت : الآية (٤٤) .

(٣) المزمل : الآية (٤) .

(٤) التمهيد في علم التجويد لابن الجزري : ص ٦٠ .

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر الطبري : ١٢٦/٢٩ .

قال ابن الجزري - رحمه الله - : « وقال علماؤنا : أي تلبث في قراءته ، وافصل الحرف عن الحرف الذي بعده ، ولا تستعجل فتدخل بعض الحروف في بعض .

- ثم قال رحمه الله - : ولم يقتصر ﷺ على الأمر بالفعل حتى أكده بمصدره ، تعظيماً لشأنه ، وترغيباً في ثوابه ، وقال تعالى : ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ ^(١) ، أي أنزلناه على الترتيل ، وهو المكث ، وهو ضد العجلة ، وقال تعالى : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾ ^(٢) . أي ترسل ^(٣) .

ونهاه ربه ﷻ عن العجلة في أخذه حتى ينقضي الوحي ، فقال : ﴿ لَا تُحْرَكْ بِهِ لِسَانُكَ لِتَتَّعَجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ . فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتَهُ ﴾ ^(٤) .

وقد امثل ﷺ لأمر ربه ، ووقف عند نهيه ، فقد جاءت أحاديث كثيرة تصف قراءته ﷺ وتلاوته القرآن .

ثبت عن أم سلمة - رضي الله عنها - « أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ قراءة مفسرة حرفاً حرفاً » ^(٥) .

(١) الفرقان : الآية (٣٢) .

(٢) الإسراء : الآية (١٠٦) .

(٣) التمهيد في علم التجويد ، ص ٦١ .

(٤) القيامة : الآيات (١٦ - ١٩) .

(٥) سنن أبي داود : باب استحباب الترتيل في القرآن الكريم ، ح ١٤٦٦ ، والترمذي في نواب القرآن ، ح ٢٩٢٤ ، والنسائي في صلاة الليل : ٢/٢١٤ ، وأحمد في المسند : ٢٩٤/٦ ، وصححه عبدالقادر الأرناؤوط في آداب حملة القرآن للنووي ، ص ٧٠ .

وروى مسلم من حديث حذيفة في صلاة الليل قال : « يَقْرَأُ مُتْرَسَلًا ، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ » (١) .

وروى الإمام البخاري : أَنَّ قَتَادَةَ قَالَ : « سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ عَنِ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : كَانَ يَمُدُّ مَدًّا » (٢) ، وَقَالَ : « كَانَتْ مَدًّا ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ يَمُدُّ بِبِسْمِ اللَّهِ وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ » (٣) .

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ يَقُولُ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ثُمَّ يَقِفُ ، ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ثُمَّ يَقِفُ ، وَكَانَ يَقْرَأُهَا : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ » (٤) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها » (٥) .

وفي رفع الصوت بالقراءة وخفضه : فعن أبي هريرة ؓ أنه قال : « كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ يَرْفَعُ طَوْرًا ، وَيَخْفِضُ طَوْرًا » (٦) .

(١) مسلم في صلاة المسافرين ، باب : استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ، ح ٧٧٢ .

(٢) صحيح البخاري : فضائل القرآن ، باب : مدّ القراءة : ٤/١٩٢٤ ، ح ٤٧٥٨ .

(٣) المصدر السابق ، ح ٤٧٥٩ .

(٤) سنن الترمذي : أبواب القراءات عن رسول الله ﷺ ، ح ٣١٠٧ ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي : ٣/١٣ ، ح ٢٣٣٦ .

(٥) تفسير ابن كثير : ٤/٤٦٣ .

(٦) سنن أبي داود : أبواب قيام الليل ، باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل ، ح ١٣٢٨ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود : ١/٢٤٦ ، ح ١١٧٩ .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى قَدْرِ مَا يَسْمَعُهُ مَنْ فِي الْحُجْرَةِ ، وَهُوَ فِي الْبَيْتِ » (١) .

وعن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ ، وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسِرُّ بِالصَّدَقَةِ » (٢) .

وقال أبو عيسى : وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ : أَنَّ الَّذِي يُسِرُّ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَجْهَرُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، لِأَنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ أَفْضَلُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ صَدَقَةِ الْعِلَانِيَةِ ، وَإِنَّمَا مَعْنَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ لِكَيْ يَأْمَنَ الرَّجُلُ مِنَ الْعُجْبِ ، لِأَنَّ الَّذِي يُسِرُّ الْعَمَلَ لَا يُخَافُ عَلَيْهِ الْعُجْبُ مَا يُخَافُ عَلَيْهِ مِنَ عِلَانِيَتِهِ . ا.هـ .

وفي الترمذي أيضاً من حديث طويل عن عبد الله بن أبي قيس : « أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَتُهُ ؟ أَكَانَ يَسِرُّ بِالْقِرَاءَةِ أَمْ يَجْهَرُ ؟ قَالَتْ : كُلُّ ذَلِكَ كَانَ يَفْعَلُ ، قَدْ كَانَ رَبِّمَا أَسْرًا ، وَرَبِّمَا جَهْرًا » (٣) .

وما استمع الله لشيء كاستماعه لشيء حسن الصوت يتغنى بالقرآن ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ؓ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَا أَرِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَرِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ » (٤) .

(١) المصدر السابق ، ح ١٣٢٧ ، وصححه الألباني في صحيح سننه ، ح ١١٧٨ .

(٢) سنن الترمذي ، أبواب القراءات ، ح ٣٠٩٨ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي ، ح ٢٣٣١ .

(٣) المصدر السابق ، ح ٣١٠٤ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح سننه ، ح ٢٣٣٤ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : استحباب تحسين الصوت بالقرآن : ٥٤٥/١ ، ح ٧٩٢ ، ورواه البخاري بلفظ : « حسن الصوت بالقرآن » : ٢٧٤٣/٦ ، ح ٧١٠٥ .

« والتغني هنا معناه عند الإمام الشافعيّ - رحمه الله - وأصحابه ، وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفتوى ، يُحسّن صوته به ، وقال الشافعيّ وموافقوه : معناه تخزين القراءة وترقيتها ، واستدلوا بالحديث الآخر : زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ ، قال المروزيّ : معنى يتغنى به ، يجهر به » (١) .

وروى الإمام البخاريّ تعليقاً بالجزم ، باب قول النبي ﷺ : « الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكَرَامِ الْبَدْرَةِ » ، و « وَزَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ » (٢) ، وهذا حث من الرسول ﷺ لأصحابه لتحسين أصواتهم وتجميلها ، ليزينوا القرآن بها ويقرؤوه غصّاً طريّاً كما أنزل ، لكي يحصل التأثير به ، سواءً على أنفسهم أو على سامعيهم .

قال الإمام ابن الجزري - رحمه الله - : « وذلك أنّ الألفاظ إذا أُجليت على الأسماع في أحسن معارضها ، وأحلى جهات النطق بها - حسب ما حثّ عليه رسول الله ﷺ بقوله : « زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ » - كان تلقي القلوب ، وإقبال النفوس عليها بمقتضى زيادتها في الحلاوة والحسن ، على ما لم يبلغ ذلك المبلغ منها ، فيحصل حينئذٍ الامتثال لأوامره ، والانتهاز عن مناهيه ، والرغبة في وعده ، والرهبه من وعيده ، والطمع في ترغييه ، والارتجاء بتخويفه ، والتصديق بخبره ، والحذر من إهماله ، ومعرفة الحلال والحرام ، وتلك فائدة جسيمة ، ونعمة لا يُهمل ارتباطها إلا محروم ، ولهذا المعنى شرع الإنصات إلى قراءة القرآن في الصلاة وغيرها ، ونُدب الإصغاء إلى الخطبة في يوم

(١) المصدر السابق ، انظر : الحاشية ، ص ٥٤٥ .

(٢) صحيح البخاريّ ، كتاب التوحيد ، باب : قول النبي ﷺ « الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ .. » :

٢٧٤٣/٦ ، رقم الباب (٥٢) .

الجمعة ، وسقطت القراءة عن المأموم ما عدا الفاتحة ، ومن أجل ذلك دأب الأئمة في السكوت على التام من الكلام ، أو ما يستحسن الوقف عليه ، لما في ذلك من سرعة وصول المعاني إلى الإفهام ، واشتمالها عليها ، بغير مقارعة للفكر ، ولا احتمال مشقة لا فائدة فيها غير ما ذكرناه . وبالله التوفيق «^(١) .

وقال - رحمه الله - : « وأما قراءتنا التي نقرأ بها ، فهي القراءة السهلة المرتلة العذبة الألفاظ ، التي لا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء ، على وجه من وجوه القراءات ، فنقرأ لكل إمام بما نقل عنه من مد أو قصر أو همز ، أو تخفيف همز ، أو تشديد ، أو تخفيف ، أو إمالة ، أو فتح ، أو إشباع ، أو نحو ذلك »^(٢) .

فالترتيل هو المأمور به ، وهو الذي طبقه النبي ﷺ ، ويكره أن يهذ كهد الشعر ، فقد بوب البخاري على ذلك بقوله : « باب الترتيل في القراءة ... وَمَا يُكْرَهُ أَنْ يُهَذَّ كَهَذَا الشُّعْرُ ... فَعَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : غَدَوْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : قَرَأْتُ الْمُفْصَلَ الْبَارِحَةَ ، فَقَالَ : هَذَا كَهَذَا الشُّعْرُ ؟ إِنَّا قَدْ سَمِعْنَا الْقِرَاءَةَ ، وَإِنِّي لِأَحْفَظُ الْقُرْآنَ الَّتِي كَانَ يَقْرَأُ بِهِنَّ النَّبِيُّ ﷺ : ثَمَانِي عَشْرَةَ سُورَةً مِنَ الْمُفْصَلِ ، وَسُورَتَيْنِ مِنْ آلِ حَم »^(٣) ، وفي رواية : « وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعٌ »^(٤) .

(١) التمهيد في علم التوحيد لابن الجزري ، ص ٥٨ .

(٢) التمهيد في علم التوحيد ، ص ٥٨ .

(٣) البخاري : فضائل القرآن ، باب : الترتيل في القراءة وما يكره أن يهذ كهد الشعر : ٤/١٩٢٤ ، ح ٤٧٥٦ .

(٤) مسلم ، صلاة المسافرين ، ترتيل القراءة : ١/٥٦٣ ، ح ٧٢٢ .

ولما نهي ﷺ عن العجلة وتحريك اللسان به ، قال ابن عباس في آخر حديث طويل له : « وَكَانَ إِذَا آتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ ، فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللَّهُ » (١) . وفي رواية عنه : « فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا آتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ » (٢) .

وكانت قراءته ﷺ قراءةً لينة ، يُرْجَعُ فِيهَا أحيانًا ، عن عبد الله بن مُغْفَلٍ ﷺ قال : « رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ أَوْ جَمَلِهِ ، وَهِيَ تَسِيرُ بِهِ ، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ أَوْ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ ، قِرَاءَةً لَيِّنَةً ، يَقْرَأُ وَهُوَ يُرْجَعُ » (٣) . وفي رواية له في البخاري : « فَقُلْتُ لِمُعَاوِيَةَ كَيْفَ كَانَ تَرْجِيْعُهُ ؟ قَالَ : ثَلَاثَ مَرَّاتٍ » (٤) .

وكان ربّما يبكي عند قراءة القرآن ، قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : « فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ كَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَاكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ ، قَالَ : حَسْبُكَ الْآنَ ، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ » (٥) .

(١) البخاري ، رقم ٤٧٥٧ .

(٢) المصدر السابق ، رقم ٥ .

(٣) البخاري : فضائل القرآن ، باب : الترجيع : ١٩٢٥/٤ ، ح ٤٧٦٠ .

(٤) البخاري : التوحيد ، باب : ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه : ٢٧٤٢/٦ ، ح ٧١٠٢ .

ومعنى « يرجع » من الترجيع ، وهو : ترديد القارئ الحرف في الحلق ، انظر : مختار الصحاح ، ص ٩٩ ، وحاشية الحديث رقم ٤٠٣١ في البخاري : ١٥٦٠/٤ .

(٥) البخاري : فضائل القرآن ، باب : قول المقرئ : حسبك : ١٩٢٥/٤ ، ح ٤٧٦٣ .

وكان ﷺ يشجع أصحابه على تحسين الصوت ، فعن أبي موسى ، عن النبي ﷺ قال له : « يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ » (١) .

وقد أخذ النبي ﷺ القرآن عن طريق التلقي والمدارسة والمعارضة للقرآن ، فالمعلم الأول مطلقاً هو الله ﷻ ، قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْبُ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَاقْرَأُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ (٧) .

(١) البخاري : فضائل القرآن ، باب : حسن الصوت بالقراءة للقرآن : ١٩٢٥/٤ ، ح ٤٧٦١ .

(٢) النساء : الآية (١١٣) .

(٣) العلق : الآيات (١ - ٥) .

(٤) الشورى : الآية (٥٢) .

(٥) الرحمن : الآيات (١ - ٤) .

(٦) البقرة : الآية (٢٨٢) .

(٧) البقرة : الآية (٢٨٢) .

وأما المعلم الأول بعد الله ﷻ لرسوله ﷺ فهو جبريل عليه السلام ، قال الله تعالى : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ ^(١) ، وأما المعلم الأول لأمة محمد ﷺ فهو نبيها ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ^(٢) .

وقد أمره الله تعالى أن يتلوه على أمته ويعلمهم إياه في غير آية . قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُو عَلَيْهُمْ الَّذِي آوَحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ ^(٣) .

وقد أخذه النبي ﷺ بالتلقي ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِلَيْكَ لَنُتَقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ ^(٤) . علمه جبريل بطريق المدارس والمعارضة ، فعن ابن عباس قال : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ » ^(٥) ، وفي رواية لابن عباس قال : « لِأَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ » ^(٦) .

(١) النجم : الآية (٥) .

(٢) الجمعة : الآية (٢) .

(٣) الرعد : الآية (٣٠) .

(٤) النمل : الآية (٦) .

(٥) البخاري : بدء الوحي ، باب : كيف بدأ الوحي : ٦/١ ، ح ٦ .

(٦) البخاري : فضائل القرآن ، باب : كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ :

٤/١٩١١ ، ح ٤٧١١ .

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ « أن جبريل كان يعارضه القرآن » (١) ،
وهذه تفسر حديث أبي هريرة أن جبريل كان يعرض القرآن على
النبي ﷺ ، فعن أبي هريرة قال : « كان يعرض على النبي ﷺ القرآن
كلّ عام مرّة ، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه ... » (٢) .

فالحديث الأول نصّ على المدارس ، والثاني نصّ على أن النبي ﷺ
كان يعرض على جبريل القرآن ، والأخير نصّ على أن جبريل ﷺ
كان يعرض القرآن على النبي ﷺ .

فطريقة التلقي والمعارضة هي الطريقة التي اختارها الله لتعليم
نبيه ﷺ بواسطة جبريل ﷺ ، وهي الطريقة التي استخدمها النبي ﷺ مع
أصحابه ، فهي سنة متبعة .

وقد أمر النبي ﷺ أصحابه أن يقرؤوا القرآن كما علمهم ، فعن ابن
مسعود ﷺ قال : « تمارينا في سورة من القرآن ، فقلنا : خمس وثلاثون
أو ست وثلاثون آية . قال : فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ ، فوجدنا علياً
يواجهه ، قال : فقلنا : إنا اختلفنا في القراءة . قال : فاحمر وجهه
رسول الله ﷺ ، وقال : « إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم » ،
قال : ثم أسرّ إلى عليّ شيئاً ، فقال لنا عليّ : إن رسول الله ﷺ
يأمركم أن تقرؤوا كما علمتم » (٣) .

(١) البخاريّ : بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة : ١١٧٨/٣ ، رقم تابع لحديث ٣٠٤٨ .

(٢) البخاريّ : فضائل القرآن ، باب : كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ :
١٩١١/٤ ، ح ٤٧١٢ .

(٣) تفسير الطبري : ٢٣/١ - ٢٤ ، رقم ١٣ ، وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح .

هذا وإن كان الأمر في هذا الحديث وارد في القراءات ، ولكن معناه عام في الأمر بقراءة القرآن كما علمها النبي ﷺ أصحابه ، وكان ﷺ يعلم القرآن بنفسه ، ويبعث بعض الصحابة يعلمون الناس ، فعن أنس بن مالك قال : « جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا : أَنْ ابْعَثْ مَعَنَا رَجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمْ : الْقُرَّاءُ ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَسْمَعُونَهُ ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصَّفَةِ وَالْفُقَرَاءِ ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ ، فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَلَفُوا الْمَكَانَ ... الحديث » (١) .

ولقد حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - على تعليم بعضهم البعض ، وإقراء بعضهم بعضاً ، فهذا عبد الله بن عباس يقول : « كُنْتُ أَقْرَأُ رَجَالًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، مِنْهُمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، فَيِنَّمَا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِعَمِّي ، وَهُوَ عِنْدَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ فِي آخِرِ حِجَّةٍ حِجَّهَا ... » (٢) ، فهذا عبد الله بن عباس الشاب يقرئ عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهما - وهو شيخ ، ومعهم رجالات من المهاجرين ، وذلك من حرصهم على ضبط كتاب الله الكريم وتجويد تلاوته .

وهذا عبد الله بن مسعود ﷺ كان يقرئ رجلاً ، فقرأ الرجل : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ (٣) ، مرسله ، فقال ابن مسعود : « مَا

(١) مسلم الإمامة ، باب : ثبوت الجنة للشهيد : ١٥١١/٣ ، ح ٦٧٧ .

(٢) البخاري : المحاريق ، باب : رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت : ٢٥٠٣/٦ ، ح ٦٤٤٢ .

(٣) التوبة : الآية (٦٠) .

هكذا أقرأنيها النبي ﷺ ، فقال الرجل : وكيف أقرأها يا أبا عبد الرحمن ؟
قال أقرأنيها : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ ، فمدّها « (١) .

فأنكر عبد الله بن مسعود على الرجل أنه لم يمدّ ، فدللّ على أن
القراءة سنة متبعة يأخذ الآخر عن الأول كما قال زيد بن ثابت .

وقال البيهقي في الشعب وآخرون : « الأفضل الوقف على رؤوس
الآيات وإن تعلقت بما بعدها ، اتباعاً لهدي رسول الله ﷺ وسنته .

وأبو عمرو يتعمد رؤوس الآي ويقول : هو أحبُّ إليّ ، فقد قال
بعضهم : إن الوقف عليه سنة ، ثم ذكر السيوطي حديث تقطيع
النبي ﷺ لقراءة الفاتحة « (٢) .

وعن أبي الهذيل أنه قال : « كانوا يكرهون أن يقرؤوا بعض
الآيات ويدعوا بعضها » (٣) .

وقال السيوطي : وقوله : « كانوا » يدل على أن الصحابة كانوا
يكرهون ذلك .

وقال ميمون بن مهران عن الصحابة - رضوان الله عليهم - أنهم
كانوا يراعون في الوصل والوقف تمام المعنى ، فقال : « إني لأقشع من
قراءة أقوام يرى أحدهم حتماً عليه ألا يقصر عن العشر ، إنما كانت
القراءة تقرأ القصص إن طالت أو قصرت » ، وقال عبد الله بن أبي
الهذيل : « إذا قرأ أحدهم الآية فلا يقطعها حتى يتمها » (٤) .

(١) الإتيان : ٩/١ .

(٢) الإتيان : ١١٥/١ .

(٣) الإتيان : ١١٥/١ ، وقال : إسناده صحيح .

(٤) النشر : ٢٤٠/١ .

وهكذا تعلّم الصحابة - رضوان الله عليهم - صفة تلاوة النبي ﷺ ، ونقلوها للتابعين ، ثم أخذها عن التابعين تابعوهم ، وهكذا انتقلت بالأسانيد المستفيضة عن الثقات إلى يومنا هذا .

ومن مجموع هذه النصوص وغيرها تتبين صفة تلاوة النبي ﷺ في أجمل صورها وأبهى حللها .

الخلاصة :

كانت طريقة تعلّم النبي ﷺ القرآن بالتلقي ، والمعارضة ، والمشاهدة والمدارسة ، إذ كان جبريل يعرض عليه القرآن ، وهو يعرضه على جبريل في كلّ عام مرّة في رمضان ، فعرضه عليه في العام الذي قبض منه مرتين ، وكان إذا أتاه جبريل ﷺ أطرق واستمع ، وإذا ذهب قرأ على الناس .

فكانت تلاوته ﷺ تلاوة سهلة ، مرتلة مترسّلة ، لينة ^(١) ، عذبة الألفاظ ، لا تخرج عن طباع العرب ولغة الفصحاء ، وكانت مدّاً ، يقرأ على مكث ، يُقطّعها ويقف على رؤوس الآي ، ويزين القرآن بصوته ، يتغنّى به ، فكان أجمل الناس صوتاً وأنداء ، من سمعه لم يسمع أجمل من صوته ولا أندى ، ولا يلبث أن يتأثر به . على تلاوته جمالٌ وبهاء ، ولها حلارة وطلاوة . وكان يرفعُ طوراً ويخفض طوراً ، وكانت قراءته في البيت على قدر ما يسمعه من في الحجرة ، وربما أسرّ وربما جهر . وكان يُرتلُّ السورة حتى تكون أطول من أطول منها ، وكان إذا مرّ بآية تسيح سبح ، وإذا مرّ بسؤال سأل ، وإذا مرّ بتعوذٍ تعوذ ، وكان يرجع في قراءته أحياناً وخاصة في السفر إذا كان راكباً . وكان يجب أن يسمع القرآن من غيره ، وينصت له ويستمع ، وربما ذرفت عيناه .

(١) أي : سهلاً . النهاية في غريب الحديث : ٢٨٦/٤ .

خلاصة باب التلاوة :

جعل النبي ﷺ التلاوة على الناس مؤمنهم وكافرهم من أولى مهماته في دعوتهم ، لما للقرآن من سلطان على القلوب ، وأثر عميق على النفوس ، وكان يقرأ القرآن على الكفار استقلالاً في بعض الأحيان ، ويكتفي به ، وتارة يقرأه بعد بيان للإسلام ودعوة إلى الله ، أما مع المؤمنين فكان يقرنه ﷺ بالترغيب والترهيب ، وشرح مهمات هذا الدين ، والتفسير والتعليم .

فحريُّ بطالب العلم الداعي إلى الهدى أن يتأسى بإمام الدعوة ن ويعتني بكتاب الله ، تلاوة وفهماً ، وتدبراً ، وحفظاً ، وتطبيقاً ، وأن يهتم بالتلاوة في دعوة الناس ، وينتقي الآيات المناسبة للمقام ، فيقرأها ويشرحها ويفسرها ، فيثور القرآن ويحرك به القلوب ، لأنه مصدر كل خير .

ويحاول حفظ القرآن ، فإن قصرت همته عن كله ، فليأخذ بحظ وافٍ منه ، إذ كيف يتلو على الناس من لا يحفظ ، وكيف يُفسر من لا يتعلم ، وكيف يؤثر في الناس من لا يعمل به ؟ وعليه أن يتعلم صفة تلاوة النبي ﷺ .

ومما يُعين على ذلك كله ، ويثبت في القلب : قيامه بحزب معلوم من القرآن يداوم عليه في جوف الليل ، حين التنزل الإلهي في الثلث الأخير . والإطراح بين يدي مولاه ، والانكسار له ، والبكاء من خشيته ، والثناء عليه بما هو أهله ، والاستغفار والتحميد والتهليل ، والصلاة على خليله ومصطفاه ، ثم الدعاء بالتوفيق والسداد . هذا هو الزاد والعتاد .

ولما كان كتابُ الله هو المقدم في دعوة الناس إلى الهدى ، كان فضل التلاوة مقدّمًا على التزكية والتعليم ، وسيأتي إن شاء الله في باب العلم ، كيف علّم النبي ﷺ ؟ وما هي أساليبه في ذلك ؟ ماذا ينبغي لطالب العلم ؟ وما يكره له ؟ عمق يؤخذ العلم ؟ وغير ذلك من الأسئلة الكثيرة ؛ ستجيب عنها تلك الأبحاث في باب العلم ، وسيأتي بعد باب التربية إن شاء الله .



الباب الثاني

(التربية والتزكية)

تمهيد : في معاني التربية والتزكية وعلاقتها ، ومقاصد التربية وأهدافها ، وشواهد تصنيف منهجها :
الفصل الأول : (التربية والتزكية النبوية)
الفصل الثاني : (الأساليب التربوية النبوية)

الباب الثاني

المنهج النبوي في التربية والتزكية

تمهيداً : في معاني التربية والتزكية وملاقتهما ، ومقاصد التربية وأهدافها ، وشواهد تصنيف منهجها :
أولاً : التربية في اللغة :

قال ابن فارس في معنى « ربّ » : « الراء والباء يدلّ على أصول ، فالأول إصلاح لشيء والقيام عليه .

فالرّبُّ : المالكُ والمخالقُ والصاحبُ ، والرّبُّ : المصلحُ للشيء ، والله جلّ ثناؤه الرّبُّ ؛ لأنه مصلح أحوال خلقه ، والرّبِّيُّ : العارف بالرّبِّ » (١) .

وفي مختار الصحاح : « ربّاه تربيةً ، أي غذاه ، وهذا لكل ما يُنمى كالولد والزرع ونحوه » (٢) .

وقال ابن منظور : « قال ابن الأنباري : ربُّ الشيء إذا أصلحه » (٣) ، وقال : « ورّباه تربيةً ، على تحويل التضعيف : أحسن القيام عليه » (٤) ، وقال : « الرّبِّيُّ منسوب إلى الرب ، والرباني موصوف بعلم الرّبِّ ،

(١) معجم مقاييس اللغة : ٣٨١/٢ ، ٣٨٢ .

(٢) مختار الصحاح : ص ٩٨ .

(٣) لسان العرب : ٤٠١/١ .

(٤) لسان العرب : ٤٠١/١ .

وقال ابن الأعرابي : الربانيُّ العالمُ المَعْلَمُ الَّذِي يَغْذُو النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهَا ، وقال ابن الأثير : هو منسوب إلى الرَّبِّ ، بزيادة الألف والنون للمبالغة ، قال : وقيل : هو من الرَّبِّ ، بمعنى الترتيبية ، كانوا يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها « (١) .

وقال : « وربّ ولده والصّبي يربّه ربّاً ، عن اللحياني : بمعنى ربّاه ، وفي الحديث : لك نعمة تربّها ، أي تحفظها وتراعيها وتربّيها كما يُربّي الرجلُ ولده » (٢) .

وقال : « وربّيّتها : نَمَّأها وزادها ، وأتمّها ، وأصلحها » (٣) .

وقال الراغب : « الرَّبُّ فِي الْأَصْلِ : التَّزْيِيَةُ ؛ وَهُوَ إِنْشَاءُ الشَّيْءِ حَالاً فَحَالاً إِلَى حَدِّ التَّمَامِ ، يُقَالُ رَبَّه ، وَرَبَّاهُ وَرَبَّيْتَهُ ، فَالرَّبُّ مُصَدَّرٌ مُسْتَعَارٌ لِلْفَاعِلِ » (٤) .

وقال أبو جعفر : « وأما تأويل قوله (ربّ) فإنَّ الرَّبَّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَنْصَرَفٌ عَلَى مَعَانٍ ، فَالسَّيِّدُ الْمَطَاعُ فِيهِمْ يُدْعَى رَبّاً ، وَالرَّجُلُ الْمُصْلِحُ لِلشَّيْءِ يُدْعَى رَبّاً ، ثُمَّ قَالَ : فَرَبَّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ : السَّيِّدُ الَّذِي لَا شِبْهَ لَهُ ، وَلَا مِثْلَ فِي مِثْلٍ سُوْدَدَهُ ، وَالْمُصْلِحُ أَمْرٌ خَلَقَهُ بِمَا أَسْبَعُ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ ، وَالْمَالِكُ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ » (٥) .

(١) لسان العرب : ٤٠٤/١ .

(٢) المصدر السابق : ٤٠١/١ .

(٣) المصدر السابق : ٤٠٥/١ .

(٤) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : ص ٣٣٦ .

(٥) تفسير الطبري : ١٤١/١ ، ١٤٢ ، تحقيق الأحرين محمود وأحمد شاكر .

والحاصل من مجموع النقول السابقة : أنَّ معاني التربية في اللغة تعني : إصلاح الشيء وتغذيته وتنميته ، وتعليمه ، ومن معانيها أيضًا : التنمية والزيادة ، والإصلاح والإتمام ، والحفظ والرعاية ، والقيام على الشيء حتى النهاية .

ثانياً : التربية في الاستعمال الشرعي :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّائِنًا بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِبَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾^(١) . قال أبو جعفر : « وأما قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّائِنًا ﴾ ، فإنَّ أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : كونوا حكماء علماء ، وعن ابن عباس قال : كونوا حكماء فقهاء ، وعن مجاهد قال : الفقهاء العلماء ، وهم فوق الأحرار .

وقال آخرون : بل هم الحكماء الأتقياء ، عن سعيد بن جبيرة قال : حكماء أتقياء .

وقال آخرون : بل هم ولاة الناس وقادتهم ، وعن ابن زيد يقول في قوله : ﴿ كُونُوا رَبَّائِنًا ﴾ ، قال : الربانيون ، الذين يربون الناس ، ثمَّ قال : الربانيون : الولاة ، والأحرار : العلماء .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال عندي بالصواب في الربانيين « أنهم جمع « رباني » ، وأنَّ الرباني المنسوب إلى « الربان » ، الذي يربُّ النَّاسَ ، وهو الذي يصلح أمورهم ويربُّها ، ويقوم بها ، ثمَّ قال : فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا ، وكان العالم بالفقه والحكمة من

(١) آل عمران : الآية (٧٩) .

المصلحين يُرَبُّ أمورَ النَّاسِ ، بتعليمه إياهم الخير ، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم ، وكان كذلك الحكيم التقى الله ، والوالي الذي يلي أمور النَّاسِ على المنهاج الذي وليه المقسطون من المصلحين أمورَ الخلق ، بالقيام فيهم بما فيه صلاحُ عاجلهم وآجلهم ، وعائدةُ النفع عليهم في دينهم ، ودنياهم ، كانوا جميعاً يستحقون أن يكونوا ممن دخل في قوله ﷻ : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاتِينَ ﴾ ، فـ « الربانيون » إذا هم عمادُ النَّاسِ في الفقه والعلم وأمور الدنيا والدين ، ولذلك قال مجاهد : « وهم فوق الأخبار » ، لأنَّ « الأخبار » هم العلماء ، و « الرباني » الجامعُ إلى العلم والفقه ، البصرَ بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية ، وما يصلحهم في دنياهم ودينهم .

وقال - رحمه الله - في القراءتين المرويَّتين في قوله : ﴿ تَعَلَّمُونَ ﴾ ، إذا قرئت التاء بالضم والفتح ، قال : « وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأه بضم التاء وتشديد اللام . لأن الله ﷻ وصف القوم بأنهم أهل عمادٍ للناس في دينهم ودنياهم ، وأهلُ إصلاح لهم ولأمورهم وتربية . يقول جل ثناؤه : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاتِينَ ﴾ ، على ما بيَّنا قبل من معنى « الرباني » ، ثم أخبر تعالى ذكره عنهم أنهم صاروا أهل إصلاح للناس وتربية لهم بتعليمهم إياهم كتاب ربهم ، ودراستهم إياه : تلاوته . فمعنى الآية : ولكن يقول لهم : كونوا ، أيها الناس ، سادة الناس ، وقادتهم في أمر دينهم ودنياهم ، ربانيين بتعليمكم إياهم كتاب الله وما فيه من حلال وحرام ، وفرض وندب ، وسائر ما حواه من معاني أمور دينهم ، وبتلاوتكم إياه ودراستكموه » (١) .

(١) تفسير الطبري : ٥٤٠/٦ - ٥٤٦ ، تحقيق شاکر ، باختصار .

وقال - رحمه الله - أيضاً في « الربانيون »^(١) : جمع ربّانيّ وهم العلماء والحكماء ، البصراء بسياسة الناس وتدبير أمورهم ، والقيام بمصالحهم ، والأخبار هم العلماء ، وقال : وأما الأخبار فإنهم جمع خبر ، وهو العالم المحكم للشرع ، ومنه قيل لكعب « كعب الأخبار »^(٢) .

وروى البخاريّ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « ﴿ كُونُوا رَبَّائِينَ ﴾ : حلماء فقهاء ، ويقالُ : الربانيُّ الذي يُربيّ الناس بصغار العِلْم قبل كبارهِ »^(٣) .

أي أنه يُراعى التدرُّج في تعليمهم وتربيتهم فيبدأ بصغار المسائل في العلم ثم يترقى بهم فيه ، هذه هي التربية الصحيحة ، لا أنه يبدأ معهم بدقائق العلم التفصيلية وبكبار المسائل العلمية .

وقال الإمام أبو جعفر في قول الله : « ﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْنَاهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴾ »^(٤) . قال : « وعنى بقوله ﴿ رَبَّيْنِي ﴾ : تميّاني »^(٥) .

وقال أبو حيان في قول الله تعالى : « ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾ »^(٦) ، قال : « أخذ يستحقره ، ويذكّره بحالة الصغر ، ألمنّ عليه بالتزية ،

(١) المائدة : الآية (٤٤) .

(٢) تفسير الطبري : ٣٤٣/١٠ ، تحقيق شاکر .

(٣) صحيح البخاريّ : كتاب العلم : باب العلم قبل القول والعمل : ٣٨/١ . رواه تعليقاً بصيغة الجزم .

(٤) الإسراء : الآية (٢٤) .

(٥) تفسير الطبري : ٦٨/١٥ ، طبعة الباني الحلبي .

(٦) الشعراء : الآية (١٨) .

عدّد عليه نعمة التربية ومبلغه عنده مبلغ الرجال حيث كان يقتل نظراءه من بني إسرائيل « (١) .

وقال الشاطبي في معرض حديثه عن تصدير الدعاء بلفظ الجلالة : ﴿ رَبِّ ﴾ ، قال : ومنها كثرة مجيء النداء باسم الربّ المقتضى للقيام بأمور العباد وإصلاحها ، فكأن العبد متعلّق بمن شأنه التربية والرفق والإحسان قائلاً : يا من هو المصلح لشئوننا على الإطلاق أتمّ لنا ذلك بكذا ، وهو مقتضى ما يدعو به ، وإنّما أتى (اللهم) في مواضع قليلة ولمعان اقتضتها الأحوال « (٢) .

وقد ورد لفظ التربية في حديث رسول الله ﷺ بمعنى التنمية كما جاء في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ تَمَرَةً مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ . وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا يَمِينِهِ . ثُمَّ يُرَبِّيْهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهَ حَتَّى تَكُونَ لَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ » (٣) .

ثالثاً : التزكية في اللغة :

قال ابن فارس في (زكى) : « الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدلُّ على نماء وزيادة ، وقال بعضهم : سُمِّيَتْ زكاة لأنها طهارة ، والأصل في ذلك كلّ راجع إلى هذين المعنيين ، وهما النماء والطهارة » (٤) .

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيّان الأندلسي الغرناطي : ١٤٦/٨ مختصراً .

(٢) الموافقات : ٢٠٣/٤ .

(٣) البخاريّ : (٣٠) الزكاة ٧ - باب لا يقبل الله صدقةً من غُلُولٍ ، ولا يقبلُ إلاّ من كسبٍ طَيِّبٍ : ٥١١/٢ ، رقم ١٣٤٤ .

(٤) معجم مقاييس اللغة : ١٧/٣ .

وقال ابن منظور : « زكا : أي نما ، والزكاة : الصلاح ، وقوله تعالى : ﴿ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ ؛ قالوا : تطهرهم بها ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴾ ؛ أي يُصلح ، وقال الفراء ، وأصل الزكاة في اللغة : الطهارة والنماء والبركة والمدح : وكله قد استعمل في القرآن والحديث « (١) .

رابعاً : التزكية في الاستعمال الشرعي :

ورد لفظ التزكية في الكتاب والسنة ، ففي الكتاب ورد لفظ (زكى) ومشتقاته (تسع وخمسين مرة في إحدى وخمسين آية متفرقة في سبع وعشرين سورة) (٢) ، بثمانية معان :

١ - ورد لفظ (زكى) بمعنى التطهير والنماء والبركة في مواضع عدة :

قال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَابْتِئْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣) .

قال ابن عطية : « ويزكيهم معناه يطهرهم وينميهم بالخير ، ومعنى الزكاة لا يخرج عن التطهير أو التنمية » (٤) .

وقال القرطبي : « ويزكيهم : أي يطهرهم من ضر (٥) الشرك » (٦) .

(١) لسان العرب : ٣٥٨/١٤ .

(٢) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فواد عبدالباقى ، ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

(٣) البقرة : الآية (١٢٩) .

(٤) المحرر الوجيز ، لابن عطية : ٣٦١/١ .

(٥) ضر ، أي : وسخ . المعجم الوسيط : ١٠٣٩/٢ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ١٣١/٢ .

وقال أبو الفداء الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « يقول تعالى إخباراً عن تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم ، أن يبعث فيهم رسولاً منهم ، أي من ذرية إبراهيم ، ثم قال : روى الإمام أحمد بسنده إلى أبي أمامة قال : « قَالَ : قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ ؟ قَالَ : دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبَشْرَى عَيْسَى ، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهَا قُصُودَ الشَّامِ » .

ثم قال : (ويزكيهم) ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعني طاعة الله والإخلاص « (١) » .

وقال القرطبي : « ويعلمهم الكتاب والحكمة : (الكتاب) القرآن ، و (الحكمة) المعرفة بالدين والفقهاء في التأويل ، والفهم الذي هو سجية ونور من الله تعالى ، ثم قال : (ويزكيهم) أي يطهرهم من وضر الشرك « (٢) » .

وفي سورة آل عمران قال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَهْلِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٣) .

قال الزمخشري : « ويزكيهم : ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ، ونجاسة سائر الجوارح بملازمة المحرمات وسائر الخبائث ، وقيل : يأخذ منهم الزكاة « (٤) » .

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ١٢٩/١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١٣١/٢ .

(٣) آل عمران : الآية (١٦٤) .

(٤) الكشاف : ٢٢٨/١ .

وقال ابن كثير : « يتلو عليهم آياته : يعني القرآن . ويزكيهم : أي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكو أنفسهم وتطهر من الدنس والخبث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم » (١) .

وقال تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

قال القاضي أبو محمد : « ويزكيكم : يطهركم من الكفر ، وينميكم بالطاعة » (٣) .

قال ابن كثير : « ويزكيكم أي يطهركم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس ، وأفعال الجاهلية ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويعلمهم الكتاب وهو القرآن ، والحكمة وهي السنة ، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ، فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون بالعقول الغراء ، فانتقلوا ببركة رسالته ويؤمن سفارته إلى حال الأولياء ، وسجايا العلماء ، فصاروا أعمق الناس علمًا ، وأبرهم قلوبًا ، وأقلهم تكلفًا ، وأصلقهم لهجة » (٤) .

وفي سورة الجمعة قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (٥) .

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤٣٣/١ .

(٢) البقرة : الآية (١٥١) .

(٣) المحرر الوجيز : ١٩/٢ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٢٠١/١ .

(٥) الجمعة : الآية (٢) .

ويلاحظ من الآيات الأربع الآنفه الذُكر ، أنَّ المهام التي بُعث بها النبي ﷺ ؛ ثلاث مهام ، هي : على الترتيب ، التلاوة ، والتزكية ، والتعليم ، وقد جاءت على هذا الترتيب في ثلاث آيات منها ، والآية الرابعة ؛ تقدّم تعليم الكتاب والحكمة على التزكية ، في دعوة الخليل ﷺ ، ولكن جاءت الإجابة من الكريم المنان مرتبة على النسق المذكور . وما ذاك إلا لأنّ تلاوة القرآن الكريم عامّة في حق الجميع ، والتزكية فرض عين في حق جميع المؤمنين . أما تعليم الكتاب والحكمة على التفصيل ؛ فهذا في حق طائفة من كلّ فرقة من المؤمنين ؛ فهو من فروض الكفايات .

ولقد كانت بعثة النبي ﷺ منّة ونعمة امتن الله بها على المؤمنين ، كما في آية آل عمران : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَهْلِهِمْ ﴾ .

قال ابن كثير : « وذلك من لم يعرف قدر هذه النعمة فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَقْرَأِ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم/ ٢٨] ، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : يعني بنعمة الله محمداً ﷺ ، ولهذا ندب الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة ، ومقابلتها بذكره وشكره ، وقال : ﴿ فَادْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة/ ١٥٢] ، قال مجاهد في قوله ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ ﴾ [البقرة/ ١٥٢] ، يقول : كما فعلت فاذكروني . قال عبد الله بن وهب عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم أنّ موسى عليه السلام قال : يا ربّ كيف أشكرك ؟ قال ربه : تذكرني ولا تنساني ، فإذا ذكرتني فقد شكرتني ، وإذا نسيتني فقد كفرتني » (١) .

(١) تفسير القرآن العظيم : ٢٠٣/١ .

وفي سورة التوبة ، قال الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(١) .

قال الزمخشري : والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه ، أو بمعنى الإنماء والبركة في المال ، وهكذا الآيات المتبقية في هذا المعنى وهي :

الآية ٢١ في سورة النور ، والآية ١٩ في مريم ، والآية ١٨ في فاطر ، والآية الثانية من سورة الجمعة ، والآية ١٨ من النازعات ، والثالثة من عبس ، والآية ١٨ في سورة الليل ، والتاسعة من سورة الشمس التي يقول فيها ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا » حذفت اللام لطول الكلام ، زكاهها طهرها من الذنوب ، وقد خاب من دساها ، أخفاها بالمعصية ، وأصله دسها أبدلت السين الثانية ألفاً تخفيفاً^(٢) ، وفي سورة الأعلى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ ، تطهر بالإيمان ، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ مكبراً ، فصلى الصلوات الخمس^(٣) .

٢ - وقد جاء لفظ (زكى) بمعنى الصلاة والتقى :

في سورة الكهف في قول الله تعالى : ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾^(٤) : « زكاة أي صلاحاً وتقى »^(٥) .

(١) التوبة : الآية (١٠٣) .

(٢) الجلالين : ص ٥٩٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٩٢ .

(٤) الكهف : الآية (٨١) .

(٥) تفسير الجلالين ، ص ٣٩٢ .

٣ - وجاء بمعنى الثناء والمدح .

وذلك في سورة البقرة في قول الله تعالى : ﴿ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(١) ، قال ابن كثير : « يزكّيهم أي يشي عليهم ويمدحهم ، بل يعذبهم عذاباً أليماً »^(٢) . وهكذا الآيات ٧٧ من سورة آل عمران ، والآية ٤٩ من سورة النساء ، والآية ٣٢ من سورة النجم .

٤ - بمعنى الصدقة :

في قول الله تعالى في سورة مريم : ﴿ وَحَنَانًا مِن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَهِيًّا ﴾^(٣) : وزكاة « أي صدقة عليهم »^(٤) .

٥ - وجاء كذلك بمعنى الإيمان والهداية .

كما في سورة عبس ، حيث قال تعالى : ﴿ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَرْكُبِي ﴾^(٥) : « أي يؤمن »^(٦) . وقال صاحب الكشاف : « وليس عليك بأسٌ في أن لا يتزكى بالإسلام إن عليك إلا البلاغ »^(٧) .

(١) البقرة : الآية (١٧٤) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٢١٢/١ .

(٣) مريم : الآية (١٣) .

(٤) تفسير الجلالين ، ص ٣٩٧ .

(٥) عبس : الآية (٧) .

(٦) الجلالين ، ص ٧٩٢ .

(٧) الكشاف : ١٢٥/٤ .

٦ - وجاء بمعنى : أفضل وأطيب ، وخير .

قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .
قال صاحب الكشاف : « أزكى لكم وأطهر » من أدناس الآثام ، وقيل
أزكى وأطهر أفضل وأطيب ^(٢) . وفي الجلالين : « ترك العضل
خير لكم » ^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَارجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ﴾ ^(٤) . «
أي خير لكم » ^(٥) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ
أَزْكَى لَهُمْ ﴾ ^(٦) .

٧ - وورد بمعنى (أحل) أي أكثر حلاً وطيباً .

قال تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا ﴾ ^(٧) . أي « أي أطعمة
المدينة أحل » ^(٨) .

-
- (١) البقرة : الآية (٢٣٢) .
(٢) الكشاف : ١ / ١٤١ .
(٣) تفسير الجلالين ، ص ٥٠ .
(٤) النور : الآية (٢٨) .
(٥) الجلالين ، ص ٤٦١ .
(٦) النور : الآية (٣٠) .
(٧) الكهف : الآية (١٩) .
(٨) تفسير الجلالين ، ص ٣٨٣ .

٨ - وقد ورد بمعنى (الزكاة المفروضة) وتتضمن التطهير .

وهي الصدقة الواجبة المعلومة ، وذلك في باقي الآيات التي لم يرد ذكرها من التسع وخمسين آية ..

والزكاة الواجبة ؛ فيها تطهير لمن أخرجها ونماء لماله ، قال الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (١) .

٩ - وبمعنى التوحيد : ﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ (٢) .

الزكاة هنا التوحيد .

وقد جاءت التزكية في القرآن الكريم منسوبة إلى ثلاثة (٣) :

النسبة الأولى : إلى الله ﷻ ، وهي بمعنى هداية التوفيق والإلهام ، وكذلك بمعنى التطهير من الذنوب . قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ شَيْئاً ﴾ (٤) . « بل الله يطهر من يشاء بالإيمان » (٥) .

وعلى المعنى الثاني : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾ (٦) . « أي يطهر من الذنوب بقبول توبته » (٧) .

(١) التوبة : الآية (١٠٣) .

(٢) فصلت : الآيات (٦ ، ٧) .

(٣) قال بنحو هذا د. أنس أحمد كرزون : منهج الإسلام في تزكية النفوس : ١٠٠/١ .

(٤) النساء : الآية (٤٩) .

(٥) تفسير الجلالين ، ص ٨٦ .

(٦) النور : الآية (٢١) .

(٧) تفسير الجلالين ، ص ٣٥٢ .

النسبة الثانية : إلى الرسول ﷺ ، وهي بمعنى هداية الإرشاد والبيان والدلالة والتطهير ؛ ذلك أنه ﷺ هو المرابي والمزكّي الأوّل لأُمَّته بأمر الله ﷻ ، إذ قال سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(١) . « يزكّيهم أي يطهرهم من الشرك »^(٢) ، ويلهم على طريق الحق ، ويصلحهم ، ويرتقى بهم إلى أعلى المراتب .

النسبة الثالثة : إلى العبد نفسه ، وتنقسم إلى قسمين : نسبة مدح ؛ ونسبة ذمّ .

فأما الأولى : فمثل قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾^(٣) . أي طهرها من الشرك والذنوب والمعاصي ، وترقى بها في مدارج الفلاح .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في هذه الآية : « ولهذا تُفسّر الزكاة تارة بالنماء والزيادة ، وتارة بالنظافة والإمطة . والتحقيق أنّ الزكاة تجمع بين الأمرين (إزالة الشر وزيادة الخير) ، وهذا هو العمل الصالح ، وهو الإحسان »^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾^(٥) . « أي تطهر بالإيمان »^(٦) .

(١) الجمعة : الآية (٢) .

(٢) تفسير الجلالين ، ص ٥٥٣ .

(٣) الشمس : الآية (٩) .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية : ١٦ / ١٩٨ .

(٥) الأعلى : الآية (١٤) .

(٦) الجلالين : ص ٥٩٢ .

وأما الثانية : فمثل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾^(١) . قال ابن كثير في قوله تعالى : ﴿ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾ . « أي المرجع في ذلك إلى الله ﷻ ؛ لأنه أعلم بحقائق الأمور وغوامضها »^(٢) .

وفي إضرابه عن قولهم تبكيت لهم وسخرية منهم .

وقد ورد عن الله ﷻ منع دعوى تزكية النفس والإعجاب بها ، فقال سبحانه : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾^(٣) . « أي لا تمدحوها على سبيل الإعجاب ، أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن »^(٤) .

قال الراغب : « وتزكية الإنسان نفسه ضربان : أحدهما بالفعل ، وهو محمود وإليه قصد بقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ ، وقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ﴾ ، والثاني : بالقول ، كتزكية العدل غيره ، وذلك مذموم أن يفعل الإنسان بنفسه ، وقد نهى الله تعالى عنه فقال : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ﴾ ، ونهيه عن ذلك تأديب لقبح مدح الإنسان نفسه عقلاً وشرعاً ، ولهذا قيل لحكيم : ما الذي لا يحسن وإن كان حقاً ؟ فقال : مدح الرجل نفسه »^(٥) .

(١) النساء : الآية (٤٩) .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٥٢٤/١ .

(٣) النجم : الآية (٣٢) .

(٤) تفسير الجلالين ، ص ٥٢٧ .

(٥) المفردات للراغب الأصفهاني ، ص ٣٨١ .

أما في السنة النبوية فقد ورد لفظ زكى ومشتقاته في مواضع كثيرة ، ومن ذلك ما ورد في دعاء الرسول ﷺ الذي رواه زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : « لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول ، كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل ، والهزم وعذاب القبر . اللهم أت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » (١) .

وقوله ﷺ : « ثلاث من فعلهن فقد طعم طعام الإيمان : من عبد الله وحده ، وأنه لا إله إلا الله ، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه ، رافدة عليه كل عام ، ولا يعطي الهرمة ، ولا الدرنة ، ولا المريضة ، ولا الشرط : اللثيمة ، ولكن من وسط أموالكم ، فإن الله لم يسألكم خيره ، ولم يأمركم بشره ، وزكى نفسه ، فقال رجل : وما تزكية النفس ؟ فقال : أن يعلم أن الله ﷻ معه حيث كان » (٢) .

أي أن تستقر في قلبه يقينا معية الله ﷻ ومراقبته ، ويستشعر ذلك في كل أحواله وأقواله وأفعاله وتصرفاته ، وهذه قمة الدين ومرتبة

(١) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل : ٢٠٨٨/٤ ، ح ٢٧٢٢ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير : ٢٠١/١ ، والبيهقي في السنن : ٩٥/٤ .

قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح ١٠٤٦ ، وهذا إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال مسلم غير عبد الله بن سالم وهو الزبيدي ، وهو ثقة . ثم قال : فائدة « قوله ﷻ أن الله معه حيث كان ، قال الإمام محمد بن يحيى النهلي : يريد أن الله علمه محيط بكل مكان ، والله على العرش . ذكره الحافظ النهي في العلو ، ترجمة رقم ٧٣ .

الإحسان التي قال عنها رسول الله ﷺ : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » (١) .

خامساً : علاقة التزكية بالتربية :

يتضح من استعراض معاني التربية والتزكية أنهما مصطلحان شرعيان لهما جذورهما وأسسهما في الكتاب والسنة والفهم الشرعي ، وأنهما متقاربان في بعض المعاني ، ومتطابقان في بعض ، وأن بينهما معانٍ مشتركة :

- فأما في اللغة : فهما يشتركان في ثلاثة معانٍ هي : النماء والزيادة والإصلاح . وتختص التزكية بالتطهير والأفضلية والمدح . وتختص التربية بالحفظ والرعاية والقيام على الشيء إلى حدّ التمام .

- وأما في الاستعمال الشرعي :

فإنّ التربية ذات معنى واسع وشامل وتصدق في حقّ الكافر كما تصدق على المسلم ، بل تصدق على كلّ شيء ، فلفظ الجلالة (الرَّب) ورد في القرآن والسنة بكثرة كاثرة ، فالله ربّ العالمين ، وهو ربّ كلّ شيءٍ ومليكه ، وهو يربّ الكافر بنعمه كما يربّ المؤمن .

والكافر يربي ؛ والمسلم يربي ، قال الله تعالى على لسان فرعون : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾ (٢) . فهذا فرعون يمتنّ على موسى ﷺ أن ربّاه صغيراً حتى شبّ وترعرع ولبث عنده من عمره سنين وهو يغذوه

(١) صحيح مسلم : الإيمان : باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان : ٨/١ .

(٢) الشعراء : الآية (١٨) .

بالطعام والشراب ، ويرعاه بالكساء والدواء ، والنفقة والسكن ،
والتنمية الجسمية ، والحماية من الأعداء ، وغير ذلك . فهذه كلّها
رعاية ظاهرة لموسى عليه السلام حتى تمام قوّته وصحته واكتمال نموه .

أما تربية الباطن : من قلبٍ ونفسٍ وعقلٍ فأنّى لفرعون أن يزكّيها ؟ .

وقد استعملها النبي ﷺ لغير الإنسان ؛ كما في المتفق عليه من
حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ
تَمَرَّةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ
يُرْتِيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرْتِي أَحَدَكُمْ فَلَوْهَ حَتَّى تَكُونَ لَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ » (١) .

أما التزكية فهي ألصق بجانب ميدان الباطن كتطهير القلب وتزكية
النفس منه إلى ميدان الظاهر .

ولم تطلق التزكية على الكفار إلا في معرض التهيب ، كما في
قوله تعالى : ﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ . الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ (٢) .

وفي معرض التهكم والتبكيك ، كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى
الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾ (٣) . وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا
عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّيكَ ﴾ (٤) .

وبهذا يتبين أن التزكية لا تصح إلا في حقّ المؤمنين ، إذ لا زكاة
بدون الإيمان ، بيد أن التربية تصحّ في حقّ الجميع .

(١) سبق تخريجه قريباً .

(٢) فصلت : الآيات (٦ ، ٧) .

(٣) النساء : الآية (٤٩) .

(٤) عبس : الآية (٧) .

الخلاصة :

تُعدُّ التزكيةُ الركن الأساس في التربية ؛ وقد تُطلق عليها تَغْلِيْبًا . فهي الجزء الأهم والأكبر في التربية ، وهي أهم مرتبة من مراتبها ، وأعظم مرحلة من مراحلها ، والتزكية أخص من التربية ، فالتربية تصحُّ في حقِّ جميع النَّاسِ ، أمَّا التزكية فلا تصحُّ إلا في حقِّ المسلمين .

وفعل تزكَّى : أي فعل فعلاً زاكياً يحبه الله ، يتزكى به ويتطهر به ويتنمى ، حتى يصبح زاكياً نامياً ، ولا يتزكى إلا من تربى تربية إيمانية على أيدي أهل الإيمان وطريقتهم .

وبين التزكية والتربية عمومٌ وخصوص :

فأمَّا العموم فإنَّهُما يشتركان في معاني النماء والزيادة والإصلاح .

وأما الخصوص ؛ فإنَّ التزكية تختص بالتطهير ، والأفضلية والمدح .

وهي نصٌّ في ميدان الباطن مع شمولها للظاهر .

أمَّا التربية فهي نصٌّ في ميدان الظاهر مع شمولها للباطن تضمناً ؛

وتختص بالحفظ والرعاية والقيام على الشيء إلى حدِّ التمام .

سادساً : غاية التربية النبوية ومقصودها الأعظم :

هو تحقيق التوحيد ، وإفراد الله بالعبادة للفوز برضوانه ومحَبَّته ، ونيل موعوده تعالى ، الذي أعدَّه لعباده الصالحين في دار كرامته ، والنجاة من عذابه . قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١) .

(١) التوبة : الآية (٧٢) .

وأما محبته ﷺ فتسال باتباع نبيه ﷺ ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (١) .

وأما النجاة من النار فذلك هو الفوز ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ رُخِّعَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (٢) .

سابعاً : أهداف التربية النبوية :

يتضح من خلال دراسة السنة والسيرة النبوية والمجتمع الذي أعده النبي ﷺ أن أهداف التربية النبوية تتلخص في هدفين رئيسين :

الأول : إصلاح العبد باطنًا وظاهرًا ، وتحقيق عبوديته التامة حتى يعلم أن الله معه حيث كان . وتنميته والتزقي به من جميع الجوانب الإيمانية والعلمية والعملية والأخلاقية والجسدية والاجتماعية ، ليكون عضواً فعالاً منتجاً ، ويجيا حياة طيبة في الدنيا والآخرة .

الثاني : تكوين أمة الوسط والشهادة وبنائها وفق التوجيهات الربانية ، وتوجيهها بعد اكتمال إعدادها لحمل الأمانة وتبليغ الرسالة إلى الناس كافة .

فأما الشق الأول فمن شواهد الكثرة قول النبي ﷺ لمعاذ ﷺ حينما بعثه إلى اليمن ﷺ : « فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ، فإذا عرّفوا ذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات ... الحديث » (٣) .

(١) آل عمران : الآية (٣١) .

(٢) آل عمران : الآية (١٨٥) .

(٣) البخاري : كتاب التوحيد : باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله

تبارك وتعالى : ٦/٢٦٨٥ ، رقم ٦٩٣٧ .

وكذلك قوله ﷺ - عندما سُئِلَ عن التزكية - : « ان يعلم أن الله ﷻ معه حيث كان » ^(١) . وقوله ﷺ : « الا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله » ^(٢) ، وقوله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » ^(٣) ، وقوله ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير » ^(٤) .

وقول الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٥) .

وأما الشق الثاني : فمن شواهده الكثيرة قول الله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ ^(٦) .

أخرج الإمام البخاري في هذه الآية حديثاً موقوفاً على أبي هريرة ؓ ، قال : « خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام » ^(٧) .

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير : ٢٠١/١ ، والبيهقي في السنن : ٩٥/٤ ،

وصححه الألباني ، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم ١٠٤٦ .

(٢) البخاري : الإيمان : باب فضل من استبرأ لدينه : ٢٨/١ ، رقم ٥٢ .

(٣) مسند أحمد : ٣٨١/٢ ، والحاكم : ٦١٣/٢ ، وقال : هذا حديث صحيح على

شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، ووافقه النعبي .

(٤) مسلم : القدر : باب الأمر بالقوة : ٢٠٥٢/٤ ، رقم ٢٦٦٤ .

(٥) النحل : الآية (٩٧) .

(٦) آل عمران : الآية (١١٠) .

(٧) البخاري : كتاب التفسير : باب كتم حير أمة : ١٦٦٠/٤ ، رقم ٤٢٨١ . قال

الحافظ : وقد روي مرفوعاً في آخر كتاب الجهاد .

وقول الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ^(١) . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) .

والقاعدة : أن ما كُلف به النبي ﷺ فهو تكليف لأُمَّته ما لم يرد له مخصص .

ومن شواهد تربية الأُمَّة التربية الجماعية أيضًا قول الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّوَارَاتُوتِ ﴾ ^(٣) .

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ... ﴾ ^(٤) . و ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٥) .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَتَوَكَّتْ فَطَاغِيلُ الْعُلُبِّ لَأَهْضَمُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ^(٦) . وقوله : ﴿ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٧) .

-
- | | |
|-----|----------------------------|
| (١) | البقرة : الآية (١٤٣) . |
| (٢) | سبا : الآية (٢٨) . |
| (٣) | المائدة : الآية (٢) . |
| (٤) | آل عمران : الآية (١٠٣) . |
| (٥) | آل عمران : الآية (١٠٤) . |
| (٦) | آل عمران : الآية (١٥٩) . |
| (٧) | آل عمران : الآية (١٦٤) . |

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿١﴾ .

ثامناً : شواهد تصنيف منهج التربية النبوية :

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ .

فهذه مهام النبي ﷺ في أمته الأمية . وقد وردت هذه المهام في ثلاث آيات أخر كما مرّ آنفاً .

ويمكن إطلاق مسمى التربية على هذه المهام الثلاث ، فالتربية لا تُخْرَجُ في مضمونها عنها ، وهي :

١ - التلاوة .

٢ - التزكية .

٣ - التعليم .

فالتلاوة : هي قراءة القرآن واتباعه . والقرآن أصل العلم ؛ وقد أفردت التلاوة عن التعليم وهي جزء منه لأهميتها . فيصح إدخالها في مسمى التربية العلمية .

والتلاوة عامة في حق جميع المسلمين ، بل تصح التلاوة على غيرهم لدعوتهم للإيمان .

(١) المائدة : الآيات (٥٤ ، ٥٥) .

(٢) الجمعة : الآية (٢) .

والتزكية : عامة في حق جميع المسلمين ، وهي فرض عين على كل مسلم لا بُدَّ منها ، وعلى رأسها تزكية النفس من الكفر إلى الإيمان ، قال الله تعالى : ﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ ^(١) . والزكاة هنا هي التوحيد . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبُ ﴾ ^(٢) ، بمعنى الإيمان والتوحيد والهداية . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزْكِيَ ﴾ ^(٣) . أمر من الله لموسى ﷺ أن يدعو فرعون إلى التزكية من الكفر إلى الإيمان ، أي يزكي نفسه من الكفر ويدخل في الإيمان .

ولما كانت التزكية هي الجزء الأعظم من التربية ، فقد تُطلق عليها تغييلاً . أمّا في العصور المتأخرة فأصبح مصطلح التربية يُطلق على التزكية غالباً .

أمّا التعليم : فتعليم الكتاب والحكمة بمعنى الاستيعاب للعلم والإحاطة به . فهو خاص ببعضهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا ظَهَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ ^(٤) .

دلّ ذلك على أن طائفة من كل فرقة تكفي للتفقه في الدين لنذاره أقوامهم . ولا يلزم من ذلك كتم العلم وعدم نشره واحتكاره على فئة من الناس ؛ بل الواجب نشره وإشاعته بين كافة أفراد الأمة حتى يعلم

(١) فصلت : الآيتان (٦ ، ٧) .

(٢) عبس : الآية (٧) .

(٣) النازعات : الآية (١٨) .

(٤) التوبة : الآية (١٢٢) .

كلّ شخص العلم الضروري الواجب ، وهذا هو الحد الأدنى في حقّ كلّ أحد ، لكن المقصود ؛ الإحاطة بالعلم والتمكّن منه ، فهذا خاصّ بورثة الأنبياء . ولا يُطلب من جميع أفراد الأمة أن يكونوا علماء . بل لا يُتصوّر ذلك .

يقول شيخ الإسلام في ذلك : « التزكي الحاصل بامتنال أمر الرسول ﷺ ، وإن كان صاحبه لا يتذكر علومًا عنه . كما قال : ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ ، ثمّ قال : ﴿ وَعَلَّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ . فالتلاوة عليهم والتزكية عام لجميع المؤمنين ، وتعليم الكتاب والحكمة خاصّ ببعضهم . وكذلك التزكي عام لكل من آمن بالرسول ، وأمّا التذكّر فهو مختص لمن له علوم يذكرها ، فعرف بتذكره ما لم يعلمه غيره من تلقاء نفسه » (١) .

وقال : « وذلك أنّ التزكي هو الإيمان والعمل الصالح الذي تصير به نفس الإنسان زكية ، كما قال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ وذكر اسم ربه ﴿ فَصَلَّى ﴾ » (٢) .

فالمطلوب إذن من كافة أفراد الأمة ؛ التزكية التي هي الإيمان والعمل الصالح ، والعلم المطلوب في حقّهم هو العلم الواجب بقدر تصحيح العمل من حيث إخلاص النية ومتابعة السنة . حتى يصبح خالصًا صوابًا .

ولما كانت التزكية تحصل بالإيمان والعمل الصالح . وهذان الأخيران

(١) الفتاوى : ١٨٥/١٦ .

(٢) المرجع السابق : الموضوع نفسه ، ص ١٨٤ .

لا يمكن حصولهما إلا بالعلم ؛ كان لا بد من الجمع بينهما في الحديث عن منهج التزكية والعلم الذي هو فرض عين على كل أحد ، تحت عنوان التربية والتزكية النبوية .

أما منهج التعليم الذي هو فرض كفائي فما هو إلا امتداد وتوسُّع للعلم الواجب . وسيُفرد ببابٍ مستقلٍّ .

أ . محتوى التربية والتزكية ومضمونها مرتباً :

١ - تعليم الهدى ودين الحق .

٢ - التربية على العمل به .

٣ - التربية على الدعوة إليه .

٤ - التربية على الصبر والتواصي به .

والتعليم يبدأ بالتحديد والإيمان ، ثم بتعليم الأعمال وأحكامها .

وأما معنى الهدى ودين الحق ، فقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ^(١) .

قال الحافظ ابن كثير : « فالهدى هو ما جاء به من الإخبارات الصادقة ، والإيمان الصحيح ، والعلم النافع . ودين الحق هو الأعمال الصالحة الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة . ليُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ . أي على سائر الأديان » ^(٢) .

(١) التوبة : الآية (٣٣) .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٣٦٣/٢ .

ب . شواهد المضمون والترتيب :

قال الله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرَ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ
وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ .

فهذه أربع مراتب ، قال الشوكاني : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ ﴾ : أي جمعوا بين الإيمان بالله والعمل الصالح . ﴿ وَتَوَاصَوْا
بِالْحَقِّ ﴾ أي وصى بعضهم بعضاً بالحق الذي يحق القيام به ، وهو
الإيمان بالله والتوحيد ، والقيام بما شرعه الله ، واجتناب ما نهى عنه .
﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ عن معاصي الله سبحانه ، والصبر على فرائضه ،
والصبر على أقداره المولدة ، والصبر من خصال الخير ؛ نص عليه بعد
النص على خصال التواصي بالحق ، ولمزيد شرفه عليها وارتفاع طبقتة
عنها . ولأن كثيراً ممن يقوم بالحق يُعادي فيحتاج إلى صبر « (١) .

وقال ابن القيم : « فتضمنت الآية جميع مراتب الكمال الإنساني ،
من العلم النافع والعمل الصالح ، والإحسان إلى نفسه بذلك ، وإلى
أخيه به وانقياده وقبوله لمن يأمره بذلك » (٢) .

(١) فتح القدير للشوكاني ، عن زبدة التفسير من فتح القدير للأشقر ، ص ٨٢١ ،
باختصار .

(٢) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ، ص ٨٦ .

وقال الحافظ ابن كثير : « العصر : الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خيرٍ وشرٍّ ، فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر ، أي في خسارةٍ وهلاك ، فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بجوارحهم ، وهو أداء الطاعات وترك المحرمات ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ أي على المصائب والأقدار ، وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر » (١) .

وقد ذهب ابن القيم - رحمه الله - إلى التقسيم والترتيب نفسه ، واعتبره مراتب جهاد النفس ، فقال :

١ - أن يجاهدتها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ، ومتى فاتها علمه ، شقيت في الدارين .

٢ - أن يجاهدتها على العمل به بعد علمه ، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها .

٣ - أن يجاهدتها على الدعوة إليه ، وتعليمه من لا يعلمه ، وإلا كان من الذين يكتبون ما أنزل الله من الهدى والبيانات ، ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله .

٤ - أن يجاهدتها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله ، وأذى الخلق ، ويتحمل ذلك كله الله » (٢) .

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٤/٥٨٥ ، باختصار .

(٢) زاد للعاد في هدي عمير العباد لابن القيم ، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرغوط : ١٠/٣ .

وهذا فهم الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ومنهجه في دعوته ، إذ يقول :

« اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل ؛ الأولى : العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة . الثانية : العمل به . الثالثة : الدعوة إليه . الرابعة : الصبر على الأذى فيه . والدليل قوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرُ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ .

ثم قال : قال الشافعي - رحمه الله تعالى - : لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم . وقال البخاري - رحمه الله تعالى - : باب : العلم قبل القول والعمل . والدليل قوله تعالى : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذَنْبِكَ ﴾ ، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل « (١) .

وقال ابن القيم - رحمه الله - : « وتأمل حكمة القرآن لما قال : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ فإنه ضيق الاستثناء وخصصه ، فقال : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ . ولما قال : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ وسع الاستثناء وعممه ، فقال : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ولم يقل : ﴿ وَتَوَّصُوا ﴾ فإن التواصي هو أمر الغير بالإيمان والعمل الصالح ، وهو قدر زائد على مجرد فعله .

فمن لم يكن كذلك فقد خسر هذا الربح فصار في خسر ، ولا يلزم أن يكون في أسفل سافلين . فإن الإنسان قد يقوم بما يجب عليه ، ولا يأمر غيره ، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتبة زائدة ،

(١) حاشية ثلاثة الأصول : عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله - : ١٥/٩ .

وقد تكون فرضاً على الأعيان ، وقد تكون فرضاً على الكفاية ، وقد تكون مستحبة .

والتواصي بالحق يدخل فيه الحق الذي يجب ، والحق الذي يُستحب ، والصبر يدخل فيه الصبر الذي يجب ، والصبر الذي يُستحب .

فهؤلاء إذا تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر حصل لهم من الربح ما خسره أولئك الذين قاموا بما يجب عليهم في أنفسهم ، ولم يأمرؤا غيرهم به ، وإن كان أولئك لم يكونوا من الذين خسروا أنفسهم وأهليهم .

فمُطلق الخسار شيء ، والخسار المطلق شيء .

وهو سبحانه إنما قال : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ ، ومن ربح في سلعته وخسر في غيرها قد يُطلق عليه أنه في خسر ، وأنه ذو خسر ، كما قال عبداً لله بن عمر - رضي الله عنهما - : « لَقَدْ فَرَطْنَا فِي قَرَارِيطَ كَثِيرَةٍ »^(١) ، فهذا نوع تفريط ، وهو نوع خسر بالنسبة إلى من حصل ربح ذلك »^(٢) .

فالإيمان والعمل الصالح ، هو الذي جعله الله سبباً في نيل رضاه ، والفوز بدار كرامته ، والنجاة من عذابه . وقد أتبع الإيمان بالعمل الصالح في أكثر من تسعين موضعاً في القرآن الكريم ؛ تأكيداً لأهميته .

(١) البعاري : باب فضل اتباع الجنادة . قال الحافظ : أي من عدم المواظبة على

حضور الدفن ، لأن ابن عمر كان يُصلي على الميت ثم ينصرف .

(٢) التبيان في أقسام القرآن : ص ٨٥ - ٨٦ .

ومن هذه الآيات الكثيرة قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ ^(١) . وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنَ مَا أَجَبَ ﴾ ^(٣) .
وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيُكْوَلُونَ وَأَكْبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ الْإِيمَانُ تَابٌ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ^(٥) . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ^(٦) .

فالإيمان والعمل الصالح هو سبب النجاة ، لأن صاحبه هو المستثنى ممن يُرَدُّ إلى أسفل سافلين كما بين ذلك ابن القيم - رحمه الله - ،
واستشهد بالآية الكريمة : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ .

(١) يونس : الآية (٩) .

(٢) النساء : الآية (١٢٢) .

(٣) الرعد : الآية (٢٩) .

(٤) الحج : الآية (٢٣) .

(٥) الفرقان : الآية (٧٠) .

(٦) البقرة : الآية (٢٧٧) .

وفي ترتيب دعوته ﷺ ، والبدء بالأهم فالهم ، وترتيبه أصحابه ، والتدرج معهم ، وكذا تعليمه إياهم القرآن وتفسيره وتبيينه ، وتفهمه لهم ، فقد ورد كثير من الأحاديث والآثار التي تُبين طريقته ﷺ في ذلك .

ومنه ما أوصى به معاذ بن جبل ؓ عند ذهابه إلى اليمن . قال ﷺ : « ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْنَاهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْنَاهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةَ فِي أَمْوَالِهِمْ ، تُوْخَذُ مِنْ أَغْنِيَانِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ » (١) .

وفي رواية لابن عباس - رضي الله عنهما - قال ﷺ : « فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوْحِدُوا اللَّهَ تَعَالَى ... » (٢) .

وهذا منهجه ﷺ الذي سار عليه وطبقه مع أصحابه ، وأمرهم به ، وهو البدء بالأهم فالأهم ، مع التدرج .

فتعليم الإيمان مقدّم على تعليم الأحكام ، ومقدّم على الصلاة رغم أهميتها ، وتعليم الصلاة مقدّم على تعليم الزكاة ، وهكذا .

قال جندب بن عبد الله البجلي ؓ : « كنا فتياناً حزاورة مع نبيّنا ﷺ ، فتعلّمنا الإيمان قبل أن نتعلّم القرآن ، ثمّ تعلّمنا القرآن ، فازددنا إيماناً ، وإنّكم اليوم تعلّمون القرآن قبل الإيمان » (٣) .

(١) البخاريّ : الزكاة : باب وجوب الزكاة : ٥٠٥/٢ ، رقم ١٣٣١ .

(٢) البخاريّ : التوحيد : باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى : ٢٦٨٥/٦ ، رقم ٦٩٣٧ .

(٣) شعبُ الإيمان للإمام البيهقي : ٧٥/١ ، رقم ٧٥ ، وقال محرّجه محمّد

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : « لقد عشنا برهةً من دهرنا ، وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد ﷺ ، فيتعلّم حلالها وحرامها ، وما ينبغي أن يوقف عنده فيها ، كما تعلمون القرآن ، ثم قال : لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن ، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ، ما يدري ما أمره ولا زاجره ، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه ، ينثره نثر الدقل ^(١) » ^(٢) .

وعن ابن مسعود ﷺ قال : « كان الرجلُ مِنَّا إذا تعلّم عشر آياتٍ لم يجاوزهنَّ حتى يعرف معانيهن ، والعمل بهنَّ » ^(٣) .

وعن أبي عبد الرحمن : عبد الله بن حبيب السلمي قال : « حدّثنا الذين كانوا يُقرئونا : أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ ، فكانوا إذا

السيد زغلول : والحديث أخرجه ابن ماجه (٦١) عن عليّ بن عمّاد عن وكيع عن حماد بن بحيح ، وكان ثقة به دون قوله « وأنكم اليوم تعلمون القرآن قبل الإيمان » .
وأخرجه ابن منده دون الزيادة المذكورة في كتابات الإيمان (٣٧٠/١) ، برقم ٢٠٨ ، وقال أخرجه عليّ ناصر الفقيهي : حسن .

(١) الدقل من التمر ، معروف ؛ قيل : هو أردأ أنواعه ، انظر : لسان العرب لابن منظور : ٢٤٦/١١ ، مادة : دقل .

(٢) المستدرک علی الصحیحین للحاکم : ٩١/١ ، رقم ١٠١ . وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولا أعرف له علة ، ولم يخرجاه ، قال في التلخيص : على شرطهما ولا علة له .

(٣) تفسير الطبري : ٨٠/١ ، رقم ٨١ ، تحقيق أحمد ومحمود شاكر ، وقال : هذا إسناد صحيح ، وهو موقوف على ابن مسعود ولكنه مرفوع معنى لأن ابن مسعود إنما تعلّم القرآن من رسول الله ﷺ ، فهو يحكي ما كان في ذلك العهد النبوي المنير .

تعلّموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلّمنا القرآن والعمل جميعاً» (١) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، مَا نَزَلَتْ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَ نَزَلَتْ ؟ وَأَيْنَ أَنْزَلَتْ ؟ وَلَوْ أَعْلَمُ مَكَانَ أَحَدٍ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَنَالَهُ الْمَطَايَا لِأَتَيْتَهُ » (٢) .

وعن سعيد بن جبير قال : « من قرأ القرآن ثم لم يفسّره ، كان كالأعمى أو كالأعرابي » (٣) .

قال أبو جعفر الطبري - رحمه الله - : « وفي حثّ الله عز وجل عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبيّنات ، ما يدلّ على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يُحجب عنهم تأويله من آية . لأنّه مُحال أن يُقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله : اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من القيل والبيان والكلام إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه ثمّ يتدبّره ويعتبر به ، فأما قبل ذلك فمستحيل أمره بتدبره وهو بمعناه جاهل » (٤) .

(١) المصدر السابق : ٨٠/١ ، رقم ٨٢ ، وقال المحقق : هذا إسناد صحيح متصل .

(٢) تفسير الطبري : ٨٠/١ ، رقم ٨٣ ، قال محققه شاکر : أخرجه البخاريّ ، انظر : فتح الباري : ٤٥/٩ - ٤٦ ، ولفظه « تبلغه الإبل لركبت إليه » .

وانظر البخاريّ : فضائل القرآن : القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ٤/١٩١٢ ، رقم ٤٧١٦ ، (وسياتي) .

(٣) المصدر السابق : ٨١/١ ، رقم ٨٧ ، وقد وثق رجاله المحقق شاکر .

(٤) المصدر السابق : ٨٢/١ ، باختصار .

وبهذه الأحاديث والآثار تبيّن طريقة النبي ﷺ ومنهجه في تعليم الهدى ودين الحق والتربية عليه . فقد كان ﷺ يدعو إلى التوحيد أولاً . فإذا دخلوا في الإسلام وآمنوا إيماناً جملاً شرع في تعليمهم القرآن والأحكام فازدادوا إيماناً مفصلاً مع إيمانهم ، وهداية إلى هدايتهم ، وترسّخت معرفة الله في قلوبهم ومحبتة وخشيته ، وأخذوا في تعلّم الأعمال الصالحة ، فكانوا لا يتجاوزون عشر آيات في المجلس الواحد ؛ حتى يتعلّموا تلاوتها والنطق بها على الوجه الصحيح ، وما ينبغي أن يوقف عنده منها ، ويتعلّمون معانيها ، وما لم يُحجب عنهم تأويله منها ؛ فيعتبرون بأمثالها ، ويتعظون بمواعظها ، ويتعلّمون ما فيها من أحكام وحلالٍ وحرام ، وأمرٍ وزاجرٍ ، فيقفون عند حدوده ، ويأتمرون بأمره ، ويعملون بمحكمه ، ويؤمنون بمتشابهه . فلا يُغادرونها حتى يفهمونها ويعملون بما فيها من عملٍ للقلب أو الجوارح .

حتى إذا تمّ لهم ذلك انتقلوا إلى غيرها من الآيات ، وبهذا يتبين أنهم لم يكونوا يأخذوا القرآن سرداً لا يفهمون معانيه ، ولا يتدبرونه ولا يعملون به . أو يأخذونه وكأنه شيئاً مستقلاً معزولاً عن العمل كأن أخذهم له هو العمل . فلا هذا ولا ذاك ؛ وإنما يأخذون العلم منه ﷺ ، ويشاهدون مثالاً واقعياً ، وتطبيقاً عملياً أمامهم ، فيقتدون به ويتمرسون خطاه ، ويتأسّون بقوله وعمله وتقريره . فيطبّقونه على الفور ، ولا يُرجعون العمل به ليستكملوا العلم ، كما يزعم فئات من الناس في هذه الأعصار .

وكان ﷺ مع ذلك يحثهم على العلم وطلبه ، وعلى العمل الصالح ، ويرغبهم فيه ، ويحضّهم عليه ، ويُبشّرهم بما أعدّ الله لهم ، إن هم

أطاعوه ، وينذرهم ويخوفهم غضبه وعقابه إن هم عصوه . ويحثهم على الدعوة إليه والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

وهكذا سار ﷺ مع أصحابه في تربيته العلمية والعملية ، يجمع بين العلم والعمل ، والدعوة والجهاد ، وسائر أعمال البر ، كلُّ بما يستطيع . مبتدئاً بالأهم فالهمم مع التدرج فيه . فالتوحيد والإيمان أولاً ، ثم تعليم الأحكام والأعمال الصالحة ؛ كما هو ظاهر حديث جندب بن عبد الله ﷺ ، مع إصلاح القلب - أداة التعلم - ليصلح لتلقي العلم وترجمته إلى عمل ، وتزكية النفس من الرذائل ، والتربية على الأدب ومكارم الأخلاق . ثم الدعوة والتواصي بالحق الذي علموه وعملوا به . والتواصي بالصبر على تعلم هذا الحق والعمل به ، والدعوة إليه ، والجهاد لنشره ، والصبر على ما ينالهم من الأذى والعنت في ذلك .

وتهيئتهم التهيئة الأخلاقية الاجتماعية للعيش في جماعة متعاونة على البر والتقوى ، فخرَّج ﷺ من مدرسة النبوة جيلاً فريداً مجاهداً ، قد أحكم العلم والعمل معاً . وفيما يلي فصول هذا الباب ومباحثه ، وأولها تعليم الهدى ودين الحق .



الفصل الأول

التربية والتزكية النبوية

المبحث الأول : (تعليم الوهاب ومعين الحق) .

المطلب الأول : (تعليم الهدى) .

المسلك الأول : الدعوة إلى التوحيد^(١) :

أمر الله رُسُلَه بدعوة أقوامهم إلى التوحيد فقال ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾^(٢) .

وأمرهم بعبادته وحده ، فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾^(٣) .

وقال : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّابِ ﴾^(٤) ، والآيات في هذا كثيرة . وأمر النبي ﷺ معاذًا حين أرسله إلى اليمن أن يبدأ بدعوتهم إلى التوحيد ، فقال ﷺ : « فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله ... »^(٥) .

(١) هذا المسلك محلّه في دعوة غير المسلمين ، وإنما وُضع هنا لاكتمال الموضوع في

مكان واحد ، لذا فسيكون على سبيل الإيجاز .

(٢) الأنبياء : الآية (٢٥) .

(٣) الأعراف : الآية (٥٩) .

(٤) هود : الآية (٥٠) .

(٥) البخاريّ : التوحيد : باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك

وتعالى : ٢٦٨٥/٦ ، رقم ٦٩٣٧ .

وقال ﷺ : « إنا معشر الأنبياء ديننا واحد ، والشرائع مختلفة » .
والدين الواحد هو التوحيد والإيمان .

فحياة نبينا ﷺ منذ أن أرسل تدل على بدايته بالتوحيد واهتمامه به وأنه أصل الأصول ، والمقصود الأعظم من دعوته ﷺ ، وهو أصل التزكية وأساسها ، ذلك أن التوحيد والإيمان أعظم الحسنات وجميع الفضائل تنبع منه ، وأعظم السيئات الكفر ، ومنه تنبع جميع الرذائل فليس بعد الكفر ذنب ، فالبدء بإزالته فرض لازم ، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « إن أعظم الحسنات هو الإيمان بالله ورسوله ، وأعظم السيئات الكفر » ^(١) ، « وإن فعل الحسنات يوجب ترك السيئات » ^(٢) ، « وذلك لأن من فعل ما أمر به من الإيمان والعمل الصالح قد يمتنع بذلك عما نهى عنه من وجهين : إما من جهة اجتماعهما ، فإن الإيمان ضد الكفر ، والعمل الصالح ضد السيئ ، فلا يكون مصدقاً مكذباً ، محباً مبغضاً . وإما من جهة اقتصادية الحسنة ترك السيئة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ ، وهذا محسوس فإن الإنسان إذا قرأ القرآن وتدبره كان ذلك من أقوى الأسباب . المانعة له من المعاصي أو بعضها ، وكذلك الصوم جنة ، وكذلك نفس الإيمان بتحريم المحرمات وبعذاب الله عليها يصد القلب عن إرادتها ، فالحسنات إما ضد السيئات ، وإما مانعة منها ، فهي إما ضد وإما صد » ^(٣) .

(١) الفتاوى : ٨٦/٢٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٣) المصدر السابق : ١٢٣/٢٠ - ١٢٤ .

وكذلك فإن جميع الأعمال والفضائل وأنواع التزكيات الكثيرة ،
كلها ليس لها قيمة بدون الإيمان ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا
مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ نَبْأَ مُثَوِّرًا ﴾ ^(١) . وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ
حَبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(٢) . وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ مِّمَّاءٍ يَظُنُّهَا الْبَاطِلُ أَنَّهَا غَائِبَةٌ لَّمَّا جَاءَهُمْ لَمَّ يَبْعَثُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ
عِنْدَهُ فَوْقَهُمْ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ^(٣) .

ولأن الإيمان سبب في هداية القلب ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ
بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ ^(٤) ، وإذا اهتدى القلب فالجوارح تابعة له . قال ﷺ :
« أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ » ^(٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَحَابَهُ ﴾ ^(٦) ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا
زَادَتْهُمْ حُسْنًا وَأَتَاهُمْ تَهْوَاهُمْ ﴾ ^(٧) ، وقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا
لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ ^(٨) .

فمن يجاهد لمعرفة الطريق الموصلة إلى الله فسيهديه الله لا محالة .
وحصول الهداية يحتاج إلى إيمان مجمل ومجاهدة في الله . فذلك أحد
الأسباب الداعية إلى البدء بالدعوة إلى التوحيد ، وهذا كان ظاهر سيرة
المصطفى ﷺ .

(١) الفرقان : الآية (٢٣) .

(٢) المائدة : الآية (٥) .

(٣) التغابن : الآية (١١) .

(٤) النور : الآية (٣٩) .

(٥) البخاري : الإيمان : باب فضل من استبرأ لدينه : ٢٨/١ ، رقم ٥٢ .

(٦) الرعد : الآية (٢٧) .

(٧) محمد : الآية (١٧) .

(٨) العنكبوت : الآية (٦٩) .

التطبيقات النبوية :

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة : « وقال ابن خزيمة حدثنا رجاء العذري - حدثنا عمران بن خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين ، حدثني أبي عن أبيه عند جدّه - أنّ قريشاً جاءت إلى الحصين وكانت تعظّمه ، فقالوا له : كلّم لنا هذا الرجل فإنه يذكر آلهتنا ويسبّهم ، فجاجعوا معه حتى جلسوا قريباً من باب النبي ﷺ ، فقال : أوسعوا للشيخ ، وعمران وأصحابه متوافرون ، فقال : حصين : ما هذا الذي بلغنا عنك ؟ إنك تشتم آلهتنا وتذكرهم وقد كان أبوك حصين (١) خيراً لقومه منك ، فقال : يا حصين إنّ أبي وأباك في النار . يا حصين كم تعبد من إله ؟ قال : سبعا في الأرض وواحداً في السماء .

قال : فإذا أصابك الضر من تدعو ؟ قال : الذي في السماء .

قال : فإذا هلك العال من تدعو ؟ قال : الذي في السماء .

قال : فيستجيب لك وحده وتشرّكهم معه ؟ أرضيته في الشكر أم تخاف أن يغلب عليك ؟ قال : ولا واحدة من هاتين . قال : وعلمت أني لم أكلم مثله .

قال : يا حصين أسلم تسلم ، قال : إنّ لي قوماً وعشيرة ، فماذا أقول ؟

(١) والصحيح ما رواه النسائي في اليوم والليلة عن عمران بن حصين عن أبيه أنه أتى النبي ﷺ فقال : يا محمد ، عبدالمطلب كان خيراً لقومه منك ... الحديث . وفيه ذكر إسلامه ، وتابعهما شيان بن عبدالرحمن وغيره عن منصور ، انظر : تهذيب الكمال للمزي ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، عن مؤسسة الرسالة : ٥٢٥/٦ ، رقم ١٣٦٢ .

قال : قل : اللهم اني استهديك لأرشد أمري ، وزدني علماً ينفعني ،
فقالها حصين . فلم يقم حتى أسلم ، فقام إليه عمران فقبل رأسه ويديه
ورجليه ، فلما رأى ذلك النبي ﷺ بكى ، وقال : بكيت من صنع عمران ،
دخل حصين وهو كافر فلم يقم إليه عمران ولم يلتفت ناحيته ، فلما أسلم
قضى حقه ، فدخلني من ذلك الرقة ؛ فلما أراد حصين أن يخرج قال
لأصحابه : قوموا فشيّعوه إلى منزله ، فلما خرج من سدة الباب رآته
قريش فقالوا : صبا ؛ وتفرقوا عنه « (١) .

هذا الحديث نصٌ تطبيقي عملي في الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك
والكفر بالطاغوت ، وشاهد على حكمته ﷺ في الدعوة ، يتضح ذلك
من عدة أمور :

(١) الإصابة في تمييز الصحابة : طبعة دار الكتب العلمية : ٧٦/٢ ، رقم الترجمة ١٧٤٠ ،
وقال : اختلف في إسلامه ، وذكر رواية للنسائي وفيها « فما أقول الآن وأنا
مسلم ؟ » ، وقال : وسنده صحيح من الطريقتين ، وذكر عن الطبراني أنه قال :
الصحيح أن حصينا أسلم .

وذكر بشار عواد في تعليقه على تهذيب الكمال : بل الصواب أنه أسلم ، قال ابن
حجر : « ومما يُعضد ذلك رواية أبي معاوية عن شبيب بن شيبه عن الحسن عن
عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله ﷺ لأبي : يا حصين كم تعب اليوم إلهاً ،
قال : سبعة ؛ ستة في الأرض وواحد في السماء ... الحديث » ، قال : فلما أسلم
حصين قال الرسول ﷺ علمني الكلمتين ... الحديث أخرجه الترمذي من حديث
أبي معاوية ، وقال : حسن غريب ، وقال الطبراني ، تفرد به أبو معاوية ، قال :
قلت : وهو شاهد جيد لحديث إسرائيل . وقال ابن سعد في الطبقات : عمران بن
حصين أسلم قديماً هو وأبوه وأخته « تهذيب : ٣٨٢/٢ . انظر : تهذيب الكمال ،
الحاشية : ٥٢٦/٦ .

منها تَلَطَّفَهُ ﷺ بِالرَّجُلِ وَإِنْزَالَهُ مِنْزَلَتَهُ فِي قَوْمِهِ إِذْ كَانَتْ قَرِيشَ تَعْظُمُهُ كَمَا ذُكِرَ فِي مَقْدَمَتِهِ ، فَأَمَرَ بِالتَّوَسُّعَةِ لَهُ ، وَلَقَّبَهُ بِأَحْسَنِ الْأَلْقَابِ لِمَكَانَتِهِ وَكِبَرِ سِنَتِهِ فَقَالَ : « أَوْسَعُوا لِلشَّيْخِ » تَمْهِيدًا لِحُذْبِ قَلْبِهِ لِلْإِسْلَامِ .

ومنها إخباره ﷺ بالمغيبات تنبيهاً لحصين على ترك دين الآباء والأجداد وتخويفاً له من المصير الذي وقع فيه أبوه ، والإخبار بالمغيبات مع علمه بصدقه ينشئ هيبة ووقار في قلب المخاطب .

ومنها فهم النبي ﷺ بأحوال الناس ومعتقداتهم ، والدخول إليهم من خلالها .

ومنها وأهمها الإقناع العقلي والحوار الذي دار بين النبي ﷺ وبينه وإقناعه بتهافت الأصنام وضآلتها وعدم نفعها أنفوساً فضلاً عن نفع من يعبدها . وترك له الإجابة وأجأه إلى التفكير بطريقة صحيحة والحكم بالعدل عندما عقد المقارنة ، بعد أن اجتث المفاهيم الوثنية وطهر عقله منها .

وفي الحديث : تثبت النبي ﷺ له ودعمه لإسلامه ، وذلك بأمره أصحابه بتشيعه ، وكذلك تحقق صورة البراء والولاء لهذا الدين من عمران ؑ .

وفيه أيضاً رِقَّةُ النَّبِيِّ ﷺ وَشَفَقَتُهُ بِأَصْحَابِهِ وَحُبُّهُ لَهُمْ .

أخرج الحاكم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : انطلق أبو ذرٍّ ونعيم ابن عمِّ أبي ذرٍّ وأنا معهم نطلب رسول الله ﷺ وهو بالجبل مكتوم ، فقال أبو ذرٍّ : يا محمد أتيناك نسمع ما تقول وإلى ما تدعو ، فقال رسول الله ﷺ : أقول : لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله ، فأمن

أبو ذرٍّ وصاحبه ، وآمنت به ، وكان عليّ في حاجة لرسول الله ﷺ أرسله فيها ، وأوحى إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين وصلى عليّ يوم الثلاثاء» (١) .

لم يجب النبي ﷺ أبا ذرٍّ عندما سأله إلى ما تدعو ، إلا بالتوحيد شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله ﷺ . وقد يقرن به بعض شعب الإيمان كصلة الأرحام . فهذا عمرو بن عبّسة يخبر عن قصة إسلامه ، يقول : « ... فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ . فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَحْفِيًا جُرَّاءَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَنْتَ ؟ (٢) قَالَ : أَنَا نَبِيٌّ فَقُلْتُ : وَمَا نَبِيٌّ ؟ قَالَ : أَرْسَلَنِي اللَّهُ ، فَقُلْتُ : وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ : أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ ، وَأَنْ يُوَحِّدَ اللَّهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْءٌ ، قُلْتُ لَهُ : فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : حَزْرُ وَعَبْدٌ ، قَالَ وَمَعَهُ يَوْمئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ ، فَقُلْتُ : إِنِّي مُتَّبِعُكَ ، قَالَ : إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا ، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ ؟ وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ . فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي . قَالَ : فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي ... » (٣) .

(١) المستدرک للحاکم : ١٢١/٣ ، رقم ٤٥٨٦ ، وقال الحاکم : « صحیح الإسناد ولم یخرجاه » ، قال فی التلخیص : صحیح .

(٢) قال محمد فواد عبد الباقي : هكذا في الأصول ، ما أنت . وإنما قال : ما أنت ، ولم يقل : من أنت ، لأنه سأله عن صفته لا عن ذاته . والصفات مما لا يعقل . انظر : صحیح مسلم : ٥٦٩/١ .

(٣) صحیح مسلم : کتاب صلاة المسافرین وقصرها ، باب إسلام عمرو بن عبّسة : ٥٦٩/١ ، ح ٨٣٢ .

قال النووي - رحمه الله - في شرحه على مسلم : « فيه دلالة ظاهرة على الحث على صلة الأرحام ؛ لأن النبي ﷺ قرنها بالتوحيد ، ولم يذكر له حزبات الأمور ، وإنما ذكر مهمتها ، وبدأ بالصلة » (١) .
وبدأته ﷺ بصلة الأرحام تمهيداً للمقصود الأعظم ، فالعرب تحب مكارم الأخلاق ، كالشجاعة والكرم ، والوفاء بالوعد والعهد وحمي الذمار وصلة الأرحام . فبدأ بخلق معروف ومحبوب عندهم - وهو حق في ذاته ، فقد عدّه البيهقي إحدى شعب الإيمان (٢) - تألفاً لقلبه وترقيقاً له لتشرح نفسه لتقبل المقصود الأعظم ، وهو التوحيد والإيمان بالله ورسوله إيماناً جمللاً يدخله في الإسلام وينقله من دائرة الكفر إلى حضرة الإيمان .

والإيمان على سبيل الإجمال « الإيمان المجمل » قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « أما الإجمال فإنه يجب على المكلف أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، وما أمر به الرسول ونهى ؛ بحيث يقرّ بجميع ما أخبر به وما أمر به . فلا بُدّ من تصديقه فيما أخبر ؛ والانقياد له فيما أمر ، « والكف عما نهى عنه وزجر » (٣) » (٤) .

« وأما التفصيل فعلى كل مكلف أن يقرّ بما ثبت عنده ؛ من أن

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : كتاب صلاة المسافرين : باب إسلام

عمرو بن عبسة : ٥ ، ٣٥٥/٦ ، رقم ١٩٢٧ .

(٢) انظر : شعب الإيمان للبيهقي : ٢١٣/٦ ، الشعبة رقم ٥٦ ، طبعة دار الكتب

العلمية ، بيروت .

(٣) هذه زيادة لا بُدّ منها ليكمل المعنى .

(٤) الفتاوى : ٣ : مجمل اعتقاد السلف . ص ٣٢٧ .

الرسول ﷺ أخبر به وأمر به ، وأما ما أخبر به الرسول ولم يبلغه أنه أخبر به ؛ ولم يمكنه العلم بذلك ؛ فهو لا يُعاقب على ترك الإقرار به منفصلاً ، وهو داخل في إقراره بالمحمل العام ، ثم إن قال خلاف ذلك متأولاً كان مخطئاً يُغفر له خطأه ؛ إذا لم يحصل منه تفريط ولا عُدوان ، ولهذا يجب على العلماء من الاعتقاد ما لا يجب على آحاد العامة ، ويجب على من نشأ بدار علم وإيمان من ذلك ما لا يجب على من نشأ بدار جهل . وأما ما علم ثبوته بمجرد القياس العقلي دون الرسالة ؛ فهذا لا يُعاقب إن لم يعتقد « (١) .

وروى الإمام أبي بكر محمد بن الحسين الأجرى بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « إِنَّ اللَّهَ ﷻ بَعَثَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَلَمَّا صَدَّقَ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ زَادَهُمُ الصَّلَاةَ ، فَلَمَّا صَدَّقُوا بِهَا زَادَهُمُ الصِّيَامَ ، فَلَمَّا صَدَّقُوا بِهِ زَادَهُمُ الزَّكَاةَ ، فَلَمَّا صَدَّقُوا بِهَا زَادَهُمُ الْحَجَّ ، فَلَمَّا صَدَّقُوا بِهِ زَادَهُمُ الْجِهَادَ ، ثُمَّ أَكْمَلَ لَهُمْ دِينَهُمْ ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا سُبْحَانَهُ : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ » (٢) .

وروى بسنده أيضاً عن أبي عبد الله محمد بن عبد الملك المصيبي قال : « كُنَّا عِنْدَ سَفِيَّانَ بْنِ عَيْبَةَ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْإِيمَانِ ؟ فَقَالَ : قَوْلٌ وَعَمَلٌ ، قَالَ : يَزِيدُ وَيَنْقُصُ ؟ قَالَ : يَزِيدُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَيَنْقُصُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ مِثْلُ هَذِهِ ، وَأَشَارَ سَفِيَّانُ بِيَدِهِ .

(١) المصدر السابق في الموضوع نفسه ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

(٢) الشريعة للأجرى : تحقيق محمد حامد الفقي : دار الكتب العلمية ، ص ١٠٢ .

قال الرجل : كيف نصنع بقوم عندنا يزعمون أن الإيمان قولٌ بلا عمل ؟
 قال سفيان : كان القول قولهم قبل أن تقرّر أحكام الإيمان وحدوده .
 إنَّ الله ﷻ بعث نبينا محمداً ﷺ إلى الناس كلهم كافة أن يقولوا :
 لا إله إلا الله ، وأنه رسول الله ، فلما قالوها ، عصموا بها دماءهم
 وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله ﷻ ، فلما علم الله ﷻ صدق
 ذلك من قلوبهم ، أمره أن يأمرهم بالصلاة ، فأمرهم ففعلوا ، فوالله لو
 لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأوّل ولا صلاتهم .

فلما علم الله جلّ وعلا صدق ذلك من قلوبهم ، أمره أن يأمرهم
 بالهجرة إلى المدينة ، فأمرهم ففعلوا ، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم
 الإقرار الأوّل ولا صلاتهم .

فلما علم الله تبارك وتعالى صدق ذلك من قلوبهم ، أمرهم
 بالرجوع إلى مكة ليقاتلوا آباءهم وأبناءهم ، حتى يقولوا كقولهم ،
 ويصلّوا صلاتهم ، ويهاجروا هجرتهم ، فأمرهم ففعلوا ، حتى أتى
 أحدهم برأس أبيه ، فقال : يا رسول الله ، هذا رأس شيخ الكافرين ،
 فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأوّل ولا صلاتهم ، ولا هجرتهم ،
 ولا قتالهم .

فلما علم الله ﷻ صدق ذلك من قلوبهم ، أمره أن يأمرهم
 بالطواف بالبيت تعبداً ، وأن يخلقوا رؤوسهم تذلاً ، ففعلوا ، فوالله لو
 لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأوّل ولا صلاتهم ، ولا هجرتهم ، ولا
 قتلهم آباءهم .

فلما علم الله ﷻ صدق ذلك من قلوبهم ، أمره أن يأخذ من
 أموالهم صدقة يطهّروا بها ، فأمرهم ففعلوا ، حتى أتوا بها ، قليلها

وكثيرها ، والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم ، ولا هجرتهم ، ولا قتلهم آباءهم ، ولا طوافهم .

فلما علم الله تبارك وتعالى الصدق من قلوبهم فيما تتابع عليهم من شرائع الإيمان وحدوده ، قال ﷺ : قل لهم : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

قال سفيان : فمن ترك خلة من خلال الإيمان كان بها عندنا كافراً ، ومن تركها كسلاً أو تهاوناً بها أدبناه ، وكان بها عندنا ناقصاً ، هكذا السنة أبلغها عني من سألك من الناس «^(١) .



(١) الشريعة للأجرى ، ص ١٠٣ - ١٠٤ بتمامه لأهميته .

المسألة الثاني: (التربية النبوية على تحقيق التوحيد) :

المسألة الأولى : معرفة التوحيد ، وكيفية التحقق به ، وقول الله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ... ﴾ :

تحقيق التوحيد هو هدف التربية النبوية ؛ ولا يتحقق إلا بأمرين :

الأول : معرفته والتحقق به ، والثاني : تجريده .

فأما معرفته والتحقق به : فإنَّ التوحيد : « وهو مناقض التثليث الذي تعتقده النصارى »^(١) هو : إفراد الله بالعبادة . بمقتضى ربوبيته وأسمائه وصفاته ، وأفعاله وإلهيته . وهو ثلاثة أقسام :

توحيد الربوبية :

« هو توحيد الله بأفعاله »^(٢) ، واعتقاد تفرده واختصاصه بها دون شريك ، « فيعتقد أنه المتفرد بالخلق والملك والتدبير »^(٣) ، « وصاحب هذا التوحيد يشهد قيومية الرب تبارك وتعالى فوق عرشه يُدبّر أمر عباده وحده ، فلا خالق ولا رازق ولا معطي ولا مانع ولا مميت ، ولا محيي ولا مدبّر لأمر المملكة ظاهراً وباطناً غيره ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه ، ولا يجري حادث إلا بمشيئته ، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه ، ولا يعزّب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض إلا وقد أحصاها علمه وأحاطت بها قدرته ، ونفذت فيها مشيئته واقتضتها حكمته »^(٤) .

(١) تجريد التوحيد المفيد ، للمقرئزي ، ص ٤٥ .

(٢) مجموعة التوحيد ، لابن تيمية ، ص ٧ .

(٣) الجواب المفيد في بيان أقسام التوحيد ، ص ٨ بتصرف يسير .

(٤) بصائر ذوي التمييز ، للفيروزآبادي : ١٧٢/٥ .

فإذا ظهر للعبد من سرّ الربوبية أنّ الملك والتدبير كلّه بيد الله تعالى ، فلا يرى نفعاً ، ولا ضرراً ، ولا حركة ، ولا سكوناً ، ، ولا قبضاً ، ولا بسطاً ولا خفضاً ولا رفعاً إلاّ والله ﷻ فاعله وخالقه وقابضه وباسطه ورافعه وخافضه ، فهذا الشهود هو سرّ الكلمات الكونيات ... وهو علم صفة الربوبية « (١) .

فقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ نَسْتَعِينُ ﴾ إشارة إلى (عبادته) بما اقتضته الربوبية ؛ من التوكل والتفويض والتسليم لأنّ الربّ ﷻ هو المالك ، وفيه أيضاً معنى الربوبية والإصلاح والمالك الذي يتصرّف في ملكه كما يشاء .

والتحقيق بالتوكل والتفويض والتسليم : يكون بعد كشف علم الربوبية ، وهو علم التدبير الساري في الأكوان ؛ كما قال ﷻ : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

فإذا تحقّق العبد لهذا المشهد ، ووقفه لذلك بحيث لا يحجبه هذا المشهد عن المشهد الأوّل (يقصد مشهد الألوهية وسيأتي) فهو الفقيه في عبوديته ؛ فإنّ هذين المشهدين عليهما مدار الدين ، فإنّ جميع مشاهد الرحمة والल्प والكرم والجمال : داخل في مشهد الربوبية . ولهذا قيل : إنّ هذه الآية جمعت جميع أسرار القرآن ﴿ إِنَّكَ تَعْبُدُ وَإِنَّكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، لأنّ أولها اقتضى عبادته بالأمر والنهي والمحبة والخوف والرجاء كما ذكرنا ؛ وآخرها اقتضى عبوديته بالتفويض والتسليم وترك الاختيار وجميع العبوديات داخلة في ذلك « (٢) .

(١) الفتاوى : ٨٩/١ .

(٢) الفتاوى : ٨٩/١ - ٩٠ ، بتصرف .

« ويوجب له شهود صفات الربوبية التوكل عليه والافتقار إليه ، والاستعانة به ، والذل والخضوع والانكسار له ، وكمال ذلك أن يشهد ربوبيته في إلهيته ، وإلهيته في ربوبيته ، وحمده في ملكه ، وعزّه في عفوه ، ونعمته في بلائه » (١) .

توحيد الألوهية :

وهو توحيد الله بأفعال العباد ، كالدعاء ، والنذر ، والنحر ، والرجاء ، والخوف ، والتوكل ، والرغبة ، والرغبة ، والإجابة « (٢) ، « والمحبة والأمر والنهي » (٣) ، وهو توحيد الله بالعبادة .

وحقيقته « فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمَسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ لِدَاتِهِ : لِأَنَّهُ الْمَأْلُوهُ الْمَعْبُودُ » ، الذي تأله القلوب وترغب إليه ، وتفزع إليه عند الشدائد ، وما سواه فهو مفتقرٌ مقهورٌ بالعبودية فكيف يصلح أن يكون إلهاً؟! قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ فقوله تعالى : ﴿ إِنَّا كَتَبْنَا عَلَيْكَ الْحِسَابَ وَإِنَّا كَوْنًا لَمَحْسَبَاتُ الْمَنَّانِينَ ﴾ إشارة إلى عبادته بما اقتضته إلهيته : من المحبة والخوف والرجاء والأمر والنهي ، فهذا الشهود هو سرّ الكلمات التكليفية ... هو علم صفة الإلهية ، فالتحقيق بالأمر والنهي ، والمحبة والخوف والرجاء يكون عن كشف علم الإلهية « (٤) .

أي أن هذا التوحيد ينشأ من استحضار العبد معاني الألوهية واستحقاق الله للعبادة لما هو عليه بذاته وجلاله .

(١) الفوائد ، ص ٩٣ .

(٢) مجموعة التوحيد لابن تيمية ، ص ٧ .

(٣) الفتاوى : ١/ ٨٩ .

(٤) المرجع السابق في الموضوع نفسه مع تقديم وتأخير .

قال ابن الأثير : (وأصله من إله يأله ، إذا تحير) يريد إذا وقع العبد في عظمة الله وجلاله وغير ذلك من صفات الربوبية وصرف وهمه إليها ، أبغض الناس حتى لا يميل قلبه إلى أحد « (١) .

فأله ﷻ هو الإله الحق المتّصف بصفات الجمال والكمال ، صفات الألوهية الكاملة القائم بذاته سبحانه الغنيّ عمّن سواه ، وكلّ من سواه فقير ومحتاج إليه .

فطرت القلوب على محبته والتعلق به ، وجُبلت على الاضطراب وعدم الاستقرار حتى توحد بالعبادة ، فتستقرّ وتطمئن وتهدأ من حركتها الدؤوبة ، فهو المحبوب المألوه بذاته ، وهو مفرغ عباده عند الشدائد ولا يصلح غيره لهذا ، فغيره محتاج إليه بالاضطرار ، « ومبنى هذه العبادة على شيئين : المحبة والتعظيم ، ففي المحبة يكون الرجاء وفعل الأوامر طلباً للوصول إلى محبة الله ﷻ وثوابه ، والتعظيم به يترك الإنسان المناهي التي نهى الله عنها ويخاف من عقابه « (٢) ، ذلك أن القلوب إذا عظمت الله وأجلته ، وهابته وخشيتة ؛ فعظمت أمره ونهيه وشرائعه وامتلئت أوامره واجتنبت مناهيه وهذه هي العبادة ، إذ حقيقة العبادة هي كمال المحبة مع غاية الذل .

توحيد الذات والأسماء والصفات :

هو إفراد الله في ذاته وأسمائه وصفاته بإثبات ما أثبتته لنفسه أو أثبتته رسوله ﷺ ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو رسوله إثباتاً بلا تمثيل ، ونفياً بلا تعطيل .

(١) لسان العرب : ٤٦٧/١٣ ، مادة إله .

(٢) الجواب المفيد في بيان أقسام التوحيد ، ص ١٦ .

وتعبده بأسمائه وصفاته لقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ ، والدعاء يتضمن دعاء العبادة ، ودعاء المسألة .

وأما الصفات فقد دلّ عليها إقراره ﷺ لقول الصحابي في الحديث الذي أخرجه البخاري في سورة الإخلاص أنها صفة الربّ وأنه يحبها لأنها صفة الله ، وقد أحبه الله لحبه لها .

قال ابن القيم - رحمه الله - في الفوائد : « كل اسم له تعبّد مختص به علماً ومعرفة وحالاً . فيتعبّد بجميع الأسماء والصفات لا تحجبه عبودية اسم عن اسم ، ولا صفة عن صفة . وهذه طريقة العبادة عند الكمل من الناس » (١) .

كيفية التحقق بالتوحيد :

جماع أنواع التوحيد كلها في توحيد العبادة لله بمقتضى ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .

قال ﷺ لأبي هريرة « اذْهَبْ بِنَعْلَيْ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَاظِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشْرَةٌ بِالْجَنَّةِ » (٢) ، وفي لفظ « مُخْلِصًا » (٣) ، وفي بعضها : « حَقًّا مِنْ قَلْبِهِ » (٤) .

(١) مدارج السالكين : ٤٢٠/١ .

(٢) مسلم : ٥٩/١ ، ٦٠ ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أنّ من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، ح ٣١ .

(٣) أخرجه أحمد : ٢٣٦/٥ ، والحميدي ٣٦٩ ، ومن طريقه الطبراني في الكبير : ٦٣/٢٠ ، وابن منده في الإيمان : ١١١/١ ، وأبو نعيم في الحلية : ٣١٢/٧ ، كل ذلك عن (كلمة الإخلاص وتحقيق معناها) تخريج عماد طه فرّه ، ص ٢٥ .

(٤) أحمد : ٦٣/١ ، وابن جبان في صحيحه : ٢٠٤/١ ، والحاكم : ٧٢/١ عن المرجع السابق ، ص ٢٦ .

قال الحافظ ابن رجب : وهذا كله إشارة إلى عمل القلب وتحقيقه بمعنى الشهادتين : فتحقيقه بقول لا إله إلا الله ؛ أن لا ياله القلب غير الله حبا ورجاء ، وخوفا ، وتوكلا واستعانة وخضوعا ، وإنابة ، وطلباً . وتحقيقه بأن محمداً رسول الله ، أن لا يعبد الله بغير ما شرعه الله على لسان محمد ﷺ .

ثم قال في تحقيق كلمة الإخلاص : « وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد : لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له غير الله ، والإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبه له وإجلالاً ، ومحبة وخوفاً . ورجاء وتوكلاً عليه ، وسؤالاً منه ودعاءً له ، ولا يصلح ذلك كله لغير الله ﷻ ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول لا إله إلا الله ، ونقصاً في توحيدته ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك . ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه أو التوكل عليه والعمل لأجله كما ورد إطلاق الشرك على الرياء ، وعلى الحلف بغير الله ، وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه ، وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة ، مثل أن يقول : ما شاء الله وشاء فلان ، وكذا قوله : مالي إلا الله وأنت ، وكذلك ما يقدر في التوحيد وتفرد الله بالنفع والضرر كالطيرة ، والرقي المكرهة ، وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون ، وكذا اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قاذح في تمام التوحيد وكماله . ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشؤها هوى النفس أنها كفر وشرك كقتال المسلم » (١) .

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب ، تخریج عماد طه فرّه ، ص ٢٧ - ٣٣ .

وقال ابن رجب - رحمه الله - : « اجتهدوا اليوم في تحقيق التوحيد فإنه لا يوصل إلى الله سواه ، واحرصوا على القيام بحقوقه ، فإنه لا يُنجي من عذاب الله إلا إياه » (١) .

فالتحقق بتوحيد الربوبية يتم : باستحضار عظمة الله ﷻ وأنه رب العالمين ، وأنه خالقهم ورازقهم ومالكهم ومدبر شئونهم . قال الإمام المقرئ - رحمه الله - : « فإنَّ الربَّ ﷻ هو الخالق الموجد لعباده ، القائم بتربيتهم وإصلاحهم ، المتكفل بصلاحهم ، من خلقت ورزق وعافية وإصلاح دين ودنيا » (٢) .

فإذا استحضر العبد أنه ربّ العزّة والجلال والعظمة والكبرياء ، وتذكّر هذه المعاني بحضور قلب خضع قلبه وذلت نفسه لعظمته .

وأضاف ابن القيم - رحمه الله - : « والانكسار لعزّته والخضوع لكبريائه وخشوع القلب والجوارح له ، فتعلوه السكينة والوقار في قلبه ولسانه وجوارحه وسمته ، ويذهب طيشه وقوّته وحدّته » (٣) .

وإذا استحضر كفاية الله وحسبه ؛ « والقيام بمصالح العباد ، وسوق أرزاقهم إليهم ونصره لأولياته وحمايته لهم ومعيته الخاصة لهم انبعثت من العبد قوّة التوكّل عليه والتفويض إليه والرضا به وبكل ما يجريه على عبده » (٤) .

(١) التمهيد في الكلام على التوحيد ، لجمال الدين يوسف بن عبدالمهدي الدمشقي

الحنبلي ، ص ٢٢٢ . قال المحقق : هي في شرح كلمة الإخلاص ، ص ٥٤ .

(٢) تجريد التوحيد المفيد للمقرئ ، ص ٤٣ .

(٣) الفوائد ، ص ٩٢ .

(٤) الفوائد ، ص ٩٢ .

وإذا استحضر العبد وتذكر عدل الله وحكمته في قضائه وقدره وبسطه الرزق لمن يشاء وقبضه عن غيره . وبسطه العلم والجسم لبعض ، وإيتائه الملك لمن يشاء من عباده ونزعه ممن يشاء ، وإملائه للظالم على ظلمه ، ومدّه له بالقوة والمال ، ورفع له لأقوام وخفضه لآخرين ؛ عَلِمَ أن الله في خلقه شئون وله حكمته فيهم فسلم واستسلم وفوض أمره إلى الله ﷻ ورضي بقضاء الله وقدره .

فتوحيد الله في عبادته من جهة صفات ربوبيته تقتضي التوكل عليه والتفويض إليه ، والتسليم والافتقار واللجأ إليه ، والانكسار والخضوع والتذلل له ، والاستعانة به .

أما التَّحَقُّقُ بتوحيد الإلهية ؛ فإنه يتم باستحضار معاني الألوهية وأن الله هو المعبود المحبوب لذاته لكونه مستحقاً للعبادة والمحبة ولا يستحقها غيره . قال ابن القيم - رحمه الله - : « وأنه يستحق أن يُعبد لذاته ويُحبُّ لذاته ويُشكر لذاته ، وليس في الوجود ما يُحبُّ لذاته ويُحمد لذاته إلا هو سبحانه ، وكلُّ ما يُحبُّ سواه ، فإن كانت محبته تابعة لمحبته سبحانه بحيث يجب لأجله ، فمحبته صحيحة ، وإلا فهي محبة باطلة .

وهذا هو حقيقة الإلهية . فإنَّ الإله الحق هو الذي يُحبُّ ويُحمد لذاته ، فكيف إذا انضاف إلى ذلك إحسانه وإنعامه وحلمه وتجاوزه وعفوه وبرّه ورحمته ؟ فعلى العبد أن يعلم أنه لا إله إلا الله ، ويحمده لذاته وكمالهِ ، ويعلم أنه لا مُحسن على الحقيقة بأصناف النعم الظاهرة والباطنة إلا هو ، فيحبه لإحسانه وإنعامه ويحمده على ذلك .

فُحِبُّهُ من الوجهين جميعاً ، وكما أنه ليس كمثل شيء فليس كمحبته محبة ، والمحبة مع الخضوع هي العبودية التي خلق الخلق

لأجلها ، فإنها غاية الحبِّ بغاية الذلِّ ولا يصلح ذلك إلا له سبحانه ، والإشراك به في هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله ولا يقبل لصاحبه عملاً» (١) .

وقال - رحمه الله - : « فإذا قام بقلبه شاهد الإلهية : رأى في ذلك الشاهد : الأمر والنهي ، والنبوات والكتب والشرائع ، والمحبة والرضى ، والكراهة والبغض ، والثواب والعقاب .

وشاهد الأمر نازلاً ثم هو مستور على عرشه وأعمال العباد صاعدة إليه ، ومعروضة عليه ؛ يجزي بالإحسان منها في هذه الدار وفي العقبى نضرة وسروراً ويقليم إلى ما لم يكن عن أمره وشرعه منها فيجعلها هباءً منثوراً» (٢) .

ولما كانت القلوب مجبولة على حُبِّ خالقها ورازقها ، والمحسن إليها والمتفضل عليها بنعمه وآلائه ، وهو ملاذها عند الفزع والشدائد ومفزعها ، فإنها إذا تذكرت هذه المعاني العظيمة واستحضرتها ؛ انجذبت إليه محبةً ورجاءً وإحباتاً وطاعة .

أما إذا تذكرت عظمته وهيئته وجلاله وعزته حصل لها الخوف والرهبه والخشية والإنابة .

ومن هذه الثلاث (المحبة ، والخوف ، والرجاء) تنبعث الاستجابة للأمر والنهي ، محبةً في المحبوب وحباً فيما يُحبه ، ورغبةً ورجاءً فيه وفيما عنده ، وخوفاً منه ومما أعدّه لمن عصاه ، وهذه هي العبادة التامة .

(١) الفوائد ، ص ٢٣٦ .

(٢) مدارج السالكين : ٢٥٥/٣ .

أما التحقق بتوحيد الأسماء والصفات : « فإنَّ العبد إذا عرف أسماء الله وصفاته ، وآمن بها واعتقدتها وأثبتها بلا تمثيل ونفى ما نفاه الله عن نفسه ورسوله بلا تعطيل ، ثمَّ تمَّ ذلك بالانقياد ، فإنَّ الله إذا تجلَّى له بصفات السمع والبصر والعلم ، انبعثت من العبد قوة الحياء فيستحي من ربه أن يراه على ما يكره أو يسمع منه ما يكره ، أو يُخفي في سريره ما يمقته عليه ، فتبقى حركاته وأقواله وخواطره موزونة بميزان الشرع غير مهملة ولا مرسلة تحت حكم الطبيعة والهوى » (١) .

ذلك أن الله ﷻ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ . « فإنَّه يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، فلا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلظه المسائل ، ولا يتبرم بالحاح الملحين ، سواء عنده من أسرُّ القول ومن جهر به ، فالسرُّ عنده علانية ، والغيب عنده شهادة ، يرى ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، ويرى نياط عروقها ، ومجاري القوت في أعضائها » (٢) .

وإذا استحضر واستذكر صفة الرحمة : « رأى الوجود كلَّه بهذه الصفة ، قد وسع من هي صفة كلِّ شيءٍ رحمةً وعلمًا ، وانتهت رحمته إلى حيث انتهى علمه . فاستوى على عرشه برحمته لتسع كلِّ شيءٍ كما وسع عرشه كلِّ شيءٍ » (٣) .

(١) الفوائد ، ص ٩٢ .

(٢) مدارج السالكين : ٢٥٣/٣ .

(٣) مدارج السالكين : ٢٥٥/٣ .

وتذكر قول النبي ﷺ : « من لا يرحم لا يُرحم ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » رقّ قلبه ولان لعباد الله ، فيرحم ضعيفهم ، ويحنو على صغيرهم ، ويعطف على فقيرهم ، فيتعبّد الله بهذه الصفة .
وهكذا سائر صفاته .

وجماع أنواع التوحيد كلّها كما قال ابن القيم - رحمه الله - :
« وكمال ذلك أن يشهد ربوبيته في إلهيته ، وإلهيته في ربوبيته ، وحمده في ملكه ، وعزّه في عفوه ، وحكمته في قضائه وقدره ، ونعمته في بلائه ، وعطاءه في منعه ، وبرّه ولطفه وإحسانه ورحمته في قيوميّته ، وعدله في انتقامه ، وجودّه وكرمه في مغفرته ، وسره وتجاوزه .
ويشهد حكمته ونعمته في أمره ونهيه ، وعزّه في رضاه وغضبه ، وحلمه في إمهاله ، وكرمه في إقباله ، وغناه في إعراضه » (١) .

(١) الفوائد ، ص ٩٣ .

المسألة الثانية : التربية النبوية على تجريد التوحيد :

لما كان تحقيق التوحيد ؛ هدف التربية والتزكية النبوية ، ولا يتم إلا بمعرفته والتحقق به وتجريده من الشرك ، فقد حرص المصطفى ﷺ على ذلك حرصاً شديداً منذ فجر دعوته ﷺ .

وكان منهجه في ذلك : الدعوة إلى التوحيد وتوضيحه وبيانه للناس والترغيب فيه وبيان ما يضاذه ويناقضه من الشرك ، والتحذير منه ، والترهيب من الوقوع فيه ، مع بيان مآل من أشرك بالله شيئاً ، وما أعدّه الله ﷻ لمن مات لا يُشرك به شيئاً . مع ضرب الأمثال واستعمال القصص .

وكذا كيفية التخلص والتجرد والبراءة من الشرك وأهله ، والارتباط بالله وحده دون وسائط ، وعبادته وحده ، والاعتماد عليه والتعلق به ، وترك الاعتماد على الناس والتعلق بهم ؛ والتفكير في المنعم الأول .

يتضح هذا المنهج من خلال دعوته ﷺ وتبليغه كتاب ربّه ﷻ وبيانه له أشدّ البيان قولاً وعملاً وتطبيقاً .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ ٨٧ ﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿ ٨٨ ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿ ٨٧ ﴾ قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلِكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ جَبْرٌ وَلَا يَجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ ٨٨ ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿ ٨٩ ﴾ بَلْ آتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿ ٩٠ ﴾ .

(١) المؤمنون : الآيات (٨٤ - ٩٠) .

قال أبو الفداء بن كثير : « يُقرّر تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ليرشد إلى أنه الله الذي لا إله إلا هو ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ، ولهذا قال لرسوله محمد ﷺ أن يقول للمشركين العابدين معه غيره المعترفين به بالربوبية وأنه لا شريك له فيها ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية فعبدوا غيره معه مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئاً ، ولا يملكون شيئاً ولا يستبدون بشيء بل اعتقدوا أنهم يقرّبونهم إليه زُلفى . فقال : ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا ﴾ أي من مالكتها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمار وسائر صنوف المخلوقات ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ أي فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له ، فإذا كان كذلك ﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أنه لا تنبغي العبادة إلا للخالق الرازق لا غيره . ﴿ قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي يديه الملك . ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ أي متصرف فيها . ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ أي وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه ، الذي له الخلق والأمر ولا معقب لحكمه الذي لا يُمانع ولا يُخالف وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وقال الله ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ أي لا يُسأل عما يفعل لعظمته وكبريائه وغلبته وقهره وعزته وحكمته وعدله فالخلق كلهم يُسألون عن أعمالهم . وقوله : ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ أي سيعترفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يُجار عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له ﴿ قُلْ فَأَلِي تَسْحَرُونَ ﴾ أي فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك . قال تعالى : ﴿ بَلْ آتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ ﴾ وهو الإعلام بأنه لا إله إلا الله وأقمنا الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أي في عبادتهم مع الله غيره ولا دليل لهم على ذلك « (١) .

(١) تفسير القرآن العظيم : ٢٦٣/٣ - ٢٦٤ مختصراً .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَكْدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا الذَّهَبُ كُلُّهُ إِلَيْهِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ (١) عَالَمِ الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ (١) .

قال أبو الفداء : يُنزهُ تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك والتصرف والعبادة ، فقال تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَكْدٍ . . . ﴾ الآية أي لو قدر تعدد الآلهة لانفرد كلُّ منهم بما خلق فما كان ينتظم الوجود ، والمشاهد أن الوجود منتظم متسق كلُّ من العالم العلوي والسفلي مرتبط ببعضه ببعض في غاية الكمال .

﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ أي عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علواً كبيراً . ﴿ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي تقلّس وتنزه وتعالى وعزّ وجلّ عما يقول الظالمون والجاحدون « (٢) .

والقرآن الكريم مليء بمثل هذه الآيات ذوات الأسلوب التقريري ، حتى يتم الاعتراف من قبل المشركين . فإذا اعترفوا ؛ أثار التفكير لديهم ونبههم على عدم الإشراف به ولزوم توحيده .

ومن أساليب القرآن الكريم أيضاً : الأمر بعبادته والتوكل عليه ، قال الله تعالى : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٤) .

(١) المؤمنون : الآيتان (٩١ - ٩٢) .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٢٦٤/٣ مختصراً .

(٣) هود : الآية (١٢٣) .

(٤) آل عمران : الآية (١٦٠) .

وقد وضع النبي ﷺ قاعدة تحمي صاحبها من هذا النوع من الشرك - الشرك في الربوبية - فقد أوصى ﷺ حبر هذه الأمة بوصيته المشهورة التي أخرجها الترمذي عنه ﷺ قَالَ : كُنْتُ حَلَفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ : « يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعْتَنَ فَاستَعِنِ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رَفِعتِ الْأَقْلَامُ وَجَعَتِ الصُّحُفُ » (١) .

قال المباركفوري : « في قوله « فاسأل » أي وحده لأن غيره غير قادر على الإعطاء والمنع ودفع الضرر وجلب النفع . « وَإِذَا اسْتَعْتَنَ » أي أردت الاستعانة في الطاعة وغيرها من أمور الدنيا والآخرة « فاستعين بالله » فإنه المستعان وعليه التكلان » (٢) .

قال شيخ الإسلام : « إذا أراد التخلص من هذا الشرك ، فلينظر إلى المعطي الأول مثلاً فيشكره على ما أولاه من النعم ، وينظر إلى من أسدى إليه المعروف فيكافئه عليه لقوله ﷺ : « من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له ، حتى تروا أنكم قد كافأتموه » لأن النعم كلها لله تعالى كما قال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ كَلَّا بُدْءُ مَوْلَآءٍ وَهُؤُلَآءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾ فالله سبحانه هو المعطي

(١) سنن الترمذي ، أبواب صفة القيامة : الباب رقم ٢٢ : رقم الحديث ٢٦٤٦ .

وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن الترمذي : ٣٠٨/٢ ، رقم ٢٠٤٣ .

(٢) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي للمباركفوري : ٢٢٠/٧ .

على الحقيقة ، فإنه هو الذي خلق الأرزاق وقدرها ، وساقها إلى من يشاء من عباده ؛ فالمعطي هو الذي أعطاه ، وحرك قلبه لعطاء غيره . فهو الأول والآخر .

ثم قال - رحمه الله - بعد إيراد الحديث السابق : « فهذا يدلُّ على أنه لا ينفع في الحقيقة إلا الله ، ولا يضرُّ غيره ، وكذا جميع ما ذكرناه في مقتضى الربوبية .

فمن سلك هذا المسلك العظيم استراح من عبودية الخلق ونظره إليهم ، وأراح الناس من لومه وذمته إياهم ، وتجرد التوحيد في قلبه ، فقوي إيمانه وانشرح صدره ، وتنور قلبه ، ومن توكل على الله فهو حسبه . ولهذا قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : من عرف الناس استراح ، يريد - والله أعلم - أنهم لا ينفعون ولا يضرُّون »^(١) .

فإذا استقرَّ في قلب المؤمن أن النافع والضار على الحقيقة هو الرب تبارك وتعالى وأنَّ الناس ؛ كلَّ الناس لا ينفعون ولا يضرُّون ، حتَّى لو اجتمعوا على ذلك وتعاونوا ، وكان بعضهم لبعض ظهيراً ما نفَعوا العبد ولا ضرَّوه إلا بإذن الله ؛ ما التفت بعد ذلك إلى أحدٍ من النَّاس كائنٍ من كان ، ولا تعلق بأحد ، ولا ارتبط إلا بالله الذي بيده كلُّ شيء ، بل لتحقيق هذا المعنى وتأكيدِه أمر الله ﷻ نبيه أن يخبر النَّاس بذلك فقال : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي هَعَا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٢) .

(١) مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام : ٩٢/١ - ٩٣ .

(٢) الأعراف : الآية (١٨٨) .

قال ابن حيان الأندلسي بعد إيراد سبب نزول هذه الآية : « وهذا منه الطهارة إظهار للعبودية وانتفاء عن ما يختص بالربوبية من القدرة وعلم الغيب ، ومبالغة في الاستسلام فلا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر ، فكيف أملك علم الغيب ؟ » (١) .

وقد أخبر الله نبيه ﷺ بذلك فقال : ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٣) فمن ذا الذي يستطيع أن يكشف الضر إذا أراد الله لعبده من عباده ، ومن الذي يستطيع أن يرد فضل الله إذا أراد له لعبده !!

وقد بين الله أن غيره لا ينفع ولا يضر ، فقال : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ (٥) ، وقال : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذَا تَدْعُونَ ﴾ (٦) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿ (٦) .

ثم قال أيضاً على لسان الخليل عليه السلام : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ (٧)

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي الفرناطي : ٢٤٠/٥ .

(٢) الأنعام : الآيتان (١٧ ، ١٨) .

(٣) يونس : الآية (١٠٧) .

(٤) يونس : الآية (١٠٦) .

(٥) الأنعام : الآية (٧١) .

(٦) الشعراء : الآيتان (٧٢ - ٧٣) .

وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٨﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٧٩﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨٠﴾
وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨١﴾ .^(١)

وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَنَا مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .^(٢)

ومن أساليب تجريد التوحيد التي ربي عليها النبي ﷺ ترك سؤال الناس حتى لا تخضع النفس إلا لخالقها وبارئها ، ومن ذلك حديث عوف بن مالك الأشجعي ، قال : « كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِسْعَةَ أَوْ ثَمَانِيَةَ أَوْ سَبْعَةَ ، فَقَالَ : أَلَا تَتْبَاعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِيَعَةِ فَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ثُمَّ قَالَ : أَلَا تَتْبَاعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ثُمَّ قَالَ : أَلَا تَتْبَاعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : فَسَطْنَا أَيْدِينَا وَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ ؟ قَالَ : عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَالصَّلَاةَ الْخَمْسَ ، وَتَطِيعُوا - وَأَسْرَ كَلِمَةً خَفِيَّةً - وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا .

فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيكَ النَّفْرِ يَسْقُطُ سَوْطَ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ » .^(٣)

هذا منتهى عِزَّةِ النفس والكرامة والتجريد أن يدع المرء سؤال الناس والاستعانة بهم حتى في المسائل اليسيرة التي لا تكاد تذكر لكي لا تذلل نفسه إلا لرَبِّه المستعان وحده ، وفي هذا بلوغ الغاية في تجريد التوحيد وعدم خضوع النفس وذلها إلا لله .

(١) الشعراء : الآيات (٧٨ - ٨٢) .

(٢) النمل : الآية (٦٢) .

(٣) صحيح مسلم : الزكاة : كرامة المسألة للناس : ٧٢١/٢ ، رقم ١٠٤٣ .

هذا طرف من تربية النبي ﷺ أصحابه على تجريد هذا النوع من التوحيد المتمثل في صفة الإعطاء والنفع والضرر وأنه خاصٌ بالله ﷻ . وهذا جزء من توحيد الربوبية ونموذجٌ له ، يندرج على باقي صفات الربوبية التي اختص بها الرب تبارك وتعالى ، ومنها :

الخلق ، والرّزق ، والإحياء ، والإماتة ، والملك ، والتدبير ، والنفع ، والضرر ، والإعطاء ، والمنع ، والخفض والرفع ، والإعزاز والإذلال .

فمن اعتقد أن الخالق أو الرّازق ، أو المحيي ، أو المميت ، أو المالك أو المدبّر ، أو المعزّ أو المذلّ ، أو المعطي أو المانع ، أو المانع أو الضار ، أو الخافض أو الرافع أو القابض ، أو الباسط ، أو المعين ، أو منزل الغيث ؛ غير الله فقد أشرك بالله ما لم ينزل به سلطاناً .

وكذا من اعتقد أنّ أحداً يشاركه في ذلك ، أو يستقلّ بالنفع أو الضرر أو غيره بغير أمره فقد أشرك .

قال العلامة المقرئ في هذا النوع من الشرك : « وأما الشرك المتعلّق بذات العبود وأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ فهو نوعان : شرك التعطيل ، وشرك التمثيل :

شرك التعطيل : وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون في قوله : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، والشرك والتعطيل متلازمان ؛ فكلّ مشرك معطلّ ، وكلّ معطلّ مشرك .

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل ، وهو ثلاثة أقسام :

أحدها : تعطيل المصنوع عن صانعه .

الثاني : تعطيل الصانع عن كماله الثابت له .

الثالث : تعطيل معاملته عمّا يجب على العبد من حقيقة التوحيد .

ومن هذا الشرك شرك أهل الوحدة ، ومنه شرك الملاحدة القائلين
بقدم العالم ، ومنه شرك معطلة الأسماء والصفات كالجهمية والقرامطة
وغلاة المعتزلة .

النوع الثاني : شرك التمثيل : وهو شرك من جعل معه تعالى إلهاً
آخر كالنصارى في المسيح ، واليهود في عُزير ، والمجوس القائلين بإسناد
حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة ، وشرك القدرية
المجوسية مختصر منه « (١) .

وأما النوع الثاني من الشرك فهو الشرك في الإلهية : أي أن العبد
يُشرك في تأله بالله غيره من المخلوقات ؛ فهو بالنظر إلى الله متعلقٌ
بإلهيته ، وبالنظر إلى العبد متعلقٌ بعبوديته لله .

قال المقرئزي : « شرك في عبادته ومعاملته ، وإن كان صاحبه
يعتقد أنه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته » (٢) ، ويُخصّص بشرك
العبادة ، أو الشرك في توحيد العبادة .

إذ إن توحيد العبادة هو : توحيد التوجّه إلى الله بأفعال العباد دون
إشراك غيره معه في هذا التوجّه في جميع أنواع العبادات التي لا تصلحُ
إلا لله مثل : المحبة ، والخوف والخشية والرغبة ، والرجاء والرغبة ،

(١) تجريد التوحيد ، ص ٦٩ - ٧٠ مختصراً .

(٢) تجريد التوحيد ، ص ٦٩ .

والتوكل والإنابة والاستعانة ، والاستغاثة ، والدعاء ، والذبح ، والتأله ، والركوع والسجود ، والخشوع ، والتذلل ، والطاعة ، والتعظيم الذي هو من خصائص الألوهية ، وغير ذلك من أعمال القلوب والجوارح .

وأصل هذا الشرك اتخاذ الأنداد وحبهم كحب الله والتقرب بهم إلى الله زُلْفَى ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (١) .

قال أبو جعفر : « والأنداد جمع نِدِّ ، والنِدُّ : العدل والمثل ، وعن مجاهد : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ : أي عدلاء ، وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ : قال : أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله » (٢) .

وقال - رحمه الله - : « وأن الذين اتخذوا هذه الأنداد من دون الله يحبون أندادهم كحب المؤمنين الله . ثم أخبرهم أن المؤمنين أشدَّ حبا لله ؛ من متخذي هذه الأنداد لأندادهم . وعن مجاهد ﴿ يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ مباهاة ومضاهاة للحق بالأنداد ، ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ من الكفار لأوثانهم » (٣) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : « فمنه الشرك بالله في المحبة والتعظيم ، أن يحب مخلوقا كما يحب الله . فهذا من الشرك الذي

(١) البقرة : الآية (١٦٥) .

(٢) جامع البيان : ٢٦٨/١ . الآثار ، ص ٤٨١ ، ٤٨٢ . تحقيق شاكر .

(٣) المصدر السابق : ٢٧٩/٣ . الأثر رقم ٢٤٠٧ . تحقيق شاكر .

لا يغفره الله ، وقال أصحاب هذا الشرك لأهنتهم وقد جمعهم الجحيم ﴿ تَاللّٰهِ اِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٧﴾ اِذْ نَسَوْنٰكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ .

ومعلوم أنهم ما سوّوهم به سبحانه في الخلق ، والرزق ، والإماتة ، والإحياء ، والملك والقدرة ، وإنما سوّوهم به في الحبّ والتأله والخضوع لهم والتذلل ، وهذا غاية الجهل والظلم « (٣) .

وهذا هو العدل المذكور في الآية : ﴿ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمٰتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُوْنَ ﴿٣﴾ .

قال المقرئزي : « والمعنى على أصحّ القولين أنهم يعدلون به غيره في العبادة فيسوون بينه وبين غيره في الحبّ والعبادة . وكذلك قول المشركين - في النار - لأصنامهم : ﴿ تَاللّٰهِ اِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٧﴾ اِذْ نَسَوْنٰكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ ومعلوم قطعاً أنّ هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربّهم وخالقهم ، وإنما كانت في المحبّة والعبادة « (٤) .

وقد نهى الله ﷻ عن اتخاذ الأنداد فقال : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوْا لِلّٰهِ اٰنْدَادًا وَاَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ ﴿١٠﴾ . وقد سئل النبي ﷺ : أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خالقك » (٥) !! فأخبر النبي ﷺ بموجب

(١) الشعراء : الآيتان (٩٧ - ٩٨) .

(٢) الداء والدواء (الجواب الكافي) ، ص ١٨٠ .

(٣) الأنعام : الآية (١) .

(٤) تجريد التوحيد ، ٥٣ .

(٥) البقرة : الآية (٢٢) .

(٦) مسلم : ١ - كتاب الإيمان ، (٣٧) باب كون الشرك أقبح الذنوب ، وبيان

أعظمها بعده : ٩٠/١ ، رقم ٨٦ .

التخلص من هذا الشرك في هذه الإجابة الموجزة البليغة ؛ أنه هو الخالق سبحانه فكيف يُتخذ من دونه أنداداً ؛ لا تخلق نفسها فضلاً عن غيرها ، قال الله تعالى : ﴿ أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴾ (١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴿ (١) .

فبشيءٍ من التفكير والتعقل تنتفي الأنداد ، كما قال النبي ﷺ لحصين : « كم تعبد ؟ قال : ستة في الأرض وواحدًا في السماء . قال : فمن تعدّ لرغبتك ورهبتك ؟ قال : الذي في السماء ، قال : ألا تسلم فأعلمك كلمات ؟ فأسلم ، فقال النبي ﷺ : قل : اللهم ألهمني رشدي ، وقني شر نفسي » (٢) ، وبهذا أرشده المصطفى ﷺ إلى التفكير الجادّ والعميق في هذا الأمر حتى تنتفي الأنداد من ذهنه ، وأنها ما دامت لا تنفع ولا تضرُّ عند الحاجة فما الفائدة من إشراكها في عبادة الله ؟ .

ومن منهجه ﷺ في تجريد هذا النوع من التوحيد : بيان ما يلتبس على الناس أنه شرك ؛ ليحذروه .

فعن عدي بن حاتم ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ . . . ﴾ (٣) . فقلت له : إننا لسنا نعبدهم ، فقال : « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟ فقلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم » (٤) .

(١) الأعراف : الآيات (١٩١ - ١٩٢) .

(٢) سبق تخريجه ص ١٥١ .

(٣) التوبة : الآية (٣١) .

(٤) مسند أحمد : ٣٧٨/٤ .

فقد بين النبي ﷺ لعدي نوعاً من أنواع الطاعة الشركية وذلك بأسلوب الاستفهام التقريري المفصل المُنْع ؛ تحقيقاً للتوحيد وتجريداً له من الشرك .

ولقد بدأ النبي ﷺ بتجريد التوحيد منذ الوهلة الأولى حين أمره ربه بإنذار عشيرته الأقربين .

فَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : « قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، قَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ، اسْتَرَوْا أَنْفُسَكُمْ ، لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِمَنَافٍ لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِالمَطْلِبِ لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا صَفِيَّةَ عَمَةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي ، لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » (١) .

وهذا نفيٌ لشرك الوسائط من أول الأمر ومن بداية الطريق ، فإذا كان النبي ﷺ لا يُعني عن ابنته وريحانته فاطمة - رضي الله عنها - من الله شيئاً فكيف بمن سواها !!؟

ومن ذلك أيضاً شرك الشفعاء والوسطاء والقرايين . قال الله تعالى على السنة المشركين : ﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ رَبِّي ﴾ (٢) . فهم يتقربون إلى الله بمعبوداتهم اعتقاداً منهم أنها تقربهم إلى الله .

والمنهج القرآني قد ركز على هذا النوع من الشرك لكثرتهم

(١) البخاري : كتاب التفسير : باب وأنذر عشيرتك الأقربين ، واحفض جناحك :

١٧٨٧/٤ ، رقم ٤٤٩٢ .

(٢) الزمر : الآية (٣) .

وتنوعه ، فيننه وأوضح ضحالة تفكير من يعبدُ الأصنام ، وتهافت معبوداتهم وأنها لا تملك لأنفسها نفعا ولا ضرا ، ثم استخدم أسلوب التبكيت ؛ ثم التنزيه لله ﷻ . فقال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

قال شيخ الإسلام : « سُمِّيَ اللهُ أَهْتَهُمُ الَّتِي عَبَدُوهَا مِنْ دُونِهِ شَفَعَاءَ كَمَا سَمَّاهَا شُرَكَاءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ ، وَذَكَرَ الْآيَةَ السَّابِقَةَ ثُمَّ قَالَ : وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شَفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَقْتُلُونَ ﴾ (٢) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ (٣) . ﴿ وَيَوْمَ نَهْوِمُ السَّاعَةَ يُبَلِّسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٤) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شَفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ (٥) .

وجمع بين الشرك والشفاعة في قوله : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ (٦) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ ﴾ (٧) .

فهذه الأربعة هي التي يمكن أن يكون لهم تعلق : الأول : ملك شيء ولو قل ، الثاني : شركهم في شيء من الملك ، فلا ملك ولا شركة ولا معاونة يصير بها ندأ ، فإذا انتفت الثلاثة : بقيت الشفاعة فعلقها بالمشيئة « (٥) .

(١) يونس : الآية (١٨) .

(٢) الزمر : الآيات (٤٣ ، ٤٤) .

(٣) الروم : الآيات (١٢ ، ١٣) .

(٤) سبأ : الآيات (٢٢ ، ٢٣) .

(٥) الفتاوى : ١١٤/١ .

قال الإمام ابن القيم : وقد قطع الله تعالى كل الأسباب التي تعلق بها المشركون جميعاً ، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع ، والنفع لا يكون إلا لمن فيه خصلة من هذه الأربع : إما مالك لما يريد عابده منه ، فإن لم يكن مالكا كان شريكاً للمالك ، فإن لم يكن شريكاً له كان معيناً له وظهيراً ، فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده ، فنفي سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً ، منتقلاً من الأعلى إلى ما دونه ، فنفي الملك ، والشركة ، والمظاهره ، والشفاعة ، التي يظنها المشرك ، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه .

فكفى بهذه الآية نوراً ، وبرهاناً ، ونجاة ، وتجريداً للتوحيد ، وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها . والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها « (١) .

وقال : « والذي في قلوب المشركين وسلفهم : أن آلهتهم تشفع لهم عند الله ، وهذا عين الشرك . فهذا حال من اتخذ من دون الله ولياً ، يزعم أنه يقربه إلى الله . كما يكون خواص الملوك والولاء تنفع شفاعتهم من الاله ، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله كما قال تعالى في الفصل الأول : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ ؟ وفي الفصل الثاني : ﴿ وَلَا يَسْتَفْعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾ ، وبقي فصل ثالث وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول . فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاما وعقلها :

(١) مدارج السالكين : ٣٤٣/١ .

لا شفاعة إلا بإذنه ، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من القول والعمل إلا بتوحيده واتباع رسوله .

وتأمل قول النبي ﷺ لأبي هريرة ؓ - وقد سأله من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ - قال : « أسعد الناس بشفاعتي : من قال : لا إله إلا الله ، خالصاً من قلبه » كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته : تجريد التوحيد ، عكس ما عند المشركين : أن الشفاعة تنال باتخاذهم أولياءهم شفعاء ، وعبادتهم وموالاتهم من دون الله . فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب ، وأخير أن سبب الشفاعة هو تجريد التوحيد . فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع «^(١)» .

وبهاتين الآيتين : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ و ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾ حسم الله مادة هذا النوع من الشرك (شرك الشفعاء أو الوسطاء أو القرايين ، وعلقت الشفاعة بالإذن للشافع والرضا عن المشفوع له ، ولا يرضى الله إلا لمن أتى بتوحيد خالص مجرد من الشرك .

قال ابن القيم : « ويتبع هذا الشرك : الشرك به سبحانه في الأفعال ، والأقوال ، والإرادات ، والنيات .

- فالشرك في الأفعال : كالسجود لغيره ، والطواف بغير بيته ، وحلق الرأس عبودية وخضوعاً لغيره ، وتقييل القبور واستلامها والسجود لها .

(١) المرجع السابق : ١/٣٤٠ - ٣٤١ ، باختصار وتقديم وتأخير لا يخل بالمعنى .

- الشرك في اللفظ : كالحلف بغيره ، ومن ذلك قول القائل للمخلوق : ما شاء الله وشئت .

- الشرك في الإرادات والنيات : فذلك البحر الذي لا ساحل له ، وقلّ من ينحو منه ؛ من أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه ، فقد أشرك في نيته وإرادته .

والإخلاص : أن يخلص لله في أقواله وأفعاله وإرادته ونيته وهذه هي الحنيفة ملّة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلّهم ولا يقبل من أحد غيرها « (١) » .

ومن الشرك في اللفظ : الحلف بغير الله ، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه سمع رجلاً يحلف : لا والكعبة ، قال له ابن عمر : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حلف بغير الله فقد أشرك » (٢) .

وقال المقرئزي : « والقرآن بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلّها مصرّحة بالردّ على أهل هذا الإشراك كقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ فَإِنَّهُ يَنْفِي شُرَكَاءَ الْحَبَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ ، وقوله : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فَإِنَّهُ يَنْفِي شُرَكَاءَ الْخَلْقِ وَالرَّبُوبِيَّةِ .

فتضمّنت هذه الآية : (تجريد التوحيد) لربّ العالمين في العبادة ، وأنه لا يجوز إشراك غيره معه ، لا في الأفعال ولا في الألفاظ وفي الإرادات « (٣) » .

(١) الداء والدواء ، طبعة دار المدني ، تقديم الدكتور محمد جميل غازي ، ص ١٨٣ - ١٨٤ باختصار .

(٢) سنن أبي داود ، رقم ٣٢٥١ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ٦٢٧/٢ . وأخرجه الحاكم : ١٨/١ ، وقال : على شرط مسلم بمعناه .

(٣) تجريد التوحيد ، ص ٥٨ .

وبعد أن عدّد أنواعاً من الشرك ، قال :

« وبالجملة ؛ فالعبادة المذكورة في قوله : ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾ هي : السجود ، والتوكُّل ، والإنابة ، والتقوى ، والخشية ، والتوبة ، والنذور ، والحلف ، والتسبيح ، والتكبير ، والتهليل ، والتحميد ، والاستغفار ، وحلق الرأس خضوعاً وتعبُّداً ، والدعاء : كلُّ ذلك محضُ حقِّ الله تعالى » (١) .

وما برح رسول الله ﷺ يربي أصحابه على التوحيد وتحقيقه وتجريده من الشرك . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري ، تركته وشركه » (٢) .

أي إن كان بعض الشركاء قد يستغني عن الشركة مع غيره فالله أغنى الشركاء عن المشاركة ، لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً صواباً ، والخالص ما أريد به وجه الله . قال ﷺ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » (٣) ، والصواب : ما كان موافقاً للسنة ، قال ﷺ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ » (٤) . « ولهذا قال العلماء : هذان الحديثان ميزان الأعمال : الأول ميزان الأعمال الباطنة ، والثاني : ميزان الأعمال الظاهرة » (٥) .

(١) المرجع السابق : ص ٦٦ .

(٢) مسلم : الزهد والرفائق : باب من أشرك في عمله غير الله : ٢٢٨٩/٤ ، رقم ٢٩٨٥ .

(٣) البخاري : بدء الوحي : باب كيف كان بدء الوحي : ٣/١ ، رقم ١ .

(٤) مسلم : الأفضية : باب نقض الأحكام : ١٣٤٣/٣ .

(٥) القول المفيد : ٢٣٠/٢ .

وكان المصطفى ﷺ يخاف على أصحابه من الشرك الأصغر ويُحذّرهم منه ، فعن محمود بن لبيد ؓ أن رسول الله ﷺ قال : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء ، يقول الله ﷻ - إذا جزى الناس بأعمالهم - : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ؟ » (١) ، وفي رواية : « شرك السرائر » .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ ، وَمَنْ رَأَى رَأَى اللَّهِ بِهِ » (٢) .

وقد سمّاه النبي ﷺ : الشرك الخفي وحذّر منه فقال : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ قال : قلنا : بلى . فقال : الشرك الخفي : أن يقوم الرجل يُصلي فيزيّن صلاته لما يرى من نظر رجلٍ » (٣) .

وقد ربّى النبي ﷺ أصحابه على اتقاء هذا الشرك ؛ فعن أبي موسى الأشعري ؓ قال : خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : « أيها الناس ، اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من ديب النمل . فقال له من شاء الله أن يقول : وكيف تتقيه وهو أخفى من ديب النمل يا رسول الله ؟

(١) الترغيب والترهيب : ٦٨/١ ، وقال : رواه أحمد بإسنادٍ جيّد ، وابن أبي الدنيا والبيهقي في الزهد وغيره . وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ، رقم ٢٩ ، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم ٩٥١ .

(٢) مسلم : الزهد : من أشرك في عمله غير الله : ٢٢٨٩/٤ ، رقم ٢٩٨٦ .

(٣) سنن ابن ماجه : باب الرياء والسمعة : رقم ٤٢٠٤ ، وحسنه الألباني : انظر صحيح سنن ابن ماجه : ٤١٠/٢ ، رقم ٣٣٨٩ .

قال : قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفر لك ما لا نعلم « (١) .

وكان يعلمهم ﷺ البراءة من الشرك . فعن فروة بن نوفل ؓ قال : إنه أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، علمني شيئاً أقوله إذا أويت إلى فراشي ، قال : « اقرأ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشَّرِكِ » (٢) .

ويعلمهم الاستعاذة من شرّ الشيطان وشركه . فيقول : « يا أبا بكر قل : اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، لا إله إلا أنت رب كل شيء ومليكه ، أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شرّ الشيطان وشركه ، وأن اقتترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم » (٣) .

ومما يُدفع به هذا النوع من الشرك ؛ استحضر عظمة الله ﷻ عند الشروع في العمل وأنه هو الخالق الرّازق ، المحيي المميت ، المنعم ، المتفضل على عباده ، القادر عليهم ، وأنه كما قال ﷻ : ﴿ يَقَلِّمُ خَاتَمَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (٤) .

(١) المسند للإمام أحمد : ٤٠٣/٤ . وذكره المنذري في الترغيب والترهيب : ٧٦/١ ، وعزاه كذلك للطبراني ، وقال : رواه عن عتج بهم في الصحيح إلا أبو أحمد الراوي عن أبي موسى وثقه ابن حبان ولم يُحرّجه أحد .

(٢) سنن الترمذي : الدعوات ، باب ٢٢ ، حديث رقم ٣٦٤٣ . وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي ، رقم ٢٧٠٩ .

(٣) سنن الترمذي : أبواب الدعوات ، باب ١٠١ ، رقم الحديث ٣٧٧٩ . وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي : ١٧٢/٣ ، رقم ٢٧٩٨ .

(٤) غافر : الآية (١٩) .

وقال العلامة عبدالرحمن السعدي : « السِّرُّ : الكلام الخفي ، وأخفى من السِّرِّ ، الذي في القلب ولم ينطق به ، أو السِّرُّ : ما خطر على القلب ، وأخفى : ما لم يخطر ، يعلم تعالى أنه يخطر في وقته ، وعلى صفته .
المعنى : أن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء ، دقيقها ، وجليلها ، خفيها ، وظاهرها ، فسواء جهرت بقولك أو أسررته ، فالكل سواء بالنسبة لعلمه تعالى » (١) .

وقال جلال الدين المحلي : « فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ منه . أي ما حدثت به النفس ، وما خطر ولم تُحدث به فلا تجهد نفسك بالجهر » (٢) .

فالله ﷻ يرى قلب ابن آدم ويعلم حركاته وسكناته وخلجاته وما توسوس به نفسه . السِّرُّ عنده علانية ، والغيب عنده شهادة ، لا شيء يخفى ، فإذا استقرت هذه المعاني في القلب ، فكيف يزوغ عنه إلى غيره ؟
لكن الشيطان يوسوس ، فإذا جاء الهاجس فإنه ينبغي أن يجدد النية ويخلصها لله متصوراً المعاني السابقة ، وأنه لو زاغ قلبه بمنة أو يسرة ، فإنما يتعب نفسه ويرهقها بالعمل دونما فائدة بل ستكون أعماله حسرات عليه . ولتذكر قول الله ﷻ في المشرك : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (٣) .
وقول النبي ﷺ في الإحسان : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » .



(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٢٢٤/٣ - ٢٢٥ .

(٢) تفسير الجلالين ، ص ٢١٣ .

(٣) الحج : الآية (٣١) .

المسلك الثالث : التوبة النبوية علو ترسيخ الإيمان :

شرع رسول الله ﷺ منذ فجر الإسلام في تعميق إيمان أصحابه وتقويته والترقي به في مراتب الهداية للوصول إلى مرتبة الإحسان .

ذلك أن التوحيد وتحقيقه والإيمان وترسيخه هو مقصود تربيته ﷺ ومحورها . وتعلقه بميزان الباطن ؛ وهو القلب ، أما الإسلام إذا اقترن بالإيمان فيتناول ميدان الظاهر .

قال شيخ الإسلام : « فإنَّ الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب ولا بُدَّ فيه من شيئين : تصديق بالقلب وإقراره ومعرفته ، ويُقال لهذا قول القلب (قال الجنيد بن محمد) : التوحيد : قول القلب . والتوكُّل عمل القلب ، فلا بُدَّ من قول القلب وعمله ؛ ثمَّ قول البدن وعمله ، ولا بُدَّ فيه من عمل القلب ، مثل حبِّ الله ورسوله وخشية الله وحبِّ ما يحبُّه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله ، وإخلاص العمل لله وحده ، وتوكُّل القلب على الله وحده وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان » (١) .

فالإيمان له حقيقة أصلها مغروس في القلب ، ودليل وجودها يظهر على الجوارح ، وعن هذه الحقيقة يقول ابن القيم : هو « حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً ؛ والتصديق به عقداً ، والإقرار به نطقاً ، والانقياد له محبةً وخضوعاً ، والعمل به باطنًا وظاهرًا . وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان . وكمالُه في الحُبِّ في الله

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام : الإيمان : ١٨٦/٧ .

والبغض في الله ، والعتاء لله والمنع لله ، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده ، والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظاهراً وباطناً ، وتغمض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله ، وبالله التوفيق « (١) .

وقال : « وإليه أمر عباده أن يقوموا بشرائع الإسلام على ظواهرهم وحقائق الإيمان على بواطنهم ، ولا يقبل واحداً منهما إلا بصاحبه وقرينه ، فكلُّ إسلام ظاهر لا ينفذ صاحبه منه إلى حقيقة الإيمان الباطنة ، فليس بنافع حتى يكون مع شيء من الإيمان الباطن .

وكلّ حقيقة باطنة لا يقوم صاحبها بشرائع الإسلام الظاهرة لا تنفع ولو كانت ما كانت .

فلو تمزق القلب بالمحبة والخوف ولم يتعبد بالأمر وظاهر الشرع لم يُنجه ذلك من النار ، كما أنه لو قام بظواهر الإسلام وليس في باطنه حقيقة الإيمان لم ينجه ذلك من النار « (٢) .

ولما كانت القلوب هي المتحكّمة في الأجساد كان اهتمام النبي ﷺ منصباً عليها ؛ لتحقيق سلامتها واستقامتها ، فبعد طهارتها ، ربّاهما على معرفة الله وتعظيمه وتوقيره وتقديره حقّ قدره ، فامتألت بعظمة الله وجلاله وهيئته وخشيته وخوفه ورجائه ، ومحبته والثقة به .

ذلك أن صلاح الأعمال مرتّب على صلاح القلوب واستقامتها .

(١) الفوائد ، ص ١٤٠ ، مختصراً .

(٢) الفوائد ، ص ١٨٧ ، مختصراً .

قال ﷺ : « لا يستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه » (١) .

قال السفاريني : « قال الحافظ ابن رجب - عليه رحمة الله - : المراد باستقامة إيمانه استقامة أعمال جوارحه في طاعة ربه ، فإن أعمالها لا تستقيم إلا باستقامة قلبه . ومعنى استقامة القلب أن يكون ممتلئاً من تعظيم الله وحبّه ، وحبّ طاعته وكرهه معصيته وغضبه .

قال الحسن لرجل : داو قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم من الخن والفساد ، ولا صلاح للقلوب حتى تستقرّ فيها معرفة علام الغيوب وتمتلئ من خوفه وخشيته ومحبّته وعظّمته والتوكّل عليه ومهابته والالتجاء إليه ، وهذا حقيقة التوحيد لله تعالى : وهو معنى (لا إله إلا الله) ، فلا صلاح للقلوب حتى تفرد محبة المحبوب .

روى الليث عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ : لا تحبّوا غيري » (٢) .

والناس في حقيقة التوحيد والإيمان يتفاوتون كما يتفاوتون في الأعمال ، وقد قسّمهم الله ﷻ في محكم التنزيل إلى ثلاث مراتب ،

(١) مسند الإمام أحمد ، مسند أنس بن مالك بن النضر : ٣/٣٩٥ ، رقم الحديث ١٣٠٤٧ ، وفي طبعة برقم ١٩٨/٣ .

والحديث عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ، ولا يدخل رجل الجنة لا يأمن جاره بواقفه » .

قال شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باحس في تحقيقهما لجامع العلوم والحكم : « فيه عليّ بن مسعدة ، وهو ضعيف . انظر : جامع العلوم والحكم : ١/٣٣٤ .

(٢) غذاء الألباب : شرح منظومة الآداب للسفاريني : ١/٦٢ .

فقال تعالى :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِرُ الْإِذْنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (١)

فالمرتبة السفلى مرتبة الظالم لنفسه ؛ الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، فرط في بعض الواجبات وأتى بعض المحرمات .

والمرتبة الوسطى مرتبة المقتصد الذي قام بالواجبات وترك المحرمات .

والمرتبة العليا : مرتبة السابق بالخيرات بإذن الله . الذي أدى الواجبات والمستحبات ، وترك المحرمات والمكروهات وفضول المباحات .

وفي كل مرتبة من هذه المراتب تفاوت كبير في إيمان أصحابها ، ذلك أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي . فكلما تقرب العبد إلى ربه ازداد إيمانه وتقوى .

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (٢) . وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ (٣) . وقال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (٤) . وقال : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اقْتَدَوْا هُدًى ﴾ (٥) .

(١) فاطر : الآية (٣٢) .

(٢) الفتح : الآية (٤) .

(٣) الأنفال : الآية (٢) .

(٤) آل عمران : الآية (١٧٣) .

(٥) مريم : الآية (٧٦) .

« فالعبد إذا آمن بالكتاب واهتدى به مجملًا ، وقَبِلَ أوامره وصدَّق أخباره ، كان ذلك سببًا لهداية أخرى تحصل له على التفصيل ، فإنَّ الهداية لا نهاية لها ولو بلغ العبدُ فيها ما بلغ فوق هدايته هداية أخرى . وفوق تلك الهداية هداية أخرى إلى غير غاية ، فكلَّمَا اتقى العبدُ ربَّه ارتقى إلى هداية أخرى ، فهو في مزيد هداية ما دام في مزيد تقوى . وكلَّمَا فوّت حظًّا من التقوى فاتته حظٌّ من الهداية بحسبه ، فكلَّمَا اتقى زاد هداه ، وكلَّمَا اهتدى زادت تقواه . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ ^(١) . فهدهم أولاً للإيمان هداية بعد هداية » ^(٢) .

وقمة الإيمان : الإحسان واليقين الذي يرتقي بصاحبه إلى الإمامة في الدين ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْتُونَ بِأَمْرٍ دَالِمًا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ ^(٣) .

قال شيخ الإسلام : « بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين » ^(٤) .
 « واليقين هو استقرار الإيمان في القلب علمًا وعملاً . فقد يكون علم العبد جيدًا لكن نفسه لا تصبر عند المصائب بل تطيش » ^(٥) .
 وقال عبدا لله بن مسعود رضي الله عنه : « اليقين الإيمان كله » ^(٦) .

(١) يونس : الآية (٩) .

(٢) الفوائد ، ص ١٦٩ - ١٧٠ مختصرًا .

(٣) السجدة : الآية (٢٤) .

(٤) الفتاوى : انظر : نضرة النعيم : ٣٧٣٠/٨ .

(٥) الفوائد ، ص ٢٧٥ .

(٦) نضرة النعيم : ٣٧٢٨/٨ ، وقال بهامشه : البخاري ، الفتح (الإيمان ، باب ١ ، ص ٦٠) .

« فالإيمان قلب الإسلام ولبّه ، واليقين قلب الإيمان ولبّه ، وكلُّ علم وعمل لا يزيد الإيمان واليقين قوّة فمدخول ، وكلُّ إيمان لا يبعث على العمل فمدخول .

ولا يتمّ الإيمان إلاّ بتلقي المعرفة من مشكاة النبوة ، وتجريد الإرادة عن شوائب الهوى وإرادة الحقّ فيكون علمه مقتبساً من مشكاة النبوة ، وإرادته لله والدار الآخرة ، فهذا أصحّ الناس علماً وعملاً وهو من الأئمة الذين يهدون بأمر الله ومن خلفاء رسوله ﷺ في أمته .

والإيمان له ظاهر وباطن ، وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح ، وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته ، فلا ينفع ظاهر لا باطن له وإن حقن به الدماء وعصم به المال والذرية ، ولا يجزي باطن لا ظاهر له إلاّ إذا تعذّر بعجز أو إكراه وخوف هلاك .

فتخلّف العمل ظاهراً مع عدم المانع دليل على فساد الباطن وخلّوه من الإيمان ، ونقصه دليل نقصه ، وقوّته دليل قوّته « (١) .

فلما كان الإيمان بهذه المنزلة ، والترقي به إلى مرتبة الإحسان واليقين هو أعلى مراتب الدين ، فقد كان جُلّ اهتمام النبي ﷺ مصوّباً على ترسيخه وتعميقه وتقويته وتنميته في قلوب أصحابه ﷺ و ﷺ ، وكان له في ذلك أساليب كثيرة ومتعدّدة .

(١) الفوائد ، ص ١١١ - ١١٢ مع تقديم وتأخير .

الأساليب النبوية في ترسيخ الإيمان :

الأسلوب الأول والثاني والثالث على التوالي هي :

تطهير القلوب ، ومعرفة الله ، ومحَبَّته ، وسيأتي الحديث عنها
مفصَّلاً في إصلاح القلوب (أداة التعلُّم) ، ذلك أنَّها الأساس في غرس
الإيمان ونمائه ورسوخه ، وبدونها فلا إيمان .

الأسلوب الرابع : تعليم مراتب الدين .

ليجاهد الإنسان نفسه في الترقى في هذه المراتب ودرجاتها ، فإن العلم بها يبعث على المجاهدة والتنافس والحماس .

أخرج الإمام مسلم حديث جبريل عليه السلام الذي قال فيه عبدا لله : « حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَحْدَيْهِ وَقَالَ :

يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْإِسْلَامُ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا . قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَلِّقُهُ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ ؟ قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا ؟ قَالَ : أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبِّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْخَفَاءَ الْغُرَاءَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ . قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقَ . فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ » (١) .

(١) مسلم : الإيمان : بيان الإيمان والإسلام والإحسان : ٣٦/١ ، رقم ٨ .

فذكر مراتب الدين الثلاث مرتبة : الإسلام ، ثم الإيمان ، ثم الإحسان ، فمن الدخول في الإسلام والقيام بشعائره الظاهرة إلى الإيمان الذي في القلوب ثم رسوخه ، إلى درجة اليقين والإحسان .

قال القاضي عياض : « وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان ، وأعمال الجوارح ، وإخلاص السرائر ، والتحفُّظ من آفات الأعمال ، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ، ومتشعبة منه . على هذا الحديث وأقسامه الثلاثة ألفنا كتابنا الذي سميناه بـ « المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان » ، إذ لا يشذُّ شيءٌ من الواجبات والسنن والרגائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاث » (١) .

فذكرُ النبي ﷺ وجبريل عليه السلام مراتب الدين بهذا التدرُّج التصاعدي فيه حفزٌ للهمم وحثٌّ لها على مجاهدة النفس للترقي في سلم الصعود لبلوغ المنزلة العالية والدرجة الرفيعة . والاجتهاد في التحقق بمقام الإحسان بأن يعبد الله كأنه يراه ويشاهده ، فيستجمع قلبه على ذلك ، فإن لم يستطع فإنه يستحضر في قلبه أن الله يشاهده وينظر إليه في عبادته ومطلع على قلبه وخلجاته ، بل هو مطلع على جميع تصرفاته ، فينبغي الاجتهاد في ذلك والتحقق بهذا المقام العالي .

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان : ٢٠٤/١ - ٢٠٥ ، وقال في الحاشية عن الكتاب : « ذكره ابنه له وقال : إنه لم يكمله ، ويغلب على الظن أنه من الكتب المفقودة ، فلم أجد له ذكراً في غير هذين الموضعين » .

الأسلوب الخامس : التبييه على عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ، والحث على استكمالها .

وضَّح النبي ﷺ عدد شعب الإيمان ، وأتى بأفضلها وأدناها ، وضرب مثلاً على إحدى درجاتها بالحياء ، وفي هذا تبييه منه ﷺ على هذه الشعب وأنها درجات ومراتب كثيرة ليجتهد الإنسان في استكمالها من جملة الشريعة ، فهي مبثوثة في سنته ﷺ ولا يضرُّ عدم العلم بها على التحديد ، والعمل على قوله ﷺ : « ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فانتهوا » .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً . فَأَفْضَلُهَا : قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا : إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ . وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ » (١) .

قال القاضي عياض - رحمه الله - : « نَبَّهَ ﷺ عَلَى أَفْضَلِهَا بِالتَّوْحِيدِ الْمُتَعَيَّنِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، وَالَّذِي لَا يَصِحُّ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الشُّعْبِ إِلَّا بَعْدَ صِحَّتِهِ ، وَأَدْنَاهَا مَا يَتَوَقَّعُ ضَرَرَهُ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ إِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ طَرِيقِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَقَعْ الْأَذَى بَعْدَ ، وَبَقِيَ بَيْنَ هَذَيْنِ الطَّرْفَيْنِ مِنْ أَعْدَادِ أَبْوَابِ الْإِيمَانِ مَا لَوْ تَكَلَّفَ حَصْرُهَا بِطَرِيقِ الْجَاهِدِ وَتَعْيِينِهَا بِغَلْبَةِ الظَّنِّ إِلَى حَصْرِ عِدَّتِهِ لِأَمْكَانٍ ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى نَحْوِ هَذَا بَعْضُ مَنْ تَقَدَّمَ ، وَعَلَيْهِ بَنَى الْفَقِيهَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقُرْطُبِيُّ كِتَابَهُ الْمُسَمَّى بِالنِّصَائِحِ ، وَلَكِنْ الْقَطْعُ أَنْ تَعْيِينَ مَا نَقَحَهُ الْجَاهِدُ وَتَرْتِيبَهُ عَلَى تِلْكَ

(١) مسلم : ١ - كتاب الإيمان : ١٢ - باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ،

وفضيلة الحياء ، وكونه من الإيمان : ٦٣/١ ، رقم ٣٥ .

الأبواب هو مراد النبي ﷺ يصعب ، ولن يُعدم من يرتب ترتيباً آخر ، ويُداخل بعض الأبواب في بعض ، ويفصل بعض الأقسام من بعض ، والله ﷻ أعلم ، ولكنه قد جاء في الأحاديث النصّ على بعض تلك الشعب ، ووقع في الأمّ الشكّ في سبعين أو ستين ، والصواب ما وقع في سائر الأحاديث ولسائر الرواة (سبعون) ، ولا يلزم معرفة تعيينها ، ولا يقدح جهل ذلك في الإيمان ، إذ أصول الإيمان وفروعه معلومة محققة ، والإيمان بأنها هذا العدد من الحديث واجب على الجملة ، وتفصيل تلك الأصول وتعيينها على هذا العدد يحتاج إلى توقيف .

وقال القاضي : الحياء أحد الشعب المحصورة ، فهذا من الأعداد المحصورة بالنصّ « (١) » .

وقال أبو العباس القرطبي : « ومقصود هذا الحديث أن الأعمال الشرعية تُسمّى إيماناً وأنها منحصرة في ذلك العدد غير أن الشرع لم يُعيّن ذلك العدد لنا ولا فصله ، وقد تكلف بعض المتأخرين تعديد ذلك ، فتصفح خصال الشريعة وعدّها ، حتى انتهى بها في زعمه إلى ذلك العدد . ولا يصحّ له ذلك ؛ لأنه يمكن الزيادة على ما ذكره والنقصان مما ذكره ببيان التداخل ، والصحيح ما صار إليه أبو سليمان الخطابي وغيره : أنّها منحصرة في علم الله تعالى وعلم رسوله ، وموجودة في الشريعة مفصلة فيها غير أن الشرع لم يوقفنا على أشخاص تلك الأبواب ولا عيّن لنا عددها ولا كيفية انقسامها وذلك

(١) إكمال المُعلّم بفوائد مسلم : للقاضي عياض : كتاب الإيمان ، بيان عدد شعب

الإيمان : ٢٧٢/١ - ٢٧٣ مختصراً .

لا يضرنا في علمنا بتفاصيل ما كلفنا به من شريعتنا ولا في عملنا ، فما أمرنا بالعمل به عملناه ، وما نهينا عنه انتهينا ، وإن لم نحيط بمحصر أعداد ذلك ، والله تعالى أعلم « (١) .

لكن العدد معروف بالتوقيف فلا خلاف فيه . أمّا التعيين ؛ فما نصّ عليه الشارع فهو المسلم ، وما لم يرد به النصّ فلا يُسلم لصاحبه .
ومما نصّ عليه الشارع : كلمة التوحيد ، وإماطة الأذى عن الطريق ، والحياء ، وقد حثّ النبي ﷺ على استكمال المسلم لهذه الشُّعب ، ومن ذلك :

منعه لمن كان ينهى أخاه من الاستكثار من الحياء ، وأمره بتركه على حياته .

فعن سالم عن أبيه ؛ سمع النبي ﷺ رجلاً يعظ أخاه في الحياء ، فقال : « الحياء من الإيمان » (٢) .

وعن ابن عمر : أن النبي ﷺ ، مرّ على رجل من الأنصار ، وهو يعظ أخاه في الحياء ، فقال : « دعه فإن الحياء من الإيمان » (٣) .

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم : لأبي العباس أحمد القرطبي : كتاب الإيمان ، باب شعب الإيمان : ٢١٧/١ مختصراً .

(٢) مسلم : الإيمان : بيان عدد شعب الإيمان : ٦٣/١ ، رقم ٣٦ .

(٣) سنن أبي داود : الأدب : باب في الحياء : رقم ٤٧٩٥ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ٩١٠/٣ ، رقم ٤٠١٠ .

والحياء : خلّق يحمل صاحبه على فعل الحمود وترك المذموم .

وقال أبو العباس القرطبي : هو انقباض وحشمة يجدها الإنسان من نفسه عندما

يُطلّع منه على الحياء مما يُستقبح ويُذمّ عليه . المفهم : ٢١٧/١ .

وعنه ﷺ فيما أخرجه البخاريّ قال : مرّ النبي ﷺ على رجل ، وهو يعاتب أخاه في الحياء ، يقول : إنك لتستحي ، حتى كأنه يقول : قد أضرب بك ، فقال رسول الله ﷺ : « دعه ، فإن الحياء من الإيمان » (١) .

قال القاضي : « يعظ أخاه في الحياء : أي يؤنبه ويُفصح له كثرته ، وأنه من العجز ، وينهاه عنه » (٢) .

ومن ذلك أيضاً ما رواه أبو أمامة عن النبي ﷺ قال : « الحياء والعيّ شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق » (٣) . ثم قال الإمام الترمذيّ : « والعيّ : قلة الكلام ، والبذاء : هو الفحش في الكلام ، والبيان هو كثرة الكلام مثل هولاء الخطباء الذين يخطبون فيوسعون في الكلام ويتفصحون في مدح الناس فيما لا يُرضي الله » .

وقد أخرج الإمام الترمذيّ في باب استكمال الإيمان حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « الإيمان بضغ وسبعون باباً ، فأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، وأرفعها قول : لا إله إلا الله » (٤) .

(١) البخاريّ : الأدب : الحياء : ٢٢٦٨/٥ ، رقم ٥٧٦٧ .

(٢) إكمال المُعلّم : ٢٧٤/١ .

(٣) سنن الترمذيّ ، رقم ٢١١٣ . انظر : صحيح سنن الترمذيّ : ١٩٩/٢ ، رقم ١٦٥٠ .

(٤) سنن الترمذيّ : أبواب الإيمان : باب في استكمال الإيمان والزيادة والنقصان : رقم ٢٧٥٨ .

وصححه الألباني : انظر : صحيح سنن الترمذيّ : ٣٢٨/٢ ، رقم ٢١٠٨ .

الأسلوب السادس : الدلالة على خصال استكمال الإيمان .

عن معاذ الجهني أن النبي ﷺ قال : « من أعطى لله ، ومنع لله ، وأحب لله ، وأبغض لله ، وأنكح لله ، فقد استكمل إيمانه » (١) .

فالعطاء والمنع والإنكاح من الأعمال الظاهرة ، والحبّ والبغض من أعمال القلوب ، الأعمال الباطنة ، وشرطها كلها أن تكون لله خالصة .

فالحب : أن يحبّ الله ويحبّ ما يحبّه من الأعمال والأوقات والأحوال والأماكن والأنبياء وأتباعهم ، وأن يبغض كلّ ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان ، ويبغض من يتّصف بها أو يدعو إليها .

والعطاء والمنع يشمل جميع ما أمر به العبد . وليس قاصراً على العطاء المالي فقط .

وهذا الحديث كما قال الحسن وغيره : « ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلّي ، ولكنه : ما وقر في القلوب وصدّقته الأعمال » (٢) .

لذا فإنه ينبغي للمربي تربية طلابه على إخلاص هذه الأعمال لله وتعويد النفس وقسرها على ذلك .

(١) سنن الترمذي : أبواب صفة القيامة : باب ٢٢ : رقم ٢٦٥٥ .

وحسنه الألباني : انظر : صحيح سنن الترمذي : ٣٠٩/٢ ، رقم ٢٠٤٦ .

(٢) اقتضاء العلم بالعمل ، للخطيب البغدادي ، ص ٤٣ .

الأسلوب السابع : تعليق القلوب بالله وقطع تعلقها بغيره .

فقد كان ﷺ يلفت أنظارهم إلى المعطي الأول والمانع الأول ،
والنافع والضار على الحقيقة ، ويقطع تعلق قلوبهم بالناس .

فلو اجتمعوا كلهم لنفعه أو ضرره بشيء لم يرده الله تعالى فلن
يستطيعوا ، ولو نفعه أحد فإن ذلك بأمر الله وقد كتبه وقدره وأراده
له . ولولا ذلك ما استطاع ذلك الشخص نفعه أبداً .

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ
يَوْمًا فَقَالَ : « يَا غُلَامُ ، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ ، احْفَظِ اللَّهَ
تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ
الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ،
وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ،
رَفَعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَعَتِ الصُّحُفُ » (١) .

(١) سنن الترمذي ، أبواب صفة القيامة : باب ٢٢ ، رقم ٢٦٤٨ .

وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن الترمذي : ٣٠٨/٢ ، رقم ٢٠٤٣ .

الأسلوب الثامن : تعظيم قدر التوحيد في القلوب .

فإن المرء إذا عرف فضل الشيء وقيمته ؛ قدره حق قدره ، وجاهد نفسه على الإتيان به كاملاً غير منقوص ، وخاصة إذا وقع في النفس بطريقة وأسلوب جذاب كما فعل النبي ﷺ مع معاذ بن جبل ؓ حيث قال : « يٰنَمَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ ، فَقَالَ : يَا مُعَاذُ . قُلْتُ : لَيْتَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : يَا مُعَاذُ . قُلْتُ : لَيْتَكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : يَا مُعَاذُ بَنَ جَبَلٍ . قُلْتُ : لَيْتَكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ . قَالَ : هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ : أَنْ يَعْْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا . ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُعَاذُ بَنَ جَبَلٍ . قُلْتُ : لَيْتَكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ : هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ » ^(١) .

(١) البخاريّ : الرقاق : باب من جاهد نفسه في طاعة الله : ٢٣٨٤/٥ ،

رقم ٦١٣٥ .

وأخرجه البخاريّ في أربعة مواضع غير هذا ، منها : كتاب التوحيد :

رقم ٦٩٣٨ .

وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان : باب : الدليل على أن من مات على التوحيد

دخل الجنة ، رقم ٣٠ .

الأسلوب التاسع : غرس أسباب وجود حلاوة الإيمان وذوق طعمه .
فإنَّ المؤمن إذا وجد حلاوة الإيمان وذاق طعمه وخالطت بشاشته قلبه لم يتخلَّ عنه أبدًا .

فعن أنس ، عن النبي ﷺ قال : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يَقْتَدِفَ فِي النَّارِ » (١) .
وفي رواية مسلم : « وجد بهن » . وفي رواية أخرى له : « لا يجد أحدٌ حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وحتى أن يقتذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله ، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » . فهنا نفى وجود حلاوة الإيمان حتى يتصف الإنسان بهذه الأوصاف .

فمن حرص على التحقق بها وجاهد نفسه على تحقيقها فسيجد حينئذٍ حلاوة الإيمان ، أي لذته ، فيستلذ بالطاعات والعبادات ، وعلى الأخص ما كان منها بعيداً عن مظنة الرياء كالمناجاة في الخلوة وقت التنزل الإلهي ، وعند ذكره سبحانه ، وهكذا في جنس فعل المأمور وسائر العبادات والطاعات ، والكف عن المحظور والمكروه ، ولدى تحمل المشاق والمصاعب في رضى الله ﷻ ، وسيستعذبها في سبيله ، وسيؤثر محبة الله ومحابه عن المحاب الأخرى ، فهنا يتضح صدق الإيمان والمحبة عند تعارض المحاب .

(١) البخاري : الإيمان : باب حلاوة الإيمان : ١٤/١ ، رقم ١٦ . ومسلم في الإيمان :

باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان : ٦٦/١ ، رقم ٤٣ .

قال أبو عبد الله البخاريّ : وقال عمّار : « ثلاثٌ من كُنَّ فيه جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والإنفاق من الإقتار » (١) .

وعن العباس بن عبدالمطلب ؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً » .

قال النووي : « قال صاحب التحرير - رحمه الله - : معنى رضيتُ بالشيء : قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره . فمعنى الحديث : لم يطلب غير الله تعالى ولم يسع في غير طريق الإسلام ، ولم يسلك إلا ما وافق شريعة محمد ﷺ . ولا شك أن من كانت هذه صفته ، فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه » (٢) .

وقال السعدي : « والرضا يقتضي الفرح والسرور بربوبية الله له وحسن تدبيره وأفضيته عليه وأن يرضى بالإسلام ديناً ويفرح به ويحمد الله على هذه النعمة التي هي أكبر المنن حيث رضي الله له الإسلام ووفقه له واصطفاه له ، ويرضى بمحمد ﷺ نبياً . إذ هو أكمل الخلق ، وأعلاهم في كلّ صفة كمال ، وأتمته وأتباعه أكمل الأمم وأعلاهم وأرفعهم درجة في الدنيا والآخرة .

فالرضا بنبوة الرسول ورسالته ، وأتباعه ، من أعظم ما يثمر الإيمان ويندوق به العبد حلاوته » (٣) .

(١) البخاريّ : كتاب الإيمان : باب إفشاء السلام من الإسلام : ١٩/١ ، تعليقا .

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي : الإيمان : باب الدليل على أن من رضي بالله رباً ... : ١٩٣/٢ ، رقم ١٥٠ .

(٣) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، ص ٢٥ ، مختصراً .

الأسلوب العاشر : استكمال الإيمان بحسن الخلق .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَخِيَارَكُمْ خِيَارَكُمْ لِنِسَائِهِمْ » ^(١) .

أي أنه لا يتأتى للإنسان إكمال إيمانه إلا بتحسين خلقه . وبقدر النقص في الأخلاق ينقص الإيمان .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ . وَالْبَدَأُ مِنَ الْجَقَاءِ ، وَالْجَقَاءُ فِي النَّارِ » ^(٢) .

والحياء : خلق ، وهو شعبة من شعب الإيمان ، وهو خلق ديننا الحنيف ، فلا يكتمل الإيمان إلا به .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَنْ تَوْمِنُوا حَتَّى تَرْحَمُوا . قَالُوا : كَلْنَا رَحِيمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ صَاحِبِهِ ، وَلَكِنهَا رَحْمَةُ النَّاسِ رَحْمَةَ الْعَامَّةِ » ^(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت أبا القاسم رضي الله عنه يقول : « لَا تَنْزَعِ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ » ^(٤) .

(١) سنن الترمذي ، أبواب الرضاع ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها : رقم ١١٧٨ ، وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن الترمذي : ٣٤٠/١ ، رقم ٩٢٨ .

(٢) سنن الترمذي : رقم ٢٠٠٩ ، والحاكم في المستدرک : ٥٣/١ ، وقال على شرط مسلم ، ووافقه النهي .

(٣) قال الحافظ في الفتح : ٤٥٣/١٠ : أخرجه الطبراني ورجاله ثقات ، والألباني في الصحيحة : ٢٧٠/١ ، وقال : هو في كتاب الأدب للبيهقي ، حديث ١٦٧ .

(٤) سنن الترمذي : رقم ١٩٢٣ ، وأبو داود : ٤٩٤٢ ، وقال الألباني : حسن ، حد- ٩٣٣/٣ ، رقم ٤١٣٣ .

- وعن عمرو بن عبسة في حديث طويل . قال : قلت (أي لرسول الله ﷺ) : ما الإيمان ؟ قال : « الصبر والسماحة » .
- قلت : أي الإيمان أفضل ؟ قال : « خلق حسن » ^(١) .
- وعن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل المؤمنين : رجلٌ سمحٌ البيعِ سمحُ الشراء ، سمحُ القضاء ، سمحُ الاقتضاء » ^(٢) .
- وقال ﷺ : « البذاذة من الإيمان » ^(٣) .
- قال البذاذة : القضاة يعني التقشُّف . والبذاذة أيضًا : رثاة الهيمة وترك الزينة ، والمراد : التواضع في اللباس وترك التبجُّح به .
- وقال ﷺ : « ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان ، ولا الفحاش ، ولا البذيء » ^(٤) .
- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خصلتان لا تجتمعان في مؤمن : البخل ، وسوء الخلق » ^(٥) .

(١) المسند للإمام أحمد : ٣٨٥/٤ .

وقال الهيثمي في المجمع : ٥٤/١ : « رواه أحمد ، وفيه شهر بن حوشب وقد وثق على ضعفه فيه ، وأصله عند مسلم » .

(٢) مجمع الزوائد للهيتمي : ٧٥/٤ .

(٣) صحيح سنن ابن ماجه : ٣٣٢٤/٢ .

(٤) أحمد في المسند : ٤٠٥/١ ، وقال شاكر : إسناده صحيح : ٢٢٢/٥ .

(٥) أبو داود ، ص ٨١ ، وجامع الأصول : ٦٦٧/٦ ، وقال : إسناده حسن .

الحادي عشر : زيادة طمأنينة القلب بالعلم وتظاهر الأدلة .

فليس العارف بالأدلة وتفصيلها ومقارنتها ، والردّ على من يعترضها ، كمن آمن إيماناً جَمَلًا ولا علم عنده ، وفي هذا يقول شيخ الإسلام : « إن نفس التصديق والعلم في القلب يتفاضل باعتبار الإجمال والتفصيل ، فليس تصديق من صدّق الرسول جَمَلًا من غير معرفة منه بتفاصيل أخباره ، كمن عرف ما أخبر به عن الله وأسمائه وصفاته ، والجنة والنار ، والأمم ، وصدّقه في ذلك كلّه ، وليس من التزم طاعته جَمَلًا ، ومات قبل أن يعرف تفصيل ما أمره به كمن عاش حتى عرف ذلك مفصلاً وأطاعه فيه .

فمن كان مستند تصديقه ومحبته أدلة توجب اليقين وتبيّن فساد الشبهة المعارضة ، لم يكن بمنزلة من كان تصديقه لأسباب دون ذلك .

ولا يستريب عاقل أن العلم بكثرة الأدلة وقوتها ، وبفساد الشبهة المعارضة لذلك ، ويان بطلان حجة المحتج عليها ليس كالعالم الحاصل عن دليل واحد من غير أن يعلم الشبهة المعارضة له .

فإنّ الشيء كلما قويت أسبابه وتعددت وانقطعت موانعه واضمحلت كان أوجب لكماله وقوته وتمامه » (١) .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نَحْنُ أَحَقُّ بِالشُّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ رضي الله عنه إِذْ قَالَ ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّبُ الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنِ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ قَالَ : وَيَرْحَمُ اللَّهُ لَوْطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السُّجْنِ طَوِيلًا لَبِثْتُ يَوْسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ » (٢) .

(١) الفتاوى : ٥٦٦/٧ .

(٢) مسلم : الإيمان : باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة : ١٣٣/١ ، رقم ١٥١ .

ومعنى : « نَحْنُ أَحَقُّ بِالشُّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ » : أن الشكَّ مستحيل في حقِّ إبراهيم . فإنَّ الشكَّ في إحياء الموتى لو كان متطرِّقاً إلى الأنبياء لكنت أنا (أي نبيِّنا محمد ﷺ) أحقَّ به من إبراهيم ، وقد علمتم أنني لم أشك فاعلموا أن إبراهيم ﷺ لم يشكَّ « (١) .

ومن تعدد الأدلة أيضاً : مراقبة العبد تحقُّق ما وعد الله به على السنة رُسُلِهِ من الأوامر والنواهي ، والإخبارات ، وأنه إذا فعل كذا جازاه بكذا ، وإذا فعل كذا حصل له كذا ، فإنَّ مشاهدة تحقُّق ذلك ، وعدم تخلفه يزيد الإيمان ويرسخه ، بكثرة ما يشاهد بعينه من جزاءات على المعاصي والحسنات على حدٍّ سواء . وفي هذا يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - (٢) : « فاعلم أن هذا - أي زيادة الإيمان - حاصل من التفات العارف إلى الذنوب والمعاصي منه ومن غيره وإلى ترتب آثارها عليها ، وترتب هذه الآثار عَلَمٌ من أعلام النبوة . فإنَّ الرسل أمروا العباد بما فيه صلاح ظواهرهم وبواطنهم ، في معاشهم ومعادهم ، ونهوههم عما فيه فساد ظواهرهم ، وبواطنهم في المعاش والمعاد ، وأخبروهم عن الله ﷻ : أنه يحبُّ كذا وكذا ، ويثيب عليه بكذا وكذا ، وأنه يُبغض كيت وكيت ، ويعاقب عليه بكيت وكيت . وأنه إذا أطيع بما أمر به : شكر عليه بالإمداد والزيادة والنعم ، في القلوب والأبدان والأموال . ووجد العبدُ زيادته وقوته في حاله كلها ، وأنه إذا خولف أمره ونهيه ، ترتب عليه من النقص والفساد والضعف ، والذل والمهانة ، والحقارة ، وضيق العيش ، وتنكُّد الحياة ما ترتب . كما

(١) نقلها المحقق محمد فواد عبد الباقي في الحاشية شرحاً للحديث . وهو قول الإمام أبو إبراهيم المزني صاحب الشافعي وجماعات من العلماء .

(٢) مدارج السالكين : ٤٢٢/١ - ٤٢٦ . مختصراً .

فكلُّ نقصٍ وبلاءٍ وشرٍّ في الدنيا والآخرة فسببه الذنوب ، ومخالفة أوامر الربِّ ، فليس في العالم شرٌّ قطَّ إلاَّ الذنوب وموجباتها .

وآثار الحسنات والسيئات في القلوب والأبدان والأموال : أمر مشهود في العالم . لا ينكره ذو عقل سليم . بل يعرفه المؤمن والكافر ، والبرِّ والفاجر . وشهود العبد ؛ هذا في نفسه وفي غيره ، وتأمله ومطالعه : مما يقوي إيمانه بما جاءت به الرسل .

وبالثواب والعقاب فإنَّ هذا عدل مشهود محسوس في هذا العالم ومثوبات وعقوبات عاجلة دالة على ما هو أعظم منها لمن كانت له بصيرة .

كما قال بعض النَّاس : إذا صدر منِّي ذنب ولم أبادره . ولم أداركه بالتوبة : انتظرت أثره السيئ . فإذا أصابني - أو فوقه أو دونه - كما حسبت . يكون هجيراًي : أشهد أن لا إله إلاَّ الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله . ويكون ذلك من شواهد الإيمان وأدلته . فإنَّ الصادق متى أخطبك أنك إذا فعلت كذا وكذا ترتب عليه من المكروه كذا وكذا . فجعلت كلما فعلت شيئاً من ذلك حصل لك ما قال من المكروه ؛ لم تزد إلاَّ علماً بصدقه وبصيرة فيه . وليس هذا لكلِّ أحد . بل أكثر النَّاس ترين الذنوب على قلبه . فلا يشهد شيئاً من ذلك ولا يشعر به البتة .

وإنما يكون هذا لقلب فيه نور الإيمان ، وأهوية الذنوب والمعاصي تعصف فيه . فهو يشاهد هذا وهذا . ويرى حال مصباح إيمانه مع قوَّة تلك الأهوية والرياح . فيرى نفسه كراكب البحر عند هيجان الرياح ، وتقلُّب السفينة وتكفُّفها ، ولا سيما إذا انكسرت به وبقي على لوح تلعب به الرياح .

فهكذا المؤمن يشاهد نفسه عند ارتكاب الذنوب ، إذا أُريد به الخير ، وإن أُريد به غير ذلك فقلبه في واد آخر .

فشهود العبد نقص حاله إذا عصى ربه ، وتغير القلوب عليه ، وجفوها منه ، وانسداد الأبواب في وجهه ، وتوغر المسالك عليه ، وهوانه على أهل بيته وأولاده وزوجته وإخوانه ، وتطلبه ذلك حتى يعلم من أين أتى ؟ ووقوعه على السبب الموجب لذلك . مما يقوي إيمانه .

فإن أقلع وباشر الأسباب التي تُفضي به إلى ضدّ هذه الحال ، رأى العز بعد الذل ، والغنى بعد الفقر ، والسرور بعد الحزن ، والأمن بعد الخوف ، والقوة في قلبه بعد ضعفه ووهنه ؛ ازداد إيماناً مع إيمانه . فتقوى شواهد الإيمان في قلبه وبراهينه وأدلتها في حال معصيته وطاعته . فهذا من الذين قال الله فيهم : ﴿ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

وصاحب هذا المشهد متى تبصّر فيه ، وأعطاه حقه : صار من أطباء القلوب العالمين بدائها ودوائها . فنفعه الله في نفسه ونفع به من شاء من خلقه . والله أعلم « (٢) .

وإيراد هذا هنا ، من وجهين : الأول لفت الأنظار إلى هذا المصدر من الأدلة الذي لا ينتهي ، وذلك لترسيخ الإيمان وزيادته . والثاني : محاسبة النفس والاعتبار بما يحصل للإنسان نفسه ولغيره من جراء اقرار الذنوب .

(١) الزمر : الآية (٣٥) .

(٢) مدارج السالكين : ١/٤٢٢ - ٤٢٦ مختصراً .

الثاني عشر : الحث على العمل والعبادة والاستعانة بالله .

ومما يرسخ الإيمان ويُثبته في القلب : القيام بالأعمال الصالحة ،
الظاهرة كالصلاة والصوم والصدقة والدعوة إلى الله ، والتعليم والتربية
والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذكر الله ، وغير ذلك
من أعمال البر .

والباطنة كمحبة الله ورسوله والمؤمنين وبغض ما يبغضه الله ،
والبراء من الكافرين والولاء للمسلمين ، وكذا الخوف والخشية ،
والرجاء ، والتوكل ، وغير ذلك من أعمال القلوب .

قال الله تعالى : ﴿ ... وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ
تَثْبِيثًا ﴾ (١) . فإن فعل الأعمال الصالحة - أعمال القلوب وأعمال
الجوارح - هي أشد تثبیتاً للمؤمن في إيمانه وترسيخه وتقويته .

والطريق إلى ذلك هو الاجتهاد والحرص على فعل المأمورات وترك
المحظورات والاستعانة بالله على ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَعْبُدُ
وَإِنَّا لَنَسْتَعِينُ ﴾ عبادة واستعانة بالله عليها ، وقوله تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرْهُ
وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ (٢) .

وكان ﷺ يأمر بالقوة في ذلك وبالحرص على ما ينفع ، وترك
العجز والكسل ، ومن ذلك ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة ؓ قال :
قال رسول الله ﷺ : « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ
الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ . احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز .

(١) النساء : الآية (٦٦) .

(٢) هود : الآية (١٢٣) .

وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلتُ كان كذاً وكذاً، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» (١).

وفي السنن أن النبي ﷺ قضى على رجل، فقال المَقْضِيُّ عليه: حسبي الله ونعم الوكيل. فقال النبي ﷺ: «إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس. فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل» (٢).

قال شيخ الإسلام: «وأما قوله: فالأسباب التي يقوى بها الإيمان إلى أن يكمل على ترتيبها؟ هل يبدأ بالزهد؟ أو بالعلم؟ أو بالعبادة؟ أو يجمع بين ذلك حسب طاقته؟ فيقال له: لا بُدَّ من الإيمان الواجب، والعبادة الواجبة، والزهد الواجب. ثمَّ الناس يتفاضلون في الإيمان؛ كتفاضلهم في شعبه، وكل إنسان يطلب ما يمكنه طلبه، ويقدم ما يقدر على تقديمه من الفاضل.

فمنهم من يكون العلم أيسر عليه من الزهد، ومنهم من يكون الزهد أيسر عليه، ومنهم من تكون العبادة أيسر عليه منهما.

فالمشروع لكل إنسان: أن يفعل ما يقدر عليه من الخير كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (٣). وإذا ازدحمت شعب قُدِّم ما كان

(١) مسلم: القدر: باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله: ٢٠٥٢/٤، رقم ٢٦٦٤.

(٢) سنن أبي داود: ١٨ - كتاب الأفضية ٢٨ - باب الرجل يحلف على حقه: ٤٤/٤، رقم ٣٦٢٧. أسقطه الألباني - رحمه الله - من صحيح سنن أبي داود، لضعفه. انظر: ضعيف الجامع، ١٧٥٩.

والكيس: خلاف الخرق، لأنه مجتمع الرأي والعقل. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ١٤٩/٥.

(٣) التغابن: الآية (١٦).

أرضى الله وهو عليه أقدر . فقد يكون على المفضل أقدر منه على
الفاضل ويحصل له أفضل مما يجعل من الفاضل ، فالأفضل لهذا أن يطلب
ما هو أنفع له وهو في حقه أفضل ، ولا يطلب ما هو أفضل مطلقاً ،
إذا كان متعذراً في حقه أو متعسراً يفوته ما هو أفضل له وأنفع ؟

كمن يقرأ القرآن بالليل فيتدبره وينتفع بتلاوته ، والصلاة تثقل عليه
ولا ينتفع منها بعمل ، أو ينتفع بالذكر أعظم مما ينتفع بالقراءة .

فأي عمل كان له أنفع والله أطوع أفضل في حقه من تكلف عمل
لا يأتي به على وجهه . بل على وجه ناقص ويفوته به ما هو أنفع له .

ومعلوم أن الصلاة أكد من قراءة القرآن ، وقراءة القرآن أفضل من
الذكر والدعاء .

ومعلوم أيضاً أن الذكر في فعله الخاص : كالركوع والسجود
أفضل من قراءة القرآن في ذلك المحل . وأن الذكر والقراءة والدعاء عند
طلوع الشمس وغروبها خير من الصلاة ...

ثم قال : وأما طريق الوصول إلى ذلك (أي إلى تقوية الإيمان
بالعبادة والعلم والزهد) فبالاجتهاد في فعل المأمور وترك المحظور
والاستعانة به على ذلك « (١) .

والدعوة إلى الله تعالى والسعي في هداية الناس وطلب الخير لهم ، وكذا
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتعاون على البر والتقوى ، والجهاد
وسائر أنواع البر ؛ كل ذلك من العمل ، وهو يقوي الإيمان ويثبت وينمي .

(١) الفتاوى : ٦٥١/٧ - ٦٥٣ مختصراً .

الثالث عشر : استحضر أمور الإيمان واستدامة الذكر وعدم الغفلة .

قد يكون لدى المؤمن كثير من خصال الإيمان ولكنه لا يستحضرها فيعيش كثيراً من أوقاته في غفلة ، فالتفاضل عند المؤمن بدوام استحضر أمور الإيمان وذكر الله ﷻ . فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه » (١) .

قال ابن القيم في أوجه مجيء الذكر في القرآن الكريم : « الثالث : تعليق الفلاح باستدامته وكثرته ، كقوله تعالى : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢) . والنهي عن ضده من الغفلة والنسيان كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٣) .

وبالذكر تستجلب معية الله ﷻ . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ ﷻ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، إِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِي ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأِ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأِ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » (٤) .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : « الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر الله تعالى خنس » (٥) .

(١) مسلم : كتاب الحيض : ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها : ٢٨٢/١ ، رقم ٣٧٣ .

(٢) الأنفال : الآية (٤٥) ، والجمعة : الآية (١٠) .

(٣) الأعراف : الآية (٢٠٥) .

(٤) مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب الحث على ذكر الله : ٢٠٦١/١ ، رقم ٢٦٧٥ .

(٥) الروايل الصيب ، ص ٥٦ .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ ^(١) : « إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ، ثم عذر أهلها في حال العذر ، غير الذكر فإن الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي إليه ، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على تركه فقال : ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ ^(٢) . بالليل والنهار ، في البر والبحر ، وفي السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والسقم والصحة ، والسر والعلانية ، وعلى كل حال » ^(٣) .

وقال ابن القيم - رحمه الله - : « محبة الله ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمانينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته ، هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يُشبهه نعيم ، وهو قرّة عين المحبين وحياة العارفين » ^(٤) .

وقال الحافظ ابن حجر : « ويُطلق ذِكْرُ اللَّهِ أيضًا ويُراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه ، كتلاوة القرآن ، وقراءة الحديث ، ومدارسة العلم ، والتنفل بالصلاة » ^(٥) .

وقال شيخ الإسلام : « التفاضل يحصل في هذه الأمور - أي أسباب

(١) الأحزاب : الآية (٤١) .

(٢) النساء : الآية (١٠٣) .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : تفسير سورة الأحزاب : ٥٠٣/٣ .

(٤) الرابل الصيب ، ص ٧٠ .

(٥) فتح الباري : ٢١٢/١١ .

الإيمان - من جهة دوام ذلك وثباته وذكره واستحضاره ، كما يحصل
البغض من جهة الغفلة عنه والإعراض والعلم والتصديق والحبِّ
والتعظيم وغير ذلك . فما في القلب هي صفات وأعراض وأحوال تدوم
وتحصل بدوام أسبابها وحصول أسبابها . والعلم وإن كان في القلب ،
فالغفلة تنافي تحققه . والعالم بالشيء في حال غفلته عنه دون العالم
بالشيء في ذكره له : قال عُمر بن حبيب الخطمي من أصحاب
النبي ﷺ : الإيمان يزيد وينقص ، قالوا : وما زيادته ونقصه ؟ قال : إذا
حمدنا الله وذكرناه وسبَّحناه فذلك زيادته ، فإذا غفلنا ونسينا وضيّعنا
فذلك نقصانه « (١) .

وقال السعدي : « ومن أسباب دواعي الإيمان : الإكثار من
ذكر الله كل وقت ، ومن الدعاء الذي هو مخ العباداة . فإن الذكر لله
يفرس شجرة الإيمان في القلب ويغذيها وينميها ، وكلما ازداد العبد
ذكراً لله ، قوي إيمانه ؛ كما أن الإيمان يدعو إلى كثرة الذكر . فمن
أحب الله أكثر من ذكره ؛ ومحبة الله هي الإيمان بل هي روحه » (٢) .

وإذا كان ذكر الله يفرس شجرة الإيمان في القلب ويغذيها وينميها
ويسقيها ؛ فإن الغفلة تُصيب شجرة الإيمان بالذبول والاصفرار
وربما الموت .

(١) الفتاوى : ٥٦٦/٧ .

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، ص ٥١ .

الرابع عشر : تلاوة القرآن وتعلمه وتدبره .

وسياتي مفصلاً في الحديث عن المعرفة ، وإيراده هنا من باب الأهمية والتأكيد عليه ، فقد كان من أهم أساليبه ﷺ في ترسيخ الإيمان القرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتعليماً وتدبراً ؛ إذ هو منبع الهداية وأصلها . قال الله تعالى : ﴿ وَذَرْنَا عَلَيْكَ كِتَابَ تَبْيَانٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ ^(١) . وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ ^(٢) .

فتلاوته أو سماعها تزيد الإيمان وترسخه وتقويه ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ^(٣) .

ومن أعظم ما يقوي الإيمان : تدبر القرآن وتأمله ودراسته ، وقد حث الله على تدبره فقال : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ^(٤) . وقال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ^(٥) . وقال : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ ^(٦) . وقال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ ﴾ ^(٧) . أي أنهم لو أحاطوا

(١) النحل : الآية (٨٩) .

(٢) فصلت : الآية (٤٤) .

(٣) الأنفال : الآية (٢) .

(٤) النساء : الآية (٨٢) .

(٥) ص : الآية (٢٩) .

(٦) المؤمنون : الآية (٦٨) .

(٧) يونس : الآية (٣٩) .

بما في القرآن من العلم لمنهم من التكذيب وأوجب لهم الهداية بل ورسخ إيمانهم وقواه وزاده .

فعن جندب البجلي رضي الله عنه قال : « كُنَّا غِلْمَانًا حَزَاوِرَةً ^(١) مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ ، فَازِدْنَا بِهِ إِيْمَانًا ^(٢) . »

وعن قتادة - رحمه الله - قال : « مَا جَالَسَ الْقُرْآنَ أَحَدًا فَقَامَ عَنْهُ إِلَّا بِزِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ^(٣) . وَهَذَا صَحِيحٌ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ^(٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ^(٥) . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَخْرُجُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ ^(٦) . وَالخُشُوعُ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ ؛ الَّتِي تَمَثَّلُ الْإِيمَانَ الْبَاطِنُ . »

(١) حزاورة : جمع حزور : وهو الغلام إذا قارب البلوغ واشتد وقوي . النهاية ١/٣٨٠

(٢) سنن ابن ماجه : باب في الإيمان ، رقم ٦١ .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ١٦/١ ، رقم ٥٢ .

(٣) سنن الدارمي ، ٣٣٤٧ ، عن نضرة النعيم : ٤/١٢٢٧ .

(٤) التوبة : الآيتان (١٢٤ ، ١٢٥) .

(٥) الإسراء : الآية (١٠٩) .

الخامس عشر : النظر بتدبر في آيات الله في الآفاق وفي الأنفس .
وسياتي أيضاً في المعرفة . وإيراده هنا لأهميته . وسيقتصر على
إيراد آية ومثال تطبيقي للرسول ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ سُنِّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ لَهُمْ
أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (١) .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : « أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ
لَيْلَةٍ . فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ . فَخَرَجَ فَنَظَرَ فِي السَّمَاءِ ، ثُمَّ
تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ فِي آلِ عِمْرَانَ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ
اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ : ﴿ فَنَاعَذَابِ النَّارِ ﴾ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ
فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى ، ثُمَّ اضْطَجَعَ ، ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ فَنَظَرَ إِلَى
السَّمَاءِ فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ثُمَّ رَجَعَ فَتَسَوَّكَ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى » (٢) .

فيه دليل على أهمية النظر والتأمل في مخلوقات الله ؛ وأعظمها
السماء . فالتأمل فيها يجعل المؤمن يُعظَّم خالقها ويخشع له قلبه ،
فيزداد إيمانه .

(١) فصلت: الآية (٥٣) .

(٢) مسلم : الطهارة : باب السواك : ٢٢١/١ ، رقم ٢٥٦ .

السادس عشر : التعريف بأسماء الله الحسنی والتعبدُ بها .

قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ ^(١) . والدعاء يتضمن دعاء العباد ، ودعاء المسألة ، والكُملُ من المؤمنين هم الذين يتعبدون الله بأسمائه الواردة كلها ، لا يطغى اسم على اسم .

وقد ثبت في كثير من دواوين السنة منها الصحيحين قول النبي ﷺ : « **إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا - مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا - مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ** » ^(٢) ، وفي رواية : « من حفظها » .

قال السعدي - رحمه الله - : « أي من حفظها ، وفهم معانيها واعتقدها ، وتعبد الله بها دخل الجنة . ومعرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة : توحيد الربوبية ، وتوحيد الإلهية ، وتوحيد الأسماء والصفات . وهذه الأنواع هي رُوح الإيمان وروحه ، وأصله وغايته ، فكلما ازداد العبدُ معرفة بأسماء الله وصفاته ؛ ازداد إيمانه ، وقوي يقينه ، فينبغي للمؤمن : أن يبذل مقلوره ومستطاعه في معرفة الأسماء والصفات ، وتكون معرفته سالمة من داء التعطيل ، ومن داء التمثيل ؛ اللذين ابتلي بهما كثير من أهل البدع ، بل تكون المعرفة متلقاة من الكتاب والسنة وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، فهذه المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة في إيمانه وقوة يقينه ، وطمأنينة في أحواله .

فَعَلِم : أن ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان وقوة ثباته ومعرفة الأسماء الحسنی هي أصل الإيمان ، والإيمان يرجع إليها » ^(٣) .

(١) الأعراف : الآية (١٨٠) .

(٢) مسلم : الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها : ٢٠٦٢/٤ ، رقم ٢٦٧٧ .

(٣) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان : ص ٤٠ ، ٤١ باختصار مع تأخير في الجملة الأخيرة .

السابع عشر: التأسى بالنبي ﷺ ، ومعرفة سنته واتباعها .

ومَّا يَثْبُتُ الْإِيمَانُ : معرفة النبي ﷺ وما هو عليه من الخلق العظيم ، فقد وصفه ربّه ﷻ فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(١) . وسئلت عائشة - رضي الله عنها - عن ذلك فقالت : « فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ »^(٢) .

وكان ﷺ يدعو أصحابه للتأسي به فيقول : « أليس لكم في أسوة ؟ »^(٣) . وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾^(٤) .

ذلك أن معرفة أخلاق النبي ﷺ وهدية ودلّه وسمته مفصلاً من أكبر الدواعي للتأسي به والتطبيق .

وكان يدعو إلى التمسك بسنته ﷺ في حياته ، ويوصي بالتمسك بها بعد مماته ، فيقول ﷺ : « تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي : كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي »^(٥) .

وقال ﷺ : « اتَّقُوا اللَّهَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّنْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ عِنْدَا حَبَشِيًّا ،

(١) القلم : الآية (٤) .

(٢) مسلم : صلاة المسافرين وقصرها : باب جامع صلاة الليل : ٥١٢/١ ، رقم ٧٤٦ .

(٣) مسلم : صلاة المسافرين وقصرها : باب جامع صلاة الليل : ٥١٢/١ ، رقم ٧٤٦ .

(٤) الأحزاب : الآية (٢١) .

(٥) سيأتي تخريجه إن شاء الله .

وَأِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِي الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» (١) .

وحذر ﷺ من الرغبة عن سنته ، فقال : « ... فمن رغب عن سنتي فليس مني » (٢) .

فالاتجاه في تعلم السنة مع الكتاب ومعرفة أدلة الأحكام وهدى المصطفى ﷺ يثبت الإيمان ويقويه ، وينير الطريق للعمل .

(١) السنة لابن أبي عاصم : باب ما أمر به من اتباع السنة وسنة الخلفاء الراشدين :

٢٩/١ ، رقم ٥٤ . قال الألباني : إسناده صحيح ، رجاله ثقات .

(٢) البخاري : النكاح : الترغيب في النكاح : ١٩٤٩/٥ ، رقم ٤٧٧٦ .

الثامن عشر : التربية على معرفة صفات أهل الإيمان .

وهي كثيرة ؛ ومنتشرة في الكتاب والسنة ، ومنها ما جاء في مقدمة سورة « المؤمنون » في التسع الآيات الأولى ، وكذا ما جاء في سورة الفرقان في ثنتي عشرة آية من قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ ، إلى قوله تعالى : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ . فهذه الصفات التي جاء فيها : الخشوع في الصلاة ، والمحافظة عليها ، وفعل الزكاة ، وحفظ الفروج ، ورعاية العهود والأمانات ، والتواضع في المشي ، والذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ، ويقومون الليل ، ويدعون الله أن يصرف عنهم عذاب جهنم ، وهم معتدلون في الإنفاق لا إسراف ولا تقتير ، ولا يشركون بالله ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ولا يشهدون الزور ، ويحْتَبُونَ اللغو ، وإذا ذكروا بآيات الله تابوا ورجعوا ، وهم مع ذلك يدعون ربهم أن يهب لهم من أزواجهم وذرياتهم قرة أعين ويجعلهم للمتقين إمامًا . هذه الصفات وتأملها وتدبرها والتحقق بها تثمر الإيمان وتنميه وتزيده .

قال السعدي - رحمه الله - : « فحضور القلب في الصلاة وكون المصلي يجاهد نفسه على استحضار ما يقوله ويفعله ، من القراءة والذكر والدعاء فيها ، ومن القيام والقعود ، والركوع والسجود من أسباب زيادة الإيمان ونموه ، وتقدم أن الله سمى الصلاة إيمانًا بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ ^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ ^(٢) . فهي أكبر ناهٍ عن كل

(١) البقرة : الآية (١٤٣) .

(٢) العنكبوت : الآية (٤٥) .

فحشاء ومنكر ينافي الإيمان ، كما أنها تحتوي على ذكر الله الذي يغذي الإيمان وينميه ، لقوله : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ .

والزكاة كذلك تنمي الإيمان وتزيده ، فرضها ونفلها : كما قال ﷺ : « والصدقة برهان » . أي على إيمان صاحبها ، فهي دليل الإيمان ؛ وهي كذلك تغذيه وتنميه .

والإعراض عن اللغو الذي هو : كل كلام لا خير فيه ، وكل فعل لا خير فيه - بل يقولون الخير ويفعلونه ، ويتركون الشر قولاً وفعلًا - لا شك أنه من الإيمان ، ويزداد به الإيمان ، ويثمر الإيمان « (١) .

وقد كان ﷺ يربي أصحابه على خصال الإيمان ، وقد استفاضت كتب السنة بهذا ، ومن ذلك قوله ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَلَا يُوذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ
كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » (٢) .

ومن الأمثلة التطبيقية الكثيرة في حياته ﷺ ما روي عن عائشة - رضي الله عنها - : « أَنْ يَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا : السَّأْمُ عَلَيْكُمْ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ : عَلَيْكُمْ ، وَلَعْنَكُمْ اللَّهُ وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ . قَالَ : مَهْلًا يَا عَائِشَةُ ، عَلَيْكِ بِالرَّفْقِ ، وَإِيَّاكِ وَالْعَنْفَ وَالْفَحْشَ . قَالَتْ : أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ : أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ ، فَيَسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ » (٣) .

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) البخاري : الأدب : باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره : ٢٢٤٠/٥ ، رقم ٥٦٧٢ .

(٣) البخاري : الأدب : باب لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا : ٢٢٤٣/٥ ، رقم ٥٦٨٣ .

التاسع عشر : التربية على الزهد .

والزهد من أسباب تجريد الإيمان وتحقيقه وذلك لأنه يقطع التعلق بالدنيا فيصفي القلب لله ﷻ ، وهذا من أسباب حب الله للعبد ، ومحبة الله للعبد هي أقصى الأماني وأجل المطالب وأعظم المقاصد ، وترسيخ الإيمان وتقويته من أجل حصولها .

فإن الله ﷻ يعطي الآخرة للزاهد في الدنيا والذي لا يريد علواً فيها : قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ بَجَعَلْنَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) . وقال ﷻ : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ (٢) . وقال سبحانه : ﴿ لَكِنِّي لَا تَأْسُوْا عَلٰى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (٣) . وقال ﷻ : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَرِّقْ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (٤) .

فهذه الآيات تأمر بالقناعة والزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله ؛ وترك الأسى على الفاتت والفرح بالآتي ، وأن زهرة الحياة الدنيا فتنة للعبد .

ومن أساليب النبي ﷺ في تربية الزهد في قلوب أصحابه أنه كان يحث عليه ويربطه بمحبة الله .

(١) القصص : الآية (٨٣) .

(٢) الشورى : الآية (٢٠) .

(٣) الحديد : الآية (٢٣) .

(٤) طه : الآية (١٣١) .

فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ذُلِّي عَلَيَّ عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك » ^(١) .

ويأمر بزيارة القبور لتزهد في الدنيا وتذكر الآخرة وترقق القلوب .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً » ^(٢) . وفي حديث أنس رضي الله عنه : « كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ إِلَّا فَزُورُوهَا فَإِنَّهُ يَرِقُّ الْقَلْبُ وَتَدْمِغُ الْعَيْنُ وَتَذُكَّرُ الْآخِرَةُ ، وَلَا تَقُولُوا هَجْرًا » ^(٣) .

وكان صلى الله عليه وسلم يرغب في الاهتمام بالآخرة وعدم الاهتمام بالدنيا .

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَزَقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَةً ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ . وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَةً ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ » ^(٤) .

(١) سنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب الزهد في الدنيا : رقم ٤١٠٢ ، وصححه

الألباني : انظر صحيح سنن ابن ماجه : ٣٩٢/٢ ، رقم ٣٣١٠ .

(٢) المستدرک : الجنائز : ٥٣٠/١ ، رقم ١٣٨٦ ، وقال على شرط مسلم ولم يخرجاه ،

قال النعماني في التلخيص : على شرط مسلم .

(٣) المصدر السابق والمكان نفسه : رقم ١٣٩٣ ، وقال في التلخيص : وروي بإسناد

آخر عن أنس .

(٤) سنن ابن ماجه : الزهد : باب الهم بالدنيا : رقم ٤١٠٥ ، وصححه الألباني :

انظر صحيح سنن ابن ماجه : ٣٩٣/٢ ، رقم ٣٣١٣ .

ويحثُّ أصحابه أن يكون أحدهم كالغريب في الدنيا ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ : كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ . وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ : إِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصُّبْحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحِّتِكَ لِمَرَضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ » (١) . وفي رواية ابن ماجه : « وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ » .

ويحذِّرهم من فتنه الدنيا والمال فيقول ﷺ : « لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ أُعْطِيَ وَاوِيًا مَلَأًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَانِيًا ، وَلَوْ أُعْطِيَ ثَانِيًا أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَالِثًا ، وَلَا يَسُدُّ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ » (٢) .

ولقد كان ﷺ يدعو النَّاسَ بشخصه الكريم ، فقد كان أزهد النَّاسِ .

فعن أبي هريرة ؓ قال : « خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ » (٣) . فهذا مثال تطبيقي من حياته ﷺ ، ومن ذلك أيضًا ما روته عائشة - رضي الله عنها - قالت : « مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، مُنْذُ قَدِيمِ الْمَدِينَةِ ، مِنْ طَعَامِ الْبُرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تَبَاعًا ، حَتَّى قُبِضَ » (٤) .

(١) البخاري : الرقاق : باب قول النبي ﷺ : « كن في الدنيا ... » : ٢٣٥٨/٥ ، رقم ٦٠٥٣ .

وانظر في الرواية الأخرى : صحيح سنن ابن ماجه ، رقم ٣٣٢٢ .

(٢) المصدر السابق والمكان نفسه : رقم ٦٠٧٤ .

(٣) البخاري : الأطعمة ، ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون : ٢٠٦٦/٥ ، رقم ٥٠٩٨ .

(٤) المصدر السابق والموضع نفسه : رقم ٥١٠٠ .

وقال عمر رضي الله عنه : « لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي ، مَا يَجِدُ دَقْلًا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ » ^(١) .

وعن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - أنها كانت تقول : « وَاللَّهِ يَا ابْنَ أُخْتِي ! إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالِ . ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ . وَمَا أَوْقَدَ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارًا . قَالَ قُلْتُ : يَا خَالَهٗ فَمَا كَانَ يُعِيْشُكُمْ ؟ قَالَتْ : الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ .

إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ . فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا فَيَسْقِينَاهُ » ^(٢) .

وكان ﷺ يدعو الله أن يجعل رزق آل محمد ﷺ قوتاً أو كفافاً ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا » ^(٣) . وفي رواية : كفافاً .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَدَمٍ ، وَحَشْوُهُ مِنْ لَيْفٍ » ^(٤) .

(١) مسلم ، الزهد والرفائق : ٢٢٨٥/٤ ، رقم ٢٩٧٨ .

والدقل : رديء التمر ويابس . النهاية : ١٢٧/٢ .

(٢) مسلم : الزهد والرفائق : ٢٢٨٣/٤ ، رقم ٢٩٧٢ .

والمنائح : الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلاً يشرب لبنها ، ثم يردها إذا انقطع اللبن . ثم كثر استعماله حتى أطلق على كل عطاء . المصباح : ٥٨٠ .

(٣) المصدر السابق : والموضع نفسه : رقم ٢٩٦٩ .

قوتاً : أي بقدر ما يُمْسِك الرَّمق من الطعام . النهاية : ١١٩/٤ .

(٤) البخاري : انظر فتح الباري : ٦٤٥٦/١١ .

ومن هدي الصحابة في هذا ما رواه أبو عبدالرحمن الحبيبي قال :
 « سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : أَلَسْنَا
 مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : أَلَيْكَ امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا ؟
 قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَلَيْكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَنْتَ مِنَ
 الْأَغْنِيَاءِ ، قَالَ : فَإِنَّ لِي خَادِمًا . قَالَ : فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ » (١) .

ومن زهد النبي ﷺ في الدنيا ما رواه عبد الله قال : « نَامَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ ، فَقَامَ وَقَدْ أَثْرَفِي جَنْبِهِ ، فَقُلْنَا : يَا
 رَسُولَ اللَّهِ ! لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً ، فَقَالَ : مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا ، مَا أَنَا فِي
 الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَنْظَلُ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا » (٢) .

(١) مسلم : الزهد : ٢٠٨٢/٤ ، رقم ٢٩٧٩ .

(٢) سنن الترمذي : أبواب الزهد : باب ٣١ ، رقم ٢٤٩٦ ، وصححه الألباني ،

انظر : صحيح سننه : ٢٨٠/٢ ، رقم ١٩٣٦ .

العشرون : الجلسات الإيمانية .

كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا كانوا عند رسول الله ﷺ كانوا في مستوى إيماني رفيع ، فهم في حالة ذكر دائم ، فإما أن يكونوا في صلاة ، أو مجلس تعليم ، أو مجلس ذكر يذكرهم فيه الله والدار الآخرة ، والجنة والنار . وإما يقص عليهم من قصص الأمم الماضية وما صنع الله بهم .

وإما يكونوا مع بعضهم البعض يتذكرون بينهم ، فإذا غادر أحدهم هذه المجالس الإيمانية وجد في نفسه وأنكر على قلبه تدني المستوى الإيماني عما كان عليه حال وجوده عند رسول الله ﷺ ، حتى إن بعضهم يخشى على نفسه النفاق ، ومن ذلك ما رواه أبو عثمان النهدي عن حنظلة الأسدي ؛ قال : وكان من كتاب رسول الله ﷺ قال : لقيني أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قال قلت : نافق حنظلة . قال سبحان الله ! ما تقول ؟ قال قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكّرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأينا عين . فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيقات . فنسينا كثيراً . قال أبو بكر : فوالله ! إنا لنلقى مثل هذا .

فانطلقت أنا وأبو بكر ، حتى دخلنا على رسول الله ﷺ . قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : وما ذلك ؟ قلت : يا رسول الله ! نكون عندك . تذكّرنا بالنار والجنة . حتى كأننا رأينا عين . فإذا خرجنا من عندك ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيقات . نسينا كثيراً . فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ! إن لو تدومون على ما تكونون عندي ، وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم ، وفي طرقكم . ولكن يا حنظلة ! ساعة وساعة ثلاث مرات ^(١) .

(١) مسلم : التوبة : فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة ... : ٢١٠٦/٤ ، رقم ٢٧٥٠ .

قال القاضي عياض : « وقوله : نفاق حنظلة ، أي بما ظهر منه بحضرة النبي ﷺ من الخوف ، خلاف ما كان منه في منزله وانفراده ، خشي النفاق . فأعلمه النبي ﷺ أن الحال منهم لا تقتضي بقاءهم على وتيرة واحدة ، وأن مثل هذا ليس بنفاق ، فأعلمهم أن هذه الحال التي وجدوها من أنفسهم عنده لو كانوا ملازمين لها لصافحتهم الملائكة في الطريق » (١) ، وذلك للمستوى الإيماني الرفيع ، واليقين الذي يصلون إليه .

قول النبي ﷺ : « ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق » . دلّ على فضل دوام الذكر وبجالسه ، واستحضار أمور الإيمان ، والفكر في الآخرة ، والمراقبة وتفقد المرء نفسه وإيمانه . وهو ديدن الصحابة رضي الله عنهم ، فإذا وجد أحدهم غفلة أو تشعث في إيمانه طلب إلى إخوانه الجلوس للمّ شعث قلبه ؛ واستعادة ما كان عليه من قوّة ، وتجديد إيمانه والحفاظ عليه وتنميته .

روى البيهقي في شعب الإيمان عن الأسود بن هلال قال : قال معاذ ابن جبل لأصحابه : « اجلسوا بنا نُؤمن - أظنه قال - ساعة ،

قال القاضي عياض : « والمعافسة : المصارعة ونحوها ، أي حاولنا ما نحتاج من أمور الأزواج والأولاد والمعاش واشتغلنا به . والضيعات جمع ضيعة ، وهو ما يكون من معاش الرّجل ، من مالٍ أو حرفة أو صناعة » قاله في شرح الحديث ، انظر إكمال المُعلّم : ٢٥٠/٨ .

(١) إكمال المُعلّم بفوائد مسلم : ٢٥٠/٨ مختصراً .

أي : نذكر الله « (١) . ورواه الإمام البخاريّ تعليقاً بصيغة الجزم :
« وقال معاذ : اجلس بنا نؤمن ساعة » (٢) .

وأخرجه ابن أبي شيبة عن الأسود بن هلال بلفظ : كان معاذ
يقول للرجل من إخوانه : « اجلس بنا فلنؤمن ساعة ، فيجلسان
فيذكران الله ويحمدانه » (٣) .

وروى البيهقي أيضاً عن علقمة عن عبد الله أنه قال : « اجلسوا بنا
نردد إيماناً » (٤) .

(١) شعب الإيمان : باب القول في زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهل الإيمان في
إيمانهم : ٧٣/١ .

(٢) البخاريّ : كتاب الإيمان : باب الإيمان وقول النبي ﷺ : « بني الإسلام على خمس » :
١١/١ تعليقاً بالجزم . قال الحافظ : وصله أحمد وأبو بكر أيضاً بسند صحيح إلى
الأسود بن هلال ، وأخرجه أيضاً عنه ابن أبي شيبة في الإيمان ، ص ٣٥ ،
رقم ١٠٧ ، وقال الألباني : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٣) المصنف لابن أبي شيبة : كتاب الإيمان والرويا : ٢٦/١١ ، رقم ١٠٤١٤ . وقال
المحقق : أورده ابن حجر في الفتح : ٢٦/١ من طريق ابن أبي شيبة وغيره .

(٤) شعب الإيمان : باب القول في زيادة الإيمان : ٧٣/١ . وأخرجه الحافظ ابن أبي
شيبة في الإيمان دون ذكر عبد الله بلفظ : « امشوا بنا نردد إيماناً » . قال الألباني :
إسناده حسن ، وعلقمة هو ابن قيس النخعي الكوفي ، ثبت فقيه عابد من أصحاب
ابن مسعود . الإيمان لابن أبي شيبة ، ص ٣٥ .

العادي والعشرون : التحذير مما يُنافي الإيمان أو يُنقصه .

ينبغي للمؤمن الحذر من الغفلة ، والتيقظ للشيطان ومداخله ، فإذا مسّه طائف من الشيطان فعليه أن يرجع ويتذكر . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَقْبَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿ (٢) .

قال السعدي - رحمه الله - : « ولما كان العبد لا بُدَّ أن يغفل وينال منه الشيطان ، الذي لا يزال مرابطاً ، ينتظر غرته وغفلته ، ذكر تعالى علامة المتقين من الغاوين ، وأن المتقي - إذا أحسن بذنب ، ومسّه طائف من الشيطان فأذنب بفعل محرّم أو ترك واجب - تذكّر من أي باب أتى ، ومن أي مدخل دخل الشيطان عليه ، وتذكّر ما أوجب الله عليه ، وما عليه من لوازم الإيمان ، فأبصر واستغفر الله تعالى ، واستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح . والحسنات الكثيرة . فردّ شيطانه خاسئاً حسيراً ، وقد أفسد عليه كلّ ما أدركه منه . وأمّا إخوان الشياطين ، وأولياؤهم ، فإنهم إذا وقعوا في الذنوب لا يزالون يمدّونهم في الغي ، ذنباً بعد ذنب ، ولا يقصرون عن ذلك » (٣) .

وقال - رحمه الله - : « ومن أهم مواد الإيمان ومقوياته توطين النفس على مقاومات ما ينافي الإيمان : من شعب الكفر والنفاق والفسوق والعصيان .

فإنه كما أنه لا بُدَّ في الإيمان من فعل الأسباب المقوية المنمية له

(١) الأعراف : الآيتان (٢٠١ ، ٢٠٢) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ١٨٣/٢ ، ١٨٤ .

فلا بُدَّ مع ذلك من دفع الموانع والعوائق وهي : الإقلاع عن المعاصي ، والتوبة مما يقع منها ، وحفظ الجوارح كلها عن المحرمات ، ومقاومة فتن الشبهات القادحة في علوم الإيمان المضعفة له ، والشهوات المضعفة لإرادات الإيمان .

فمتى حفظ العبد من الوقوع في فتن الشبهات والشهوات ، تمَّ إيمانه وقوي يقينه .

فالعبد المؤمن الموفق لا يزال يسعى في أمرين :

أحدها : تحقيق أصول الإيمان وفروعه والتحقق بها علماً وعملاً وحالاً .

والثاني : السعي في دفع ما ينافيها وينقضها أو ينقصها : من الفتن الظاهرة والباطنة ويداوي ما قصر فيه من الأول ، وما تجرأ عليه من الثاني بالتوبة النصوح وتدارك الأمر قبل فواته «^(١) .

وأكبر ما ينافي الإيمان ؛ الشرك ، وكان النبي ﷺ يُحذّر منه : قال الله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾^(٢) .

قوله : ﴿ شَيْئًا ﴾ نكرة في سياق النهي ، فتعمّ كلّ شيء : لا نبياً ، ولا ملكاً ، ولا ولياً ، بل ولا أمراً من أمور الدنيا ، فلا تجعل الدنيا شريكاً مع الله ، والإنسان إذا كان همه الدنيا كان عابداً لها ، كما قال ﷺ : « تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةَ ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةَ »^{(٣) (٤)} .

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، ص ٥٩ - ٦١ مختصراً .

(٢) النساء : الآية (٣٦) .

(٣) البخاريّ : الجهاد : الحراسة في الغزو : ٣٢٧/٢ .

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد : ٣٠/١ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (١) .

وكذلك قوله تعالى في الرصايا العشر : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ ... ﴾ (٢) .

ففي هاتين الآيتين : التحذير من الشرك ، ومن كبائر الذنوب الأخرى كالقتل والفواحش وقرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن . وأوصى بالعدل في القول ، والوفاء بالعهد .

وكان ﷺ يُحذِرُ من الشرك ويوصفه لهم أحياناً ليحذروه . فيقول : « أيها الناس ، اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من ديبب النمل . فقال له من شاء الله أن يقول : وكيف نتقيه وهو أخفى من ديبب النمل يا رسول الله ؟ قال : قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلم » (٣) .

(١) النساء : الآية (١١٦) .

(٢) الأنعام : الآيات (١٥١ ، ١٥٢) .

(٣) المسند للإمام أحمد : ٤٠٣/٤ .

وذكره المنذري في الرغيب والتهيب وعزاه للطبراني . وقال : رواه محتج بهم في الصحيح إلا أبو أحمد الراوي عن أبي موسى وثقه ابن حبان ولم يُجرِّحه أحد : ٧٦/١ . انظر في ذلك نضرة النعيم : ٤٧٤٠/١٠ .

قال الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط : « جملة الشرك فيكم أخفى من ديبب النمل » ثابتة من حديث أبي بكر ، ومن حديث ابن عباس عند الحكيم الترمذي وغيره . انظر : فتح المجيد ، ص ٨٣ بتحقيقه وتخرجه .

الثاني والعشرون : الدعاء لهم وحثهم على ذلك .

كان من منهجه ﷺ الدعاء لنفسه ولأصحابه أن يزينهم بزينة الإيمان وأن يزينه في قلوبهم ويحببه إليهم ، ويرزقهم اليقين . ويحثهم على طلبه ، وغير ذلك من أمور الإيمان ، فعن ابن عمر قال : « قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهِؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ : اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تَبْلُغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تَهْوُنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا ... » (١) .

قال عبدا لله بن مسعود ﷺ : « اليقين الإيمان كله » (٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « الصبر نصف الإيمان ، واليقين الإيمان كله . وقال : بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين » (٣) .

وقال أبو بكر الوراق : « اليقين ملاك القلب ، وبه كمال الإيمان ، وباليقين عُرف الله ، وبالعقل عُقل عن الله » (٤) .

وقال الجنيد : اليقين : هو استقرار العلم الذي لا يحول ولا ينقلب ولا يتغير في القلب » (٥) .

(١) سنن الترمذي : رقم ٣٧٤٩ . وحسنه الألباني : انظر صحيح سنن الترمذي :

١٦٨/٣ ، رقم ٢٧٨٣ .

(٢) البخاري : الفتح ، كتاب الإيمان ، ص ٦٠ .

(٣) سبق تخريجه . وهو في الفتاوى .

(٤) بصائر ذوي التمييز : ٣٩٨/٥ .

(٥) المرجع السابق : ٣٩٧/٥ .

فمن هذه الآثار يتضح معنى اليقين الذي ورد في دعاء الرسول ﷺ وأنه أقصى درجات رسوخ الإيمان في القلب بحيث يصبح القلب متشبعا بعظمة الله ﷻ وبأمره ونهيه ومقاديره وما أعدّه الله لعباده ، فتصبح أمور الإيمان كلها كأنها رأي العين . تأتي المصيبة فيصير ويحتسب ، بل يتعدى ذلك إلى مرتبة الرضا ، لأنه وصل إلى درجة من اليقين وكأنه يشاهد جزاء الصابرين المحتسبين الراضين بقضاء الله وقدره ، وأن العاقبة للتقوى . قال ﷺ : « ألا إن الناس لم يؤتوا في الدنيا شيئا خيرا من اليقين والعافية ، فسلوهما الله » (١) .

ومما كان يدعو به النبي ﷺ : « اللهم زيننا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين » (٢) .

ويدعو الله أن يحب إليه وإلى أصحابه الإيمان ويزينه في قلوبهم فيقول : « اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين » (٣) .

وذلك ما امتن الله به على الصحابة ﷺ ، فقال ﷺ : ﴿ .. وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّأَ مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ .

(١) الزهد لابن المبارك ، ص ١٩٦ ، رقم ٥٥٨ . لم أقف على درجته .

(٢) سنن النسائي ، انظر : صحيح سنن النسائي للألباني : ٢٨٠/١ ، رقم ١٢٣٧ .

(٣) الأدب المفرد ، رقم ٦٩٩ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح الأدب المفرد ، ص ٢٥٩ ، رقم ٥٣٨ .

(٤) الحجرات : الآيتان (٧ ، ٨) .

وكان ﷺ يدعو الله أن يصرف قلبه على طاعة الله ويثبت قلبه على دينه فيقول : « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » (١) .

ويقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » (٢) .

ويسأله تعالى أن يهدي قلبه ويسئل سخيمة صدره فيقول : « ... واهد قلبي ، واسل سخيمة صدري » (٣) .

وكان ﷺ يبحث أصحابه على سؤال الله أن يجدد لهم إيمانهم ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب ، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم » (٤) .

وكان ﷺ يعلم الرجل إذا أسلم الصلاة ، ثم يأمره أن يدعو بهذه الكلمات : « اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني » (٥) .

وكان ﷺ يدعو بالهداية لنفسه :

فعن عبد الله ، عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى » (٦) .

(١) مسلم : القدر : باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء : ٢٠٤٥/٤ ، رقم ٢٦٥٤ .

(٢) سنن الترمذي : جامع الدعوات ، باب ٩٥ ، رقم الحديث ٣٧٦٨ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي : ١٧١/٣ ، رقم ٢٧٩٢ .

(٣) المسند : ٣١٠/٣ ، والحاكم وصححه : ٥٢٠/١ ، ووافقه النهي .

(٤) المستدرک للحاكم : ٤/١ ، وقال : رواه مصريون ثقات . ووافقه النهي .

(٥) مسلم : الذكر والدعاء والتوبة : فضل التهليل والتسبيح والدعاء : ٢٠٧٣/٤ ، رقم ٢٦٩٧ .

(٦) المصدر السابق : والموضع نفسه . رقم ٢٧٢١ .

وعن عليّ عليه السلام قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل : اللهم اهدني وسدّني . واذكر بالهدى هدايتك الطريق . والسداد سداد السهم » ^(١) .

وكان عليه السلام يُحذّر أصحابه من الفتن ويخبرهم بوقوعها .

قال حذيفة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تُفْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عودًا عودًا . فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكَّتَ فِيهِ نُكَّةٌ سَوْدَاءُ . وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكَّتَ فِيهِ نُكَّةٌ بَيَاضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ ، عَلَى أبيضٍ مِثْلِ الصَّفَا . فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مَجْحِيًا ، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يَنْكُرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ » ^(٢) .

(١) المصدر السابق : والموضع نفسه . رقم ٢٧٢٥ ، في مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة .

(٢) المصدر السابق ، كتاب الإيمان : بيان أن الإسلام بدأ غريبًا : ١٢٨/١ ، رقم ١٤٤٤ . وتعرض الفتن أي تلتصق بالقلب بشدة .

فأي قلبٍ أشربها : أي دخلت فيه دخولًا تامًا وألزمها وحلّت فيه محل الشراب وتمكّنت منه نكتت فيه نكته : أي نقت نقطة .

مُرْبَادًا : أن يختلط السواد بكثرة .

مجحياً : قال القاضي : كالكوز مجحياً : قال بأنه قلبٌ ونكس حتى لا يعلق به خير ولا حكمة . وقال ابن الأثير : المجحى : المائل عن الاستقامة والاعتدال ، فشبهه القلب الذي لا يعي خيراً بالكوز المائل الذي لا يثبت فيه شيء . النهاية : ٢٤٢/١ .

مثل الصفا : قال القاضي : ليس تشبيهه بالصفا بياناً لبياضه ، لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الفتن وأن الفتن لم تلتصق به ولم تؤثر فيه كالصفا وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء ، بخلاف الآخر الذي شبهه بالكوز الخاوي الفارغ من الإيمان .

انظر : إكمال المعلم : ٤٥٣/١ .

قال القاضي عياض : قال لي (أي شيخه أبو الحسن بن سراج)
ومعنى تُعرض : أي كأنها تلصق ، بعرض القلوب ، أي جانبها ، كما
يلصق الحصير بجانب النائم ويؤثر فيه بشدة لصقها به ، قال : وقوله :
عودًا عودًا : أي تُعاد وتكرّر عليه شيئًا بعد شيء .

وأما غيرهُ فقال : « معناه تُعرض على القلوب ، أي تظهر لها فتنةٌ
بعد أخرى » (١) .

والأظهر - والله أعلم - أن المعنى ينطبق على هذا الأخير .

وقد أورد هذا الحديث هنا لتوطين النفس على إنكار القلب للفتن
وردها قبل أن تدخله ويُشربها . فكلّما ردّ فتنة قوي القلب وصلب
حتى يُصبح مثل الصفا من قوة الإيمان ورسوخه فلا تؤثر فيه الفتنة بل
يردها ولا يآبه بها .



(١) إكمال المعلم : ٤٥٢/١ .

المسلك الرابع : التربية النبوية على حماية جناب التوحيد وهماه ، وسدّ ذرائع الشرك :

لما كان هدف التربية النبوية تحقيق التوحيد وتجريده من الشرك فقد حرص النبي ﷺ على تحقيقه ، فبينه للناس وفسّره وأوضح حقيقته ، وربّاهم على تعظيم الخالق سبحانه وإجلاله وتقديره والخوف منه وخشيته في السرّ والعلانية ، ومحبّته ورجائه والتعلّق به وحده دون الالتفات إلى غيره في السّراء والضراء ، والمنشط والمكروه ، فامتلت قلوبهم بهذه الحقيقة .

ولقد حرص المصطفى ﷺ على بقاء هذا الاعتقاد صافيًا خالصًا لا يشوبه شائبة ، ولا يُكدر صفوه كدر .

فبين ما يُضادّه ويخالفه ، ويناقضه ، وكذا ما يُنقصه ويضعفه ويناقض كماله . وضع له حمىً يحميه ، وسياجًا يحرسه ، لأهميته وشفافيته ، فهو رأس الأمر ، وأصل الأصول ، والمقصود الأعظم ، وسبب النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة .

وقد حمى ﷺ حمى التوحيد ، وسدّ الذرائع المؤدية إلى الشرك بجميع أنواعه ، الأكبر والأصغر ، والجلي والخفي ، والشرك في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .

والحمى هو الشيء المنوع ، قال ابن الأثير : « وهذا شيءٌ حمىٌ أي : محظور لا يُقرب ، وحميته حماية إذا دفعت عنه ، ومنعت منه من يقربه » (١) .

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي : ٤٤٧/١ .

وسدّ الذرائع هي : إغلاق الطرق التي تخترق هذا الحمى وتخرج صاحبها من دائرة التوحيد إلى دائرة الشرك المحيطة بهذا الحمى .

فمن الأمثلة والتطبيقات على حماية رسول الله ﷺ جناب التوحيد وحماه وسدّ الذرائع المؤدية إلى الشرك قوله ﷺ : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » (١) .

وقوله ﷺ : « الطيرة شرك ، وما منا إلا . ولكن الله يذهبهُ بالتوكل » (٢) .

وقال ﷺ : « من تعلق تميمة فقد أشرك » (٣) .

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ، ثم شاء فلان » (٤) ، لأنّ في ذلك مساواة بين الخالق والمخلوق .

ومن ذلك ما رواه عبد الله بن الشَّخِير قال : انطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي غَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْنَا : أَنْتَ سَيِّدُنَا ، فَقَالَ : « السَّيِّدُ اللَّهُ »

(١) المستدرک ، کتاب الأيمان والنذور : ٣٣٠/٤ ، رقم ١٥/٧٨١٤ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم . طبعة دار الكتب العلمية ، تحقيق مصطفى عطا .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الطب : باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة ، رقم ٣٥٣٨ .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ٢٧٠/٢ ، رقم ٢٨٥٠ .

(٣) المسند : ١٥٦/٤ . والحاكم : ٢١٩/٤ ، كتاب الطب ، وقال المنذري في الترغيب : ٣٠٧/٤ ، وكذا الهيثمي في المجمع : ١٠٣/٥ : « ورواه أحمد ثقات » .

(٤) سنن أبي داود : الأدب : باب لا يقول حبث نفسي ، رقم الحديث ٤٩٨٠ .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ٩٤٠/٣ ، رقم ٤١٦٦٦ .

تَبَارَكَ وَتَعَالَى « قُلْنَا : وَأَفْضَلْنَا فَضْلًا ، وَأَعْظَمْنَا طَوْلًا ، فَقَالَ : « قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ » (١) .

وفي حديث أنس رضي الله عنه : « أَنَّ نَاسًا قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَا خَيْرَنَا وَأَبْنُ خَيْرِنَا ، وَسَيِّدَنَا وَأَبْنُ سَيِّدِنَا ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، مَا أَحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنَزَلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ تعالى » (٢) .

وفي هذا تحذير لأصحابه رضي الله عنهم من إطرائه والغلو فيه رضي الله عنه كما غلت اليهود في عزير والنصارى في عيسى عليه السلام ، كل ذلك حماية لجناب التوحيد وحماء مع أنهم رضي الله عنهم لم يقولوا إلا الحق ، ولكنه خشي عليهم من خطرات الشيطان .

وقد ورد النهي عن الإطراء في حديث عمر رضي الله عنه قال : قال رضي الله عنه : « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح » (٣) .

ومن حمايته رضي الله عنه لحمى التوحيد وسدّ الذرائع المؤدية إلى الشرك نهيه عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها واتخاذ القبور مساجد .

(١) سنن أبي داود : الأدب : كراهية التمادح ، رقم ٤٨٠٦ .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ٩١٢/٣ ، رقم ٤٠١٢ .

(٢) المسند : ٢٤١/٣ . والنسائي في عمل اليوم والليلة ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ . وأبو نعيم في الحلية : ٢٥٢/٦ .

وقال ابن عبدالمهدي في الصارم المنكي ، ص ٢٤٦ : « إسناده صحيح على شرط مسلم » .

(٣) البخاري : الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ : ٤٨٧/٣ ، ٣٤٤٥ .

فعن عائشة - رضي الله عنها - ؛ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْتَهَا بِالْحَبَشَةِ ، فِيهَا تَصَاوِيرٌ ، لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنْ أَوْلَيْتُكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، فَمَاتَ ، بَنَوْا عَلَيَّ قَبْرَهُ مَسْجِدًا ، وَصَوِّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ . أَوْلَيْتُكَ شِرَارَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ « (١) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » (٢) .

قالت : فلولا ذاك أبرز قبره . غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً وفي روايتها مع عبد الله بن عباس - رضي الله عنهم أجمعين - قالوا : لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، طَفِقَ يَطْرَحُ حَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ . فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ : « لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » (٣) ، يُحَذِّرُ مِثْلَ مَا صَنَعُوا .

وقال في حديث جندب : « أَلَا وَإِنْ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ . إِنْني أَنهَأَكُم عَنْ ذَلِكَ » (٤) .

(١) مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : النهي عن بناء المساجد على القبور : ٣٧٥/١ ، رقم ٥٢٨ .

(٢) المصدر السابق في الموضوع نفسه : رقم ٥٢٩ .

(٣) المصدر السابق في الموضوع نفسه : رقم ٥٣١ .

(٤) مسلم : ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٣) باب النهي عن بناء المساجد على القبور : ٣٧٧/١ ، رقم ٥٣٢ .

وقد دعا الله ﷻ أن لا يُعبد قبره ، فعن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال : « اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ ، اِشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » (١) .

وخشي ﷺ على المرأة خاصة من زيارة القبور ، لرقتها وعاطفتها وسرعة نفاذ صبرها ، أن تتعاطف مع صاحب القبر ، فتغلو فيه ، فلعن زوارات القبور ، فعن أبي هريرة ؓ قال : « لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور » (٢) .

ومنع أصحابه من الجلوس على القبور والصلاة إليها ، منعاً لشبهة الصلاة لها ، وعبادتها .

فعن أبي مرثد الغنوي ؛ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لَا تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ ، وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا » (٣) .

ونهاهم ﷺ من جعل بيوتهم قبوراً بالدفن فيها فهذا من خصائص الأنبياء أو أن يجعلوها كالقبور لا يجعلون من صلاتهم فيها فكلاهما ممنوع ، وأمرهم بالصلاة عليه وأخبرهم أن صلاتهم تبلغه حيث كانوا .

(١) الموطأ للإمام مالك ، ص ١١٩ ، رقم ٤١٤ ، دار النفائس ، قال محقق تجريد التوحيد : أخرجه ابن سعد في الطبقات : ٢٤١/٢ ، وعبدالرزاق في المصنف : ٤٠٦/١ ، وابن عبدالبر في التمهيد : ٤٢/٥ - ٤٣ عن سعيد بن أسلم مرسلأ ، وله شاهد من حديث أبي هريرة بلفظ مقارب ، أخرجه أحمد : ٢٤٦/٢ ، والحميدي : ٤٤٥/٢ ، وإسناده لا بأس به .

(٢) سنن ابن ماجه : الجنائز : ما جاء في النهي عن زيارة النساء للقبور : رقم ١٥٧٥ .

وحسنه الألباني ، انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ٢٦٣/١ ، رقم ١٢٨١ .

(٣) مسلم : الجنائز : النهي عن الجلوس على القبر والصلاة إليه : ٦٦٨/٢ ، رقم ٩٧٢ .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبوري عيداً ، وصلوا علي ، فإن صلواتكم تبلغني حيث كنتم » ^(١) .

وكان يأمرهم ﷺ بتسوية القبور وعدم رفعها أو تخصيصها أو البناء عليها ، ويأمرهم بطمس التماثيل والصور ، كل ذلك لسد الطرق المؤدية إلى الشرك ، فعن أبي الهيثج الأسدي قال : « قال لي علي بن أبي طالب : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » ^(٢) ، وفي رواية أخرى : « ولا صورة إلا طمستها » .

وعن جابر ؛ قال : « نهى رسول الله ﷺ أن يخصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه » ^(٣) .

وكان يأمر بقطع رؤوس التماثيل ، وطمس الصور ، وتقطع الستور التي بها صور ، وقال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ : « فمز برأس التمثال الذي في البيت يقطع ، فيصير كهتية الشجرة ، ومز بالستر فليقطع ، فليجعل منه وسادتين متبوذتين توطآن » ^(٤) .

(١) سنن أبي داود : كتاب المناسك : باب زيارة القبور ، رقم ٢٠٤٢ .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ٣٨٣/١ ، رقم ١٧٩٦ .

وصححه النووي في الأذكار ، ص ٩٣ .

(٢) مسلم : الجنائز : الأمر بتسوية القبر : ٦٦٦/٢ ، رقم ٩٦٩ . والرواية بعد الحديث مباشرة .

(٣) المصدر السابق : الجنائز : النهي عن تخصيص القبر والبناء عليه : ٦٦٧/٢ ، رقم ٩٧٠ .

(٤) سنن أبي داود : اللباس : باب في الصور ، رقم ٤١٥٨ ، وصححه الألباني .

انظر صحيح سنن أبي داود : ٧٨٣/٢ ، رقم ٣٥٠٤ .

وينهى ﷺ عن التصوير ويحذر منه ، ويهتك الستور التي بها تصاوير كل ذلك حماية لجناب التوحيد وترك مضاهاة الله ﷻ ، وسداً لذريعة تعظيم هذه الصور وعبادتها ، فقد أنكر على عائشة - رضي الله عنها - وضع ستارة على الباب فيها تصاوير وتغير وجهه ﷺ وقام على الباب ولم يدخل البيت .

فمن القاسم بن محمد عن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ أنها أخبرته : « أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير ، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل ، فعرفت في وجهه الكراهية ، قالت : يا رسول الله ، أتوب إلى الله وإلى رسوله ، ماذا أذنبت ؟ قال : ما بال هذه النمرقة ؟ فقالت : اشتريتها لتقعد عليهما وتوسداهما ، فقال رسول الله ﷺ : إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، ويقال لهم : أحيوا ما خلقتم . وقال : إن نيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة » (١) .

وفي رواية : قالت : « قديم رسول الله ﷺ من سفر ، وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيها تماثيل ، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وقال : أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله . قالت : فجعلناه وسادة أو سادتين » (٢) .

وقال ﷺ : « إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصوِّرون » (٣) .

(١) البخاري : اللباس : باب من لم يدخل بيتاً فيه صورة : ٢٢٢٢/٥ ، رقم ٥٦١٦ .

(٢) المصدر السابق : اللباس : باب ما وطئ من التصاوير : ٢٢٢١/٥ ، رقم ٥٦١٠ .

(٣) البخاري : اللباس : باب عذاب المصوِّرين يوم القيامة : ٢٢٢٠/٥ ، رقم ٥٦٠٦ .

وقال ﷺ : « مَنْ صَوَّرَ صُورَةَ فَإِنَّ اللَّهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّى يَنْفَخَ فِيهَا الرُّوحَ
وَلَيْسَ بِنَافِخٍ فِيهَا أَبَدًا » (١) .

وقال ﷺ : « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوْرَةً نَفْسًا
فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ » (٢) . وقال ابن عباس في روايته : إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَأَعْلًا
فَاصْنَعِ الشَّجَرَ وَمَا لَا نَفْسَ لَهُ .

وعن عمران بن حِطَّان : أن عائشة - رضي الله عنها - حدثته :
« أَنْ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَتْرِكُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا فِيهِ تَصَالِيْبٌ (٣) إِلَّا نَقَضَهُ » (٤) .

وكان ﷺ ينهى أصحابه عن الألفاظ التي تُعْظِمُ غير الله فيقول :
« لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : اسْقِ رَيْكَ ، أَطْعِمِ رَيْكَ ، وَضُنْ رَيْكَ ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ :
رَبِّي . وَلْيَقُلْ : سَيِّدِي ، مَوْلَايَ . وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : عَبْدِي ، أُمَّتِي . وَلْيَقُلْ :
فَتَاتِي ، فَتَاتِي ، غَلَامِي » (٥) .

وكان يحذّرهم من الطيرة ويقول : « الطيرة شرك ، وما منا إلا .
ولكن الله يذهبهُ بالتوكّل » (٦) .

(١) البخاريّ : البيوع : باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح : ٧٧٥/٢ ،
رقم ٢١١٢ .

(٢) مسلم : اللباس والزينة : تحريم تصوير صورة الحيوان : ١٦٧٠/٣ ، رقم ٢١١٠ .

(٣) تصاليب : أي تصاوير على هيئة صليب .

(٤) البخاريّ : اللباس : باب نقض الصور : ٢٢٢٠/٥ ، رقم ٥٦٠٨ .

(٥) مسلم : كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها : باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة
والمولى والسيد : ١٧٦٥/٤ ، رقم ١٥/٢٢٤٩ .

(٦) سنن ابن ماجه ، الأشربة : من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة ، رقم ٣٥٣٨ .
وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ٢٧٠/٢ ، رقم ٢٨٥٠ .

وقد ورد عند الترمذي أن قول : وما منّا إلا ... من قول عبد الله ابن مسعود ^(١) .

ويحذّرهم ﷺ من عبادة الدينار والدرهم ، وبينهاهم عن التعلق بالدنيا والتذلل من أجل الحصول عليها .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ ، وَالدَّرْهَمِ ، وَالْقَطِيفَةِ ، وَالْخَمِيصَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ » . قال البخاري : وَزَادَنَا عَمْرُو قَالَ : ... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ ... » ^(٢) الحديث .

قال صاحب القول المفيد في شرحه كتاب التوحيد : « تعس : بفتح العين أو كسرهما : أي خاب وهلك . وسمّاه عبد الدينار ؛ لأنه تعلق به تعلق العبد بالرّب فكان أكبر همّه ، وقدمه على طاعة ربّه .

(و) من الناس من يعبد الدنيا ، أي يتذلل لها ويخضع لها ، وتكون مناه وغايته ، فيغضب إذا فقدت ويرضى إذا وجدت ، ولهذا سمّى النبي ﷺ من هذا شأنه عبداً لها ، وهذا من يُعنى بجمع المال من الذهب والفضة ، فقد استعبدت قلبه حتى أشغلته عن ذكر الله وعبادته .

(و) تسمية المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة ، هذه العبودية لا تدخل في الشرك ما لم يصل بها إلى حدّ الشرك ، ولكنها نوع آخر

(١) سنن الترمذي : أبواب النور والأيمان : باب ما جاء في الطيرة ، رقم ١٦٧٩ .

(٢) البخاري : الجهاد : الحراسة في الغزو في سبيل الله : ١٠٥٧/٣ ، رقم ٢٧٣٠ .

يُخَلَّ بالإخلاص لأنه جعل في قلبه حبة زاحمت حبة الله ﷻ ومحبه أعمال الآخرة .

« إِنْ أُعْطِيَ رَضِي ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ » . هذه علامة عبوديته لهذه الأشياء ؛ أن يكون رضاه وسخطه تابعاً لهذه الأشياء » (١) .

ومن حفاظه ﷺ على جانب التوحيد وسدّ ذرائع الشرك ؛ منع أصحابه من التشبه بالكفار ، أو ما يوهم الآخرين بجواز بعض أفعال المشركين .

فعن ثابت بن الضحّاك (٢) ، قَالَ : « نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِيُؤَانَةَ (٣) فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِيُؤَانَةَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَوْفِ بِنَذْرِكَ ، فَإِنَّهُ لَا وِفَاءَ لِنَذْرِي مَعْصِيَةَ اللَّهِ ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ » (٤) .

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد : ٢٤٨/٢ - ٢٥٣ باختصار .

(٢) قال الحافظ في الإصابة : ثابت بن الضحّاك : بن خليفة بن ثعلبة بن عدي بن كعب بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي ، شهد بيعة الرضوان ، وذكر الترمذي أنه شهد بدرًا . روي أنه كان رديف الرسول ﷺ يوم الخندق ودليله إلى حمراء الأسد ، وكان ممن بايع تحت الشجرة . اختلف في مولده ووفاته ، فقيل في وفاته أنه توفي سنة خمس وأربعين ، وقيل مات أيام ابن الزبير ، وقيل سنة أربع وستين . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة : ٥٠٧/١ ، ترجمة رقم ٨٩٦ ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٣) يؤانة : بضم الباء وقيل بفتحها ، قال البغوي : موضع في أسفل مكة دون يلملم . عون المعبود : ١٤٠/٩ ، وقال أبو السعادات : هضبة من وراء ينبع . النهاية : ١٦٤/١ .

(٤) سنن أبي داود : كتاب الأيمان والنذور : باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر ، رقم الحديث ٣٣١٣ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود . انظر جـ ٢ : ص ٦٣٧ ، رقم ٢٨٣٤ .

دلّ هذا الاستفصال منه ﷺ في منع الذبح عند أوثان المشركين وفي أماكن أعيادهم على حمايته ﷺ جانب التوحيد من وجوه :

الأول : أنّ في الذبح عند الأوثان أو في أماكن أعيادهم تشبّه بالكفار في ذبحهم لأوثانهم ، وأن هذا الحكم يسري حتى بعد إزالة الوثن أو انقضاء أعيادهم .

الثاني : أنّ في هذا الفعل إيهاً من رآه يجواز الذبح في مكان يذبح فيه المشركون .

الثالث : فيه تأييد وتقوية للمشركين إذا رأوا هذا الفعل تشجّعوا وازدادوا عتوّاً .

ومن حمايته ﷺ جناب التوحيد وسدّ ذرائع الشرك : إنكاره الشديد على أصحابه حين طلبوا منه أن يجعل لهم ذات أنواع .

أخرج ابن حبان بسنده عن أبي وأقيد اللّيثي^(١) - وكان من أصحاب رسول الله ﷺ - قال : « لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ،

(١) مختلف في اسمه ، قيل : الحارث بن مالك ، وقيل : ابن عوف ، وقيل : عوف بن الحارث بن أسيد بن حابر بن عبد مناة ، كان حليف بني أسد ، قال أبو عمر : شهد بدرًا ، ولا يثبت .

قال أبو نعيم : أسلم عام الفتح أو قبل الفتح . وقيل : إنّه من مسلمة الفتح ، وقد شهد على نفسه أنّه كان بجنين ، قال : ونحن حديثوا عهد بكفر . وقد نصّ الزهري على أنّه أسلم يوم الفتح . ذكر الواقدي أنّه مات سنة ثمان وستين وله خمس وسبعون . ووافق أبو عمر على ما قاله الواقدي ، ثمّ قال : وقيل : مات سنة خمس وثمانين ، وبهذا الأخير حزم البغوي وآخرون .. باختصار : من الإصابة : ٣٧٠/٧ - ٣٧١ ، رقم الترجمة (١٠٧٠١) ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .

خرج بنا معه قبل هوازن ، حتى مررنا على سِدْرَةِ الكِفَار : سِدْرَةَ يعكفون حولها ، ويدعونها ذات أنواط ، قلنا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ ^(١) كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُ أَكْبَرُ ؛ إِنَّهَا السَّنَنُ ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلِهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ ^(٢) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّكُمْ لَتُرَكِّبْنَ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ^(٣) .

فهي مراحل تؤدي في النهاية إلى الشرك : أولها اتخاذ الشجرة ، ثم تعليق الأسلحة وغيرها عليها ، ثم التبرك بها ، والبركة لا تأتي إلا من الله وحده ، ثم عبادتها .

وقد سدَّ النبي ﷺ كلَّ هذه المراحل قبل بدايتها .

ومن حمايته ﷺ لجناب التوحيد والبعد عن التشبه بعباد الشمس : النهي عن الصلاة في الأوقات التي كان المشركون يسجلون للشمس فيها ، عند شروقها ، وعند زوالها ، وعند غروبها - سوى ذوات الأسباب - .



(١) ذات أنواط : قال ابن الأثير في النهاية : ١٢٨/٥ : هي اسم شجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم : أي يعلقونه بها ، ويعكفون حولها ، فسألوه أن يجعل لهم مثلها ، فنهاهم عن ذلك . وأنواط : جمع نوط وهو مصدر سُمِّيَ به المنوط .

(٢) الأعراف : الآية (١٣٨) .

(٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : ج١٥ : رقم ٦٧٠٢ ، مؤسسة الرسالة ، قال محققه شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم . ا.هـ .

وأخرجه الإمام أحمد في المسند بلفظ مقارب : ٢٠٨/٨ ، ٢٠٩ ، رقم ٢١٩٥٦ . وأخرجه الترمذي في سننه ، وقال : حسن صحيح : في كتاب الفتن : باب لتركيبن سنن من كان قبلكم : رقم ٢٢٨٥ .

وصححه الألباني : انظر : صحيح سنن الترمذي : ٢٣٥/٢ ، رقم ١٧٧١ .

المبحث الثاني : تربية العمل بالعلم (إصلاح أمانة التعلُّم) :

المطلب الأول : إصلاح القلوب وتربية الإرادة .

المسلك الأول : (تطهير القلوب) .

وفيه مسألتان : الأولى : أهمية تطهير القلوب ، مع الأدلة .

الثانية : الأسلوب النبوي التطبيقي في تطهير القلوب .

المسألة الأولى : أهمية تطهير القلوب ، مع الأدلة :

تطهير القلوب جزءٌ من إصلاحها وتزكيته ، وقد أفرد لشدة الحاجة إليه ، ومزيد العناية به ، لهيئة القلب لقبول الهدى ، ذلك أنَّ القلب الخالي من الأدران وأعظمها الشرك ثم البدع والشبهات والشهوات ، المُفرَّغ من الأخلاط والأرجاس وورديء الأخلاق ، يكون قابلاً للانقياد بمجرّد سماع الحق وإدراكه .

والأصل في ذلك قولُ الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ ﴾^(١) .

روى ابن جرير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ . قال : لا تلبسها على معصية ولا على غدره ، وعنه أيضاً قال : من الإثم . وعن عكرمة : لا تلبسها على غدره ولا على فجره . وعن قتادة : طهرها من المعاصي . وعنه أيضاً : من الخطايا . وقال آخرون : لا تلبس ثيابك من مكسب غير طيب . وقال مجاهد : نفسك ليس ثيابك ، وفي رواية : أي عملك فأصلح .

(١) المدثر (١ - ٤) .

وعن ابن زيد : كان المشركون لا يتطهّرون ، فأمره الله أن يتطهّر وأن يطهّر ثيابه « (١) .

قال الحافظ ابن كثير : « وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب . وقال سعيد بن جبير : وثيابك فطهّر ، وقلبك ونيّتك فطهّر » (٢) .

قال الإمام ابن القيم : « وجمهور المفسّرين من السلف ومن بعدهم على أنّ المراد بالثياب هاهنا : القلب ، والمراد بالطهارة : إصلاح الأعمال والأخلاق » (٣) .

ففي هذه الآية القصيرة اللفظ ، العظيمة المعنى يأمر الله ﷻ نبيه الكريم ﷺ بالطهارة الشاملة لباطنه وظاهره ، وقد اقترن ذلك بأول أمره بالندارة ، مما يدلّ على أنّ الداعي إلى الله يحتاج إلى مزيد عناية بتطهير قلبه ، لما يناله من جرّاء الندارة .

ومن الأدلة على أهميّة العناية بتطهير القلب : قول الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٤) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : « مما يدل على أنّ العبد إذا اعتاد سماع الباطل وقبوله أكسبه ذلك تحريفًا للحق عن مواضعه ، فإذا قبل الباطل أحبه ورضيه ، فإذا جاء الحق بخلافه ردّه وكذّبه ، إنّ قدر على ذلك ، وإلا حرّفه .

(١) تفسير الطبري : ١٢٩/٢٩ - ١٣٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٤٧٠/٤ .

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : ٥٢/١ .

(٤) المائدة : الآية (٤١) .

فهؤلاء من الذين لم يُرد الله أن يطهّر قلوبهم ، فإنها لو طُهرت لما عرضت عن الحق وتعوّضت بالباطل عن كلام الله تعالى ورسوله ، كما أن المنحرفين ن أهل الإرادة لما لم تطهر قلوبهم تعوضوا بالسمع الشيطاني عن السماع القرآني الإيماني . قال عثمان رضي الله عنه : « لو طُهرت قلوبنا لما شَبِعَتْ من كلام الله » .

فالقلب الطاهر لكمال حياته ونوره وتخلّصه من الأدران والخبائث لا يشبع من القرآن ولا يتغذى إلا بحقائقه ، ولا يتداوى إلا بأدويته ، بخلاف القلب الذي لم يطهّره الله تعالى ، فإنه يتغذى من الأغذية التي تناسبه بحسب ما فيه من النجاسة . فإن القلب النجس كالبدن العليل المريض ، لا تلائم الأغذية التي تلائم الصحيح ، ودلت الآية على أن طهارة القلب موقوفة على إرادة الله تعالى ، وأنه سبحانه لما لم يرد أن يطهّر قلوب القائلين بالباطل ، المحرفين للحق لم يحصل لها الطهارة .

ودلت الآية : على أن من لم يطهّر الله قلبه فلا بُدَّ أن يناله الخزي في الدنيا ، والعذاب في الآخرة ، بحسب نجاسة قلبه وخبثه ، ولهذا حرّم الله سبحانه الجنة على من في قلبه نجاسة وخبث ، ولا يدخلها إلا بعد طيبه وطهره . فإنها دار الطيبين ، ولهذا يُقال لهم : ﴿ طَبِّئْتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ . أي ادخلوها بسبب طيبكم ، والبشارة عند الموت لهؤلاء دون غيرهم ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَلَايِكَةُ طَبِّئِينَ ﴾ . فالجنة لا يدخلها خبيث ، ولا من فيه شيء من الخبث ، فمن تطهّر في الدنيا ولقي الله طاهراً من نجاسته دخلها بدون معوق ، ومن لم يتطهّر في الدنيا فإن كانت نجاسته عينية ، كالكافر ، لم يدخلها بحال . وإن كانت نجاسته كسبية عارضة دخلها بعدما يتطهّر في النار من تلك النجاسة .

والله سبحانه بحكمته جعل الدخول عليه موقوفاً على الطهارة ، فلا يدخل المصلي عليه حتى يتطهر ، وكذلك جعل الدخول إلى جنته موقوفاً على الطيب والطهارة ، فلا يدخلها إلا طيب طاهر . فهما طهارتان : طهارة البدن ، وطهارة القلب ، ولهذا شرع للمتوضئ أن يقول عقيب وضوءه : « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَابِينَ ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ » (١) .

فطهارة القلب بالتوبة ، وطهارة البدن بالماء . فلما اجتمع له الطهران صلح للدخول على الله تعالى ، والوقوف بين يديه ومناجاته « (٢) .

ومن الأدلة أيضاً على وجوب تطهير القلب وخلع الأنداد والأوثان قول الله تعالى : ﴿ ... فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْهْصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

قال ابن عطية : « وقدّم تعالى ذكر الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ليُظهر الاهتمام بوجوب الكفر بالطاغوت » (٤) .

(١) الترمذي : أبواب الطهارة : باب ما بعد الوضوء : رقم ٥٥ ، ونصه : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَخْسَنَ

الْوَضُوءَ ثُمَّ قَالَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَابِينَ ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ ، فَتَحَّتْ لَهُ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ . يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح الترمذي : ١٨/١ ، رقم ٤٨ .

(٢) إغاثة اللهفان : ٥٥/١ - ٥٦ .

(٣) البقرة : الآية (٢٥٦) .

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق المجلس العلمي بفاس ، الطبعة الثانية

مطابع فضاله بالمحمدية بالمغرب : ٢٨٣/٢ .

وقال الحافظ ابن كثير في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ﴾ : من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ، فوحد الله فعبدته وحده ، وشهد أن لا إله إلا هو « (١) .

وتطهير القلب من الأوثان والأنداد والتعلق بها والاعتماد عليها هو معنى الشطر الأول من كلمة الإخلاص ، فهي نفي وإثبات ، نفي ما يُعبد من دون الله ، وإثبات الألوهية له سبحانه ، لا إله ؛ أي لا معبود بحق ، نفي كل ما يُعبد من دون الله وخلعه من القلب وتفريغه ، وإثبات الألوهية الحقّة لله وحده ، أي لا معبود بحق إلا الله ﷻ .

ومن الأدلة على امتلاء قلب الإنسان بالأخلاق ما رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : « لَأَنْ يَمْتَلِيَنَّ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيَنَّ شِعْرًا » (٢) .

والجوف هنا : المراد به القلب إذا امتلأ شعراً فماذا يتبقى لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

وقد جاء الحديث عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَأَنْ يَمْتَلِيَنَّ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا يَرِيهِ (٣) خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيَنَّ شِعْرًا » (٤) .

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦٢٨/٢ .

(٢) البخاري ، الأدب ، باب ما يُكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصدّه عن ذكر الله والعلم والقرآن : ٢٢٧٩/٥ ، رقم ٥٨٠٢ .

(٣) وري القبح جوفه يريه ورياً : أكله ، انظر : مختار الصحاح ، ص ٢٩٩ .

(٤) البخاري ، الأدب ، باب ما يُكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر : ٢٢٧٩/٥ ، رقم ٥٨٠٣ .

وفي حادثة تطهير قلب الرسول ﷺ التي تكررت مرتين على أرجح الأقوال ، وذلك وهو صغير في بني سعد ، ثم ليلة الإسراء ، وهي من خصوصياته ﷺ ، ولكن فيها إشارة إلى أنه ينبغي على الإنسان مجاهدة نفسه وتطهير قلبه ليكون صالحاً لقبول العلم والهدى وترجمته إلى عمل حتى يأتي ربه بقلب سليم ، صالح لمجاورته في دار كرامته .

روى الإمام مسلم - رحمه الله - عن أنس بن مالك ﷺ : « أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة . فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا : إن محمداً قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون . قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره » (١) .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « وقد استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء ، وقال : إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد ، ولا إنكار في ذلك ، فقد تواردت الروايات به . وثبت شق الصدر أيضاً عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في « الدلائل » ، ولكل منها حكمة ، فالأول وقع فيه من الزيادات كما عند مسلم من حديث أنس « فأخرج العلقة فقال : هذا حظ الشيطان منك » ، وكان هذا في زمن الطفولية ، فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثم

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، تحقيق خليل مأمون شيحا ، الطبعة الأولى ، دار

المعرفة ، بيروت : ٣٨٩/٢، ٤١١ .

وقع شقّ الصدر عند البعث زيادة في إكرامه ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قروي في أكمل الأحوال من التطهير ، ثم وقع شقّ الصدر عند إرادة الخروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة ، ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرّة الثالثة كما تقرّر في شرعه ﷺ « (١) .

وقد ثبت في روايات البخاريّ أنّه حُشي حكمة وإيماناً وسكينة بعد أن أخرجت منه العلقة ، وفي رواية مغمز الشيطان ، وغُسل بماء زمزم وطُهر .

وإنّما أورد هذا في هذا الموضوع للتدليل على أهميّة تطهير القلب ، وعلى عناية الله بنبيه محمّد ﷺ في هذه الناحية . وعلى أهميّة التطهير المعنوي للقلب . أمّا الشقّ وغسل القلب واستخراج العلقة فهذا كلّه من خصوصياته ﷺ .

ومن الأدلة أيضاً على أهميّة تطهير القلب من رواسب الجاهلية ما أخرجه الإمام البخاريّ عن المَعْرُورِ قال : « لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ ،

(١) فتح الباري : كتاب مناقب الأنصار : باب المعراج - ٤٢ ، ج ٧ ص ٢٤٤ ، رقم ٣٨٧٧ .

وقد علّق د. أكرم ضياء العمري على رواية شقّ الصدر عند البعث بقوله : وردت روايات تفيد وقوع شقّ الصدر مرّة ثالثة قبيل البعث ساقها أبو نعيم الأصبهاني في « دلائل النبوة ، ص ٦٩ » ، والطيبالسي « منحة المعبود في ترتيب مسند الطيبالسي أبي داود : ٨٦/٢ - ط ١ سنة ١٣٧٢ هـ ، وفي إسنادها داود بن المحير وهو متروك ، فرواياته ساقطة لا يُعَوَّل عليها » ، انظر : السيرة النبوية الصحيحة له ، ص ١٠٣ ، هامش .

وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ ، وَعَلَى غَلَامِهِ حُلَّةٌ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنِّي سَأَيْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ ؟ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ ، إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمَهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلَا تَكْلُفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ» (١) .

وهذا دليل على وجوب تطهير القلب من بقايا الجاهلية .

وقد ورد النهي عن أمور الجاهلية والتخلُّص منها في حديث جابر ابن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : « كُنَّا فِي غَزَاةٍ - قَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً فِي جَيْشٍ - فَكَسَعَ (٢) رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : يَا لِلْأَنْصَارِ ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ : يَا لِلْمُهَاجِرِينَ ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ » (٣) ، وفي رواية « دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ » (٤) .

ولقد جاء أناسٌ بطرقٍ بدعيةٍ في تطهير القلب وتفريغهِ من الأخلاط

(١) البخاريّ : كتاب الإيمان : باب : المعاصي من أمر الجاهلية ، ولا يُكْفَرُ صاحبُها بارتكابها إلا بالشرك : ٢٠/١ ، رقم ٣٠ .

وعيّره بأُمِّهِ ، أي قال له (يا ابن السوداء) كما وردت بذلك الروايات .

(٢) كسع : ضرب دبر غيره بيده أو برجله ، وقيل هو ضرب العجز بالقدم .

(٣) البخاريّ : التفسير : باب قوله : سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ... : ١٨٦٢/٤ ، رقم ٤٦٢٢ .

(٤) المصدر السابق : المناقب : باب ما يُنهي من دعوى الجاهلية : ١٢٩٦/٣ ، رقم ٣٢٣٠ .

فقالوا بتطهير القلب وتفريغه من جميع الخواطر والأفكار ، وانتظار شيئاً ينزل عليه يملأ قلبه بالإيمان ، ويدلّه على الطريق المستقيم . وفي ذلك يقول شيخ الإسلام : « وأما أبو حامد وأمثاله فمن أمروا بهذه الطريقة فلم يكونوا يظنون أنّها تفضي إلى الكفر - لكن ينبغي أن يُعرف أنّ البدع بريد الكفر - ولكن أمروا المرید أن يفرغ قلبه من كلّ شيء ، حتى قد يأمره أن يقعد في مكان مظلم ويغطي رأسه ويقول ؛ الله ، الله .

وهم يعتقدون أنه إذا فرغ قلبه استعداداً بذلك ، فينزل على قلبه من المعرفة ما هو المطلوب ، بل قد يقولون : إنه يحصل له من جنس ما يحصل للأنبياء » (١) .

ثم قال : « إنّ الذي قد عُلم بالسمع والعقل ؛ إنه إذا فرغ قلبه من كلّ شيء حلّت فيه الشياطين ، ثمّ تنزلت عليه الشياطين ، كما كانت تنزل على الكهّان ؛ فإنّ الشيطان إنّما يمنعه من الدخول إلى قلب ابن آدم ما فيه من ذكر الله الذي أرسل به رسله ، فإذا خلا من ذلك تولاه الشيطان ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْسُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ هَبَّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿١٣﴾ .

وخاتم الرسل ﷺ قد أمر أمته بعبادات شرعية من صلاة وذكر ودعاء وقراءة ، لم يأمرهم قطّ بتفريغ القلب من كلّ خاطر وانتظار ما ينزل .

ولكن التفريغ والتخلية التي جاء بها الرسول أن يفرغ قلبه مما لا يحبه الله ويملأه بما يحبه الله .

(١) الفتاوى : ٣٩٧/١٠ - ٣٩٨ .

يفرّغه من عبادة غير الله ويملؤه بعبادة الله ، وكذلك يفرّغه عن محبة غير الله ، ويملؤه بمحبة الله ، وكذلك يخرج عنه خوف غير الله ، ويدخل فيه خوف الله تعالى ، وينفي عنه التّوكّل على غير الله ، ويثبت فيه التّوكّل على الله . وهذا هو الإسلام المتضمّن للإيمان الذي يمده القرآن ويقويه ، لا يناقضه وينافيه ؛ كما قال جندب وابن عمر : « تعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثمّ تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً » .

وأما الاقتصار على الذّكر المجرد الشرعي مثل قول : لا إله إلاّ الله ، فهذا قد ينتفع به الإنسان أحياناً ، لكن ليس هذا الذّكر وحده هو الطريق إلى الله تعالى دون ما عداه ، بل أفضل العبادات البدنية ؛ الصلاة ، ثمّ القراءة ، ثمّ الذّكر ، ثمّ الدعاء .

والمفضول في وقته الذي شرع فيه أفضل من الفاضل ، كالتسبيح في الركوع والسجود فإنّه أفضل من القراءة ، وكذلك الدعاء في آخر الصلاة أفضل من القراءة .

ثمّ قد يفتح على الإنسان في العمل المفضول ما لا يفتح عليه في العمل الفاضل .

وقد يسر عليه هذا دون هذا ، فيكون هذا أفضل في حقه لعجزه عن الأفضل . كالجائع إذا وجد الخبز المفضول متيسراً عليه والفاضل متعسراً عليه فإنّه ينتفع بهذا الخبز المفضول ؛ وشيعة واغتداؤه به حينئذٍ أولى به « (١) » .

(١) الفتاوى : ٣٩٨/١٠ - ٤٠٢ مختصراً .

والتطهير للقلب يكون للغين أو الغيم أو الران وهو أشدّها . قال ابن القيم : « فالأوّل يقع للأنبياء عليهم السلام ، كما قال النبي ﷺ : « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » (١) ، والثاني يكون للمؤمن ، والثالث لمن غلبت عليه الشقوة . قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ . قال ابن عباس وغيره : هو الذنب بعد الذنب يُغَطِّي القلب ، حتّى يصير كالران عليه .

والحجب عشرة : حجاب التعطيل ونفي حقائق الأسماء والصفات ، وهو أغلظها . فلا يتهاى لصاحب هذا الحجاب أن يعرف الله ، ولا يصل إليه البتة إلا كما يتهاى للحجر أن يصعد إلى فوق .

الثاني : حجاب الشرك ، وهو أن يتعبّد قلبه لغير الله .

الثالث : حجاب البدعة القولية .

الرابع : حجاب البدعة العملية .

الخامس : حجاب أهل الكبائر الباطنة ، كحجاب أهل الكبر ، والعُجْب ، والرياء ، والحسد ، والفخر ، والخيلاء ، ونحوها .

السادس : حجاب أهل الكبائر الظاهرة ؛ وحجابهم أرقّ من حجاب إخوانهم من أهل الكبائر الباطنة ، مع كثرة عبادتهم وزهادتهم واجتهاداتهم ، فكبائر هؤلاء أقرب إلى التوبة من كبائر أولئك .

السابع : حجاب أهل الصغائر .

الثامن : حجاب أهل الفضلات والتوسّع في المباحات .

(١) سيأتي تخريجه ص ٢٧٠ .

التاسع : حجاب أهل الغفلة عن استحضار ما خلقوا له ، وما لله عليهم من دوام ذكره وشكره وعبوديته .

العاشر : حجاب المجتهدين السالكين المشمرين في السير عن المقصود .

وهذه الحجب تنشأ من أربعة عناصر : عنصر النفس ، وعنصر الشيطان ، وعنصر الدنيا ، وعنصر الهوى ، فلا يمكن كشف هذه الحجب مع بقاء أصولها وعناصرها في القلب البتة « (١) » .

(١) مدارج السالكين : ٢٢٣/٣ - ٢٢٤ مع قليل من الاختصار .

المسألة الثانية : الأسلوب النبوي التطبيقي في تطهير القلوب :
أولاً - بالتوبة والاستغفار :

فمن الأغرّ المزني - وكانت له صُحبة ؛ أن رسول الله ﷺ قال :
« إِنَّهُ لَيُغَانُ ^(١) عَلَى قَلْبِي . وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » ^(٢) .

فهذا تطبيق عملي منه ﷺ بلجونه إلى الاستغفار حين يُغشى على قلبه . والله ﷻ يقول : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ ^(٣) .

وقال ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ . فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ » ^(٤) .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » ^(٥) .

قال ابن القيم : « فأرسل إليهم اللطيف الخبير الدواء على أيدي أطباء الوجود ، فحماهم الطبيب بالمناهي ، وحفظ القوة بالأوامر ، واستفرغ أحلاطهم بالتوبة ، فجاءت العافية من كل ناحية » ^(٦) .

(١) ليغان : قال ابن فارس : فالغين : الغيم ، ويقال : غينَ على قلبه ، كأنَّ شيئاً غشيه . معجم مقاييس اللغة : ٤/٤٠٧ ، مادة : غين .

(٢) مسلم : الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه : ٤/٢٠٧٥ ، رقم ٢٧٠٢ .

(٣) الأحزاب : الآية (٢١) .

(٤) مسلم : الذكر والدعاء : باب استحباب الاستغفار : ٤/٢٠٧٥ ، رقم ٢٧٠٢ .

(٥) البخاري : الدعوات : باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة : ٥/٢٣٢٤ ، رقم ٥٩٤٨ .

(٦) الفوائد ، ص ١٢٣ .

ثانياً . بالدعاء لتطهير القلب وتنقيته :

فمن عائشة - رضي الله عنها - قالت : كان النبي ﷺ يقول : « اللهم إني أعوذُ بك من فتنة النار وعذاب النار ، وفتنة القبر وعذاب القبر ، وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر ، اللهم إني أعوذُ بك من شر فتنة المسيح الدجال ، اللهم اغسل قلبي بماء الثلج والبرد ، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وباعد بيني وبين خطاياي ، كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم إني أعوذُ بك من الكسل ، والنائم والمقزم » (١) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه : « رب أعني ولا تعين علي ، وأنصرتني ولا تنصر علي ، وامكر لي ولا تمكر علي ، وأهدني ويسر الهدى لي ، وأنصرتني على من بقى علي ، رب اجعلني لك شكراً ، لك ذكراً ، لك رهاباً ، لك مطيعاً ، إليك مخبتاً ، إليك أواهاً منيباً ، رب تقبل توبتي ، واغسل حوبتي ، وأجيب دعوتي ، واهد قلبي ، وسدد لساني ، وثبت حجتي ، واسأل سخيمة قلبي » (٢) .

وفي كل هذا معنى التأسى به ﷺ في دعاء الإنسان لنفسه .

ثالثاً . بالأمر بالاستعاذة من شره :

فقد كان ﷺ يأمر بذلك ، فيقول : « قل : اللهم إني أعوذُ بك من شر سَمْعِي ، ومن شر بَصَرِي ، ومن شر لِسَانِي ، ومن شر قَلْبِي ، ومن شر مَنِيبي - يَعْنِي فَرْجَهُ - » (٣) .

(١) البخاري : الدعوات : باب التَّعَوُّذِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ : ٢٣٤٤/٥ ، رقم ٦٠١٦ .

(٢) سنن ابن ماجه : كتاب الدعاء ، باب دعاء النبي ﷺ : رقم ٣٨٣٠ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح ابن ماجه : ٣٢٤/٢ ، رقم ٣٠٨٨ .

(٣) سنن الترمذي : جامع الدعوات : باب ٧٦ ، رقم ٣٧٣٨ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح الترمذي : ١٦٦/٣ ، رقم ٢٧٧٥ .

رابعاً . الإقناع العقلي :

ينطلق المصطفى ﷺ في دعوته وتربيته وتعليمه من حكمة ممتلى بها قلبه ، فتفيض على لسانه ، وتجري على يديه . ذو معرفة دقيقة بأحوال الناس وعقائدهم ، والجاهلية التي كانوا عليها .

يتعامل مع كل شخص بما يناسبه ، وفق الفروق الفردية التي جعلها الله بين عباده ، مراعيًا ظروف الزمان والمكان ، وما يحيط به من عوامل ، يعرف مداخل كل شخص ، فيدخل عليه من الموضوع الذي يصلح له ، فيأتي على المعتقدات الفاسدة ، ويقتلع جذور الباطل من القلب ، ويستأصل شأفة الجاهلية ، ويهدم ما في القلب من الأفكار الباطلة ، ويظهره منها ، ويفرغه من الأدران والأخلاق السيئة .

وذلك بإقناعه بتهافت ما هو عليه من الباطل ، وإقناعه بضرره وعدم نفعه ، وأحياناً يعقد مقارنة بينه وبين المعتقد الحق ، يبين فيها ضالة الباطل أمام الحق ، وأنه ليس بشيء ، والإقناع بشناعة ما هو عليه ، وأنه لا يوجد وجه شبه بينه وبين الحق .

وقد يخبره بشناعة المصير الذي سيؤول إليه ، والعقاب الذي سيناله بسببه ، والسعادة التي سيفتقدها في الدنيا والآخرة . حتى إذا تمّ تفرغته من الأخلاق الفاسدة ، شرع في بناء القناعات الصحيحة ، والإرادات السليمة ، بطريقة مشوقة لما يريد إقناعه به وتجييبه فيه ، فإنه لا يترك ما هو عليه إلاّ لشيء هو أحب إليه منه وأهم ، أو يرجو الخير من ورائه ويخاف العقاب بفواته .

وفيما يلي صور وتطبيقات من طريقته ﷺ في الإقناع :

١ - التطهير من الشرك وعبادة الأوثان :

ومن ذلك حديث إسلام حصين الذي مرّ آنفاً ، حيث قال للنبي ﷺ : « ما هذا الذي بلغنا عنك ؟ إنك تشتم آلهتنا وتذكرهم ، وقد كان أبوك عبدالمطلب خيراً لقومه منك . فقال : يا حصين إن أبي وأباك في النار . يا حصين كم تعبد من إله ؟ قال : سبعة في الأرض وواحد في السماء . قال : فإذا أصابك الضر من تدعو ؟ قال : الذي في السماء . قال : فإذا هلك المال من تدعو ؟ قال : الذي في السماء . قال : فيستجيب لك وحده وتشركهم معه ؟ أرضيته في الشكر أم تخاف أن يغلب عليك ؟ قال : ولا واحدة من هاتين . قال : وعلمت أني لم أكلم مثله . قال : يا حصين أسلم تسلم ، قال : إن لي قومًا وعشيرة ، فماذا أقول ؟ قال : قل : اللهم إنني أستهديك لأرشد أمري ، وزدني علماً ينفعني ، فقاها حصين . فلم يقم حتى أسلم » (١) .

فهكذا هدم النبي ﷺ المعتقدات الوثنية لدى حصين ، بإقناع علقني آثار لديه التفكير في وضع هذه الآلهة وماهيتها ، وهل تستطيع نفعه عند الضرر أو عند هلاك المال ، وذلك بعد موعظة سريعة خاطفة : يا حصين إن أبي وأباك في النار ، وحمله النبي ﷺ من خلال إثارة الأسئلة التي سألها والمناقشة التي حدثت بينهما على عملية المقارنة ، والموازنة ، ثم استنتاج الحكم الصحيح العادل بنفسه هو ، وبعد ذلك بدأ يفرس العقيدة الصحيحة فيه ، وهي الإسلام الذي يبدأ بالشهادتين . وبشره بالسلامة إذا أسلم . أسلم تسلم .

(١) الإصابة : ٧٦/٢ ، رقم الترجمة ١٧٤٠ مختصراً ، وقد مرّ الحديث عن إسلامه .

٢ - تطهير القلب من الشبهات :

وهذه الشبهات قد تصل إلى درجة الشرك ، كما في حديث عدي ابن حاتم رضي الله عنه « وكان قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو نصراني » ^(١) أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(٢) . فقلت له : إنا لسنا نعبدهم ، فقال : « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونونه ؟ قال : فقلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم » ^(٣) .

في هذا الحديث اقتلع النبي صلى الله عليه وسلم الشبهة من جذورها بالبيان التقريري الذي أتى على الشبهة التي كانت لدى عدي فأزالها فأسلم مباشرة .

(١) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية . انظر : كتاب الإيمان ، ص ٦٤ .

(٢) التوبة : الآية (٣١) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره : ٢١٠/١٤ ، رقم ١٦٦٣٢ ، تحقيق شاکر ، وقال : رواه من طريق مالك بن إسماعيل ، عن عبد السلام بن حرب بلفظه ، البخاري في الكبير : ١٠٦/١/٤ . ا.هـ .

والحديث أخرجه الترمذي ، انظر : تحفة الأحوذى : ٤٩٢/٨ .

وأخرجه الإمام أحمد في المسند : ج ٧ ، رقم ١٩٣٩٥ ، ١٩٣٩٨ ، وكذلك ج ٦ ، رقم ١٨٢٨٨ .

وأخرجه ابن حبان في صحيحه : ١٨٣/١٦ ، رقم ٧٢٠٦ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في حديث عدي بن حاتم : وهو حديث حسن طويل رواه أحمد والترمذي وغيرهما . ا.هـ . انظر : كتاب الإيمان ، ص ٦٤ .

٣ - تطهير القلب من الشهوات :

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه « أَنَّ فَتَى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ائْذَنْ لِي بِالزُّنَا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ ، قَالُوا : مَهْ (١) مَهْ ، فَقَالَ ﷺ : ادْنُهُ ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ، قَالَ : فَجَلَسَ ، قَالَ : أَتُحِبُّهُ لِأُمَّكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ، قَالَ : أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ ، قَالَ : أَتُحِبُّهُ لِأَخْتِكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ ، قَالَ : أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِإِخْوَاتِكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِإِخْوَاتِهِمْ ، قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ » (٢) .

جاء هذا الشاب يطلب الإذن بالزنى ، الإذن بارتكاب جريمة من أعظم الجرائم وأشنع الفواحش ، قال الله فيه : ﴿ وَلَا تَهْرَبُوا الزَّانِإِنَّهٗ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٣) . إنه يطلب تشريع هذا العمل وتقينته على

(١) مه : اسم فعل أمر ، ذ : اكفف .

(٢) المسند للإمام أحمد : ٢٨٥/٨ ، رقم ٢٢٢٧٤ ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير .

انظر مجمع الزوائد للهيتمي : ١٢٩/١ ، وقال : « رجال إسناد هذا الحديث رجال الصحيح » .

(٣) الإسراء : الآية (٣٢) .

رؤوس الأشهاد ، الذين هم أفضل الناس بعد الأنبياء ، ويطلبه من خير البرية ، فبعد أن زجره الصحابة - رضوان الله عليهم - تلطف به النبي ﷺ بقوله : « اذنه » ، وتقريبه إياه في المجلس ، فاستمال قلبه إليه ، وشرع بمخاطبة عقله بعد استمالة قلبه وتهيته لسماع الحق وقبوله ، فبدأ بتطهير قلبه . « باستئصال سبب الانحراف » لدى هذا الفتى الشاب ، وهو الجهل بشناعة هذا العمل وخبثه .

أخذ ﷺ بتعليمه بأسلوب استثارة التفكير بطرح أسئلة حول الموضوع لإعمال العقل في التفكير في قبح هذا العمل وخبثه . وتربية إرادة بغض هذا العمل وكرهه واستهجانه في قلب هذا المتعلم بطريقة لطيفة هينة لينة ، هادئة حانية ، تُعطي مجالاً للتفكير ووقناً للتأمل والنظر والمراجعة ، وتحكيم العقل والنظر الصحيح ، وذلك بإطالة فترة الحوار حتى يتمكن من إزالة وقع الإنكار والزجر الذي تلقاه من الصحابة - رضوان الله عليهم - ، ويلتقط أنفاسه ليفكر بروية وتعقل ، وإلا فقد كان النبي ﷺ يستطيع أن يجمع محارمه في عبارة واحدة كأن يقول : أحببه لأُمك ، أو ابنتك ، أو أختك ، أو عمّتك ، أو خالتك ؟ ولكن كان ذلك منتهى الحكمة منه ﷺ .

حتى إذا استأصل محبة هذا الفعل الشنيع من قلبه ، وكرهه فيه ، وبغضه إليه ، وعلمه أن الناس كذلك لا يحبونه لقريباتهم . شرع في استمالة قلبه من جديد ليذهب ما قد يتركه الحوار من آثار سلبية . ذلك أن الحوار في عمومه مظنة الغضب والانتصار للنفس .

فعمد النبي ﷺ لإزالة ذلك ، وفتح قلبه لما يريد أن ينشئه فيه ، فوضع يده عليه ، ودعا له ﷺ بالمغفرة وتطهير القلب ، وتحصين الفرج ، وفي ذلك معنى المرعظة لهذا الشاب .

وهكذا قطع النبي ﷺ تعلق هذا الشاب بالزنى عن طريق الإقناع العقلي والحوار الهادئ ، ومن ثمّ بنى فيه القناعات بتركه وإرادة غيره دون ذكر آيات تحريم الزنا أو الوعيد لمقترف هذا العمل ، حكمة منه ﷺ ومعرفة منه أنّ هذا الأسلوب أجدى في الإقناع لهذا الشاب بسبب فهمه وإدراكه في تلك المرحلة من عمره التي لو قال فيها حلال وحرام ربما لا يقع التأثير المطلوب .

فحريٌّ بالمربين انتهاج هذا الأسلوب الحكيم المليء بالحلم والصبر وسعة الصدر ، والعلم بالناس وأحوالهم والتعامل معهم بما يناسبهم ، ذلك أنّ القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها .

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « ما ضرب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب ، إذا قسا القلب قحطت العين . قسوة القلب من أربعة أشياء إذا تجاوزت قدر الحاجة : الأكل ، والنوم ، والكلام ، والمخالطة . كما أنّ البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب ، فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواعظ .

من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهوته . القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها . القلوب آنية الله في أرضه ، فأحبُّها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها .

إذا غُذي القلبُ بالتذكُّر ، وسُقي بالتفكُّر ، ونُقِّي من الدغل رأى العجائب ، وألهم الحكمة . خراب القلب من الأمن والغفلة ، وعمارته من الخشية والتذكُّر .

من وطّن قلبه عند ربّه سكن واستراح ، ومن أرسله في الناس اضطرب واشتدّ به القلق .

القلب يمرض كما يمرض البدن وشفافؤه التوبة والحمية ، ويصدأ كما تصدأ المرأة وجلأؤه بالذُّكْر ، ويعرى كما يعرى الجسم وزينته التقوى ، ويجوع ويظماً كما يجوع البدن ، وطعامه وشرابه المعرفة والمحبة والتوكل والإنابة والخدمة .

لا تدخل محبة الله في قلبٍ فيه حبُّ الدنيا إلا كما يدخل الجمل في سمِّ الإبرة» (١) .

ومما يساعد على تطهير القلوب والحفاظ على صفائها :

١ - الكفّ عن أكل الحرام ، والابتعاد عن الشبهات .

٢ - الكفّ عن الجدل والمراء والخصومات في الدين؛ فإنها تقسي القلب .

٣ - غضّ السمع والبصر ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ (٢) . فالذي لا يوجد في قلبه مرض لا يطمع .

فينبغي للمؤمن أن يحافظ على سلامة قلبه من الفتن . قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « إطلاق البصر ينقش في القلب صورة المنظور ، والقلب كعبة ، والمعبود لا يرضى بمزاحمة الأصنام ، وقال : شراب الهوى حلو ولكنه يورث الشرق » (٣) .

٤ - التعريف بعاقبة اتباع الشهوات والشبهات ومفاسدها ، وأضرارها ومآلاتها ، فإنّ التذكير بذلك يجعل المسلم يتوقّف عن ارتكابها .

(١) الفوائد ، ص ١٢٨ - ١٢٩ باختصار ، مع تقديم وتأخير طفيف .

(٢) الأحزاب : الآية (٣٢) .

(٣) الفوائد ، ص ٨٩ .

٥ - استدامة مجاهدة النفس في تطهير القلب ومتابعته وتفقدته ، فقد قال ﷺ في حجة الوداع : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ ؟ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَالْمُسْلِمِ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُجَاهِدِ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَالْمُهَاجِرِ مَنْ هَجَرَ الْخَطِيَا وَالذُّنُوبَ » (١) .

خامساً - إنكار التصرف الناجم عن عدم اكتمال طهارة القلب :

ومن ذلك ما مرّ من حديث رسول الله ﷺ وإنكاره على أبي ذرّ ﷺ بقوله : « أَعْيُرْتَهُ بِأَمِهِ ؟ إِنَّكَ أَمْرُو فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ » ، وذلك عندما قال له أبو ذرّ ﷺ « يا ابن السوداء » ، لذا يجب إنكار مثل الحالات بضوابط الإنكار المعروفة .

سادساً - بشارة من اتصف بطهارة القلب والدلالة عليه وإثارة التنافس في ذلك :

فعن أنس بن مالك ﷺ قال : كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال : « يَطَّلِعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، تَنْطِيفُ لِحِيَّتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشَّمَالِ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ ، فَقَالَ : إِنِّي لَأَحِبُّ أَبِي ، فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أُدْخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُزَوِّنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتُ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ أَنْسٌ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ

(١) المسند للإمام أحمد : ٢١/٦ ، وصححه ابن حبان (٢٥) ، والحاكم : ١١/١ ،

وروافقه الذهبي ، وقال شعيب الأرنؤوط محقق زاد المعاد : « وسنده جيد » ، عن زاد

المعاد : ٦/٣ .

شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَى وَتَقَلَّبَ عَلَيَّ فِرَاشِيهِ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا ، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيْالٍ ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثُمَّ ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ : يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلَكَ فَأَقْتَدِي بِهِ ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ . قَالَ : فَلَمَّا وَكَلَيْتُ دَعَانِي فَقَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَحَدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا ، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَيَّ خَيْرَ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ « (١) .

هذا الحديث دليل على عظم منزلة سلامة الصدر وطهارة القلب . وفي قول عبد الله بن عمرو ﷺ « وهي التي لا نطيع » دلالة على أن الأمر يحتاج إلى بذل الجهد ومجاهدة النفس لحملها على ذلك ؛ ذلك أن القلب لا يقبل التقيضين ، كما قال ابن القيم - رحمه الله - : « قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضده ، وهذا كما أنه في الذوات والأعيان فكذلك هو في الاعتقادات والإرادات ، فإذا كان القلب ممتلئاً بالباطل اعتقاداً ومحبة لم يبق فيه للاعتقاد الحق ومحبة موضع .

كما أن اللسان إذا اشتغل بالتكلم بما لا ينفع لم يتمكن صاحبه من النطق بما ينفعه إلا إذا فرغ لسانه من النطق بالباطل ، فكذلك القلب المشغول بمحبة غير الله وإرادته وحبّه والشوق إلى لقائه إلا بتفريغه من تعلقه بغيره .

(١) للسند للإمام أحمد : ٣٣٢/٤ ، رقم ١٢٦٩٧ ، وهو من مسند أنس بن مالك بن النضر ﷺ .

فإذا امتلأ القلب بالشغل بالمخلوق والعلوم التي لا تنفع لم يبق فيها موضع للشغل بالله ومعرفة أسمائه وصفاته وأحكامه .

وسرُّ ذلك أن إصغاء القلب كإصغاء الأذن ، فإذا أصغى إلى غير حديث الله لم يبق فيه إصغاء ولا فهم لحديثه ، كما إذا مال إلى غير محبة الله لم يبق فيه ميل إلى محبته .

كما إذا بُذلت النصيحة لقلب ملآن من ضدها لا منفعة لها فيه ، فإنه لا يقبلها ولا تلج فيه ، لكن تمرّ بجتازة لا مستوطنة « (١) .

وقد بوب على هذا بقوله : « المحلّ لا يقبل ضدين » ، وقال : « وطهارة القلب ونزاهته من الأوصاف المذمومة ، والإرادات السفلية ، وخلوّه وتفرّغه من التعلّق بغير الله سبحانه ، هو كرسي هذا الشاهد الذي يجلس عليه ، ومقعده الذي يتمكّن فيه .

فحرام على قلبٍ متلوّث بالخبائث ، والأخلاق الرديئة ، والصفات الذميمة ، متعلّق بالمرادات السافلة : أن يقوم به هذا الشاهد ، وأن يكون من أهله - والشاهد هو شاهد جلال الرّب تعالى وجماله وكمالته وعزّه وسلطانه وقيوميته وعلوّه على عرشه (٢) - « (٣) .

فإذا تمّ تطهير القلب وتفرّغه من الأدران والأخلاق أصبح صالحاً لمعرفة الله ﷻ وعظّمته وجلاله ، ومن ثمّ التعلّق به ومحبته ، والتوكّل عليه ، وطاعته فيما أمر ، والكفّ عمّا نهى عنه وزجر ، فإلى ذلك :



(١) الفوائد ، ص ٤٣ - ٤٤ باختصار .

(٢) مدارج السالكين : ٢٥٢/٣ .

(٣) المرجع السابق : ٢٥٥/٣ .

المسلك الثاني : تربية المعرفة (معرفة الله وأسمائه وصفاته ، وآلته وأفعاله) :

وفيه ثلاث مسائل :

الأولى : المعرفة المقصودة وتأثيرها في القلوب .

الثانية : الواجب في معرفة الله وأسمائه وصفاته ، ومقتضياتها وتعلقاتها .

الثالثة : الطريقة النبوية في التربية على المعرفة .

المسألة الأولى : المعرفة المقصودة وتأثيرها في القلوب :

قال الفيروزآبادي^١ : يقال عرفه يعرفه إذا علمه (علماً خاصاً) أي أدركه بتفكيرٍ وتدبرٍ لأثره . قال : وهي أخص من العلم .

والمعرفة : إدراك الشيء بتفكيرٍ وتدبرٍ لأثره ، يُقال : فلان يعرف الله ولا يُقال يعلم الله ؛ لأن معرفة البشر لله إنما هي بتدبرٍ آثاره دون إدراك ذاته ، وهي أخص من العلم .

ويُقال : الله يعلم كذا ، ولا يُقال يعرف كذا ؛ لأن المعرفة تُستعمل في العلم القاصر المتوصل إليه بتفكيرٍ وتدبرٍ^(٢) .

والمعرفة نوعان :

الأولى : معرفة إقرارٍ ؛ وهي التي اشترك فيها الناس ، البرُّ والفاجر ، والمطيع والعاصي .

والثاني : معرفة توجب الحياء منه والمحبة له ، وتعلق القلب به ، والشوق إلى لقائه ، وخشيته والإنابة إليه والأنس به والفرار من الخلق إليه^(٣) .

(١) بصائر ذوي التمييز : ٤٧/٤ بتقديم وتأخير .

(٢) الفوائد ، ص ٢٢١ .

والثانية هي المقصودة ، وهي التي رتبى النبي ﷺ عليها أصحابه وغرسها في قلوبهم ؛ معرفة توارث الإيمان به ومحبته وتعظيمه ، وتقديره حق قدره ، وتعظيم أمره ونهيه ، معرفة توجب الخشية والخوف والانكسار وتبعث على محبته ورجائه ، والتوكل عليه ، والإنابة إليه ، معرفة توجب اتباع أمره واجتناب نهيه . معرفة أخرجت ذلك الجيل الفريد الفذ ، الذي جاهد في الله حق جهاده .

والأصل في المعرفة قول الله ﷻ : ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ (١) .

قال الإمام البخاري - رحمه الله - :

باب : (العلم قبل القول والعمل . والدليل ؛ فذكر الآية ، ثم قال : فبدأ بالعلم » (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٣) . قال ابن كثير : « أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء ؛ العارفون به ، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى ، كلما كانت المعرفة به أتم ، والعلم به أكمل ، كانت الخشية له أعظم وأكثر . وقال عن ابن مسعود ﷺ أنه قال : ليس العلم عن كثرة الحديث ، ولكن العلم عن كثرة الخشية » (٤) .

(١) محمد : الآية (١٩) .

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب العلم قبل القول والعمل : ٣٧/١ .

(٣) فاطر : الآية (٢٨) .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ٥٦١/٣ .

وقال ﷺ : « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لِأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدَّهُمْ لَهُ خَشِيَّةً » (١) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ أَمْرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ . قَالُوا : إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ . فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : إِنْ اتَّقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُم بِاللَّهِ أَنَا » (٢) .
وقد أورده ابن القيم بلفظ : « أَنَا أَعْرِفُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشِيَّةً » (٣) .

وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال : « إِنَّكَ تَقْدِمُ عَلَى قَوْمِ أَهْلِ كِتَابٍ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ ... » (٤) الحديث .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ناسٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ وجاء في آخر الحديث : فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا

(١) البخاري : الأدب : باب من لم يواجه الناس بالعتاب : ٢٢٦٣/٥ ، رقم ٥٧٥٠ .

(٢) البخاري : انظر : الفتح : ٢٠/١ ، قال ابن حجر : كذا في رواية أبي ذر ، وهو لفظ الحديث الذي أورده في جميع طرقه ، وفي رواية الأصيلي : « أعرفكم » وكأنه مذكورٌ بالمعنى جملاً على ترادفهما هنا ، وهو ظاهر هنا ، وعليه عمل المصنف .

(٣) مدارج السالكين : ٣٣٨/٣ .

(٤) صحيح مسلم : ٣١/١ .

عَرَفْنَاهُ ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ ... الحديث « (١) .

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « ... فَيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ . فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَدْرَأَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ . وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاجِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ . ثُمَّ يَرْتَفِعُونَ رُءُوسَهُمْ ، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَقَالَ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ ، وَتَجِلُّ الشَّفَاعَةُ » (٢) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ (٣) ، قال : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ضَرَبَ مَنْكِبَهُ الْأَيْمَنَ فَخَرَجَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٍ لِلْجَنَّةِ بِيضَاءً نَقِيَّةً ، فَقَالَ : هَوْلَاءُ أَهْلُ الْجَنَّةِ . ثُمَّ ضَرَبَ مَنْكِبَهُ الْأَيْسَرَ فَخَرَجَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٍ لِلنَّارِ سُودَاءً ، فَقَالَ : هَوْلَاءُ أَهْلُ النَّارِ . ثُمَّ أَخَذَ عَهودَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ لَهُ وَوَأَمْرِهِ ، وَالتَّصَدِيقِ بِهِ وَبِأَمْرِهِ ، بَنِي آدَمَ كُلَّهُمْ ، فَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَأَمَّنُوا وَصَدَّقُوا وَعَرَفُوا وَأَقْرَبُوا . وَبَلَّغَنِي أَنَّهُ أَخْرَجَهُمْ عَلَى كَفِّهِ أَمْثَالَ الْخَرْدَلِ » (٤) .

(١) صحيح مسلم : ٢٢٩/١ .

(٢) صحيح مسلم : ١٨٣/١ .

(٣) الأعراف : الآية (١٧٢) .

(٤) تفسير الطبري : ٢٣٧/١٣ ، رقم ١٥٣٦٢ ، تحقيق شاكر ، وقال : رواه الآجريُّ

في كتاب الشريعة مختصراً : ٢١٢ من طريق علي بن الحسين بن شقيق .

وعنه - رضي الله عنهما - في تفسير قول الله ﷻ : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَدْمِنُ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(١) ، ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ ^(٢) . قال : « كذلك قلبُ المؤمن يعرف الله ﷻ ويستدلُّ عليه بقلبه ، فإذا عرفه ازداد نوراً على نور ، وكذا إبراهيم عليه السلام عرف الله ﷻ بقلبه ، واستدلَّ عليه بدلائله ، فعلم أنَّ له ربًّا وخالقًا ، فلما عرفه الله ﷻ بنفسه ازداد معرفةً فقال : ﴿ أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴾ ^(٣) » ^(٤) .

وقال البخاريّ : وبابُ قول النبي ﷺ : « أنا أعلمكم بالله » ، وأنَّ المعرفة فعلُ القلب لقول الله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ ^(٥) » ^(٦) .

وباب معرفة الله ﷻ ؛ معرفة أسمائه الحسنی وصفاته العلیا ، حفظاً وإحصاءاً وإيماناً بها وعملاً وتطبيقاً . فقد حرَّض النبي ﷺ على حفظها وحثَّ على ذلك ورغَّب فيه .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا . مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ . وَإِنَّ اللَّهَ وَتَرَ يُحِبُّ الْوِتْرَ » ^(٧) . وفي رواية ابن أبي عمر « مَنْ أَحْصَاهَا » ^(٨) .

-
- (١) الأنعام : الآية (٧٩) .
 - (٢) النور : الآية (٣٥) .
 - (٣) الأنعام : الآية (٨) .
 - (٤) تفسير القرطبي : ٢١٩/٧ .
 - (٥) البقرة : الآية (٢٢٥) .
 - (٦) الفتح : ٨٨/١ .
 - (٧) صحيح مسلم : الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب في أسماء الله تعالى ، وفضل من أحصاها : ٢٠٦٢/٤ ، رقم ٢٦٧٧ .
 - (٨) أحصاها : يُفسرُها حديث أبي هريرة المذكور بمعنى حَفِظَهَا ، وقد قيل فيها عدة أقوال ، فقيل : بمعنى عثها ، وقيل : أطاقها ، أي أحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه ، وصدق بمعانيها . والصحيح الأول لورود النص به .

وعند البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، رواية قال : « **لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْفُونَ اسْمًا ؛ مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَهُوَ وَتَرٌ يُجِبُ الْوَتْرَ** » ^(١) .

وقد أمر الله عز وجل بدعائه بها فقال : ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ ^(٢) .

ولقد كان لهذه المعرفة آثاراً واسعة لدى السلف - رحمهم الله - .

قال الحسن البصري - رحمه الله - : « **من عرف ربه أحبه ، ومن عرف الدنيا زهد فيها ، ومن خلا عن الحب هذا فلائنه اشتغال بنفسه وشهوته ، وذهل عن ربه وخالقه ، فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته** » ^(٣) .

وقال أحمد بن عاصم : « **من كان با الله أعرف كان من الله أخوف ، ويدل على هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾** ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « **أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية** » ^(٤) .

وقال الفيروزآبادي : « **فإن المعرفة الصحيحة تقطع من القلب العلائق كلها وتعلقه بمعروفه . فلا يبقى فيه علاقة لغيره . ولا تمر به العلائق إلا وهي مجتازة** » ^(٥) .

(١) البخاري : الدعوات : باب الله مائة اسم غير واحدة : ٢٣٥٤/٥ ، رقم ٦٠٤٧ .

(٢) الأعراف : الآية (١٨٠) .

(٣) الإحياء : ٣١٨/٤ ، ٣١٩ .

(٤) بصائر ذوي التمييز : ٢٥/٤ .

(٥) بصائر ذوي التمييز : ٢٥/٤ .

قال أبو حامد الغزالي : « الخوف من المعصية خوف الصالحين ، والخوف من الله خوف الموحدين والصدّيقين ، وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى ، وكلُّ من عرفه ، وعرف صفاته ، علم من صفاته ما هو جديرٌ بأن يُحتاف من غير جناية » (١) .

وقال : « لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا ، ولا تحصيل المحبة إلا بالمعرفة ، ولا تحصيل المعرفة إلا بدوام الفكر » (٢) .

والمعرفة الحقّة بالله تورث الإيمان بالله وترسّخه وتزيده ، وبدونها لا تحصل المحبة ، وتورث الهيبة والوقار ، والسّمّت الصالح ، والهدوء والطمأنينة والرّضا بالله ، وبدينه ، وبرسوله ، وبقضائه وقدره ، وبما قسم الله له من الأعمال والأرزاق ، وما يصيبه من البلايا والرّزايا والمصائب ، فهو يصبر عليها ويرضى بأقدار الله .

يقول ابن القيم - رحمه الله - : « فأحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ، وأعلم العالمين ، الذي هو أرحم بعباده منهم بأنفسهم ومن آبائهم وأمهاتهم ، إذا أنزل بهم ما يكرهون كان خيراً لهم من أن لا يُنزله بهم ، نظراً منه لهم ، وإحساناً إليهم ولطفاً بهم . ولو مُكّنوا من الاختيار لأنفسهم لعجزوا عن القيام بمصالحهم ، علماً وإرادة وعملاً ، لكنه سبحانه تولى تدبير أمورهم ، بموجب علمه وحكمته ورحمته أحبوا أم كرهوا . فعرف ذلك الموقنون بأسمائه وصفاته .

(١) إحياء علوم الدين : ١٦٧/٤ .

(٢) المرجع السابق : ١٦٨/٤ .

ومتى ظفر العبد بهذه المعرفة سكن في الدنيا قبل الآخرة ، في جنة لا يُشبهُ نعيمها إلا نعيم جنة الآخرة ، فإنه لا يزال راضيًا عن ربه ، والرضا جنة الدنيا ، ومستراح العارفين ، وهذا الرضا هو بحسب معرفته بعدل الله وحكمته ورحمته وحُسن اختياره . فكلما كان بذلك أعرف كان به أَرْضَى .

فقضاء الربّ سبحانه في عبده دائرٌ بين العدل والمصلحة ، والحكمة والرحمة . لا يخرج عن ذلك البتّة « (١) .

ومن تأثير المعرفة الصحيحة التي أخرج بها النبي ﷺ وربى عليها أصحابه ﷺ انقماع النفس وانكسارها إذا استحضرت صفة غضب الله ﷻ وسخطه وعقوبته .

يقول ابن القيم - رحمه الله - : « وإذا تجلّى بصفات العدل والانتقام والغضب والسخط والعقوبة ؛ انعمت النفس الأمانة ، وبطلت أو ضعفت قواها من الشهوة والغضب ، واللهو واللعب ، والحرص على المحرمات ، وانقبضت أعنة رعوناتها ، فأحضرت المطيئة حظها من الخوف والخشية والحذر » (٢) .

فهذه صفة واحدة هي الغضب استحضرها واستشعرها فانكسرت نفسه وزال عنفوانها وكبرياؤها وجعلها هيئة لينة خائفة تزقب ...

فكيف بمن يتعبّد الله بجميع أسمائه وصفاته !؟ وفي ذلك يقول - رحمه الله - بعد أن تكلم على قيام الشواهد بالقلوب ، شاهد الدنيا

(١) الفوائد ، ص ١٢١ - ١٢٢ مختصرًا .

(٢) الفوائد ، ص ٩٢ .

وحقارتها ، والآخرة وبقائها ، والنار وتذكرها وما تحدثه في القلوب من خوف ثم انخلاع عن الذنوب والمعاصي ، ثم الجنة ونعيمها وما أعدّه الله لأهلها فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وما تحدثه في النفس من شوق ورجاء وجذب ، وكذلك شاهد يوم المزيد ، ولذة النظر إلى المولى ﷺ . فهنا يسير القلب إلى ربه أسرع من الريح ، فلا يلتفت إلى غيره ، ثم قال : « هذا وفوق ذلك شاهد آخر ، وهو شاهد جلال الرب تعالى ، وجماله وكماله ، وعزّه وسلطانه ، وقبوميته ، وعلوه فوق عرشه ، وتكلمه بكتبه ، وكلمات تكوينه ، وخطابه لملائكته وأنبيائه ، فإذا شاهده شاهد بقلبه قيوماً قاهرًا فوق عباده ، مستويًا على عرشه ، منفردًا بتدبير مملكته ، مرسلًا رسله ، ومنزلًا كتبه ، ويرحم إذا استرحم ، ويقفر إذا استغفر ، ويُعطي إذا سُئل ، ويجيب إذا دُعي ، ويقبل إذا استقبل .

أكبر من كل شيء . وأعظم من كل شيء ، وأعزّ من كل شيء ، وأقدر من كل شيء ، وأعلم من كل شيء ، وأحكم من كل شيء . يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات ، على تفنن الحاجات . فلا يشغله سمع عن سمع . ولا تغلظه المسائل . ولا يتبرم بالجاح الملحين . سواء عنده من أسرّ القول ومن جهر به . فالسرّ عنده علانية ، والغيب عنده شهادة .

يرى ديب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء . ويرى نياط عروقها ، ومجاري القوت في أعضائها . يضع السموات على إصبع من أصابع يده ، والأرض على إصبع ، والجبال على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء على إصبع .

ويقبض سماواته بإحدى يديه ، والأرضين باليد الأخرى . فالسماوات السبع في كفه .

ولو أن الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم قاموا صفًا واحدًا ما أحاطوا بالله ﷻ . لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سُبُحاته ما انتهى إليه بصره من خلقه .

فإذا قام بقلب العبد هذا الشاهد ، فله سلوك وسيرٌ خاص ليس لغيره ممن هو عن هذا في غفلة ، أو معرفة مجملة .

فصاحب هذا الشاهد : سائرٌ إلى الله في يقظته ومنامه ، وحركته وسكونه ، وفطره وصيامه ، له شأن وللنَّاس شأن . هو في واد والناس في واد .

فلا تزال شواهد الصفات قائمة بقلبه ، توقظه إذا رقد ، وتذكُّره إذا غفل ، وتحذروا به إذا سار ، وتقيمه إذا قعد .

- إن قام بقلبه شاهدٌ من الربوبية والقيومية رأى أن الأمر كله لله . ليس لأحدٍ من الأمر شيء .

- وإن قام بقلبه شاهد من الإلهية : رأى في ذلك الشاهد الأمر والنهي ، والنبوات والكتب والشرائع ، والمحبة والرضى ، والكراهة والبغض ، والثواب والعقاب ، وشاهد الأمر نازلًا ممن هو مستورٌ على عرشه وأعمال العباد صاعدة إليه ومعروضة عليه ، يجزي بالإحسان منها في هذه الدار وفي العقبي نضرة وسرورًا ، ويقدم إلى ما لم يكن عن أمره وشرعه منها فيجعل هباءً منثورًا .

- وإن قام في قلبه شاهد من الرحمة ، رأى الوجود كله قائمًا بهذه الصفة قد وسع من هي صفته كلُّ شيء رحمةً وعلماً .

- وإن قام بقلبه شاهد العزّة والكبرياء والعظمة والجبروت ، فله شأنٌ آخر . وهكذا جميع شواهد الصفات ، فما ذكرناه هو أدنى تنبيه عليها «^(١)» .

(١) المرجع السابق : ٢٥٢/٣ - ٢٥٦ مختصرًا .

المسألة الثانية : الواجب في أسماء الله وصفاته وتعلقاتها ومقتضياتها وآثارها .

الواجب في أسماء الله وصفاته .

الإيمان بما وصف الله وسمى به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكيف ولا تمثيل .

قال شيخ الإسلام : « ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حقّ ليس فيه لغز ولا أحاجي ، وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثل شيء لا في نفسه المقدّسة المذكورة بأسمائه ، وصفاته ، ولا في أفعاله . فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقية وله أفعال حقيقية ، فكذلك له صفات حقيقية ، وهو ليس كمثل شيء . لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله » (١) .

والتحريف في النصوص : وهو صرف اللفظ عن ظاهره بدون دليل .

والتعطيل في الاعتقاد : « ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطّلوا أسماءه الحسنی وصفاته العليا ، فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق ، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات » (٢) .

والتكيف يكون في الصفة . قال السلف في أحاديث الصفات :

« أمروها كما جاءت بلا كيف ، وهو ردُّ على المثلة » (٣) .

(١) الفتاوى : ٢٦/٥ .

(٢) المرجع السابق : ٢٧/٥ مختصراً .

(٣) المرجع السابق : ٣٩/٥ .

والتمثيل : عدم تشبيهها بما للمخلوق ، فإنَّ الله سبحانه ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله . فالعارفون به المصدِّقون لرسله ، المقروِّون بكَماله ، يثبتون له الأسماء والصفات ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه ، وبين التنزيه وعدم التعطيل « (١) » .

فالواجب الإيمان بالاسم والصفة وإثباتها من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ثمَّ الإيمان بما دلَّ عليه ، والإيمان بآثاره ومقتضياته . فالرحيم مثلاً دلَّ على صفة الرحمة ، ومن آثاره ومقتضياته أنه يرحم عباده ، سبحانه .

حُكْمُ مَعْرِفَةِ اللَّهِ ﷻ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ،

قال ﷺ : في وصيَّته لمعاذ عند ذهابه لليمن : « فَلَئِنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ ﷻ ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ ... » (٢) .

قوله ﷺ : « فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ » دلَّ على أن معرفة الله أولى الفرائض .

قال الكفوي : « معرفة الله ﷻ بالدليل الإجمالي فرضُ عين لا مخرج عنه لأحد من المكلفين ، وهي بالتفصيل فرضُ كفاية لا بُدَّ أن يقوم به البعض » (٣) .

وقال ابن القيم : لا يستقرُّ للعبد قدمٌ في المعرفة بل ولا في الإيمان ،

(١) مدارج السالكين : ٣٥٩/٣ .

(٢) مسلم : ٣١/١ .

(٣) الكليات ، ص ٨٢٥ .

حتى يؤمن بصفات الربّ جلّ جلاله ، ويعرفها معرفة تخرجه عن حدّ الجهل برّبّه .

فالإيمان بالصفات وتعرّفها : هو أساس الإسلام ، وقاعدة الإيمان وثمره شجرة الإحسان ، فمن جحد الصفات ، فقد هدم أساس الإسلام والإيمان ، وثمره شجرة الإحسان ، فضلاً عن أن يكون من أهل العرفان ، وقد جعل الله سبحانه منكر صفاته مسيء الظنّ به . وتوعده بما لم يتوعد به غيره من أهل الشرك والكفر والكبائر . فقال تعالى :

﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَبْرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٣١﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . فأخبر سبحانه أن إنكارهم هذه الصفة من صفاته من سوء ظنهم به وأنه هو الذي أهلكهم . وقد قال في الظانين به ظنّ السوء : ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ . ولم يجيء مثل هذا الوعيد في غير من ظنّ السوء به سبحانه ، وجحد صفاته وإنكار حقائق أسمائه : من أعظم ظنّ السوء به ، ولما كان أحبّ الأشياء إليه : حمده ومدحه ، والثناء عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله كان إنكارها وجحدها أعظم الإلحاد والكفر به ، فهو شرّ من الشرك ، فالمعطل شرّ من المشرك « (١) ، لأنه عطّل أسماء الله وصفاته وآثارها ومقتضياتها وتعلقاتها ، فالمشرك يشرك في العبادة شيء مع الله ، في حين أن المعطل يُعطّل أعمال أسماء الله وصفاته وأفعاله المتعلقة بجلاله وعظمته سبحانه . فهذا شرّ الناس ، وأفضلهم وخيرهم هو الذي بعكسه ، وهو الذي يتعبّد الله بجميع أسمائه .

(١) مدارج السالكين : ٣/٣٤٧ .

وفي ذلك يقول ابن القيم - رحمه الله - : « وكل اسم من أسمائه سبحانه له صفة خاصة ، فإنَّ أسماءه أوصاف مدح وكمال . وكل صفة لها مقتضى وفعل ، إما لازم وإما متعد ، ولذلك الفعل تعلق بمفعول هو من لوازمه . وهذا في خلقه وأمره وثوابه وعقابه . كل ذلك آثار الأسماء الحُسنى وموجباتها .

ومن المحال تعطيل أسمائه عن أوصافها ومعانيها ، وتعطيل الأوصاف عما تقتضيه وتستدعيه من الأفعال ، وتعطيل الأفعال عن المفعولات ، كما أنه يستحيل تعطيل مفعوله عن أفعاله ، وأفعاله عن صفاته ، وصفاته عن أسمائه . وتعطيل أسمائه وأوصافه عن ذاته .

فمن أسمائه سبحانه « الغفار ، التواب ، العفو » فلا بُدَّ لهذه الأسماء من متعلقات . ولا بُدَّ من جنابة تُغفر ، وتوبة تُقبل ، وجرائم يُعفى عنها . ولا بُدَّ لاسمه « الحكيم » من متعلق يظهر فيه حكمه ، إذ اقتضاء هذه الأسماء لآثارها كإقتضاء اسم « الخالق ، الرازق ، المعطي ، المانع » للمخلوق والمرزوق ، والمعطي والمنوع . وهذه الأسماء كلها حسنى . والرَّبُّ تعالى يحب ذاته وأوصافه وأسمائه . فهو عفوٌّ يحب العفو ، ويحب المغفرة . ويجب التوبة .

وهو سبحانه الحميد المجيد ، وحمده ومجده يقتضيان آثارهما .

ومن آثارهما مغفرة الزلات ، وإقالة العثرات ، والعفو عن السيئات ، والمساحة على الجنايات ، مع كمال القدرة على استيفاء الحق والعلم منه سبحانه بالجناية ، ومقدار عقوبتها . فحلمه بعد علمه ، وعفوه بعد قدرته ، ومغفرته عن كمال عزته وحكمته .

فمن تأمل سريان آثار الأسماء والصفات في العالم ، وفي الأمر ، تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنايات من العبيد ، وتقديرها : هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال . وغاياتها أيضاً : مقتضى حمده ومجده ، كما هو مقتضى ربوبيته وإلهيته .

فله في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة ، والآيات الباهرة ، والتعرفات إلى عباده بأسمائه وصفاته ، واستدعاء محبتهم له ، وذكرهم له ، وشكرهم له ، وتعبدهم له بأسمائه الحسنی .

إذ كل اسم فله تعبد مختص به ، علماً ومعرفة وحالاً . وأكمل الناس عبودية : المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر ، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر .

وهذه طريقة الكمل من السائرين إلى الله . وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن . قال الله تعالى : ﴿ وَكَلِّهِ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [١٨٠:٠] .
والدعاء بها يتناول دعاء المسألة ، ودعاء الثناء ، ودعاء التعبد . وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ، ويشنوا عليه بها ، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها «^(١)» .

وقال - رحمه الله - : « فالعارف من عرف الله سبحانه وصفاته وأفعاله ، ثم صدق الله في معاملته ، ثم أخلص له في قصده ونياته . ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته ، ثم تطهر من أوساخه وأدرانته ومخالفاته ، ثم صبر على أحكام الله في نعمه وبلياته . ثم دعا إليه على بصيرة بدينه وآياته .

(١) مدارج السالكين : ٤١٧/١ - ٤٢٠ مختصراً .

ثمَّ جرّد الدعوة إليه وحده بما جاء به رسوله ، ولم يشبها بآراء الرجال وأذواقهم ومواجيدهم ومقاييسهم ومعقولاتهم ، ولم يزن بها ما جاء به الرسول عليه من الله أفضل صلواته . فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة إذا سُمّي به غيره على الدعوى والاستعارة « (١) » .

ومن عرف الله أحبه على قدر معرفته به ، وخافه ورجاه وتوكل عليه ، وأتاب إليه ، ولهج بذكره ، واشتاق إلى لقائه ، واستحيا منه ، وأجله وعظّمه على قدر معرفته به .

ومن علامات المعرفة : أن يبدو لك الشاهد ، وتفنى الشواهد ، وتنحلّ العلائق ، وتنقطع العوائق ، وتجلس بين يدي الرّب تعالى ، وتقوم وتضطجع على التأهب للقاءه .

ومن علامات العارف : أنه لا يطالب ولا يخاصم ولا يعاتب ولا يرى له على أحدٍ فضلاً ، ولا يرى له على أحدٍ حقاً . وأنه لا يأسف على فائت ولا يفرح بآتٍ .

وأن يعتزل الخلق بينه وبين الله ، حتى كأنهم أموات لا يملكون له ضرراً ولا نفعاً . ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وقد قيل : العارف ابن وقته ، وهذا من أحسن الكلام وأخصره ، فهو مشغولٌ بوظيفة وقته عمّا مضى ، وصار في العدم وعمّا لم يدخل بعد في الوجود ، فهمّه عمارة وقته الذي هو مادة حياته الباقية .

ومن علاماته أنه مستأنس برّبه ، مستوحش ممن يقطعه عنه ، وقال محمد بن الفضل : المعرفة حياة القلب مع الله .

(١) مدارج السالكين : ١/٣٣٧ - ٣٣٨ .

وقال ذو النون : علامة العارف ثلاثة : لا يطفى نور معرفته نور ورعه ، ولا يعتقد باطناً من العلم ينقضه عليه ظاهر من الحكم ، ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارم الله .

قال : وهذا من أحسن الكلام الذي قيل في المعرفة « (١) » .

وقال - رحمه الله - : « فالإيمان بالصفات ومعرفتها ، وإثبات حقائقها ، وتعلق القلب بها ، وشهوده لها هو مبدأ الطريق ووسطه وغايته . وهو روح السالكين ، وحاديهم إلى الوصول ، ومحرك عزماتهم إذا فتروا ، ومنير هممهم إذا قصرُوا ، فإن سيرهم إنما هو على الشواهد ، فمن كان لا شاهد له فلا سير له ولا طلب ولا سلوك له .

وأعظم الشواهد صفات محبوبهم ونهاية مطلوبهم ، وذلك هو العلم الذي رُفِع لهم في السير فشَمروا إليه .

كما قالت عائشة - رضي الله عنها - « من رأى رسول الله ﷺ فقد رآه غادياً رائحاً ، لم يضع لَبنة على لَبنة ، ولكن رُفِع له عِلْمٌ فشَمِرَ إليه » . ولا يزال العبد في التواني والفتور والكسل ، حتى يرفع الله ﷻ له - بفضله ومنه - عِلْمًا يشاهده بقلبه ، فيشَمِرُ إليه ويعمل عليه .

فإن أوصاف المدعو إليه ونعوت كماله وحقائق أسمائه هي الجاذبة للقلوب إلى محبته ، وطلب الوصول إليه .

لأنّ القلوب إنما تُحبُّ من تعرفه ، وتُخافه وترجوه وتشتاق إليه . وتلتذ بقربه وتطمئن إلى ذكره ، بحسب معرفتها بصفاته .

(١) مدارج السالكين : ١/٣٢٨ - ٣٤٣ مختصراً .

فإذا ضُربَ دونها حجاب معرفة الصفات والإقرار بها امتنع منها - بعد ذلك - ما هو مشروط بالمعرفة وملزوم لها . فسبحان من حال بين المعطلة وبين محبته ومعرفته .

ثم قال - رحمه الله - : فأما الرسالة ، فإنها جاءت بإثبات الصفات إثباتاً مفصلاً على وجه أزال الشبهة ، وكشف الغطاء . وحصل العلم اليقيني ، ورفع الشك والريب ، فثلجت له الصدور . واطمأنت به القلوب . واستقرّ به الإيمان في نصابه . ففصلت الرسالة الصفات والنعوت والأفعال ، أعظم من تفصيل الأمر والنهي «^(١) .

(١) المصدر السابق : ٣٥٠ - ٣٥٢ مختصراً .

المسألة الثالثة : الطريقة النبوية في التربية على المعرفة :

ربنا تبارك وتعالى يدعونا في القرآن إلى معرفته من طريقتين :

أحدهما : التفكير في آياته وتدبرها .

والثاني : النظر في مفعولاته .

فهذه آياته المشهودة ، وتلك آياته المسموعة المعقولة « (١) » .

الطريقة الأولى ، التفكير في آياته وتدبرها ،

فأما آياته المسموعة المعقولة فهي آياته في كتابه الكريم ، القرآن كلام الله ، ومنهج نبيه ﷺ والمؤمنين من بعده ، فهو أصل الهداية ومنبعها وأولها وآخرها ، وقد أمر الله ﷻ بتدبره وتذكره والتفكير فيه ليكون سبباً في الهداية والتوبة والأوبة والإيمان وزيادته ، قال الله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢) ، وقال سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَنْ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِهَا ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ (٥) .

فهذه الآيات كلها دعوة من الله تبارك وتعالى لتدبر كتابه الكريم ،

(١) الفوائد ، ص ٣١ ، مع تقديم وتأخير وتعديل في بعض الألفاظ لتناسب ذلك .

(٢) ص : الآية (٢٩) .

(٣) النساء : الآية (٨٢) .

(٤) حمد : الآية (٢٠٤) .

(٥) المؤمنون : الآية (٦٨) .

والنظر فيه وتفهمه وتذكره ، لأن فيه هدايتهم وسبب نجاتهم ، وفي البعد عنه والصد عنه الخسران والهلاك والضلال .

قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) . وقال : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) . وقال : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (٤) وقال : ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ هَيْبَةٍ وَإِنِ اقْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ (٥) . وقال : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولٌ ﴾ (٦) .

قال شيخ الإسلام : « فيعلم أن آيات الله ، والرسول تمنع الكفر » (٧) .

فلذلك قال ﷺ : « إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَانِ : الْكَلَامُ وَالْهُدَىٰ ... » (٨) .

فالكلام كلام الله ، تبارك وتعالى ، والهدي هدي المصطفى ﷺ ، وإنما أداة حصر وتخصيص فعلم أن العمل على الكلام والهدي ، الكتاب والسنة : العلم والطريقة والتطبيق ، وعلم أنهما يمنعان الكفر كما قال شيخ الإسلام .

-
- (١) الشورى : الآية (٥٢) .
 (٢) البقرة : الآية (٢) .
 (٣) آل عمران : الآية (١٣٨) .
 (٤) الإسراء : الآية (٩) .
 (٥) سبأ : الآية (٥٠) .
 (٦) آل عمران : الآية (١٠١) .
 (٧) الفتاوى : ٣/٢ .
 (٨) شرح السنة للالكائي : ٨٤/٤ .

والنبي ﷺ إنما ربي أصحابه على القرآن ، المنهج الرباني الذي أنزله الله فسار عليه متدرجاً تبعاً للتنزل القرآني .. حتى أخرج جيلاً ربانياً فريداً مرتبطاً بالله أشد الارتباط ، متوثباً لإجابة داعي الله على الدوام ، دون تردّدٍ أو تلكؤ . مضحياً بالنفس والأهل والولد والمال في سبيل الله ، لإعلاء كلمته ونصرة دينه . فلم يعرف الدعة والاستكانة والوهن والضعف ، وإنما هو الجهاد والدعوة والتربية والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأعمال البرّ بشتى صنوفها .

فالمنهج هو القرآن ، والتطبيق هو السنة . ولقد استجاب المصطفى ﷺ لداعي الله ، ونفذ ما أمره الله به من أول آية تنزلت بإرساله وهي قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ ﴾ (١) .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في قوله تعالى : ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ أي شمر عن ساق العزم وأنذر الناس ، وبهذا حصل الإرسال ، كما حصل بالأول النبوة . وقال في قوله تعالى : ﴿ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴾ أي عظم (٢) . وقال أبو جعفر الطبري : « وربك يا محمد فعظم بعبادته والرغبة إليه في حاجاتك دون غيره من الآلهة والأنداد » (٣) .

ولقد امتثل ﷺ أمر ربه فقام لنذارة عباده فلم يقرّ له قرار ، وعظم الله ﷻ وكبره أيما تكبير وتعظيم ، وشرع لغرس تلك المبادئ في قلوب أصحابه ﷺ ، وأولها تعظيم الله ﷻ وتوقيره وتوحيده

(١) المدثر .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٤٧٠/٤ .

(٣) تفسير الطبري : ١٤/٢٩ .

ودعوتهم إلى عبادته . وقد بين النبي ﷺ المنهج الذي سار عليه ، وفق ما أمره الله به في قوله تعالى : ﴿ وَأَذِّنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

والذِّكْرُ هو الوحيُّ الثاني (السنة) وما نُزِّلَ إليهم هو القرآن ، وقد بينه ﷺ تبيناً كافياً شافياً حتى قال أحد الصحابة مات رسول الله ﷺ وما طائر يقلبُ جناحيه في الهواءِ إلاَّ وعندنا منه علم .

فقد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الله به الغمّة ، وجاهد في الله حقَّ جهاده ، مما جعل ابن أم عبد ﷺ يقول : « وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أَنْزَلَتْ ، وَلَا أَنْزَلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أَنْزَلَتْ ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ » (٢) .

وقال حبرُ الأمة : « التفسير على أربعة أوجه : تفسيرٌ تعرفه العرب من كلامها ؛ وتفسيرٌ لا يُعذر أحدٌ بجهالته ؛ وتفسيرٌ تعلمه العلماء ، وتفسيرٌ لا يعلمه إلاَّ الله من ادعى علمه فهو كاذب » (٣) . والراسخون في العلم يعلمون تأويله الذي لم يُحجب عنهم : قال مجاهد : عرضتُ المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كلِّ آية وأسأله عن تفسيرها » (٤) .

(١) النحل : الآية (٤٤) .

(٢) البعاري : كتاب فضائل القرآن : باب القراء من أصحاب النبي ﷺ : ٤ / ١٩١٢ ، رقم ٤٧١٦ .

(٣) الفتاوى : مجمل اعتقاد السلف : ٥٥ / ٣ .

(٤) المرجع السابق : ٥٥ / ٣ .

فمن ربّي عبداً لله بن مسعود ، وعبداً لله بن عباس وأمثالهما ﷺ
أجمعين إلا المصطفى ﷺ . وم ربّاهم وعلام ربّاهم !؟ على القرآن وبالقرآن .

فالقرآن هو الذي يُحرّك ما أودعه الله تبارك وتعالى في كوامن
الفطرة من توحيد وإيمان ومعرفة بالخالق ومحبة له ، فهو الذي يستحيي
هذه المعاني حتى تُصبح في القلب كأنها رأي العين . حقاً يقيناً وصدقاً
وعدلاً لا مرية فيه .

ولذلك عُني القرآن بطرق منافذ النفس البشرية ومدخلها من جميع
الزوايا ، وبصور كثيرة متعدّدة ، حتى كفل بهذا التنويع الشامل
مخاطبتها بجملتها وكأنها وحدة واحدة .

ذلك أنه كلما فتحت ثغرة سُدّت بخطاب فمن منفذ المحبة إلى منفذ
الرجاء إلى منفذ الخوف إلى استشعار العطاء والنعمة ، إلى الفقر ، إلى
الرحمة والطمأنينة والسعادة والفرح ، إلى الرهبة والقهر والجبروت .

خاطب القلب البشري جملةً واحدة بتلك الحقيقة الكبرى حقيقة
الألوهية والعظمة والعزّة والجلال . خطاباً يشهد بذاته على صدق
المنهج وأنه من عند الله . وأنه لا يقدر على مثله سواه ، خطاباً إذا
تدبّره المتأمل عرف أن كل آية من آيات هذا الخطاب هي في الحقيقة
جانب من جوانب معرفة الله ﷻ .

فتارة يتعرّف إلى عباده بذاته وأسمائه وصفاته ، وتارة يتحبّب إليهم
ينعمه وآلائه ، وتارة بأمره ونهيه ، ويكثر الحديث مفصلاً عن آثار
قدرته في الآفاق وفي الأنفس ، وعرض هذه الآثار في الآفاق والأنفس
يملاً النفس بالإجلال والعظمة والتقدير والتوقير ، والمحبة والخشية ،

والرجاء والتوكل ، فينشأ اليقين من خلال الرؤية والمشاهدة لهذه الحقيقة بآثارها في أغوار النفس المكنونة ، وفي صفحات الكون المنشورة رؤية واضحة ، ومشاهدة مستيقنة ، فتشهد النفس تلقائياً شهادة الحق ويتبين لها أن القرآن حق من عند الله تبارك وتعالى .

إن هذا الحضور الكبير الضخم الدائم في القلوب نتيجة طبيعية للمعرفة الصحيحة بالله وأسمائه وصفاته ، وأفعاله وآلائه وعظمته وجلاله وقدرته .

حتى إذا تغلغلت هذه الحقيقة في القلوب ودخلت عليها من أقطارها وامتلات بالمعرفة والمحبة والإجلال والتعظيم ؛ عظمتم حينئذ أمره ونهيه ، وحرماته ، وشعائره ؛ خوفاً ورغبةً ورهبةً ومحبةً .

وتعلقت به دون غيره ، وقطعت العلائق والعوائد عمّن سواه ، فأصبح هاجسها الوحيد ، وهمها الدائم مراقبة الله واستحضار عظمته حقيقة تترأى لهم من كلّ حذبٍ وصوب ، تواجههم في كلّ درب ، تساكنتهم بالليل والنهار ، والسرّ والجهار ، والغدوّ والآصال .

تعلم بل تستحضر أنه مهيمنٌ عليها ، قادرٌ عليها ، محيطٌ بها ، يكلوها بعنايته ، يحوطها بعلمه ، هو معها حيثما كانت بعلمه وعنايته وحفظه وتوفيقه ، ناصرٌ ومؤزرٌ لها إن هي نصرته ، خاذلٌ لها إن هي عصته .

تعلم أنه على كلّ شيءٍ قدير ، وأنه قد أحاط بكلّ شيءٍ علماً ، يعلم السرّ وأخفى ، وأنه عليم بذات الصدور ، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، السرّ عنده جهر ، والغيب عنده شهادة .

إنَّه الإيمان الصادق ، واليقين الجازم ، جعل من فئة قليلة تصنع المعجزات ، تكسّر الحواجز ، تُحطّم القيود والمألوفات ، تهجر العوائد والموروثات ، تتخطى العوائق والعقبات .

إنَّه الإيمان الذي يُحرّر العبد من عبودية العباد إلى عبادة ربّ العباد ، إنَّه الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب انخلع عنه الخوف والجبين ، والضعف والخور ، والدعة والاستكانة ، إلى الشجاعة والقوة ، والجهاد والحركة ، وقول الحقّ وفعله حيثما كان لا يخشى في الله لومة لائم .

وقد ذكر شيخ الإسلام - رحمه الله - بيان طريقته ﷺ وأنها الأمر بتدبر القرآن فقال : « ولهذا أمر أهل العقل بتدبره ، وأهل السمع بسمعه ، فدعا فيه إلى التدبر والتفكير والتذكر ، والعقل والفهم ، وإلى الاستماع والإبصار ، والإصغاء ، والتأثر بالوجل والبكاء وغير ذلك ، وهذا باب واسع .

وكان المقصود بالدعوة : وصول العباد إلى ما خلّقوا له من عبادة ربّهم وحده لا شريك له ، والعبادة أصلها عبادة القلب ، المستتبع للجوارح .

وإنما ذلك بعلمه وحاله كان هذا الأصل الذي هو عبادة الله بمعرفته ومحبته هو أصل الدعوة في القرآن ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) .

وقال - رحمه الله - : « وذكرت دعوة الأنبياء عليهم السلام ؛ أنه جاء بالطريقة الفطرية ، كقولهم : ﴿ أَفَى اللَّهِ شُكُّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٢) ؟

(١) مجموع الفتاوى : ١/٢ - ٦ باختصار .

(٢) إبراهيم : الآية (١٠) .

وقول موسى : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(١) . وقوله في القرآن :
 ﴿ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ^(٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
 الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ ^(٣) . يبيّن أن نفس هذه الذوات آية الله .

ولما وبّخهم بيّن حاجتهم إلى الخالق بنفوسهم ، ثمّ قال : « إِنَّ اللَّهَ
 أَمْرٌ بِعِبَادَتِهِ الَّتِي هِيَ كِمَالُ النَّفْسِ ، وَصِلَاحُهَا ، وَغَايَتُهَا ، وَنَهَايَتُهَا ،
 لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى مَجْرَدِ الْإِقْرَارِ ، كَمَا هُوَ غَايَةُ الطَّرِيقَةِ الْكَلَامِيَّةِ ، فَلَا
 وَافِقُوا لَا فِي الْوَسَائِلِ ، وَلَا فِي الْمَقَاصِدِ ، فَإِنَّ الْوَسِيلَةَ الْقُرْآنِيَّةَ ، قَدْ
 أَشْرَنَا إِلَى أَنَّهَا فَطْرِيَّةٌ قَرِيبَةٌ ، مُوصِلَةٌ إِلَى عَيْنِ الْمَقْصُودِ ، وَتِلْكَ قِيَاسِيَّةٌ
 بَعِيدَةٌ ؛ وَلَا تُوَصَّلُ إِلَّا إِلَى نَوْعِ الْمَقْصُودِ لَا إِلَى عَيْنِهِ .

وأما المقاصد ؛ فالقرآن أخير بالعلم به ، والعمل له ، فجمع بين
 قوتي الإنسان العلمية والعملية ، الحسية والحركية ، الإرادية
 والإدراكية ، والاعتمادية : القولية والعملية ، حيث قال : ﴿ اعْبُدُوا
 رَبَّكُمُ ﴾ ^(٤) .

فالعبادة لا بد فيها من معرفته ، والإنابة إليه ، والتذلل له ،
 والافتقار إليه ، وهذا هو المقصود ، والطريقة الكلامية ؛ إنما تفيد مجرد
 الإقرار ، والاعتراف بوجوده ، وهذا إذا حصل من غير عبادة وإنابة
 كان وبالاً على صاحبه ؛ وشقاء له « ^(٥) .

(١) الشعراء : الآية (٢٤) .

(٢) البقرة : الآيتان (٢١ ، ٢٢) .

(٣) البقرة : الآية (٢١) .

(٤) الفتاوى : ١٢/٢ - ١٣ .

وقال - رحمه الله - في معرض حديثه عن بيان أصل العلم ، قال :
« والذي أكتبه هنا بيانا للفرق بين المنهاج النبوي الإيماني العلمي
الصلاحى ، والمنهاج الصائى الفلسفى ، وما تشعب عنه من المنهاج
الكلامى والعبادى المخالف لسبيل الأنبياء وسنتهم .

وذلك أن الأنبياء عليهم السلام دعوا إلى عبادة الله أولاً بالقلب
واللسان ، وعبادته متضمنة لمعرفته ، وذكره فأصل علمهم وعملهم :
هو العلم بالله والعمل لله ؛ وذلك فطرى ، كما قد قررتة في غير هذا
الموضع ، ويثبت أن أصل العلم الإلهى فطرى ضرورى ، وأنه أشد
رسوخاً في النفوس من مبدأ العلم الرياضى : كقولنا أن الواحد
نصف الاثنين » (١) .

وقال في معرض حديثه عن أصل الهداية : « فجماع الأمر : أن الله
هو الهادى والنصير ، ﴿ وَكَلَّمَ بَرَكًا هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ ، وكل علم فلا بُدَّ له
من هداية ، وكل عمل فلا بُدَّ له من قوة فالواجب أن يكون هو أصل
كل هداية وعلم وأصل كل نصره وقوة ، ولا يستهدي العبد إلا بإياه ،
ولا يستنصر إلا بإياه ، والعبد لما كان مخلوقاً مربوباً مفطوراً مصنوعاً :
عاد في علمه وعمله إلى خالقه ، وفاطره ، وربّه وصانعه ، فصار ذلك
ترتيباً مطابقاً للحق ، وتأليفاً موافقاً للحقيقة إذ بناء الفرع على الأصل ،
وتقديم الأصل على الفرع : هو الحق ، فهذه الطريقة الصحيحة الموافقة
لفطرة الله وخالقته وكتابته وسنته » (٢) .

(١) الفتاوى : ١٥/٢ .

(٢) المرجع السابق : ١٩/٢ - ٢٠ .

قال : وقيل لابن عباس : « بماذا عرفت ربك ؟ فقال : من طلب دينه بالقياس : لم يزل دهره في التباس خارجاً عن المنهاج ، ظاعناً في الاعوجاج : عرفته بما عرّف به نفسه ، ووصفته بما وصف به نفسه » فأخبر أنّ معرفة القلب حصلت بتعريف الله وهو نور الإيمان ، وأنّ وصف اللسان حصل بكلام الله ، وهو نور القرآن « (١) .

قال الإمام إبراهيم بن موسى الشاطبي : « وذلك أنه - القرآن - محتوٍ من العلوم على ثلاثة أجناس هي المقصود الأول :

أحدها : معرفة المتوجّه إليه ، وهو الله المعبود سبحانه .

الثاني : معرفة كيفية التوجّه إليه .

الثالث : معرفة مآل العبد ليخاف الله به ويرجوه .

وهذه الأجناس الثلاثة داخلة تحت جنس واحد هو المقصود ، عبّر عنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات / ٥٦] ؛ فالعبادة هي المطلوب الأول ، غير أنه لا يمكن إلا بمعرفة المعبود ؛ إذ المجهول لا يتوجّه إليه ، ولا يقصد بعبادة ولا بغيرها ، فإذا عُرف - ومن جملة المعرفة به أنه أمر وناهٍ وطالب للعباد بقيامهم بحقه - توجّه الطلب ؛ إلا أنه لا يتأتى دون معرفة كيفية التعبد ؛ فجيء بالجنس الثاني « (٢) .

وقال ابن القيم - رحمه الله - : « والرسل من أولهم إلى خاتمهم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - أرسلوا بالدعوة إلى الله . وبيان

(١) المرجع السابق : ١٨/٢ .

(٢) الموافقات : ٢٠٤/٤ .

الطريق الموصل إليه ، وبيان حال المدعويين بعد وصولهم إليه . فهذه القواعد الثلاث ضرورية في كلِّ ملة على لسان كل رسول ^(١) ، فعرفوا الرب المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله تعريفاً مفصلاً ، حتى كأن العباد يشاهدونه سبحانه . وينظرون إليه فوق سماواته على عرشه يكلم ملائكته ، ويدبر أمر مملكته ، ويسمع أصوات خلقه ، ويرى أفعالهم وحركاتهم ، ويشاهد بواطنهم ، كما يشاهد ظواهرهم ، يأمر وينهى ، ويرضى ويغضب ، ويحبّ ويسخط ، ويضحك من قنوطهم ، وقرب غيره ، ويجيب دعوة مضطربهم ، ويغيث ملهوفهم ، ويعين محتاجهم ، ويجبر كسيرهم ، ويغني فقيرهم ، ويميت ويحيي ، ويمنع ويعطي ، يؤتي الحكمة من يشاء ، مالك الملك ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعزّ من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كلِّ شيء قدير ، كلُّ يوم هو في شأن ، يغفر ذنباً ، ويفرّج كرباً ، ويفكُّ عانياً ، وينصر مظلوماً ، ويقصم ظالماً ، ويرحم مسكيناً ، ويغيث ملهوفاً ، ويسوق الأقدار إلى موافقتها ، ويجريها على نظامها ، ويقدم ما يشاء تقديمه ، ويؤخر ما يشاء تأخيره ، فأزمت الأمور كلها بيده ، ومدار تدبير الممالك كلها عليه ، وهذا مقصود الدعوة وزُبدة الرسالة ^(٢) .

القاعدة الثانية : تعريفهم بالطريق الموصل إليه وهو صراطه المستقيم الذي نصّب لرسله وأتباعهم ، وهو امتثال أمره ، واجتناب نهيه ، والإيمان بوعدته ووعيده ، وهذه القاعدة سماها الإمام الشاطبي آنفاً كيفية التوجه إليه .

(١) هذه القواعد الثلاث هي نفسها الأحناس الثلاثة من العلوم التي ذكرها الشاطبي في الصفحة السابقة ذات الرقم ٣٠٩ .

(٢) مدارج السالكين : ٣/٣٤٨ - ٣٤٩ .

القاعدة الثالثة : تعريف الحال بعد الوصول ، وهو ما تضمنه اليوم الآخر من الجنة والنار ، وما قبل ذلك من الحساب والحوض والميزان والصراط « (١) .

وقد سماها الإمام الشاطبي آنفاً معرفة مآل العبد .

وقال - رحمه الله - في موضع آخر : « للإنسان قوتان : قوة علمية نظرية ، وقوة عملية إرادية ، وسعادته التامة موقوفة على استكمال قوته العلمية والإرادية ، واستكمال القوة العلمية ، إنما يكون بمعرفة فطره وبارئه ، ومعرفة أسمائه وصفاته ، ومعرفة الطريق التي توصل إليه ومعرفة آفاتها ، ومعرفة نفسه ، ومعرفة عيوبها ، فهذه المعارف الخمس يحصل كمال قوته العلمية ، وأعلم الناس أعرفهم بها وأفقههم فيها ، واستكمال القوة العملية الإرادية لا يحصل إلا بمراعاة حقوقه سبحانه على العبد والقيام بها إخلاصاً وصدقاً ونصحاً وإحساناً ومتابعة وشهوداً لمنته عليه « (٢) .

وقال - رحمه الله - بصدد المعرفة وأنها أساس الإيمان : « من أراد علوً بنيانه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه وشدة الاعتناء به ، فإن علوً البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه . فالأعمال والدرجات بنيان وأساسها الإيمان ، ومتى كان الأساس وثيقاً حمل البنيان واعتلي عليه ، وإذا تهلّم شيء من البنيان سهل تداركه ، وإذا كان الأساس غير وثيق لم يرتفع البنيان ولم يثبت ، وإذا تهلّم شيء من الأساس سقط البنيان أو كاد .

(١) مدارج السالكين : ٣/٣٤٩ .

(٢) الفوائد ، ص ٣٠ .

فالعارف همته تصحيح الأساس وإحكامه ، والجاهل يرفع في البناء عن غير أساس ، فلا يلبث بنيانه أن يسقط . فاحمل بنيانك على قوة أساس الإيمان ، فإذا تشعث شيء من أعالي البناء وسطحه كان تداركه أسهل عليك من خراب الأساس .

وهذا الأساس أمران :

الأول : صحّة المعرفة بالله وأمره وأسمائه وصفاته .

والثاني : تجريد الانقياد له ولرسوله دون ما سواه .

فإذا كمل البناء ؛ فيبضه بحسن الخلق والإحسان إلى الناس ؛ ثم حطّه بسور من الحذر لا يقتحمه عدو ، ولا تبدو منه العورة ، ثم أرخ الستور على أبوابه « (١) .

(١) المرجع السابق : ٢٠٤ - ٢٠٥ مختصراً .

التطبيقات النبوية على غرس المعرفة :

كان منهجه ﷺ التدرج وتقديم الأهم الأهم في تربية أصحابه على المعرفة ، مع الليالي والأيام ، متفرقاً حسب التنزل القرآني ، والحوادث ، وكان يعلمهم ﷺ ويربيهم مجتمعين تارة ومتفرقين أخرى ، تارة في المسجد ، وتارة في البيت ، أو في أماكن تجمعهم وأسواقهم أو في حوائطهم ، وتارة يوصي أحدهم أو ينصحه ، تارة يجيبهم على أسئلتهم وأخرى يتدثروهم هو ، وثالثة يسألهم .

تارة جالساً وأخرى ماشياً أو راكباً ، وهكذا لا ينتظر ﷺ جميع أصحابه ليكملوا في مجلس واحد لكيلا يشق عليهم ، أو يفوته التبليغ ، ولأنه يعلم ﷺ حرص أصحابه ﷺ على العلم وتداوله بينهم ونقله .

فهو مستمر ومستديم التبليغ ﷺ ، يأتيه الرجل من البلد فيسأله فيجيبه ، يدخل عليه وهو يخطب في الجمعة وينزل من منبره ليعلمه أمور دينه ، يدخل عليه وهو على المنبر ويطلبه أن يستسقي ربه فيستسقيه .

يركب مع أحدهم على دابة فينصحه نصيحة طويلة . يجلس في قفٍ بشرٍ بحائطٍ فيتحدث . ويعطي أحدهم نعليه ويبعثه ليبشر من وجد خارج الحائط بأنه من مات على التوحيد دخل الجنة .

وكان ﷺ يُقرئهم القرآن ويعلمهم إياه ، ويربيهم عليه وعلى سنته . فعن عبد الله بن عمر قال : « كان رسول الله ﷺ يعلمنا القرآن ، فإذا مرَّ بسجود القرآن سجد وسجدنا معه » (١) .

(١) المسند للإمام أحمد : ٥٤٤/٢ ، رقم ٦٤٧٠ .

وقال : « كان رسول الله ﷺ يقرأ علينا السورة ، فيقرأ السجدة ، فيسجد ونسجد معه حتى ما يجدُّ أحدنا مكاناً لموضع جبهته » (١) . دل ذلك على أنه كان يقرئهم القرآن ويعلمهم إياه ، وفيه معرفة الله بأسمائه وصفاته وآلائه .

وعن عبد الله بن عباس وابن مسعود قالا : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ » (٢) . فيه دليل على تعليمه أصحابه القرآن ، والقرآن مليء بأسمائه وصفاته وأفعاله .

ومن التطبيقات على تعليم النبي ﷺ أصحابه وتربيتهم على معرفة الله من خلال القرآن الكريم : ما رواه البخاري والبيهقي عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يعني يقول الله ﷻ : كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَتَمَّ يَنْبَغُ لَهُ أَنْ يَكْذِبَنِي ، وَشَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ وَتَمَّ يَنْبَغُ لَهُ أَنْ يَشْتَمَنِي . فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ : لَنْ يَعْيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي ، وَلَيْسَ أَوَّلَ خَلْقِهِ بِأَمُونٍ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ ﴿ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ وَأَنَا اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ » (٣) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ،

(١) المصدر السابق : ٤٦٦٩/٢ ، ومشكاة المصابيح برقم ١٢٥ ، وقال الألباني : متفق عليه .

(٢) المصدر السابق : ٢٨٩٤/١ ، ٣٧٣٨/٢ .

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي : باب جماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع نفي التشبيه عن الله تعالى حذره : ٦٨/١ ، وفي البخاري في التفسير : باب تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ : ٤/١٩٠٣ ، رقم ٤٦٩٠ بالفاظ قرية منه .

فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : سَلُّوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ ؟ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ : لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : اخْبِرُوهُ أَنْ اللَّهَ يُحِبُّهُ «^(١) . وفي حديث أنس : « فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّهَا ، فَقَالَ : حُبُّكَ إِنَّمَا أَنْزَلَكُمُ الْجَنَّةَ »^(٢) ، وهي دعوة عملية لمعرفة صفات الله والتعبُّد بها .

ففي تعليم النبي ﷺ وإخباره لهم أَنَّ اللَّهَ أَحَبُّهُ ، وَأَنَّهُ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ بسبب حُبِّهِ لصفة الرحمن ترغيب ودعوة لمعرفة صفات الله ، ودعم وتشجيع لمن عرفها وأحبها .

وفي قول الله تعالى : ﴿ ثَابِتِينَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾^(٣) . قال أبو بكر ﷺ : « كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ ، فَرَأَيْتُ أَنَارَ الْمُشْرِكِينَ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَأَانَا ، قَالَ : مَا ظَنُّكَ بِاِثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا ؟ »^(٤) .

وعنه ﷺ في حديث الهجرة الطويل قال : « ... فَقُلْتُ : هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا »^(٥) .

(١) البخاري : التوحيد : ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى التوحيد : ٢٦٨٦/٦ ، رقم ٦٩٤٠ .

(٢) البخاري : صفة الصلاة : الجمع بين السورتين في ركعة : ٢٦٨/١ ، رقم ٧٤١ .

(٣) التوبة : الآية (٤٠) .

(٤) البخاري : التفسير : سورة التوبة : ١٧١٢/٤ ، رقم ٤٣٨٦ .

(٥) المصدر السابق : فضائل الصحابة : مناقب المهاجرين وفضلهم : ١٣٣٦/٣ ، رقم ٣٤٥٢ .

في هذين الحديثين يبيّن النبي ﷺ معية الله لهما ، تلك المعية الخاصة فهو معهم بنصره وتأيدته وموازرتة وحفظه لهم من أعدائهم . وفيه تربية على التعلّق بالله ﷻ والتوكّل عليه ، وترك الخوف من غيره .

وقد وقع هذا من النبي ﷺ في الوقت المناسب ، وقت الشدّة ، الوقت الذي كان فيه أبو بكر ﷺ أحوج ما يكون للتثبيت ، « وقد دعا رسول الله ﷺ فنزلت عليه السكينة » (١) .

وهل كان ﷺ خائفًا على نفسه !؟ إنّما كان خائفًا على رسول الله ﷺ .

وفي بيان قدرة الله ﷻ على الخلق والإعادة ، وأنّ ما يريد الله ﷻ إنّما يقول له كن فيكون ، وكذلك بيان رحمة الله ﷻ بعباده ، وأنّ رحمته سبقت غضبه ، وأنها وسعت كلّ شيء :

فقد كان النبي ﷺ يُحدّثهم لبيان هذه المعاني والصفات وتأكيدها في نفوسهم .

فعن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِإِبْنِهِ : إِذَا مِتُّ فَأَخْرِقُونِي ، ثُمَّ اطْحَنُونِي ، ثُمَّ ذَرُونِي فِي الرِّيحِ ، فَوَاللَّهِ لَئِن قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا . فَلَمَّا مَاتَ فَعِلَ بِهِ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَقَالَتْ : اجْمَعِي مَا فِيكَ مِنْهُ ، فَفَعَلَتْ ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ ، فَقَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : يَا رَبُّ خَشِنْتُكَ ، فَغَفَرَ لِي » (٢) ، وقال غيره : « مَخَافَتُكَ يَا رَبُّ » .

(١) فتح الباري : ١٠/٧ .

(٢) البحاريّ الأنبياء : ١٢٨٣/٣ ، رقم ٣٢٩٤ .

وفي حديث أبي سعيد : « فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ... وَقَالَ : ثُمَّ ذُرُونِي فِي يَوْمِ عَاصِفٍ وَوَرَدَ فِي نِهَآيَةِ الْحَدِيثِ : فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ » (١) .

وفي حديث حذيفة : « ... إِذَا مِتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطْبًا كَثِيرًا ، ثُمَّ لَوْزُوا نَارًا ، حَتَّى إِذَا أَكَلْتُ لَحْمِي ، وَخَلَصْتُ إِلَى عَظْمِي » (٢) .

وفي قول الله ﷻ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ (٣) ، قال البخاري : « يَعْنِي أَضْدَادًا وَاحِدَهَا نِدٌّ » (٤) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ : « قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَلِمَةً ، وَقُلْتُ أُخْرَى ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ . وَقُلْتُ أَنَا : مَنْ مَاتَ وَهُوَ لَا يَدْعُو لِلَّهِ نِدًّا دَخَلَ الْجَنَّةَ » (٥) .

أي أن من مات وهو يشرك بالله شيئاً كأن يعبد صنماً أو حجراً أو غيره دخل النار ، وكلمة عبداً لله ﷻ بعكسها ؛ فإن من مات وهو لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

وما برح رسول الله ﷺ يُحذِرُ مِنَ الشَّرْكِ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ ، وَيُؤَكِّدُ هَذَا الْإِعْتِقَادَ .

(١) المصدر السابق في نفس الموضوع ، رقم ٣٢٩١ .

(٢) المصدر السابق في نفس الموضوع ، رقم ٣٢٩٢ .

وقد أخرج مسلم في التوبة : باب : في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، رقم ٢٧٥٦ .

(٣) البقرة : الآية (١٦٥) .

(٤) البخاري : ٦٨ التفسير ٢٤ - باب قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ﴾ : ١٦٣٦/٤ .

(٥) البخاري : التفسير : باب قوله : وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ . الآية : ١٦٣٦/٤ ، رقم ٤٢٢٧ .

ومن ذلك أيضاً ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (١) .

قال عليه السلام : « إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخْذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ قَالَ ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ » (٢) .

فهذا تفسير من النبي صلى الله عليه وآله لهذه الآية ، وتحذير لأصحابه وللأمة من بعدهم من الظلم ، وأن عاقبته وخيمة ، وأن الله يمهل الظالم ، ولكن إذا أخذه لا يتركة حتى يستوفي عقابه ، وكذلك أخذ ربك للقري الظالمة ؛ فإن أخذه لها منه العذاب الأليم الشديد .

ومن ذلك ما ورد في عظمة الله عز وجل ومُلكه وقدرته على خلقه ، وترسيخ هذه الصفات في القلوب ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٣) .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ ، وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ مَلُوكِ الْأَرْضِ ؟ » (٤) .

وعن عبد الله قال : « جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا نَجِدُ : أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ ،

(١) هود : الآية (١٠٢) .

(٢) البخاري : التفسير : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ ... ﴾ : ٤/١٧٢٦ ، رقم ٤٤٠٩ .

(٣) الزمر : الآية (٦٧) .

(٤) البخاري : التفسير : باب ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، الآية نفسها : ٤/١٨١٢ ، رقم ٤٥٣٤ .

وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالْمَاءَ وَالْثَرَى عَلَى إِصْبَعٍ ،
وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ ، فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ
حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ، ثُمَّ قرأ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ... ﴾ الآية (١) .

ومن ذلك أيضاً تفسير النبي ﷺ لأصحابه قول الله ﷻ : ﴿ يَوْمَ
يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (٢) .

فمن أبي سعيد ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ
سَاقِهِ ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا
رِيَاءً وَسُمْعَةً ، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا » (٣) .

وهي العلامة التي بينه ﷺ وبين المؤمنين كما ورد في حديث أبي سعيد
الطويل عند مسلم : « ... فَيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا ؟
فَيَقُولُونَ : نَعَمْ . فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ
إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ . وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ
ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ . ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ ،
وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَقَالَ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ :
أَنْتَ رَبُّنَا ، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ » (٤) .

ومن ذلك أيضاً قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (٥) .

(١) البخاري : التفسير ٢٩٧ - باب وما قدروا الله حق قدره : ٤/١٨١٢ ، رقم ٤٥٣٣ .

(٢) القلم : الآية (٤٢) .

(٣) البخاري : التفسير : باب يوم يكشف عن ساق : ٤/١٨٧١ ، رقم ٤٦٣٥ .

(٤) مسلم : الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية : ١/١٦٣ ، رقم ١٨٢ .

(٥) الذاريات : الآية (٥٨) .

فمن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « ما أحدٌ أصبَرُ على أذى سمعةٍ من الله ، يدعون له الولد ثم يعافيهن ويرزقهن » ^(١) .

وفي اختصاصه ﷺ بالغيب وأنه لا يطلع عليه أحدًا قال سبحانه : ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ ^(٢) .

قال ﷺ : « مَقَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ : لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدْرِ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ » ^(٣) .

ومن ذلك قول الله ﷻ : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ ^(٤) .

فمن أبي سعيد الخدري في غزوة بني المصطلق : « أَنَّهُمْ أَصَابُوا سَبَايَا ، فَأَرَادُوا أَنْ يَسْتَمْتِعُوا بِهِمْ وَلَا يَحْمِلُنَ ، فَسَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الْعَزْلِ ، فَقَالَ : مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ مَنْ هُوَ خَالِقٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ عَنْ قُرْعَةَ : سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ فَقَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَيْسَتْ نَفْسٌ مَخْلُوقَةٌ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهَا » ^(٥) .

(١) البخاري : التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْعَتِيقُ ﴾ :

٢٦٨٧/٦ ، رقم ٦٩٤٣ .

(٢) الجن : الآية (٢٦) .

(٣) البخاري : التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ :

٢٦٨٧/٦ ، رقم ٦٩٤٤ .

(٤) الحشر : الآية (٢٤) .

(٥) البخاري : التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ :

٢٦٩٥/٦ ، رقم ٦٩٧٤ .

فقد بين النبي ﷺ لصحابته الكرام أن الله ﷻ قد كتب من سيخلق إلى يوم القيامة وأن كل نفس قد قدر الله خلقها سيخلقها لا محالة عزلوا أم لم يعزلوا .

قال ابن منظور في معنى لفظ الجلالة : البارئ : والبارئ : من أسماء الله ﷻ ، والله البارئ الذارئ ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فَتَوَوُّا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ . قال : البارئ هو الذي خلق الخلق لا عن مثال . قال : وهذه اللفظة من الاختصاص بخلق الحيوان ما ليس لها بغيره من المخلوقات ، وقلما تستعمل في غير الحيوان ، فيقال : برأ الله النسمة ، وخلق السموات والأرض « (١) .

وقال الله ﷻ : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٢) .

أخرج البيهقي في الأسماء والصفات في جماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع إثبات الإبداع والاختراع له ، فذكر الآية ، ثم أورد بسنده عن أنس رضي الله عنه قال : « كُنَّا نُهَيِّنَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَأْتِيَهُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَتَانَا رَسُولُكَ فَرَعَمَ أَنْكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ : صَدَقَ . قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ ؟ قَالَ : اللَّهُ . قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ ؟ قَالَ : اللَّهُ . قَالَ : فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ ؟ قَالَ : اللَّهُ . قَالَ : فَمَنْ جَعَلَ فِيهَا هَذِهِ الْمَنَافِعَ ؟ قَالَ : اللَّهُ . قَالَ : فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ، وَنَصَبَ الْجِبَالَ ، وَجَعَلَ فِيهَا هَذِهِ الْمَنَافِعَ أَلَلَّهُ أَرْسَلَكَ ؟

(١) لسان العرب : ٣١/١ ، مادة : برأ .

(٢) الزمر : الآية (٦٢) .

قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا
وَكَلِّئِنَا . قَالَ : صَدَقَ . قَالَ : فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ اللَّهُ أَمْرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ :
نَعَمْ ... الحديث « (١) .

وقال - رحمه الله - : قال الحلبي في معنى (الله) « أنه الإله »
وهذا أكبر الأسماء وأجمعها للمعاني ، والأشبه أنه كأسماء الأعلام
موضوع غير مشتق « (٢) .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ (٣) .
وقال : ﴿ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ : ﴿ أَلَيْسَ
ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ ، فَلْيَقُلْ : بَلَىٰ » (٥) .

وهذا بابٌ واسعٌ نختمه بحديث أسماء الله الحسنى ، فإنه جامع في
بابه ، مع ذكر بعض الآيات في الأسماء والصفات .

(١) الأسماء والصفات للبيهقي : ٤٦/١ .

وأخرجه مسلم : ج١ ، كتاب الإيمان ، ص٤١ ، رقم ١٢ .

والبخاري بنحوه في كتاب العلم : باب ما جاء في العلم حديث ضمام بن ثعلبة :
٣٥/١ ، رقم ٦٣ .

(٢) المصدر السابق : ٤٧/١ .

(٣) القيامة : الآية (٤٠) .

(٤) الأحقاف : الآية (٣٣) .

(٥) الأسماء والصفات : ٥٢/١ .

وانظر سنن أبي داود : صحيح سننه : ١٤٢/١ ، كتاب الصلاة : باب مقدار
الركوع والسجود .

أخرج الحافظ أبو بكر البيهقي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَهُوَ وَتَرٌ يُحِبُّ الْوَتَرَ : هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ ، الرَّحِيمُ ، الْمَلِكُ ، الْقُدُّوسُ ، السَّلَامُ ، الْمُؤْمِنُ ، الْمُؤْتَمِنُ ، الْعَزِيزُ ، الْجَبَّارُ ، الْمُتَكَبِّرُ ، الْخَالِقُ ، الْبَارِئُ ، الْمُصَوِّرُ ، الْغَفَّارُ ، الْقَهَّارُ ، الْوَهَّابُ ، الرَّزَّاقُ ، الْفَتَّاحُ ، الْعَلِيمُ ، الْقَابِضُ ، الْبَاسِطُ ، الْخَافِضُ ، الرَّافِعُ ، الْمُعِزُّ ، الْمُنْذِلُ ، السَّمِيعُ ، الْبَصِيرُ ، الْحَكَمُ ، الْعَدْلُ اللَّطِيفُ ، الْخَبِيرُ ، الْحَلِيمُ ، الْعَظِيمُ ، الْغَفُورُ ، الشَّكُورُ ، الْعَلِيُّ ، الْكَبِيرُ ، الْحَقِيقُ ، الْمُقِيتُ ، الْحَسِيبُ ، الْجَلِيلُ ، الْكَرِيمُ ، الرَّقِيبُ ، الْمُجِيبُ ، الْوَاسِعُ ، الْحَكِيمُ ، الْوَدُودُ ، الْمَجِيدُ ، الْبَاعِثُ ، الشَّهِيدُ ، الْحَقُّ ، الْوَكِيلُ ، الْقَوِيُّ ، الْمَتِينُ ، الْوَلِيُّ ، الْحَمِيدُ ، الْمُخْصِي ، الْمُبْدِي ، الْمُعِيدُ ، الْمُخْيِي ، الْمُعِيتُ ، الْحَيُّ ، الْقَيُّومُ ، الْوَاجِدُ ، الْمَاجِدُ ، الْوَاحِدُ ، الصَّمَدُ ، الْقَادِرُ ، الْمُقْتَدِرُ ، الْمُقَدِّمُ ، الْمُؤَخَّرُ ، الْأَوَّلُ ، الْآخِرُ ، الظَّاهِرُ ، الْبَاطِنُ ، الْوَالِي ، الْمُتَعَالِي ، الْبَرُّ ، التَّوَابُ ، الْمُنتَقِمُ ، الْعَفْوُ ، الرَّءُوفُ ، مَالِكُ الْمَلِكِ ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، الْمُقْسِطُ ، الْجَامِعُ ، الْغَنِيُّ ، الْمُغْنِي ، الْمَانِعُ ، الضَّارُّ ، النَّافِعُ ، النُّورُ ، الْهَادِي ، الْبَدِيعُ ، الْبَاقِي ، الْوَارِثُ ، الرَّشِيدُ ، الصَّبُورُ ، الْكَافِي » (١) ، لفظ حديث الفريابي .

وفي رواية الحسن بن سفيان : الرفع بدل المانع (٢) .

(١) سنن الترمذي : ١٩٣/٥ ، كتاب الدعوات ، باب إنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا عن أبي هريرة .

(٢) كنز العمال : ٤٥٠/١ ، الباب الثاني في أسماء الله الحسنى عن أبي هريرة أيضًا .

وقيل في رواية النصبي^(١) : المغيث بدل المقيت)^(٢) .

ولقد ثبتت أغلب هذه الأسماء بالقرآن الكريم ، جاءت في النسق القرآني الفريد الذي يتعرفُ الرَّبَّ جلَّ جلاله إلى عباده من خلاله لدعوتهم إلى توحيدهِ وإفراده بالعبادة وعدم الإِشراك به ، وذلك بالأسلوب القرآني في استحياء الفطرة واستجاشتها لمعرفة الحقِّ واتباعه وتلبية داعي الله .

ومن هذه النصوص الكثيرة قول الله ﷻ : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ الْم ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾^(٤) .

(١) الحاكم في المستدرک : کتاب الإيمان ، عن أبي هريرة أيضا : ٦٢/١ ، رقم ٤١/٤١ ، وقال : هذا حديث قد خرجاه في الصحيحين بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسماء فيه ، والعلّة فيه عندهما أنّ الوليد بن مسلم تفرد بسياقته بطوله ، وذكر الأسماء فيه ولم يذكرها غيره ، وليس بعلّة فإني لا أعلم اختلافاً بين أئمة الحديث أنّ / الوليد بن مسلم أوثق وأحفظ وأعلم وأجلّ من أبي اليمان ، وبشر بن شعيب وعلي بن عياش وأقرانهم من أصحاب شعيب .

وقال في التلخيص : لم يخرجوا الأسماء لتفرد الوليد بها وليس ذا بعلّة ، فالوليد أوثق وأحفظ من أبي اليمان ، وعلي بن عياش (ا.هـ . فهي زيادة ثقة وزيادة الثقة مقبولة .

(٢) الأسماء والصفات : ٢٨/١ ، باب بيان الأسماء التي من أحصاها دخل الجنة .

(٣) البقرة : الآية (٢٥٥) آية الكرسي .

(٤) آل عمران : الآيات (٣١) .

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدِيمُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ (١) .

وقوله : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢٧﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٨﴾ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَهَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَهَقُوا تَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَالِكُمْ لَا تَؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنَى تُؤَفَّكُونَ ﴿٣٣﴾ (٤) .

(١) الحشر : الآيات (٢٢ - ٢٤) .

(٢) الحديد : الآيات (٣ - ٩) .

(٣) المجادلة : الآية (٧) .

(٤) غافر : الآية (٦٢) .

وقال : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) .

وقال : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴾ ^(٢) .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُونَ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كَمَا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُقِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٣) .

وقال سبحانه : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ ^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى ﴿١١﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ ^(٦) .

وقوله : ﴿ قُلْ مَنْ يَكْفُرُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْنَا مُنْصِحُونَ ﴾ ^(٧) .

(١) غافر : الآية (٦٥) .

(٢) الفرقان : الآية (٥٨) .

(٣) يونس : الآية (٦١) .

(٤) طه : الآيات (٥ - ٨) .

(٥) طه : الآية (١٤) .

(٦) طه : الآيات (٤٩ - ٥٠) .

(٧) الأنبياء : الآيات (٤٢ - ٤٣) .

وقوله : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْنا اِبْنا كُما فاعِلين ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ ذَلكَ بَأَنَّ اللّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ ما يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْباطِلُ وَأَنَّ اللّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظيمِ ﴾ (٣) سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَفلا تَتَّقونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِينَهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيزُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ فَأَنى تُسْحَرُونَ ﴾ (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ ... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٥) .

ومن تعليم النبي ﷺ أصحابه وتريتهم على معرفة الله ﷻ ، ما ثبت من سنته ﷺ في مواقف كثيرة ، منها :

ما رواه أبو موسى الأشعري ﷺ قال : كُنّا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ . فَكُنّا إِذا أَشْرَفنا عَلى وادٍ هَلَلنا وَكَبَرنا ارْتَفَعَتْ أَصواتُنا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : يا أَيُّها النَّاسُ ارْتَفِعوا عَلى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُم لا تَدْعُونَ أَصمَ وَلا غائِبًا ، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ « (٥) .

ففي هذا الحديث أخبرهم ﷺ أن الله معهم وأنه سميع قريب منهم بعلمه وسمعه وبصره ، وأنه على كل شيء شهيد .

(١) الأنبياء : الآية (١٠٩) .

(٢) الحج : الآية (٦٢) .

(٣) المؤمنون : الآيات (٨٦ - ٨٩) .

(٤) الشورى : الآية (١١) .

(٥) البخاري : الجهاد : ما يكره من رفع الصوت في التكبير : ١٠٩١/٣ ، رقم ٢٨٣٠ .

ومنه ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » (١) .

فهنا يجبرهم صلى الله عليه وسلم بصفة من صفات المولى تبارك وتعالى ، وهي صفة التنزل في الثلث الأخير من الليل ، وأنه يستجيب لمن يدعوه ، ويُعطي من سأله ، ويغفر لمن استغفره ، خاصة في ذلك الوقت الفاضل .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه صلى الله عليه وسلم قال : « الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي ، مَنْ نَازَعَنِي مِنْهَا شَيْئًا قَصَمْتُهُ » (٢) .

وعن أبي سعيد وأبي هريرة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْعِزُّ إِزَارَةٌ ، وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ ، فَمَنْ يُنَازِعْنِي عَذْبَتُهُ » (٣) .

(١) البخاري : الجهاد : يريدون أن يدلوا كلام الله : ٦/٢٧٢٣ ، رقم ٧٠٥٦ .

(٢) الأسماء والصفات : ١/٢٢٨ .

وانظر : كنز العمال : ٣:٥٢٧ .

وابن ماجه بلفظ : « من نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم » ، انظر : صحيح سنن

ابن ماجه : ٤٠٥/٢ ، رقم ٣٣٦٥ .

(٣) مسلم : البر والصلة : تحريم الكبر : ٤/٢٠٢٣ ، رقم ٢٦٢٠ .

والضمير في إزاره وردائه يعود إلى الله تعالى للعلم به ، وفيه محذوف تقديره قال الله تعالى ، ومعنى من يُنازعني : يتخلق بذلك فيصير في معنى المشارك ، وهذا وعيد شديد في الكبر ، مصرح بتحريمه . (انظر : الحاشية) : ٤/٢٠٢٣ في صحيح مسلم .

الطريق الثاني ، النظر في مفعولاته .

وهو الطريق الثاني من طريق معرفة الله ﷻ بالنظر في مخلوقاته ، وهو الطريق الثاني من طرق إثبات الصفات ، فالمخلوق يدل على الخالق .

قال الله تعالى : ﴿ سُنُّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَمْسِهِمْ حَسْبُ يَتَّبِعِينَ لَهْمُ آدَةُ الْحَقِّ أَوْلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ آدَةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١) .

قال الحافظ ابن كثير : « أي سنُّهُرُهُم دلالتنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجية » (٢) .

وقال ابن القيم - رحمه الله - : « أي أن القرآن حق ، فأخبر أنه لا بُدَّ أن يريهم من آياته المشهودة ما يبين لهم أن آياته المتلوّة حق ، ثم أخبر بكفاية شهادته على صحّة خبره ، بما أقام من الدلائل والبراهين على صدق رسوله . فأياته شاهدة بصدقه ، وهو شاهد بصدق رسوله بآياته . فهو الشاهد والمشهود له ، وهو الدليل والمدلول عليه . فهو الدليل بنفسه على نفسه » (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَّرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

قال مجاهد في قوله ﴿ سَيَّرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ . قال : في أنفسكم وفي السماء والأرض والرزق . ا.هـ .

(١) فصلت : الآية (٥٣) .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ١١٣/٤ .

(٣) الفوائد ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٤) النمل : الآية (٩٣) .

والظاهر والله أعلم أنه عامٌ في كلِّ شيء ، في الأنفس والآفاق ، في السماء والأرض والرزق ، وفي آيات عذابه وسخطه كما قال ابن جرير ، وفي المرض والعافية ، والإحياء والإماتة ، والغيث والجذب ، والليل والنهار ، والشمس والقمر ، والرياح مبشرات ، والبرق خوفًا وطعمًا ، والجوار في البحر كالأعلام ، وخلق الأزواج من الأنفس ، والسكن إليها ، والمنام بالليل والنهار ، وفي إهلاك الأمم ، وفي نجاتهم وغير ذلك من علاماته ودلائله وحججه الكثيرة القاطعة .

« هذا هو الطريق الثاني من طُرُق إثبات الصفات . وهو دلالة الصنعة عليها . فإنَّ المخلوق يدل على وجود خالقه ، على حياته ، وعلى قدرته ، وعلى علمه ومشيئته . فإنَّ الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزامًا ضروريًا . وما فيه من الإتقان والإحكام ووقوعه على أكمل الوجوه ؛ يدلُّ على حكمة فاعله وعنايته وما فيه من الإحسان والنفع ، ووصول المنافع العظيمة إلى المخلوق : يدلُّ على رحمة خالقه وإحسانه وجوده .

وما فيه من آثار الكمال : يدلُّ على أنَّ خالقه أكمل منه ، فمعطي الكمال أحقُّ بالكمال . وخالق الأسماع والأبصار والنطق : أحقُّ بأن يكون سميعًا بصيرًا متكلمًا .

والإحسان إلى المطيعين ، والتقرب إليهم والإكرام ، وإعلاء درجاتهم : يدل على محبته ورضاه . وعقوبته للعصاة والظلمة ، وأعداء رسله بأنواع العقوبات المشهودة : تدل على صفة « الغضب والسخط » والإبعاد والطرود والإقصاء يدل على المقت والبغض .

فهذه الدلالات من جنس واحد عند التأمل . ولهذا دعا سبحانه في كتابه عباده إلى الاستدلال بذلك على صفاته . فهو يثبت العلم بربوبيته ووجدانيته وصفات كماله بآثار صفاته المشهورة . والقرآن مملوء بذلك .

فيظهر شاهد اسم « الخالق » من نفس المخلوق . وشاهد اسم « الرازق » من وجود الرزق والمرزوق . وشاهد اسم « الرحيم » من شهود الرحمة المبثوثة في العالم . واسم « المعطي » من وجود العطاء الذي هو مدارر لا ينقطع لحظة واحدة . واسم « الحليم » من حلمه عن الجناة والعصاة وعدم معاجلتهم . واسم « الغفور » و « التواب » من مغفرة الذنوب ، وقبول التوبة . ويظهر شاهد اسمه « الحكيم » من العلم بما في خلقه وأمره من الحكم والمصالح ووجوه المنافع .

وهكذا كل اسم من أسمائه الحسنی له شاهد في خلقه وأمره يعرفه من عرفه ويجهله من جهله . فالخلق والأمر من أعظم شواهد أسمائه وصفاته .

وكل سليم العقل والفطرة يعرف قدر الصانع وجنقه وتبريزه على غيره ، وتفردّه بكمال لم يشاركه فيه غيره : من مشاهدة صنّعه ، فكيف لا تعرف صفات من هذا العالم العلوي والسفلي ، وهذه المخلوقات : من بعض صنعه ؟ وإذا اعتبرت المخلوقات والأمورات ، وجدتها بأسرها كلّها دالة على النعوت والصفات ، وحقائق الأسماء الحسنی . وعلمت أنّ المعطلة من أعظم الناس عمى بمكابرة . ويكفي ظهور شاهد الصنع فيك خاصّة .

كما قال تعالى : ﴿ وَفِي أَسْمِكُمْ أَفْلا تُبْصِرُونَ ﴾ [٢١/٥١] ، فالموجودات بأسرها شواهد صفات الرّب جلّ جلاله ونعوته وأسمائه . فهي كلّها تشير إلى الأسماء الحسنی وحقائقها . وتنادي عليها وتدلّ عليها وتخبر بها بلسان النطق والحال .

فالفكر الصحيح المؤيد بحياة القلب ونور البصيرة ، يدل على إثبات صفات الكمال ونعوت الجلال .

قال تعالى ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ [٢/٥٩] والاعتبار افتعال من العبور ، وهو عبور القلب من الملزوم إلى لازمه . ومن النظر إلى نظيره . والاعتبار هو أن يعبر نظره من الأثر إلى المؤثر ، ومن الصنعة إلى الصانع . فإذا اجتمع له تعظيم الخالق وحسن النظر في صنعه : أثمر له إثبات صفات كماله ولا بُدَّ « (١) .

وقال - رحمه الله - : ولهذه المعرفة بابان واسعان :

الباب الأول : التفكير والتأمل في آيات القرآن كلها ، والفهم الخاص عن الله ورسوله .

والباب الثاني : التفكير في آياته المشهودة وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط على خلقه .

وجماع ذلك : الفقه في معاني أسمائه الحسنی وجلالها وكمالها وتفرده بذلك ، وتعلقها بالخلق والأمر ، فيكون فقيهاً في أوامره ونواهيه ، فقيهاً في قضائه وقدره ، فقيهاً في أسمائه وصفاته ، فقيهاً في الحكم الديني الشرعي والحكم الكوني القدري ، و ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ « (٢) .

وقال : تكرر في القرآن جعل الأعمال القائمة بالقلب والجوارح سبب الهداية والإضلال .

(١) مدارج السالكين : ٣/٣٥٤ - ٣٥٧ باختصار مع تقديم وتأخير لا يخجل بالمعنى .

(٢) الفوائد ، ص ٢٢١ .

فأعمال البر تثمر الهدى ، وأعمال الفجور بالضد . فمن الأصل الأول قوله تعالى : ﴿ الْم ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . وهذا يتضمن أمرين :

أحدهما : أنه يهدي به من اتقى مساخطه قبل نزول الكتاب ، فإنَّ الناس على اختلاف مللهم ونحلهم قد استقرَّ عندهم أنَّ الله يكره الظلم والفواحش والفساد ، ويحب العدل والإحسان ، والجود والصدق . فلما نزل الكتاب أثاب أهل البر بأن وفقهم للإيمان به جزاءً لهم على برِّهم وطاعتهم وخذل أهل الفجور والفحش والظلم بأن حال بينهم وبين الاهتداء به .

والأمر الثاني : أنَّ العبد إذا آمن بالكتاب واهتدى به مجملًا ، كان ذلك سببًا لهداية أخرى تحصل له على التفصيل .

قال تعالى : ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ ... ﴾ . وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ ^(١) . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ ^(٢) . وقال : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ ^(٣) . في سورة لقمان وسورة إبراهيم وسبأ والشورى .

فأخبر عن آياته المشهودة العيانة أنها إنما ينتفع بها أهل الصبر والشكر ، كما أخبر عن آياته الإيمانية القرآنية أنها إنما ينتفع بها أهل التقوى والخشية والإنابة ، ومن كان مقصده اتباع رضوانه ، وأنها إنما

(١) يونس : الآية (٩) .

(٢) سبأ : الآية (٩) .

(٣) سبأ : الآية (١٩) .

يتذكر بها من يخشاه سبحانه ، كما قال : ﴿ طه ﴿١﴾ مَا أَرْزَأْنَا عَيْتِكَ
الْقُرْءَانَ لَمَسَّتَ قِي ﴿٢﴾ إِلَّا تَذِكْرَةٌ لِمَنْ يَخْشَى ﴿١﴾ ، وقال في الساعة : ﴿ إِنَّمَا
أَدَّتْ مُنْذِرٌ مِّنْ يَخْشَاهَا ﴿٣﴾ .

وأما من لا يؤمن بها ولا يرجوها ولا يخشاها فلا تنفعه الآيات
العيانية ولا القرآنية ، ولهذا لما ذكر عقوبات الأمم المكذبين للرسل قال :
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ﴿٣﴾ . فأخبر أن في عقوباته
للمكذبين عبرة لمن خاف عذاب الآخرة .

وأما من لا يؤمن بها ولا يخاف عذابها فلا يكون ذلك عبرة وآية
في حقه ، وإذا سمع ذلك قال : لم يزل في الدهر الخير والشر والنعيم
والبؤس والسعادة والشقاوة ، وربما أحال ذلك على أسباب فلكية وقوى
نفسانية . وإنما كان الصبر والشكر سبباً لانتفاع صاحبهما بالآيات ؛ لأن
الإيمان ينبني على الصبر والشكر ، فنصفه صبر ونصفه شكر .

فعلى حسب صبر العبد وشكره تكون قوة إيمانه . وآيات الله إنما
ينتفع بها من آمن بالله وآياته ، ولا يتم له الإيمان إلا بالصبر والشكر .

وأما الأصل الثاني : وهو اقتضاء الفجور والكبر والكذب للضلال
فكثير أيضاً في القرآن كقوله تعالى : ﴿ يُضِلُّهُ بِكَبِيرٍ أَوْ يَهْدِيهِ بِكَبِيرٍ أَوْ مَا
يُضِلُّهُ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٤﴾ .

(١) طه : الآيات (١ - ٣) .

(٢) النازعات : الآية (٤٥) .

(٣) هود : الآية (١٠٣) .

(٤) البقرة : الآية (٢٦) .

وقال تعالى : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ ^(١) .
 وقال : ﴿ سَأُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ ^(٢) . أنساهم أنفسهم فلم يطلبوا كمالها
 بالعلم النافع والعمل الصالح وهما الهدى ودين الحق فأنساهم طلب ذلك
 ومحبتة ومعرفته والحرص عليه عقوبة لنسيانهم له ^(٣) .

وجميع المفعولات والمصنوعات هي من صنع الله ﷻ ، قال الله
 تعالى : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(٤) .

روى البخاري في خلق أفعال العباد ، والبيهقي في الأسماء والصفات
 عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « إن الله تعالى يصنع كل صانع
 وصنفته ، وتلا بعضهم عند ذلك : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٥) » ^(٦) .

فقد كان الله ولم يكن شيء قبله ، قال ﷻ : « كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ
 شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَكَتَبَ فِي
 الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ » ^(٧) .

(١) النساء : الآية (٨٨) .

(٢) التوبة : الآية (٦٧) .

(٣) الفوائد : ١٦٨ - ١٧٣ مختصراً .

(٤) الزمر : الآية (٦٢) .

(٥) الصافات : الآية (٩٦) .

(٦) الأسماء والصفات للبيهقي : ٣٩٨/١ . وخلق أفعال العباد للبخاري ، ص ٣٩ ،
 رقم ١١٧ ، وقال محققه : إسناده صحيح ، وذكر تخريجه في كثير من كتب السنة ،
 وبعض ألفاظه : « الله خالق كل صانع وصنفته » .

(٧) البخاري : التوحيد : باب وكان عرشه على الماء : ٢٦٩٩/٦ ، رقم ٦٩٨٢ .

فالذي ينتفع بهذه المخلوقات المشهودة في هذا الكون وفي الأنفس ، هو الذي يريد الحقيقة ويتواضع لها ، ويجاهد في البحث عنها . قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (١) ، وأما المتكبرون المعاندون أهل الفسق والغفلة والغواية ، فإن الله ﷻ يصرفهم عن الاستفادة بها جزاء أعمالهم . قال الله تعالى : ﴿ .. سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢) سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشدي لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الفقى يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴿١٦٦﴾ والذين كذبوا بآياتنا وهاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴿١٧١﴾ .

وقد ينطلق المتفنع بالآيات المبتوءة في الكون ابتداءً من دلالة القرآن الكريم عليها ، وقد يشاهدها في الكون ابتداءً ، ثم يرجع بالتصديق للآيات المتلوة .

« والناس في النظر إلى مخلوقاته ودلائل أسمائه وصفاته ووحدانيته وآثارها وما تعرف به إلى عباده ، وحكمته في دينه وشريعته ثلاثة أقسام :

أحدها : من عليم بصيرة الإيمان جملة ، فهو لا يرى من هذا الصنف إلا الظلمات والرعد والبرق ، فهو يجعل إصبعيه في أذنه من الصواعق ، ويديه على عينيه من البرق خشية أن يخطف بصره ، ولا يجاوز نظره إلى ما وراء ذلك من الرحمة وأسباب الحياة الأبدية .

فهذا القسم هو الذي لم يرفع بهذا الدين رأساً ، ولم يقبل هدى الله . ففائدة إنذار هذا إقامة الحجّة عليه .

(١) العنكبوت : الآية (٦٩) .

(٢) الأعراف : الآيات (١٤٥ - ١٤٧) .

القسم الثاني : أصحاب البصيرة الضعيفة الذين نسبة إبصارهم إلى هذا النور كنسبة إبصار الخفّاش إلى جرم السماء ، وهم الذين قال فيهم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : أو منقاداً للحق لا بصيرة له في إصابة . فهؤلاء إذا كانوا منقادين لأهل البصائر لا يخالجهم شك ولا ريب ، فهم على سبيل نجاة .

القسم الثالث : وهو خلاصة الوجود ولباب بني آدم ، وهم أولو البصائر النافذة الذين شهدت بصائرهم هذا النور فكانوا منه على بصيرة ويقين ومشاهدة لحسنه وكماله ، بحيث لو عُرض على عقولهم ضده لرأوه كالليل البهيم الأسود ، وهذا هو المحك والفرقان بينهم وبين الذي قبلهم ، فإن أولئك بحسب داعيهم «^(١) .

« أما النظر في هذه الآيات وأمثالها فهو نوعان :

- نظر إليها بالبصر الظاهر ، فيرى مثلاً زرقة السماء ونجومها وعلوها وسعتها ، وهذا نظر يشارك الإنسان فيه غيره من الحيوانات ، وليس هو المقصود .

- الثاني : أن يتجاوز هذا النظر بالبصيرة الباطنة ، فتُفتح له أبواب السماء ، فيجول في أقطارها وملكوتها ، وبين ملائكتها ، ثم يُفتح له باب حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن ، فينظر سعته وعظمته ، ويرى الملائكة حافين من حوله ، لهم زجلٌ بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير ، والأمر ينزل من فوقه بتدبير الممالك والجنود التي لا يعلمها إلا ربّها ومليكتها ، فينزل الأمر بإحياء قوم وإماتة آخرين ،

(١) مفتاح دار السعادة : ٣٠٣/١ باختصار .

وإعزاز قوم وإذلال آخرين ، وإسعاد قوم وشقاوة آخرين ، وإنشاء ملك وسلب ملك . لا يشغله سمع شيء منها عن سمع غيره . ولا تغلظه كثرة المسائل والحوائج على اختلافها وتباينها واتحاد وقتها . ولا يتبرم بإلحاح الملحين . فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقاً لهيبته خاشعاً لعظمته عان لعزته فيسجد بين يدي الملك الحق سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم المزيد ، فهذا سفر القلب ، وهو في وطنه وداره ، وهو من أعظم آيات الله وعجائب صنعه ، فيا له من سفرٍ ما أبركه وأروحه وأعظم ثمرته « (١) .

(١) المرجع السابق : ١٩٩/١ باختصار .

التطبيقات النبوية في لفت أنظار الصحابة للتأمل في الأنفس والآفاق :

ولقد كان من منهجه ﷺ لفت أنظار أصحابه إلى مخلوقات الله لزيادة إيمانهم و يقينهم ، وهذا كثيرٌ جداً في الكتاب والسنة .

والله ﷻ يتعرّف إلى عباده بقدرته على الخلق والإماتة تارة ، وبقدرته على إهلاك الأمم الغابرة تارة ، وبقدرته سبحانه على خلق المخلوقات تارة ، كالسماوات والأرضين ، والجبال والشجر ، والدواب ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، والبرّ والبحر ، والبرق والرعد والسحاب . وتارة بقدرته على نصر رسله وأوليائه وأهل طاعته وإهلاك أعدائه المحاربين لأهل طاعته ، وأحياناً بالحثّ على التبصّر في الأنفس ، وأطوار النشأة من النطفة إلى المضغة إلى العلقة ، وتارة يشرّهم بما أعدّه لهم من نعيم وقرّة عين لا تنفد ، وتارة بإنذارهم وتخويفهم من عاقبة تكذيبهم وكفرهم .

والقرآن مملوء بكثير من هذا وغيره ، وكذلك السنة ، ومن ذلك : قول الله تعالى : ﴿ إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (١) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿ (١) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « بَتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ ، فَتَحَدَّثَتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَقَدَ ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ قَعَدَ ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : ﴿ إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ، ثُمَّ قَامَ فَتَوَضَّأَ

(١) آل عمران : الآيات (١٩٠ - ١٩١) .

وَاسْتَنْ ، فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً ، ثُمَّ أَدْنَى بِلَالٍ ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ « (١) .

قال أبو جعفر : « فقال جلّ ثناؤه : تدبّروا أيها الناس واعتبروا ، ففيما أنشأته فخلقته من السموات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم ، وفيما عقبته بينه من الليل والنهار ، فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم ، تتصرفون في هذا المعاشكم ، وتسكنون . في هذا راحة لأجسادكم معتبرٌ ومدكرٌ وآيات وعظات » (٢) .

وقال : « وأما قوله : ﴿ وَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . فإنه يعني بذلك أنهم يعتبرون بصنعة صانع ذلك ، فيعلمون أنه لا يصنع ذلك إلا من ليس كمثلته شيء ، ومن هو مالك كل شيء ورزقه ، وخالق كل شيء ومدبره ، ومن هو على كل شيء قدير ، ويده الإغناء والافتقار ، والإعزاز والإذلال ، والإحياء والإماتة ، والشقاء والسعادة » (٣) .

وقال ابن كثير في الآية : « أي يفهمون ما فيها من الحكمة الدالة على عظمة الخالق وقدرته وحكمته واختياره ورحمته » (٤) .

وفي السحاب والسموات أيضاً يلفت النبي ﷺ أنظار الصحابة إلى عظيم مخلوقات الله وهي السماء وسمك كل سماء ، والمسافات العظيمة بينها وكم بين السماء الدنيا والأرض حتى ترسخ عظمة الخالق في

(١) البخاري : التفسير : باب إن في خلق السموات ... الآية : ٤/١٦٦٥ ، رقم ٤٢٩٣ .

(٢) تفسير الطبري : ٧/٤٧٣ ، تحقيق شاکر .

(٣) تفسير الطبري : ٧/٤٧٥ ، تفسير سورة آل عمران ، تحقيق شاکر .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ١/٤٤٧ .

نفوسهم ، فعن العباس بن عبدالمطلب قال : « كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ بالبطحاء فمرت سحابة ، فقال رسول الله ﷺ : أتدرون ما هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فقال : السحاب ، قلنا : السحاب ؟ فقال : والمزن ، قلنا : والمزن ؟ فقال : والعنان . ثم سكت ، ثم قال : تدرون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فقال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة وبين كل سماء إلى السماء التي تليها مسيرة خمسمائة سنة ، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهم وأظلافهم كما بين السماء والأرض ، والله فوق ذلك ليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء » (١) .

ومن ذلك : قول الله ﷻ : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (٢) .

روى البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس : « أتدري أين تذهب ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش ، فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، يقال لها : ارجعي من حيث جئت ، فتطلع من مغربها ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ » (٣) .

(١) المستدرک : کتاب التفسیر : سورة طه : ٤١٠/٢ ، رقم ٣٤٢٨ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال في التلخيص : وهو صحيح .

(٢) يس : الآية (٣٨) .

(٣) البخاري : بدء الخلق : باب صفة الشمس والقمر بحسبان : ١١٧٠/٣ ، رقم ٣٠٢٧ .

فسوال النبي ﷺ أبا ذر فيه لفت انتباه له لهذه الآية العظيمة من آيات الله ، وفيه تذكير له بعلامات القيامة واليوم الآخر .
وعن عبدا لله بن عمر - رضي الله عنهما - « أَنَّهُ كَانَ يُخْبِرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّهُمَا آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَصَلُّوا » (١) .

فأخبرهم ﷺ أَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ، وأرشدهم إلى الصلاة وإلى ذكر الله ... وفي حديث أبي بكر : « ... وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَخَوْفُ بِهَا عِبَادَهُ » (٢) .

ومن ذلك ما كان يعترى النبي ﷺ إذا هبَّت الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ .
قال أنس ﷺ : « كَانَتْ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ إِذَا هَبَّتْ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ » (٣) .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُسْرًا لِيَدْفِي رَحْمَتِهِ ﴾ (٤) .
عن عائشة - رضي الله عنها - قال : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَأَى مَخِيلَةً فِي السَّمَاءِ أَقْبَلَ وَأَذْبَرَ ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ، فَإِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ فَعَرَفْتُهُ عَائِشَةُ ذَلِكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَا لَذْرِي لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ ﴾ » (٥) .

(١) البخاري : ٢٢ - كتاب الكسوف ١ - باب الصلاة في كسوف الشمس : ٣٥٣/١ ، رقم ٩٩٥ .

(٢) البخاري : الكسوف ، باب قول النبي ﷺ : « يخوف الله عباده بالكسوف » : ٣٦٠/١ ، رقم ١٠٠١ .

(٣) البخاري : الاستسقاء : باب إذا هبت الريح : ٣٥٠/١ ، رقم ٩٨٧ .

(٤) الفرقان : الآية (٤٨) .

(٥) البخاري : بدء الخلق : ما جاء في قوله : هو الذي يرسل الرياح ... : ١١٧٢/٣ ، رقم ٣٠٣٤ .

ومن ذلك أيضاً ما رواه زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال : « صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : بِنُورٍ كَذَا وَكَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ » (١) .

وفي الزلازل والفتن والآيات :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْبُضَ الْعِلْمُ ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ ، وَيَكْثُرَ الْهَرَجُ ، وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ ، حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْعَمَالُ فَيَقْبِضَ » (٢) .

ففي هذا الحديث نبه النبي صلى الله عليه وسلم على عدد من علامات آخر الزمان . ومنها كثرة الزلازل والفتن والقتل .

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن كيفية إحياء الله الموتى ، وما آية ذلك ؟

فمن أبي رزين قال : « قلت : يا رسول الله ! كيف يحيي الله الموتى !؟ وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : أما مررت بوابٍ لك مظلًا ، ثم مررت به يهتز خضرًا ؟ ثم مررت به مظلًا ، ثم مررت به يهتز خضرًا ؟ قال : بلى ، قال : فكذلك يحيي الله الموتى ، وذلك آيته في خلقه » (٣) .

(١) البخاري : الاستسقاء : باب وتجعلون رزقكم ... : ٣٥١/١ ، رقم ٩٩١ .

(٢) البخاري : الاستسقاء : باب ما قيل في الزلازل والآيات : ٣٥٠/١ ، رقم ٩٨٩ .

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي : ٢٧٤/٢ .

قال الشيخ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك : وقد ورد ذلك في كتاب الله ﷻ : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَبْتَتَ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَدَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَدَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ .^(١)

ومما ندب الله ﷻ عباده إلى النظر فيه والتفكير نفس الإنسان ، قال الله تعالى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ .^(٢)

وقد أوضح النبي ﷺ أطوار خلق الإنسان مفصلة لتحصل العبرة والاتعاظ ، فقال : « إِنْ أَحَدَكُمْ يَجْمَعُ خَلْقَهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا . ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَاقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : بِكُتُبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ... »^(٣) .

وقال ﷺ : « إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً ، بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا ، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا ، وَجَلِدَهَا وَأَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَبُّ ! أَنْزِرْ لِي أَمْرًا ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا رَبُّ ! أَعْجَلْهُ ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا رَبُّ ! رِزْقُهُ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصُّحُفَةِ فِي يَدِهِ . فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أَمَرَ وَلَا يَنْقُصُ »^(٤) .

(١) الحج : الآية (٥) .

(٢) الذاريات : الآية (٢١) .

(٣) مسلم : القدر : باب كيفية الخلق الأدمي : ٢٠٣٦/٤ ، رقم ٢٦٤٣ .

(٤) مسلم : القدر : باب كيفية الخلق الأدمي : ٢٠٣٧/٤ ، رقم ٢٦٤٥ .

ومن الآيات أيضاً : نصر الرُّسُل وأتباعهم ، وإهلاك الأمم المكذبة ، وهذا في القرآن كثير ، للاتعاظ والادكار ، والعبرة . ولقد أخبر الله في سورة القمر عن إهلاك قوم نوح بالطوفان ، ونجاة نوح عليه السلام ومن معه في السفينة ، ثم قال سبحانه : ﴿ وَقَدْ تَرَكَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ^(١) .

وأخبر عن إهلاك عاد بالريح ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ ^(٢) . وعن ثمود فقال : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ ﴾ ^(٣) . وأخبر عن إهلاك قوم لوط ونجاة آل لوط فقال : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ ^(٤) . وعن إهلاك فرعون وقومه فقال : ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّابًا فَآخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ ^(٥) .

ثم سألهم سؤال تبيكيت : ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ ^(٦) . ثم أخبر سبحانه أنهم سيهزمون فقال : ﴿ سَيَلْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ ^(٧) ، وأضرب عن ذلك فقال : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴾ ^(٨) .

(١) القمر : الآية (١٥) .

(٢) القمر : الآية (٢٠) .

(٣) القمر : الآية (٢٨) .

(٤) القمر : الآية (٣٤) .

(٥) القمر : الآية (٤٢) .

(٦) القمر : الآية (٤٣) .

(٧) القمر : الآية (٤٥) .

(٨) القمر : الآية (٤٦) .

وعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت : « لَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ ﷺ بِمَكَّةَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴾ » (١) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ فِي قُبَّةِ يَوْمَ بَدْرٍ : اللَّهُمَّ إِنِّي أُنشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ ، اللَّهُمَّ إِن تَشَأْ لَا تُعْبِدُنَا بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ : حَسْبِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلْحَحْتَ عَلَيَّ رَبِّكَ ، وَهُوَ يَثْبُ فِي الدَّرْعِ ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ : ﴿ سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبْرَ ﴾ » (٢) .

ومثل هذا كثير في كتب السنة والتفسير ، وسنورد بعض الآيات التي تعرّف الله بها إلى عباده من آياته في الآفاق وفي الأنفس وإهلاكه الأمم .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ (٣) .

وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنَّهُمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ (٤) .

(١) البخاري : التفسير : باب : بل الساعة موعدهم : ١٨٤٦/٤ ، رقم ٤٥٩٥ .

(٢) البخاري : التفسير : باب : قوله : سيهزم الجمع يولون الدبر : ١٨٤٥/٤ ، رقم ٤٥٩٤ .

(٣) الأعراف : الآية (١٤٦) .

(٤) الروم : الآية (٨) .

وقال : ﴿ تَسْبِخُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (١) .

وقال : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَمْسَيْنَاهَا رِوَاسِيًا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِيرًا وَذِكْرًا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٦) .

وقال : ﴿ وَسَخَّرْ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٧) .

(١) الإسراء : الآية (٤٤) .

(٢) ق : الآيات (٦ - ٨) .

(٣) فاطر : الآية (٤١) .

(٤) الذاريات : الآية (٤٧) .

(٥) الأنبياء : الآية (٣٢) .

(٦) يونس : الآية (١٠١) .

(٧) النحل : الآية (١٢) .

وقال : ﴿ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَهْسَهُمْ بِظُلْمِهِمْ ﴾ (١) .

وقال ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءً أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ (٢) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٣) وَمَنْ رَحِمْتَهُ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٥) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْسِئُ النَّسَاءَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسُكِبَتْ مِنْهُ الْأَشْيَاءُ الْحَيَاتُ فَخَرَجَ مِنْهَا جَبَلًا مِمَّنْ هُيَئَاتِهَا سَائِبًا مُتَلَفًا لِيَجْعَلَ لِكُلِّ فِتْنَةٍ آيَةً ﴾ (٧) وَرَبَّتْ إِنْ أَلْمَأَزَمَتْهُ الْوَيْطَانُ مِنْ دُونِهَا فَانقَلَبَتْ رُجُومًا لِيَجْزِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (٨) .

وقال تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ (٩) .

وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (١٠) .

(١) الروم : الآية (٩) .

(٢) القصص : الآيات (٧١ - ٧٣) .

(٣) العنكبوت : الآيات (١٩ ، ٢٠) .

(٤) فصلت : الآية (٣٩) .

(٥) يس : الآية (٢٣) .

(٦) الحج : الآية (٦٣) .

وقال : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَتُلَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَتُلَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهْمٍ إِذَا هُمْ مَكْرُوفٍ آيَاتِنَا قَلِيلٌ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنْ رُسُلُنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ (٤) .

وقال : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًُا فَلَمَّا نَجَّأكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا ﴾ (٦) .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا لِبَنِيهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّهِ مَسَّةً كَذَلِكَ رَتِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٧) .

(١) النمل : الآية (٦٠) .

(٢) النمل : الآية (٦٢) .

(٣) الأنعام : الآية (١٧) .

(٤) يونس : الآية (٢١) .

(٥) النحل : الآية (٥٣) .

(٦) الإسراء : الآية (٦٧) .

(٧) يونس : الآية (١٢) .

وفي إهلاكه الأمم بعد ذكره قصة لوط عليه السلام مع قومه ، قال : ﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (٣٤) وَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿ (١) ، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ قَوْمَ مَدْيَنَ وَأَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ ﴾ (٢) ، ثُمَّ ذَكَرَ عَادًا وَثَمُودًا ، وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ مَعَ مُوسَى عليه السلام وَعَقَّبَ عَلَى الْجَمِيعِ بِقَوْلِهِ : ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَهْسَهُمْ بِظُلْمِهِمْ ﴾ (٣) .

وقال عليه السلام : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَهْتُمْ بِبَشَرٍ تَشِخْرُوتٍ ﴾ (٤) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَهْسِكُمْ أَرْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٦) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنْأَمُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآتِجَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (٧) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْطِئُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٨) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ هَوَمَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَهْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ (٩) .

وقال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفَلَكَ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٠) .

(١) العنكبوت : الآيات (٣٣ - ٣٤) .

(٢) العنكبوت : الآية (٣٧) .

(٣) العنكبوت : الآية (٤٠) .

(٤) الروم : الآيات (٢٠ - ٢٥) .

(٥) الروم : الآية (٤٦) .

وقال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِعَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (١) .

وقال : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ وَأُمَلِّئُهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ (٣) .

وقال : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكُفَّ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٤) .

وقال : ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٥) .



(١) الأعراف : الآية (١٤٦) .

(٢) الأعراف : الآيتان (١٨٢ ، ١٨٣) .

(٣) غافر : الآية (٨١) .

(٤) فصلت : الآية (٥٣) .

(٥) الجاثية : الآية (٢) .

المسلك الثالث : (تربية المحبة) .

المحبة : هي الاسم من الحُبُّ ، وكلاهما مأخوذ من مادة (حِب) التي تدلُّ على اللزوم والثبات « (١) » .

والحُبُّ : الوداد . والمحبة والحُبُّ نقيض البغض ، وكذلك الحِبُّ بالكسر ، ويُقال للمحبوب « (٢) » .

والحبة : اسم للحبِّ . وتحبُّ إليه : تودد . والأنثى حبةٌ ، ومنه حديث فاطمة - رضوان الله عليها - قال لها رسول الله ﷺ عن عائشة : « إنها حبةٌ أبيض » .

وحبُّ إليه الأمر : جعله يُحبُّه ، والتحبُّ إظهار الحبِّ « (٣) » .

والمحبة في الاصطلاح : ميلُ النفس إلى ما تراه وتظنه خيراً « (٤) » .

وهي ميلُ النفس إلى المحبوب وتعلقها به ، وهو درجات . أمُّها وأكملها محبةُ الله ﷻ .

محبةُ الله : اسم المحبة فيه إطلاقٌ وعموم . فإنَّ المؤمن يُحبُّ الله ويحبُّ رسله وأنبياءه وعباده المؤمنين . وإن كان ذلك من محبة الله ، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره ؛ ولهذا جاءت محبةُ الله المذكورة بما يختص به من العبادة لله ، والإنابة إليه ، والتبُّل له ، ونحو ذلك ، فكلُّ هذه الأسماء تتضمن محبةُ الله ﷻ « (٥) » .

(١) معجم مقاييس اللغة : ٢٦/٢ .

(٢) لسان العرب : ٢٨٩/١ .

(٣) الصحاح للجوهري : ١٠٦/١ .

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة ، للراغب الأصفهاني ، ص ٣٦٣ .

(٥) التحفة العراقية في أعمال القلوب ، ص ٦٥ .

« والمحبة لما كانت جنسًا لأنواع متفاوتة في القدر والوصف ، كان أغلب ما يذكر منها في حق الله ما يختصُّ به ويليق به ، مثل العبادة ، والإنابة ونحوهما ، فإن العبادة لا تصلح إلا لله وحده ، وكذلك الإنابة » (١) .

وقيل فيها : أن تهب كلك لمن أحببت . فلا يبقى لك منك شيء . والمراد أن تهب إرادتك وعزمك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه ، وتجعلها حبسًا في مرضاته ومحابه . فلا تأخذ لنفسك منها إلا ما أعطاك فتأخذه منه له « (٢) .

(١) جامع الرسائل : قاعدة في المحبة ، ص ١٩٦ .

(٢) مدارج السالكين : ١٢/٣ مختصرًا .

توحيد المحبة هو أصل العبادة وحقيقتها وسرّها .

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ إِدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (١٦٥) إِذ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ورَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿ (١) .

قال الإمام البخاري : عن عبد الله قال : « قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَلِمَةً ، وَقُلْتُ أُخْرَى ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ نِدَاءً دَخَلَ النَّارَ . وَقُلْتُ أَنَا : مَنْ مَاتَ وَهُوَ لَا يَدْعُو لِلَّهِ نِدَاءً دَخَلَ الْجَنَّةَ » (٣) .

قال أبو الفداء بن كثير : « ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئاً ، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه ، ويلجأون في جميع أمورهم إليه » (٣) .

وقال شيخ الإسلام في هذه الآية : « ولهذا كان هذا الحب أعظم الأقسام المذمومة في المحبة ، كما أن حب الله أعظم الأنواع المحمودة ، بل عبادة الله وحده لا شريك له هي أصل السعادة ورأسها التي لا ينجو أحد من العذاب إلا بها ، وعبادة إله آخر من دونه هو أصل الشقاء ورأسه والذي لا يبقى في العذاب إلا أهله ، فأهل التوحيد الذين أحبوا الله وعبدوه وحده لا شريك له ، لا يبقى منهم في العذاب أحد ،

(١) البقرة : الآيات (١٦٥ - ١٦٦) .

(٢) البخاري : التفسير : باب قوله : وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ إِدَادًا : ٤/١٦٣٦ ، رقم ٤٢٢٧ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ١/٢٠٨ .

والذين اتخذوا من دونه أنداداً يحبونهم كحبّه ، وعبدوا غيره هم أهل الشرك الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ . وجماع القرآن هو الأمر بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن هذه المحبات ولوازمها ، وأصل دعوة جميع المرسلين صلّى الله عليهم وسلّم قولهم : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ^(١) « (١) » .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَكُونَهَا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ^(٢) .

فمن أحبّ أحد الأصناف الثمانية المذكورة في هذه الآية أو غيرها كحبّه لله أو أشدّ فإنّ ذلك هو الشرك الأكبر المخرج من الملة . ذلك أنّ « أصل العبادة محبة الله ، بل إفراده تعالى بالمحبة ، فلا يحبّ معه سواه ، وإنّما يحبّ ما يُحبّه لأجله وفيه ، كما يحبّ أنبياءه ورسوله وملائكته لأنّ محبتهم من تمام محبته ، وليست كمحبة من اتخذ من دونه أنداداً يُحبّهم كحبّه .

وإذا كانت المحبة له هي : حقيقة عبوديته وسرّها ، فهي إنّما تتحقّق باتّباع أمره واجتناب نهيه . فعند اتّباع الأمر والنهي تتبيّن حقيقة العبودية والمحبة . ولهذا جعل اتّباع رسوله علماً عليها وشاهداً لها وشرطاً لمحبة الله لهم .

(١) الأعراف : الآية (٥٩) .

(٢) جامع الرسائل : المجموعة الثانية (قاعدة في المحبة) ، ص ١٩٧ .

(٣) التوبة : الآية (٢٤) .

فَعَلِمَ انْتِفَاءَ الْحُبَّةِ عِنْدَ انْتِفَاءِ الْمَتَابَعَةِ لِلرَّسُولِ ، وَلَا يَكْفِي ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا . وَمَتَى كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُمَا فَهُوَ الْإِشْرَاقُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَبُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١) « (٢) .

وقال ابن القيم : « والصواب أن توحيد المحبة أكمل من هذا التوحيد الذي يشيرون إليه - الصوفية - وأعلى مقامًا ، وأجل مشهدًا ، وهو مقام الرُّسُل والأَنْبِيَاء عليهم الصلاة والسلام وخواص المقربين » (٣) .

وقال شيخ الإسلام : « إِنَّمَا الْكَلَامُ فِي مَحَبَّةٍ تَتَلَقَّى بِالنَّفُوسِ لغيرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ نَقْصٌ فِي تَوْحِيدِ الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى نَقْصِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى ، إِذْ لَوْ كَمَلَتْ مَحَبَّتُهُ لَمْ يَجِبْ سِوَاهُ . وَهَذَا مِيزَانٌ ، كُلَّمَا قَوِيَتْ مَحَبَّةُ الْعَبْدِ لِمَوْلَاهُ ، صَغُرَتْ عِنْدَهُ الْمَحْبُوبَاتُ وَقَلَّتْ ، وَكُلَّمَا ضَعُفَتْ ، كَثُرَتْ مَحْبُوبَاتُهُ وَانْتَشَرَتْ . وَكَذَلِكَ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ كَمَلَ خَوْفَ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ لَمْ يَخَفْ شَيْئًا سِوَاهُ » (٤) .

(١) التوبة : الآية (٢٤) .

(٢) تجريد التوحيد المفيد ، للمقرئزي ، ص ١١٣ - ١١٤ باختصار .

(٣) مدارج السالكين : ٤٠/٣ .

(٤) الفتاوى : توحيد الألوهية : ٩٤/١ .

وقال : « وإذا كان أصل الإيمان العملي هو حبّ الله تعالى ورسوله ، وحبّ الله أصل التوحيد العملي وهو أصل التأليه الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له ، فإنّ :

العبادة أصلها أكمل أنواع المحبة مع أكمل أنواع الخضوع ، وهذا هو الإسلام » (١) .

وقال : « فأصل المحبة المحمودة التي أمر الله بها ، وخلق خلقه لأجلها هي ما في عبادته وحده لا شريك له ؛ إذ العبادة متضمّنة لغاية الحبّ بغاية الذلّ » (٢) .

ومن محبته ﷺ وتعظيمه وإجلاله : تعظيم أمره ونهيه والانقياد له مباشرة . والعبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل ، فالعابد محبٌ خاضع ، بخلاف من يحبّ من لا يخضع له ، بل يحبّه ليتوسّل به إلى محبوبٍ آخر ، وبخلاف من يخضع لمن لا يحبّه ، كما يخضع للظالم ، فإنّ كلاً من هذين ليس عبادة محضة ، وإن كلّ محبوب لغير الله ومعظم لغير الله ففيه شوبٌ من العبادة .

وقال : وكمال الدين هو أداء الواجبات وترك المحرمات ، والفعل والترك أصلهما الحبّ والبغض ، فإذا ترك مأموراً أو فعل محظوراً ، فإنما هو لنقص الإيمان الذي هو التصديق ، وحبّ ما يحبّه الله وبغض ما يبغضه الله .

(١) جامع الرسائل ، ص ٢٥٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

والمحوبات على قسمين : قسم يُحِبُّ لنفسه ، وقسم يُحِبُّ لغيره ، إذ لا بُدَّ من محبوب يُحِبُّ لنفسه ، وليس شيءٌ شرع أن يُحِبُّ لذاته إلا الله تعالى ، وكذلك التَّعْظِيمُ لذاته ، تارة يعظَّم الشيء لنفسه ، وتارة يعظَّم لغيره ، وليس شيء يستحقُّ التَّعْظِيمَ لذاته إلا الله تعالى ، وكلُّ ما أمر الله أن يُحِبَّ ويُعظَّم فإنما محبته لله ، وتعظيمه عبادة لله ، فالله هو المحبوب المعظَّم في المحبة والتَّعْظِيمِ ، المقصود المستقرُّ الَّذِي إليه المنتهى ، وأما ما سوى ذلك فيُحِبُّ لأجل الله ، أي لأجل محبة العبد لله : بحبِّ ما أحبه الله ، فمن تمام محبة الشيء محبة محبوب المحبوب ، وبغض بغيضه ، فمن أحب شيئاً لذاته أو عظَّمه لذاته غير الله فذاك شرك به ، وإن أحبه ليتوصَّل به إلى محبوبٍ آخر وتعظيم آخر سوى الله فهو من فروع هذا ، والله لم يشرع أن يعبد الإنسان شيئاً من دونه أو يتخذَه إلهاً ليتوصَّل بعبادته ، فمن أحب شيئاً كما يحب الله ، أو عظَّمه كما يعظَّم الله فقد جعل الله نداً « (١) .

فهذه محبة الله ، أصل العبادات والأعمال ، ومنها تتبعُ المحابِّ الأخرى ، وأولها محبة النبي ﷺ ، قال شيخ الإسلام : « ومحبة الرسول ﷺ هي من محبة الله ، وكذلك كلُّ حبٍّ في الله ، وهو الحبُّ لله » (٢) .

أخرج البخاري من حديث أنس ؓ أن النبي ﷺ قال : « لا يؤمننَّ لحدِّكم حتى تكونَ أحبَّ إليه من والديه ووالديه والناسِ أجمعين » (٣) .

(١) جامع الرسائل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٢٨٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٦ .

(٣) البخاري : الإيمان : باب حبِّ الرسول ﷺ من الإيمان : ١٤/١ ، رقم ١٥ .

فقد نفى كمال الإيمان عمّن لا يُحبّ الرسول ﷺ أكثر من الوالد والولد وجميع الناس ، إلا إذا خلا القلب من محبة النبي ﷺ فيتوجه الحديث لنفي أصل الإيمان .

ومحبة الله ورسوله تمنع سبّ صاحبها وشتمه وإن قارف ذنباً ، فعن عمر بن الخطاب ﷺ أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله ، وكان يُلقب حِمَارًا وكان يُضحك رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد جلدته في الشراب ، فأُتِيَ به يوماً فأمر به فجلد ، فقال رجلٌ من القوم : اللهم العنه ، ما أكثر ما يُؤتى به ! فقال النبي ﷺ لا تلعنوه فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله « (١) .

ومن تمام حُبّ الله ورسوله حُبّ المؤمنين وولايتهم ، وبغض الكافرين وعداوتهم . وهذا من الإيمان ، قال الله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (٤) .

(١) البخاريّ : الحدود : باب ما يكره من لعن شارب الخمر ، وأنه ليس بخارج من الملة :

٢٤٨٩/٦ ، رقم ٦٣٩٨ .

(٢) التوبة : الآية (٧١) .

(٣) المائدة : الآية (٥٥) .

(٤) الحجرات : الآية (١٠) .

وقال ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا . أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمْوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفَسْتَوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » (١) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » (٢) .

فهذه المحبة العامة بين المؤمنين محبة واجبة ، وهي جزء من محاب الله التي لا يكمل إيمان عبد إلا بها ، ولا يجوز التفريق فيها بناءً على الجنس أو اللون أو الدم أو القبيلة أو الوطن أو أي تجمع مهما كان منشؤه ، إنما التفاضل بالتقوى ، فهي الضابط الوحيد .

فكلما ازداد العبد قربة إلى الله كلما ازدادت محبة المؤمنين له ، فلا يجوز بناءً على ذلك تفريق المسلمين إلى شيع وأحزاب متناحرة .

وذلك لأن المؤمن ولي المؤمن ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (٣) .

والمؤمنون كلهم أولياء الله ، قال الله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (٤) . وكلهم متقون

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، وأن محبة المؤمنين من الإيمان : ٧٤/١ ، رقم ٩٤/٥٤ ، ورواه الترمذي برقم ٢٨٤١ .

(٢) صحيح البخاري : الإيمان : باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه : ١٤/١ ، رقم ١٣ .

(٣) التوبة : الآية (٧١) .

(٤) يونس : الآيات (٦٢ ، ٦٣) .

بدخولهم في مسمى الإيمان وهروبهم من موجب النار ، وهو الشرك ، فهم متقون في العموم ، ويتفاضلون ويتفاوتون في التقوى .

ومن المحبة لله حُبُّ ما يحبه الله ، وبغض ما يبغضه الله ، وكره ما يكرهه ، فلا يجوز اتخاذ الكفار أولياء من دون المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ ءَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ ءَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ فَهَاءَ وَنَحَذِرُكُمْ لِلَّهِ فَهْسَةً وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ءَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ ءَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم ناديين (٤) .

وقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كُفِّرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٥) .

وقول الرسول ﷺ : « لوثق عرى الإيمان : الموالاة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله » (٦) .

(١) النساء : الآية (١٤٤) .

(٢) آل عمران : الآية (٢٨) .

(٣) المائدة : الآيتان (٥١ ، ٥٢) .

(٤) المنتحة : الآية الأولى .

(٥) الجامع الكبير للطبراني ، ١١٥٣٧ . قال الألباني - رحمه الله - : « فالحديث

مجموع طرقه يرتقى إلى درجة الحسن على الأقل ، والله أعلم . انظر سلسلة

الأحاديث الصحيحة : ٣٠٦/٤ ، رقم ١٧٢٨ .

وقوله ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ ، وَأَعْطَى لِلَّهِ ، وَمَنَعَ لِلَّهِ ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ » (١) .

وبذلك يُعلم أن الولاء لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين ، والبراء من الكافرين أحد ركائز الإيمان .

قال السعدي : « أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده ، وهي أصل التأله والتعبُد له ، بل هي حقيقة العبادة ، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه ... ومن تفريعها وتكملها الحب في الله ، فيحبُّ العبد ما يحبه الله من الأعمال والأشخاص ، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال ، ويوالي أوليائه ، ويعادي أعداءه ، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده . أما اتخاذ أنداد من الخلق يحبهم كحب الله ، فيقدم طاعتهم على طاعة الله ، ويلهج بذكرهم ودعائهم فهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله .

واعلم أن أنواع المحبة ثلاثة أقسام :

الأول : محبة الله التي هي أصل الإيمان والتوحيد .

الثاني : المحبة في الله : وهي محبة أنبياء الله ورسله وأتباعهم ، ومحبة ما يُحبه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة ، وهذه تابعة لمحبة الله ومكملة لها .

الثالث : محبة مع الله وهي محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم من شجر وحجرٍ وبشرٍ وملك ، وهي أصل الشرك وأساسه .

(١) سنن أبي داود : كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه : ٣٠٤/٤ .

الأساليب النبويه في غرس المحبة في القلوب :

بدأ النبي ﷺ في تربيته أصحابه بغرس محبة الله وتعظيمه وإجلاله في قلوبهم ، وتحريرها من عبادة العبادة إلى عبادة رب العباد ، وتعليقها به ، وقطع تعلقها بغيره ، حتى سمت نفوسهم عن الذل لغيره ، واللجأ إلى من سواه ، وامتلات بحبه وتعظيمه وخوفه ورجائه .

وثنى بغرس محبته ﷺ والتأسي به واتباعه ، فكان الأسوة الحسنه والشخصية الفذة القائدة المحبوبة .

وثلت بغرس محبة المؤمنين بعضهم بعضاً ، وتولّى بعضهم بعضاً ، والبراءة ممن سواهم ، حتى إذا غرست محبة الله ورسله وأوليائه ، وترسخ الإيمان في القلوب ، اكتملت الفرائض وحُرمت الخبائث ، وأمير بالجهاد فكانت الاستجابة في أفضل صورها .

الأسلوب الأول : التربية على المعرفة .

التربية على معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته ورحمته بعباده ومغفرته لهم هي الطريق المؤدي إلى المحبة ، وهي الباب الواسع الموصل إليها . ذلك أن المحبة تتبع المعرفة ، وقد سبق الحديث عن المعرفة ، وتقرر أن هناك بابان واسعان للمعرفة .

الأول : قراءة كتابه المتلوّ وتدبر آياته وتفهم معانيها ومراميتها ، والتأمل فيها والتفكير وتطبيقها على النفس .

والباب الثاني : تدبر آياته في كتاب الكون المفتوح ، وفي النفس البشرية ، وتأمل هذه الآيات وتدبرها والتفكير في عظمة خالقها وبارئها ومتقنها حتى يتبين أن آيات الكتاب المتلوّ حقٌ وصدق ويقين ،

الأسلوب الثاني : الترغيب في محبة الله ورسوله ، وبيان فضلها وثمراتها ، والترهيب من التقصير فيها .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه « أَنْ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم : مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَا أَعَدَدْتُ لَهَا ؟ قَالَ : مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ ، وَلَكِنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قَالَ : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » ^(١) .

وهذه الإجابة من حكمته البالغة صلى الله عليه وسلم ، فقد أجاب السائل بسؤال ينفعه ، ثم بشره على إجابته بأنه مع من أحب بسبب حبه لله ورسوله ، وهذا فيه دعم وتشجيع وتثبيت له لترسيخ هذه المحبة وتعميقها . وقد جاء في رواية الترمذي قول أنس : فما رأيت فرح المسلمون بعد الإسلام فرحهم بها ^(٢) .

وفيه عن أنس أيضا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يَقْدَفَ فِي النَّارِ » ^(٣) .

ومفهوم الحديث أنه لا يجد حلاوة الإيمان من ليس لديه هذه الخلال .

(١) البحاري : الأدب : باب علامة الحب في الله صلى الله عليه وسلم : ٢٢٨٣/٥ ، رقم ٥٨١٩ .

(٢) الترمذي ، رقم ٢٥٠٦ ، انظر : صحيح سنن الترمذي : ١٩٤٤/٢ .

(٣) مسلم : الإيمان : باب محصل من أتصف بهن وجد حلاوة الإيمان : ٦٦/١ ، رقم ٤٣ .

وفيه تنبيه على فضل محبة الله ورسوله والمؤمنين وهذا الدين ، وأن هذه الخلال الثلاث علامات على وجود الإيمان فيمن تحقق بها .

وعن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال : « جَاءَ أَعْرَابِيٌّ جَهْرِيٌّ الصَّوْتِ ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يُلْحَقْ بِهِمْ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » ^(١) .

وقد رهّب النبي ﷺ من عدم محبته ، فمن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ » ^(٢) ، ومن حديث أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » ^(٣) .

وفي البخاري أيضاً عن زهرة بن مَعْبُدٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَدَّهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ قَالَ : « كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : الْآنَ يَا عُمَرُ » ^(٤) .

(١) الترمذي : أبواب الزهد : باب المرء مع من أحب : رقم ٢٥٠٧ ، وحسنه الألباني ، انظر : صحيحه : ٢/٢٨٣ ، رقم ١٩٤٥ .

(٢) البخاري : الإيمان : باب حب الرسول ﷺ من الإيمان : ١٤/١ ، رقم ١٤ .

(٣) المصدر ، والكتاب ، والباب نفسه رقم ١٥ .

(٤) البخاري : كتاب الإيمان والنور : باب كيف كانت يحمين النبي ﷺ : ٦/٢٤٤٦ ، رقم ٦٢٥٧ .

فبهذا يتضح أنّ محبة المصطفى ﷺ فرضٌ عين على كلِّ أحدٍ لا يؤمن أحدٌ إلاّ بها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « فمحبة ما يحبه الله من الأعيان والأعمال من تمام محبة الله ، وهو الحبُّ في الله والله ، فمحبة ما يحبه الله من الأعمال الباطنة والظاهرة ، وهي الواجبات والمستحبات إذا أحببت لله كان ذلك من محبة الله ، ولهذا يوجب ذلك محبة الله للعبد ، بل محبة الله مستلزمة لمحبة ما يحبه الله من الواجبات ، فإنّ اتباع رسوله هو من أعظم ما أوجبه الله تعالى على عباده وأحبه .

وهو سبحانه أعظم شيءٍ بُغضاً لمن لم يتبع رسوله ، فمن كان صادقاً في دعوى محبة الله اتبع رسوله لا محالة ، وكان الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما ، فكما أنّ المحبة الواجبة تستلزم لفعل الواجبات ، وكما أنّ المحبة المستحبة تستلزم لكمال فعل المستحبات . والمعاصي تنقصُ المحبة » (١) .

(١) جامع الرسائل ، ص ٢٥٦ - ٢٥٩ مختصراً .

الأسلوب الثالث : التبشير بثمار محبة الله للعبد ومآله وما أعد الله له .

قال رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْتَطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِن سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » (١) .

فهذه فضائل جمّة وقطوف دانية ، وثمار جنيّة في محبة الله لعبد المومن . وقال ﷺ : « إذا أحب الله عبداً غسله ، فقيل : وما غسله ؟ قال : يوفق له عملاً صالحاً بين يدي لجه ، حتى يرضى عنه جيرانه ، أو قال : من حوله » (٢) .

ومن ذلك أيضاً ما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ اللّٰهُ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ . قَالَ : فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ . ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إِنْ اللّٰهُ يَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ . قَالَ : ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ . وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ : إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ . قَالَ : فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يَنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنْ اللّٰهُ يَبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ . قَالَ : فَيَبْغِضُونَهُ . ثُمَّ تُوَضَّعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ » (٣) .

فهذا فضلٌ عظيم أن يُحبَّ الله العبد ويحبُّ فيه أهل سماواته وأرضه .

(١) البخاري : كتاب الرقاق : باب التواضع : ٢٣٨٤/٥ ، رقم ٦١٣٧ .

(٢) المستدرک ، للحاكم : ٣٤٠/١ ، وصححه ، ووافقه النعمي .

(٣) مسلم : البر والصلة : باب إذا أحبَّ الله عبداً حبَّبه إلى عباده : ٢٠٣٠/٤ ،

الأسلوب الرابع : الإعلام بعلامات محبته وأحبائه .

فمن علامات محبته لعبده ما رواه الحاكم ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أحب الله عبداً عَسَلَهُ ، فقيل : وما عَسَلُهُ ؟ قال : يُوفِّقُ له عملاً صالحاً بين يدي لَجَلِهِ ، حتى يَرْضَى عنه جيرانه ، أو قال : من حوَّلَهُ » (١) . وعند ابن أبي عاصم : « إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله ، قالوا : يا رسول الله وكيف يستعمله ؟ قال : يوفقه لعملٍ صالحٍ قبل موته » (٢) .

ومن ذلك حماية عبده من الخبط في الدنيا :

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحميه ، كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه » (٣) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : أتى النبي ﷺ رجلاً ، فقال : إني أُحِبُّكَ ، فقال : « استعد للفاقة » (٤) .

ومن ذلك أيضاً وضع المحبة له في الأرض ، فيكون محبوباً عند الناس :

قال ﷺ : « إن الله إذا أحب عبداً دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إني أُحِبُّ فلاناً

(١) المستدرک ، للحاکم : ٣٤٠/١ ، وصححه ، ووافقه الذهبي . وعَسَلَهُ من العسل وهو طيب الثناء والذكر الحسن .

(٢) السنة لابن أبي عاصم : ١٧٥/١ ، رقم ٣٩٧ ، قال الألباني : إسناده صحيح على شرطهما أيضاً .

(٣) المستدرک ، للحاکم : ٢٠٨/٤ ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٤) مجمع الزوائد : ٢٧٤/١٠ ، وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

فأجبه . قال : فيجبه جبريل . ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلانا فأحبوه فيجبه أهل السماء . قال : ثم يوضع له القبول في الأرض . وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلانا فأبغضه . قال : فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يبغض فلانا فأبغضوه . قال : فيبغضونه . ثم توضع له البغضاء في الأرض ^(١) .

ومن ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عظم الجزاء مع عظم البلاء . وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم . فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » ^(٢) .

قال الإمام ابن قدامة - رحمه الله - : « ومن أقوى العلامات : حسن التدبير له ، يريه من الطفولة على أحسن نظام ، ويكتب الإيمان في قلبه ، وينور له عقله ، فيتبع كل ما يقربه ، وينفر عن كل ما يبعد عنه ، ثم يتولاه بتيسير أموره من غير ذل للخلق ، ويسد ظاهره وباطنه ، ويجعل همه هماً واحداً ، فإذا زادت المحبة شغله به عن كل شيء » ^(٣) .

(١) مسلم : البر والصلة : باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده : ٢٠٣٠/٤ ، رقم ٢٦٣٧ .

(٢) سنن ابن ماجه : الصبر على الابتلاء : رقم ٤٠٣٢ .

وحسنه الألباني : انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ٣٧٣/٢ ، رقم ٣٢٥٦ .

(٣) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي ، ص ٤٤١ ، تخريج علي حسن علي عبد الحميد .

ومن علامات أحبائه في القرآن الكريم :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ ^(١) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : فقد ذكر أربع علامات : الأولى والثانية : أنهم أذلةٌ أعزّةٌ . قيل : معناه : أرقاءٌ رُحماءٌ مشفقين عليهم ، عاطفين عليهم ، فلما ضُمّن « أذلةٌ » هذا المعنى عدّاه بأداة « على » قال عطاءٌ : للمؤمنين كالولد لوالده ، والعبد لسَيِّده ، وعلى الكافرين كالأسد على فريسته ﴿ أَشِدَّاءٌ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءٌ بَيْنَهُمْ ﴾ .

العلامة الثالثة : الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد واللسان والمال ، وذلك تحقيق دعوى المحبّة .

العلامة الرابعة : أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم ، وهذا علامة صحّة المحبّة ، فكلُّ مُحِبٍّ يأخذه اللومُ عن محبّوبه فليس بمحبٍّ على الحقيقة . والقرآن والسنة مملوءان بذكر من يُحِبُّه الله سبحانه من عباده المؤمنين ، وذكر ما يُحِبُّه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم ، كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٣) « ^(٤) .

(١) المائة : الآية (٥٤) .

(٢) آل عمران : الآية (١٤٦) .

(٣) آل عمران : الآية (١٣٤ و ١٤٨) ، والمائة : الآية (٩٣) .

(٤) مدارج السالكين : ٤٣٧/٣ مختصراً .

ومن السنة ما أخرجه مسلم ، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ ، الْغَنِيَّ ، الْخَفِيَّ » (١) .

ومن ذلك ما رواه أسامة بن شريك ، قال : « كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ كَأَنَّمَا عَلَي رُغُوسِنَا الطَّيْرُ مَا يَتَكَلَّمُ مِنَّا مَتَكَلِّمٌ ، إِذْ جَاءَهُ أَنَاسٌ فَقَالُوا : مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ : أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » (٢) .

ومن ذلك أيضًا ما رواه عمرو بن عبسة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قَالَ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ : قَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ مِنْ أَجْلِي ، وَقَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي ، وَقَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَبَاذَلُونَ مِنْ أَجْلِي ، وَقَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَصَادِقُونَ مِنْ أَجْلِي ... » (٣) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس : « إِنَّ فِيكَ لَخَصَلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ » (٤) .

وهذا غيضٌ من فيض . فالكتاب والسنة يفيضان بصفات أحبباء الله ﷺ .

(١) الغني الخفي : المراد بالغني غنى النفس ، لقوله ﷺ : « ليس الغني عن كثرة العَرَضِ ، ولكن الغني غنى النفس » . أمَّا الخفي : فهو المستخفي بعبادته .

(٢) مسلم : ٢٩٦٥ .

(٣) الترغيب والترهيب للمنذري : ٤٠٨/٣ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : ٢٤/٨ : رجاله رجال الصحيح .

(٤) مجمع الزوائد للهيثمي : ٢٧٩/١٠ ، وأحمد بنحوه ، ورجال أحمد ثقات (١١٣/٤ ، ٣٨٦) .

وذكر الحاكم في المستدرک نحوه في موضعين : ١٦٩/٤ ، ١٧٠ ، وصححهما ، ووافقه النهي في الثاني ، وسكت عن الأول .

(٥) مسلم : الإيمان : باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين : ٤٩/١ ، رقم ١٧ .

الأسلوب الخامس : إشاعة المحبة بين المؤمنين وتعميقها ، وإثارة التنافس في ذلك .

الفرع الأول ، الإعلام بالحب وإخبار الرجل بمحبته ،

أخرج الترمذي في باب الإعلام بالحب عن المقدم بن معد يكرب قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعَلِّمَهُ إِيَّاهُ » (١) .

ومن التطبيقات :

ما رواه أنس ﷺ « أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي لِأُحِبُّ هَذَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : أَعَلِمْتَهُ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَعَلِمْتَهُ . قَالَ : فَلَجِحُّهُ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ . فَقَالَ : أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ » (٢) .

وعن أنس ﷺ قال : « رَأَى النَّبِيُّ ﷺ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ مُقْبِلِينَ - قَالَ : حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ : مِنْ عُرْسٍ - فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مُمَثِّلًا (٣) فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ » (٤) .

(١) سنن الترمذي : أبواب الزهد : باب الإعلام بالحب : رقم ٢٥١٩ . قال الترمذي : وفي الباب عن أبي ذرٍّ وأنس ، حديث المقدم حديث حسنٌ صحيحٌ غريبٌ .

وصححه الألباني . انظر : صحيحها : ٢٨٥/٢ ، رقم ١٩٥٠ .

(٢) سنن أبي داود : أبواب النوم : باب إخبار الرجل بمحبته إياه : رقم ٥١٢٥ .

وحسنه الألباني . انظر : صحيح سنن أبي داود : ٩٦٥/٣ ، رقم ٤٢٧٤ .

(٣) مُمَثِّلًا : بضم الأول وسكون الثاني ، وكسر الثالث ، هكذا ورد من الرباعي ، وذكر أهل اللغة أنه من مثل - بفتح الميم وضم الثاء - من الثلاثي ، ومعناه انتصب قائمًا . الفتح : ١٤٢/٧ .

(٤) البخاري ، انظر : الفتح : ٣٧٨٥/٧ .

وفيه فضل المحبة في الله ، وقد تتوجت بالزيارة فيه ، وهي من عوامل ترسيخها .

ومن ذلك أيضا : الترغيب في حُبِّ الرَّجُلِ عَلَى الْعَمَلِ مِنَ الْخَيْرِ يَعْمَلُ بِهِ . وَلَا يَعْمَلُ بِمِثْلِهِ .

فمن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : « رَأَيْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَحُوا بِشَيْءٍ ، لَمْ أَرَهُمْ فَرَحُوا بِشَيْءٍ أَشَدَّ مِنْهُ ، قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يُحِبُّ الرَّجُلَ عَلَى الْعَمَلِ مِنَ الْخَيْرِ يَعْمَلُ بِهِ ، وَلَا يَعْمَلُ بِمِثْلِهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْعَمَلُ مَعَ مَنْ لَحَبَّ » ^(١) .

ومن أكبر فضائل المحبة : ما رواه أبو مالك الأشعري رضي الله عنه : « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ إِلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ . فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ وَالْوَيْ يَبْدِيهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! نَاسٌ مِنَ النَّاسِ ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ ، وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ ؟ ! أَنْعَتْهُمْ لَنَا - يَعْنِي صَفَّهُمْ لَنَا - فَسُرَّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِسُؤَالِ الْأَعْرَابِيِّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ ، وَتَوَازَعُ الْقَبَائِلِ ، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ ، تَحَابُّوا فِي اللَّهِ وَتَصَافَوْا ، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيَجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا ، فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا ، وَيَتَابَهُمْ نُورًا ، يَفْرَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَفْرَعُونَ ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » ^(٢) .

(١) سنن أبي داود : باب إخبار الرجل بمحبته إليه : رقم ٥١٢٧ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ٩٦٥/٣ ، رقم ٤٢٧٦ .

(٢) المسند : ٣٤٣/٥ ، والمهشمي في الجمع : ٢٧٦/١٠ ، وقال : رواه كله أحمد والطبراني بنحوه ، ورجاله وثقوا .

الفرع الثالث ، بيان أن من خصال الإيمان الحب في الله ، وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

وكان ﷺ يؤكد هذه المعاني ، ويرسخ المحبة بين المؤمنين ، ويربطها بالإيمان ، ويحث المؤمن أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وأن من كان حبه لله ، ومنعه لله ، وعطاؤه وبغضه فقد استكمل الإيمان .

فمن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من الإيمان أن يحب الرجل رجلاً لا يحبه إلا لله من غير مال أعطاه ، فذلك الإيمان » (١) .

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ ، قال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » (٢) .

وعنه ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (٣) .

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : « من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان » (٤) .

-
- (١) الترغيب والترهيب ، للمنذري : ١٦/٤ ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط . وقال الميثمي : (٢٧٤/١٠) : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .
- (٢) مسلم : الإيمان : باب عصال من أتصف بهن وجد حلاوة الإيمان : ٦٦/١ ، رقم ٤٣ .
- (٣) البخاري : الإيمان : باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه : ١٤/١ ، رقم ١٣ .
- (٤) سنن أبي داود : في باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه : رقم ٤٦٨١ . وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ٨٨٦/٣ ، رقم ٣٩١٥ ، وقال : صحيح . انظر : الصحيحة ، ٣٨٠ .

الفرع الرابع ، الأمر بإفشاء السلام ، والدلالة على أنه سبب في حصول المحبة بين المؤمنين .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » ^(١) .

الفرع الخامس ، إخبارهم بأعمال تعمق المحبة بينهم .

وقد جاء في السنة أحاديث كثيرة تعمق المحبة والولاء للمؤمنين ، وتحدث على الأعمال التي تكون سبباً في جلب المحبة أو تثبيتها :

ومن ذلك : الهدية ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « تهادوا تحابوا » ^(٢) .

ومنها : المحبة في الله ، والزيارة في الله ، والبذل في الله ، والصدقة من أجله سبحانه ، فقد قال ﷺ : « يقول الله ﻻ : قد حققت محبتي للذين يتحابون من أجلي ، وقد حققت محبتي للذين يتزاورون من أجلي ، وقد حققت محبتي للذين يتبادلون من أجلي ، وقد حققت محبتي للذين يتصادقون من أجلي » ^(٣) . فيه ترغيب باستحقاق محبة الله ﻻ جزاء هذه الأعمال ، وتعميق للمحبة بينهم .

(١) مسلم : الإيمان : باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، وأن محبة المؤمنين من الإيمان ، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها : ٧٤/١ ، رقم ٥٤ .

(٢) الأدب المفرد ، للإمام البخاري : باب قبول الهدية ، رقم ٥٩٤ ، وحسنه الألباني . انظر : صحيح الأدب المفرد ، ص ٢٢١ ، رقم ٤٦٢ . وانظر : إرواء الغليل : ٤٤/٦ - ٤٧ ، دراسة سند الحديث ورواياته وتخريجه .

(٣) سبق تخريجه ص ٣٧٣ .

ومن ذلك أيضاً : نفع المسلم أو إدخال السرور على قلبه ، وكشف كربته ، وقضاء دينه ، وطرد جوعه ، والمشي في قضاء حاجته :

قال ﷺ : « أحبّ الناس إلى الله تعالى : انفعهم للناس ، وأحبّ الأعمال إلى الله ﷻ : سرورٌ يدخله على مسلم ، أو يكشف عنه كربة ، أو يقضي عنه ديناً ، أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحبّ إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد (يعني مسجد المدينة) شهراً ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه ، ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تنتهيا له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام ، وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » (١) .

ومن ذلك أيضاً : الترغيب الشديد في عيادة مرضاهم : فعن ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ قال : « إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يزجج » (٢) ، وفي رواية لثوبان : « قيل يا رسول الله ! وما خرفة الجنة ؟ قال : جناها » .

ومن ذلك أيضاً : التنفيس عن معسرهم ، فقد رغب النبي ﷺ في ذلك :

فعن عبد الله بن أبي قتادة ؛ « أن أبا قتادة طلب غريمًا له فتواري

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير : (٢/٢٠٩/٣) ، وابن عساكر في التاريخ (٢/١/١٨) عن عبد الرحمن بن قيس الضبي ، وهو بإسناد ضعيف جداً ، ولكن قد جاء بأسانيد أفضل منه .

انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٦٠٨/٢ ، رقم ٩٠٦ للألباني .

(٢) مسلم : البر والصلة : فضل عيادة المريض : ١٩٨٩/٤ ، رقم ٢٥٦٨ .

عَنْهُ ، ثُمَّ وَجَدَهُ ، فَقَالَ : إِنِّي مُعْسِرٌ . فَقَالَ : اللَّهُ ؟ قَالَ : اللَّهُ . قَالَ :
فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فَلْيَنْفَسْ (١) عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ « (٢) .

ومنه أيضاً : تنفيس الكُرب ، والتيسير على المُعسر ، والستر عليه ، وأن
يكون في عون أخيه : فعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ :
« مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ
مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي
عَوْنِ أَخِيهِ ... » (٣) الحديث .

ومن ذلك أيضاً : منحه أرضه يستفيد منها دون أجر ، فقد رغب
في ذلك النبي ﷺ ودعا إليه . فَإِنَّ بَذْلَ الْمَالِ مِنْ أَكْبَرِ الْبِرِّ عَلَى الْحَبَّةِ ،
وهو سبب في نشر المحبة والمودة والتعاطف بين المسلمين ، فعن ابن
عبّاس - رضي الله عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لَأَنْ يَمْتَنَحَ الرَّجُلُ أَخَاهُ
أَرْضَةً خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ عَلَيْهَا خَرْجًا مَعْلُومًا » (٤) .

ومن ذلك أيضاً : الترغيب في دعاء بعضهم لبعض بظهر الغيب :
قال ﷺ : « دَعَاؤُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ . عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ
مُوكَّلٌ . كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوكَّلُ بِهِ : آمِينَ ، وَلَكَ بِمِثْلِ » (٥) .

(١) فُلَيْفَسٌ : أي عمد ويوخر المطالبة : وقيل معناه : يُفْرَجُ عَنْهُ . حاشية مسلم : ١١٩٦/٣ .

(٢) مسلم : المساقاة : فضل إنظار المُعسر : ١١٩٦/٣ ، رقم ١٥٦٣ .

(٣) مسلم : الذكر والدعاء : فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر :
٢٠٧٤/٤ ، رقم ٢٦٩٩ .

(٤) المصدر السابق : البيوع : باب الأرض تُمنح : ١١٨٤/٣ ، رقم ١٥٥٠ .

(٥) المصدر السابق : الذكر والدعاء : فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب : ٢٠٩٤/٤ ،
رقم ٢٧٣٣ .

الفرع السادس ، النهي عن مفسدات المحبة وموانعها .

الأخوة والمحبة من أعظم مقاصد الشريعة ، وقد حافظ عليها المصطفى ﷺ طوال دعوته ، وقد حرم الله ﷻ كل ما يفسدها ، ومن أعظم مفسداتها : الحسد والبغي ، وكل ما يثير الفتن والشحناء والبغضاء بين المؤمنين :

روى أبو هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ . فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ . وَلَا تَحَسَّسُوا ، وَلَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا تَنَافَسُوا ، وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا » (١) .
وزاد في روايات أخرى : « لَا تَهْجَرُوا ، وَلَا تَنَاجَشُوا ، وَلَا تَقَاطَعُوا » .

(١) إياكم والظن : قال الخطابي : هو تحقيق الظن وتصديقه ، دون ما يهجنس في النفس . والمراد : النهي عن ظن السوء الذي يستقر في القلب ويستمر عليه صاحبه . والتحسس : الاستماع لحديث القوم ، والتجسس : هو البحث عن العورات والتفتيش عن بواطن الأمور ، وأكثر ما يقال في الشر .

والتنافس : الرغبة في الانفراد بالشيء عن الآخرين والتباري فيه ، ومعنى الحديث التباري في الرغبة في الدنيا وأسبابها وحفظها .
والتدابير : المعادة والمقاطعة .

ولا تهجروا أي لا تتكلموا بالمهجر ، وهو الكلام القبيح .

ولا تناجشوا : النجش في البيع الزيادة في الثمن ممن لا يريد شرائها ، أو مدح السلعة لترويجها وتنفيها .

وكونوا عباد الله إخوانا : أي تعاملوا معاملة الاخوة والمعاشرة بالموادة والرفق والشفقة والمحبة . حاشية مسلم : ١٩٨٥/٤ .

(٢) مسلم : السير والصلة : تحريم الظن والتجسس : ١٩٨٥/٤ ، ١٩٨٦ ، رقم ٢٥٦٣ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تَحَاسَدُوا ، ولا تَتَاجَسُوا ، ولا تَبَاغُضُوا ، ولا تَدَابَرُوا ، ولا يَبِغْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لا يَظْلِمُهُ ، ولا يَخْذُلُهُ ، ولا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هَاهُنَا ، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعِرْضُهُ » ^(١) .

ونهى عن الشحناء والتهاجر بين المسلمين ، فقال ﷺ : « تَفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ ، فَيَغْفِرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا ، إِلا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ » ^(٢) ، فيقال : أَنْظَرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ، أَنْظَرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا » ^(٣) .

(١) المصدر السابق ، نفس الكتاب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله .. : ١٩٨٦ ، رقم ٢٥٦٤ .

(٢) الشحناء : العداوة والبغضاء .

انظروا هذين : أي أخرهما . حاشية مسلم : ١٩٨٦/٤ .

(٣) المصدر السابق ، والكتاب نفسه : باب النهي عن الشحناء والتهاجر : ١٩٨٧/٤ ، رقم ٢٥٦٥ .

الأسلوب السادس : الدعاء لهم بالمحبة .

وكان ﷺ يدعو لبعضهم أن يحبه الله .

فعن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - حدث عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن فيقول : « اللهم أحبهما فإنني أحبهما » (١) .

وعن البراء ﷺ قال : « رأيتُ النبي ﷺ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلِيٍّ عَاتِقِهِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَاجِبْهُ » (٢) .

وكان يدعو ﷺ لبعضهم أن يحبه إلى المؤمنين ، وأن يحبب المؤمنين إليه ، فعن أبي هريرة ﷺ ، من حديث طويل قال : « قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! اذْعُ اللَّهُ أَنْ يُحِبِّبَنِي أَنَا وَأُمَّيْ إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُحِبِّبَهُمْ إِلَيْنَا ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَيْنَيْكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأَمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ . فَمَا خَلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي » (٣) .

وكان الصحابة ﷺ يدعون لأنفسهم بالمحبة :

فقد روي عن عبد الله بن عمر أنه كان يدعو بالموافق في حجه فيقول : « اللهم اجعلني أحبك ، وأحب ملائكتك وأنبيائك وعبادك الصالحين . اللهم حببني إليك وإلى ملائكتك وأنبيائك وعبادك الصالحين » (٤) .

(١) البخاري : انظر الفتح : ٣٧٣٥/٧ .

(٢) البخاري : انظر الفتح : ٣٧٤٩/٧ .

(٣) مسلم : فضائل الصحابة : فضائل أبي هريرة : ٤/١٩٣٨ ، رقم ٢٤٩١ .

(٤) جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٢٥٨ .

الأسلوب السابع : الدلالة على أسباب جلب المحبة وتقويتها .

١- قراءة القرآن ، وتدبره ، والعمل به ،

عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال : « إن رسول الله ﷺ تلا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٢﴾ » . فقال رسول الله ﷺ : « إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أحب إليه من شيء خرج منه يعني القرآن » (١) .

وقد ورد حُبَّ الله ﷻ لبعض السُّور :

فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : « قُلْتُ : يا رسول الله ، أقرأ من سورة يوسف ، وسورة هود ؟ فقال : يا عَقْبَةُ ، اقرأ بـ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ . فإنك لن تقرأ بسورة أحب إلى الله ، وأبلغ عنده منها ، فإن استطعت أن لا تفوتك فافعل » (٢) .

وقراءة القرآن تجلب محبة الله ﷻ من وجوه :

الأول : أن القرآن كلام الله وصفة من صفاته ، والتعبد بتلاوته من أفضل القربات والعبادات ، لأنه أفضل الذكر ، فلا يُتَعَبَّدُ ويذكر بشيء أفضل مما خرج منه ، والتقرب بالنوافل بعد الفرائض سبب في محبته كما ورد في الحديث : « ... وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ .. » .

(١) فَصَّلَتْ : الآيتان (٤١ ، ٤٢) .

(٢) المستدرک : ٤٤١/٢ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه النهي .

(٣) المستدرک : كتاب التفسير : تفسير سورة الفلق : ٥٨٩/٢ ، رقم ٣٩٨٨ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . قال في التلخيص : صحيح .

والثاني : أن تدبّر القرآن وفهمه يزيد من المعرفة بالله فيزداد الإيمان وتزيد المحبة وترسخ ؛ من خلال فهم خطاب الله لعباده في كتابه الكريم إذ يتعرّف إليهم بأسمائه وصفاته ، ويتحبّب إليهم بنعمه وآلائه كما قال ابن القيم - رحمه الله - : « فتأمل كيف تجده يثني على نفسه ويمجّد نفسه ، ويحمد نفسه ، وينصح عباده ، ويدلّهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم ، ويرغبهم فيه ، ويحذّرهم مما فيه هلاكهم . ويتعرّف إليهم بأسمائه وصفاته . ويتحبّب إليهم بنعمه وآلائه . فيذكرهم بنعمه عليهم ، ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها ، ويحذّرهم من نقمه ، ويذكرهم بما أعدّه لهم من الكرامة إن أطاعوه ، وما أعدّ لهم من العقوبة إن عصوه . ويخبرهم بصنّعه في أوليائه وأعدائه ، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء .

ويثني على أوليائه بصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم ، ويذم أعداءه بسبب أعمالهم وقبيح صفاتهم . ويضرب الأمثال ، وينوع الأدلّة والبراهين ، ويحيب عن شبه أعدائه ، ويصدّق الصادق ، ويكذّب الكاذب . ويدعو إلى دار السلام ، ويذكر أوصافها وحسنها ونعيمها ، ويحذّر من دار البوار ويذكر عذابها وقبحها وآلامها ، ويذكر عبادة فقرهم إليه وشدة حاجتهم إليه من كل وجه ، وأنه لا غنى لهم عنه طرفة عين ، ويذكر غناه عنهم .

وكلّ ما سواه فقيرٌ إليه بنفسه . وأنه لا ينال أحدٌ ذرّةً من الخير فما فوقها إلا بفضلِهِ ورحمته ، ولا ذرّةً من الشرِّ فما فوقها إلا بعدله وحكمته .

ويشهد من خطابه عتابه لأحبابه اللطيف عتاب . وأنه مع ذلك مُقيل عشراتهم ، وغافر زلاتهم ، ومقيم أعدارهم ، ومصلح فسادهم ،

والدافع عنهم ، والمحامي عنهم ، والناصر لهم ، والكفيل بمصالحهم ، والمنجي لهم من كل كرب ، والموفي لهم بوعدده . وأنه وليهم ونصيرهم على عدوهم . فنعم المولى ونعم النصير .

فإذا شهدت القلوب من القرآن ملكاً عظيماً رحيماً جواداً جميلاً هذا شأنه ؛ فكيف لا تُحبه ، وتتنافس في القرب منه ، وتنفق أنفاسها في التردد إليه ، ويكون أحبُّ إليها من كلِّ ما سواه . ورضاه عندها من رضا كلِّ ما سواه ؟

وكيف لا تلهج بذكره ، ويصير حبه والشوق إليه والأنس به هو غذاؤها وقوتها ودواؤها ؛ بحيث إن فقدت ذلك فسدت وهلكت ولم تنتفع بحياتها « (١) .

ثم قال في موضع آخر : « وجماع ذلك أنه سبحانه يتعرّف إلى العبد بصفات إلهيته تارة ، وبصفات ربوبيته تارة . فيوجب له شهود صفات الإلهية المحبة الخاصة ، والشوق إلى لقائه ، ويصير هو وحده همه دون ما سواه ، ويوجب له شهود صفات الربوبية ؛ التوكل عليه ، والافتقار إليه ، والاستعانة به ، والذل والخضوع والانكسار له .

وكمال ذلك أن يشهد ربوبيته في إلهيته ، وإلهيته في ربوبيته ، وحمده في ملكه ، وعزّه في عفوه ، وحكمته في قضائه وقدره ، ونعمته في بلائه ، وعطاءه في منعه ، وبرّه ولطفه وإحسانه ورحمته في قيوميته ، وعدله في انتقامه ، وجوده وكرمه في مغفرته ، وسرّه وتجاوزته . ويشهد حكمته ونعمته في أمره ونهيه ، وعزّه في رضاه وغضبه ، وحلمه في إمهاله ، وكرمه في إقباله ، وغناه في إعراضه « (٢) .

(١) الفوائد ، ص ٤٢ ، ٤٣ مختصراً .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٢ ، ٩٣ مختصراً .

٢ - الحدُّ على ذكرِ الله ذكراً كثيراً ،

الذُّكر من محابِّ الله ﷻ ، بل إنَّ جميع العبادات شرعت لإقامته .
فقد كان ﷺ يُذكر أصحابه فضله ، ويتلو عليهم ما تنزل عليه فيه ،
ويدعوهم إلى إقامة ذكر الله .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ
بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ ﴾ (١) .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال في الآية : « إنَّ الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً ، ثمَّ عذر أهلها في حال العذر ؛ غير الذُّكر ، فإنَّ الله تعالى لم يجعل له حداً ينتهي إليه . ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على تركه ، فقال : ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ بالليل والنهار ، في البر والبحر ، وفي السفر والحضر ، والغنى والفقير ، والسُّقم والصحة ، والسِّرِّ والعلانية ، وعلى كلِّ حال ، وقال ﷻ : ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ فإذا فعلتم ذلك صلَّى عليكم هو وملائكته .

وقال ابن كثير في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ .
« هذا تهيج إلى الذُّكر ؛ أي أنه سبحانه يذكركم فاذكروه » (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَنذُرَكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (٣) .

وقال : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (٤) .

(١) الأحزاب : الآيتان (٤١ ، ٤٢) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٥٠٣/٣ .

(٣) البقرة : الآية (١٥٢) .

(٤) طه : الآية (١٤) .

فهذه الصلاة عمود الدين ، شرعت لإقامة ذكر الله ، وأمر ﷺ المؤمنين بذكر الله بعد إتمامهم مناسك الحج (وهو أحد أركان الإسلام) فقال سبحانه : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ (١) . وأفضل الذكر هو القرآن ، فقد سماه الله ذكراً فقال : ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ (٢) .

وكان ﷺ يدعو أصحابه إلى ذكر الله ، ويرغبهم فيه . فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أَلَا لَتُبْنِكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَرْضَاتِمَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَأَرْفَعِيهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَدِيقِ ، وَعَيْنَ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالُوا : وَمَا ذَاكَ ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : ذِكْرُ اللَّهِ » (٣) .

وأورد ابن ماجه بعد ذكر هذا الحديث قول لمعاذ بن جبل رضي الله عنه قال : « مَا عَمِلَ امْرُؤٌ بِعَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﷻ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ » .

وكان ﷺ يعلمهم أفضل الذكر وأفضل الدعاء فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أَفْضَلُ الذِّكْرِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ » (٤) .

(١) البقرة : الآية (٢٠٠) .

(٢) الطلاق : الآية (١٠) .

(٣) سنن ابن ماجه : كتاب الأدب : باب فضل الذكر ، رقم ٣٧٩٠ ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه : ٣١٦/٢ ، رقم ٣٠٥٧ .

(٤) سنن ابن ماجه : كتاب الأدب : باب فضل الحامدين ، رقم ٣٨٠٠ ، وقال الألباني : حسن . انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ٣١٩/٢ ، رقم ٣٠٦٥ .

وفي الكلام الذي يُحِبُّهُ اللهُ ﷻ : روى أبو ذرٍّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عَادَهُ ، أَوْ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ عَادَ رَسُولَ اللهِ ﷻ فَقَالَ : يَا أَبَتِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيُّ الْكَلَامِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللهُ ﷻ ؟ قَالَ : مَا اصْطَفَاهُ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ : سُبْحَانَ رَبِّيَ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ رَبِّيَ وَبِحَمْدِهِ « (١) .

وفي رواية مسلم عن أبي ذرٍّ أيضاً رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ . فَقَالَ : إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ « (٢) .
وأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « أَكْثَرُوا ذِكْرَ اللهِ حَتَّى يَقُولُوا مَجْنُونُونَ » (٣) .

(١) سنن الترمذي : أحاديث شتى من أبواب الدعوات : باب : أيُّ الكلام أحبُّ إلى الله : رقم ٣٨٤٥ .

وصححه الألباني : انظر صحيح سنن الترمذي : ١٨٥/٣ ، رقم ٢٨٤٢ .
وأخرجه الحاكم في المستدرک : ٤٦/١٨٤٦/١ ، طبعة دار الكتب العلمية ، باللفظ نفسه سوى : بأبي وأبي بدلاً عن بأبي أنت وأمي ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . (أقول : بل أخرجه مسلم بلفظ مقارب) .
وقال الذهبي في التلخيص : على شرط مسلم .

(٢) مسلم : الذِّكْرُ والدعاء والتوبة : باب فضل سبحان الله وبحمده : ٢٠٩٣/٤ ، رقم ٢٧٣١ .

(٣) المسند للإمام أحمد : ١٣٧/٤ ، رقم ١١٦٥٣ . وأخرجه الحاكم في المستدرک : كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذِّكْر : ٦٧٧/١ ، رقم ١٨٣٩ ، وقال : هذه صحيفة للمصريين صحيحة الإسناد ، وأبو الهيثم سليمان بن عتبة العنوازي من ثقات أهل مصر . وقال الذهبي في التلخيص : صحيح ، أبو الهيثم من ثقات المصريين .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ » (١) .

والأحاديث في الذكر وأنواعه وأوقاته كثيرة ، فلترجع في مظانها في كتب السنة والكتب المفردة . كالأذكار للنووي ، وشأن الدعاء لأبي سليمان الخطابي ، والتذكار في أفضل الأذكار للقرطبي . وغير ذلك .

٣ - التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ مَعَ الْاجْتِهَادِ وَالِاسْتِدَامَةِ ،

ومن أسباب جلب محبة الله تعالى : التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِمَا شَرَعَهُ مِنَ النَّوَافِلِ بَعْدَ الْقِيَامِ بِالْفَرَائِضِ وَأَدَائِهَا كَامِلَةً غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ ، وَمِنْ غَيْرِ إِخْلَالٍ بِهَا . فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدُلُّهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتَهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبُّهُ ، فِإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِن سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتُهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِينَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » (٢) .

فالتَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ يَكُونُ أَوَّلًا بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَإِقَامَتِهَا كَامِلَةً عَلَى

(١) مسلم : الذكر والدعاء : فضل التهليل والتسبيح : ٢٠٧٢/٤ ، رقم ٢٦٩٤ متفق عليه .

(٢) البخاري : الرقاق : باب التواضع : ٢٣٨٤/٥ ، رقم ٦١٣٧ .

وجهها الصحيح ، فلا يوجد عمل أحب إلى الله منها ، ثم بعد ذلك القربة بالنوافل .

وأخفها وأسهلها الذكر كما مر آنفاً وأفضل الذكر القرآن ، ثم كلمة الإخلاص ، أما تفاضل الأعمال فكل عمل في وقته هو المقدم والأفضل . وأفضل الأوقات لصلاة النافلة ، الخلوة وقت النزول الإلهي ومناجاته سبحانه ، وتلاوة كلامه وانكسار القلب بين يديه ثم الاستغفار والتوبة .

عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنْ أَحَبَّ الصِّيَامُ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ . وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثَلَاثَةً ، وَيَنَامُ سُدُسَةً ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا ، وَيُفْطِرُ يَوْمًا** » (١) .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : سألت النبي ﷺ : **أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ : الصَّلَاةُ عَلَى وَجْهِهَا . قَالَ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ . قَالَ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . قَالَ : حَدَّثَنِي بِهِنَّ ، وَلَوْ اسْتَرَدُّتُهُ لَرَأَدْتَنِي** » (٢) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : « **أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ . قَالَ : وَكَانَتْ عَائِشَةُ إِذَا عَمِلَتْ الْعَمَلَ لَزِمَتْهُ** » (٣) .

(١) مسلم : الصيام : النهي عن صوم النحر : ٨١٦/٢ ، رقم ١١٥٩/١٨٩ .

(٢) البخاري : مواقيت الصلاة : فضل الصلاة لوقتها : ١٩٧/١ ، رقم ٥٠٤ .

(٣) مسلم : صلاة المسافرين : فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره : ٥٤١/١ ،

وعن معدان بن أبي طلحة اليعمرى قال : لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ ، فقلت : أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة ، أو قال : قلت : بأحب الأعمال إلى الله . فسكت ، ثم سألته فسكت ، ثم سألته الثالثة فقال : سألت عن ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة « (١) .

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي قال : « كنت أبيت مع رسول الله ﷺ . فأتيتُه بوضوئه وحاجته ، فقال لي : سئل . فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة . قال : أو غير ذلك ؟ قلت : هو ذاك . قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود « (٢) .

٤ - دلالتهم على استدامة استحظار منة الله عليهم ، وفضله ورحمته وآلائه ونعمه ،

ومن منهج القرآن الكريم أن الله ﷻ يتعرف إلى عباده ويتحجب إليهم بتذكيرهم بنعمه الظاهرة والباطنة لعلهم يؤوبون إليه ويشكرونه على هذه النعم التي لا تنقطع ولا تنفد ، ولا يستطيعون عدّها ، وهذا في القرآن كثير جداً ، ومن ذلك ما جاء في صدر سورة النحل ، وما امتن الله به على عباده من إنزال الملائكة بالروح من أمره على الرسل لإنذار عباده ودعوتهم إلى توحيده ، وخلق السموات والأرض وخلق الإنسان من نطفة ، وخلق الأنعام وما فيها من منافع لبني الإنسان ،

(١) مسلم : الصلاة : باب فضل السجود والحث عليه : ٣٥٣/١ ، رقم ٤٨٨ .

(٢) المصدر السابق ، والكتاب والباب والجزء والصفحة ، برقم ٤٨٩ .

وفي سورة النحل امتنَّ الله على عباده بنعم كثيرة ، ثمَّ قال : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْفَرُهُمْ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(١) . ثمَّ قال بعد ذكره تعالى القرية التي كفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ، فقال : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا لِنِعْمَةِ اللَّهِ إِنَّ كُتُوبَكُمْ إِنِّي تَعْبَثُونَ ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ^(٣) . خاطب بها الثقلين الجنَّ والإنس في واحدٍ وثلاثين موضعاً في سورة واحدة هي سورة الرحمن ، مقررًا نعمه وآلاءه عليهم . وفي هذا يقول ابن كثير : « أي فبأي الآلاء يا معشر الثقلين من الإنس والجنَّ تكذِّبان ؟ قال مجاهد وغيره واحدٍ : ويدلُّ عليه السياق بعده ، أي النعم الظاهرة عليكم ، وأنتم مغمورون بها لا تستطيعون إنكارها ولا جحودها ، فنحن نقول كما قالت الجنُّ المؤمنون به ، اللهم ولا بشيءٍ من آلائك ربنا نكذب ، فلك الحمد » ^(٤) .

وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَالَّذِينَ تُوْفِكُونَ ﴾ ^(٥) . قال ابن كثير : « ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على

(١) النحل : الآية (٨٣) .

(٢) النحل : الآية (١١٤) .

(٣) الرحمن : الآية (١٣) . وقد وردت بعدها في (٣٠) موضعاً في السورة .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٢٩١/٤ .

(٥) فاطر : الآية (٣) .

توحيده في إفراد العبادة له ، كما أنه المستقل بالخلق والرّزق ، فكذلك فليُفرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان ، ولهذا قال تعالى : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآلِي تُؤْفِكُونَ ﴾ . أي فكيف تؤفكون بعد هذا البيان ، ووضح هذا البرهان ، وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان ، والله أعلم « (١) . وهذا واضح ؛ فإن طريقة القرآن ؛ الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية وتقريره . وهنا تقرّره بتذكيرهم نعم الله عليهم ، وأنه لا خالق لهم ولا رازق غيره ، فالواجب عليهم توحيده في ألوهيته ، وقال تعالى : ﴿ فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢) . قال شيخ الإسلام : « فإذا ذكر العبد ما أنعم الله به عليه ، من تسخير السماء والأرض وما فيها من الأشجار والحيوان ، وما أسبغ عليه من النعم الباطنة ، من الإيمان وغيره فلا بُدَّ أن يثير ذلك عنده باعثاً ، وكذلك الخوف ؛ تحركه مطالعة آيات الوعيد والزجر والعرض والحساب ونحوه . وكذلك الرجاء يحركه مطالعة الكرم والحلم ؛ والعفو « (٣) .

قال ابن القيم : قال (أي صاحب المنازل) : « وهي محبة تنبت من مطالعة المنّة ، وتثبت باتباع السنّة ، وتنمو على الإجابة بالفاقة » .

قوله : تنبت من مطالعة المنّة : أي تنشأ (أي المحبة) من مطالعة العبد منّة الله عليه ونعمه الباطنة والظاهرة ، فبقدر مطالعته ذلك تكون

(١) تفسير القرآن العظيم : ٥٥٥/٣ .

(٢) الأعراف : الآية (٦٩) .

(٣) الفتاوى : توحيد الألوهية : ٩٦/١ .

قوة المحبة . فإن القلوب مجبولة على حُبِّ من أحسن إليها . وبُغض من أساء إليها . وليس للعبد قطّ إحسانٍ إلا من الله . ولا إساءةٍ إلا من الشيطان .

ومن أعظم مطالعة منة الله على عبده : تأهيله لمحبتته ومعرفته وإرادة وجهه ومتابعة حبيبه ، وأصل هذا نورٌ يقذفه الله في قلب العبد ، فإذا دار ذلك النور في قلب العبد وذاته : أشرفت ذاته . فرأى فيه نفسه ، وما أهلت له من الكمالات والمحاسن . فعَلَتْ به همته ، وقويت عزيمته وانقشعت عنه ظلمات نفسه وطبعه لأنَّ النور والظلمة لا يجتمعان إلا ويطرده أحدهما صاحبه ، فرقيت الروح حينئذٍ بين الهية والأنس إلى الحبيب الأول .

وهذا النور كالشمس في قلوب المقربين السابقين ، وكالبدر في قلوب الأبرار أصحاب اليمين ، وكالنجم في قلوب عامة المؤمنين وتفاوتهم فيه كتفاوت ما بين الزهرة والسهي « (١) .

وكان النبي ﷺ يحث أصحابه على شكر النعمة وعدم ازدرائها ، ويبيِّن لهم طرق تعظيم نعم الله عليهم . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « انظروا إلى من أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله » (٢) .

(١) مدارج السالكين : ٣٦/٣ - ٣٧ ، مختصراً .

(٢) مسلم : ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق : ٢٢٧٥/٤ ، رقم ٢٩٦٣ .

وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول كما قال بعض العلماء الحكماء ؛
(ليس الشأن أن تحب ، إنما الشأن أن تحب) .

وقال الحسن البصري وغيره من السلف : « زعم قوم أنهم يحبون الله
فابتلاهم الله بهذه الآية » (١) .

وكان ﷺ يدعو أصحابه وأمه لطاعته واتباعه . فعن أبي هريرة أن
رسول الله ﷺ قال : « كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي . قَالُوا : يَا
رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَا أَبِي ؟ قَالَ : مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي
فَقَدْ أَبِي » (٢) .

وعن أبي هريرة ﷺ أيضا ، عن النبي ﷺ قال : « دَعُونِي مَا تَرَكْتُمْ ،
إِنَّمَا أَمَلَكُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ
شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » (٣) .
وكان يوصي أصحابه ﷺ باتباع سنته .

فعن العرباض بن سارية ﷺ قال : « صَلَّى بِنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ
يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ، وَوَجَلَتْ
مِنْهَا الْقُلُوبُ ، فَقَالَ قَائِلٌ : كَانَ هَذِهِ مَوْعِظَةً مُرَدِّعٍ ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟
فَقَالَ : أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، فَإِنَّهُ مَنْ
يَعِشْ مِنْكُمْ بِعَدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ

(١) تفسير القرآن العظيم : آل عمران : ٣٦٦/١ .

(٢) البخاري : الاعتصام بالكتاب والسنة : باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ :
٢٦٥٥/٥ ، رقم ٦٨٥١ .

(٣) المصدر السابق في الكتاب نفسه والباب : ٢٦٥٨/٥ ، رقم ٦٨٥٨ .

المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ، وَإِنَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ « (١) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : « قوله : (وتثبت باتباع السنة) أي ثباتها إنما يكون بمتابعة الرسول ﷺ في أعماله وأقواله وأخلاقه ، فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة وثباتها وهوتها ، وبحسب نقصانه يكون نقصانها ، كما تقدم : أن هذا الاتباع يوجب المحبة والحبوبية معاً . ولا يتم الأمر إلا بهما ، فليس الشأن في أن تحب الله ، بل الشأن في أن يحبك الله ، ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهراً وباطناً ، وصدقته خبيراً ، وأطعته أمراً ، وأجبتة دعوة ، وأثرتة طوعاً .

وان لم يكن ذلك فلا تتعن . وارجع من حيث شئت فالتمس نوراً فلست على شيء « (٢) .

فاتباع النبي ﷺ ظاهراً وباطناً قولاً وعملاً واعتقاداً وأخلاقاً هو الذي يثبت المحبة .

٦ - تربيتهم على الرجاء في رحمة الله وعدم الركون إلى العمل ،

كان ﷺ يرثي أصحابه على الرجاء في رحمة الله ، ويربطهم به سبحانه ، ويحثهم على السداد في العمل واستدامته ، وعدم الالتفات إلى هذه الأعمال مهما كثرت وصلحت ، والدخول على الله من باب الذل والانكسار ، وأطراح القلب بين يدي مولاه الكريم ، والافتقار إليه ، وطلب رحمته والتشبُّث به سبحانه ، والخوف والخشية من عدم

(١) سنن أبي داود : كتاب السنة : باب في لزوم السنة : ٤٦٠٧ ، وصححه الألباني .

انظر : صحيح سنن أبي داود : ٨٧١/٣ ، رقم ٣٨٥١ .

(٢) مدارج السالكين : ٣٧/٣ مختصراً .

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال : « سَدُّنُوا وَقَارِبُوا ، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ، وَأَنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمَهَا وَإِنْ قَلَّ » (١) .

فالمطلوب إذا السداد والمقاربة في العمل ، والدوام على ذلك ، فهذا أحب الأعمال إلى الله ، مع الخوف الدائم من عدم القبول ، واستشعار أنه قد يكون قارف ذنباً أتى على جميع أعماله الصالحة ، فحاله ينبغي أن يكون بين الخوف والرجاء . قال الله تعالى : ﴿ وَنَدْعُونَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكُلُّوْنَا خَاشِعِينَ ﴾ (٢) . قال الحسن البصري - رحمه الله - في هذه الآية : « الخوف الدائم في القلب » (٣) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : « قوله (وتنمو على الإجابة بالفاقة) ، الإجابة بالفاقة : أن يجيب الداعي بموفور الأعمال وهو خال منها كأنه لم يعملها ، بل يجيب دعوته بمجرد الإفلاس والفقر التام . فإن طريقة الفقر تأتي أن يكون لصاحبها عمل » (٤) .

أي يلتفت إليه ويعتمد عليه ، ولكنه يرجو رحمة الله ﷻ ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥) ، وقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ

(١) المصدر السابق : في الكتاب والباب نفسه : رقم ٦٠٩٩ .

(٢) الأنبياء : الآية (٩٠) .

(٣) الزهد ، لابن المبارك ، ص ٥٥ .

(٤) مدارج السالكين لابن القيم : ٣٨/٣ .

(٥) البقرة : الآية (٢١٨) .

يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿١﴾ .

ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله : الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم العلم ، ومجالسة الصالحين ، وحضور مجالس الذكر ، وجميع أعمال البرّ المشروع هي قربات إلى الله تجلب محبة الله . ويلزم الابتعاد عن كلّ سبب يحول بين القلب وبين الله ﷻ ، ومن أكبرها أكل الحرام ، والخصومات في الدين



(١) الإسراء : الآية (٥٧) .

المسلك الرابع : تربية الخوف والرجاء .

شُبّه التوحيد والإيمان بطائر : رأسه المحبّة (محبة الله) والخوف والرجاء جناحاه ، وكما أن المحبّة تابعة للمعرفة ؛ فكذا الخوف والرجاء يتبعان معرفة الله ﷻ وعظمته وجلاله . وعبادة الله ﷻ بها جميعاً أمرٌ لازم .

قال الحافظ ابن رجب : « وكان بعضُ السلف يقول : من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ، ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق . ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبّة فهو موحد مؤمن .

وسبب هذا أنه يجب على المؤمن أن يعبد الله بهذه الوجوه الثلاثة ومن أخلّ ببعضها فقد أخلّ ببعض واجبات الإيمان .

وكلام هذا الحكيم يدل على أن الحبّ ينبغي أن يكون أغلب من الخوف والرجاء .

وقد قال الفضيل بن عياض : المحبّة أفضل من الخوف ثم استشهد بكلام هذا الحكيم الذي حكاه عن وهب .

وقال : أكمل الخوف والرجاء ما تعلق بذات الحق سبحانه دون ما تعلق بالمخلوقات في الجنة والنار ، فأعلى الخوف خوف البعد والسخط والحجاب عنه سبحانه ، كما قدّم سبحانه ذكر هذا العقاب لأعدائه على صليهم النار في قوله : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴾ ﴿٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿٦﴾ .

ثم قال : فجهم دليل على عظمة الله وشدة بأسه وبطشه وقوة سطوته وانتقامه في أعدائه ، فالخوف منها في الحقيقة خوف من الله

وإجلال وإعظام وخشية لصفاته المخوفة مع أن الله سبحانه يخوف بها عباده ، ويُحبُّ منهم أن يخافوه بخوفها ، وأن يخشوه بخشية الوقوع فيها ، وأن يحذروه بالحذر منها .

فالحائف من النار خائفٌ من الله متبِعٌ لما فيه محبته ورضاه .

والقدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم ، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات ، والانكفاف عن دقائق المكروهات ، والتبسط في فضول المباحات ، كان ذلك فضلاً محموداً ، فإن تزايد على ذلك بأن أورت مرضاً أو موتاً أو هما لازماً بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله ﷻ لم يكن ذلك محموداً « (١) .

وقال - رحمه الله - : أما بعد فإن الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه ، ونصب لهم الأدلة الدالة على عظمتهم وكبريائهم ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه ليتقوه بصالح الأعمال .

ولهذا كرّر ﷻ في كتابه ذكر النار وما أعده فيها لأعدائه من العذاب والنكال ، وما احتوت عليه من الزقوم والضريع والحميم والسلاسل والأغلال إلى غير ذلك مما فيها من العظائم والأهوال ودعا عباده بذلك إلى خشيته وتقواه ، والمسارة إلى امتثال ما يأمر به ويحبّه ويرضاه ، واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه .

(١) التعريف من النار والتعريف بحال دار البوار ، تحقيق : بشير محمد عيون ، ص ٢٥ - ٢٨ مختصراً .

وقد ضمن الجنة لمن خافه من أهل الإيمان ، فقال : ﴿ وَكَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ . قال مجاهد : في هذه الآية : الله قائم على كل نفس بما كسبت ، فمن أراد أن يعمل شيئاً فخاف مقام ربه عليه فله جنتان « (١) .

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « إن الخوف من المقامات العلية ، وهو من لوازم الإيمان ، قال تعالى : ﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ .

وقال : فالعبد إن كان مستقيماً فخوفه من سوء العاقبة لقوله تعالى : ﴿ آيَةٌ مِنْ ﴾ ، أو نقصان الدرجة بالنسبة ، وإن كان مائلاً فخوفه من سوء فعله ، وينفعه ذلك مع النوم والإقلاع ؛ فإن الخوف ينشأ من معرفة قبح الجناية والتصديق بالوعيد عليها وأن يحرم التوبة ، أو لا يكون ممن شاء الله أن يغفر له ، فهو مشفق من ذنبه ، طالب من ربه أن يدخله فيمن يغفر له « (٢) .

وطريقة النبي ﷺ في تربية الخوف - من الله - في قلوب المؤمنين ، والتربية به أيضاً ؛ تعتمد على القرآن ، والسنة ﷺ ، فمن الأساليب القرآنية :

تلاوة القصص الذي يدل على أن الله لا يتقبل إلا من المتقين ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَعَبَلْ مِنَ الْآخَرَ قَالَ لَا أَتْلُكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَعَبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَعَبِلِينَ ﴾ (٣) .

(١) المرجع السابق ، ص ٧ - ٨ ، مختصراً .

(٢) فتح الباري : ٣١٣/١١ .

(٣) المائة : الآية (٢٧) .

ومنها : التخويف من العذاب في الدنيا والآخرة :

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (٣) .

ومنها : التذكير بأيام الله ، ومصارع الغابرين .

قال تعالى : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٦﴾ قَالُوا إِذَا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ لَنْ نُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٨﴾ مُسْوَمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْتَرَفِينَ ﴿٣٩﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٠﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٤٢﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٣﴾ فَتَوَلَّىٰ بَرْكِيهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٤٤﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٥﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤٦﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٧﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتُّوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٨﴾ فَتَمَتَّوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٩﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَّصِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَقَوْمَ لُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥١﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤١﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلَكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٤٢﴾

(١) الأنعام : الآية (١٥) .

(٢) هود : جزء من الآية (٣) .

(٣) هود : الآية (١٠٢) .

(٤) الذاريات : الآيات (٣١ - ٤٦) .

وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَایِةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿١﴾ .

والقرآن الكريم مليء بمثل هذا وغيره ، فكله مواضع متتالية . وأما سنته ﷺ فمن ذلك :

الترغيب في رجاء الله وخوف الذنوب :

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيَّ شَابًّا وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ : كَيْفَ تُجِدُنِي ؟ قَالَ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنِّي أُرْجُو اللَّهَ ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو ، وَأَمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ » (١) .

التخويف من عظيم النار وحرها وبُعْدِ عَمَلِهَا :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ أَهْوَا اللَّهُ حَقُّ قَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُومِ قَطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ » (٢) .

وعن سُمْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « إِنْ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْرَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى عُنُقِهِ » (٣) .

(١) الحاقة : الآيات (٤ - ٨) .

(٢) سنن الترمذي : أبواب الجنائز ، باب ١٠ ، رقم ٩٩٤ ، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي : ٢٨٩/١ ، رقم ٧٨٥ .

(٣) سنن الترمذي ، رقم ٢٥٨٥ . وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي .

(٤) مسلم ، ح ٢٨٤٥ .

وعن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا : مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغَهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ مَا يَرَى أَنْ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا ، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا » (١) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : « كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : تَدْرُونَ مَا هَذَا ؟ قَالَ قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا ، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ ، الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا » (٢) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَخْرُجُ عُقُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تَبْصِرَانِ ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ ، يَقُولُ : إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةِ : بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَبِالْمُصَوِّرِينَ » (٣) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا » (٤) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ . قَالَ : فَضَلَّتْ عَلَيْهِنَ بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا ، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا » (٥) .

(١) مسلم ، ح ٢١٣ .

(٢) مسلم ، ح ٢٨٤٤ .

(٣) سنن الترمذي : أبواب صفة جهنم ١ - باب صفة النار ، رقم الحديث ٢٧١٣ .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي : ٢/٢٢٠ ، رقم ٢٠٨٢ .

(٤) المصدر السابق : رقم ٢٧١١ .

وصححه الألباني ، برقم ٢٠٨٢ ، وهو في مسلم .

(٥) البخاري : ٦٣ - بدء الخلق ١٠ - باب صفة النار وأنها مخلوقة : ١١٩١/٣ ،

رقم ٣٠٩٢ .

وأما في الرجاء وما أعدّه الله لعباده الصالحين ؛ فمن ذلك :
 ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله :
 أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب
 بشر . فاقْرءُوا إن شِئْتُمْ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ » (١) .
 وعنه ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « أولُ زمرة تلج الجنة صورتهن
 على صورة القمر ليلة البدر ، لا ينصتون فيها ، ولا يمتخطون ، ولا
 يتغوطون ، أنيتهن فيها : الذهب ، أمشاطهن : من الذهب والفضة ،
 ومجاميرهن : الألوة ، ودرّسهن : المسك ، ولكل واحدٍ منهن زوجتان ؛ يرى مخ
 سوقيهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلافَ بينهن ولا تباعض ، قلوبهن
 قلب واحد ، يسبحون الله بكرةً وعشيًا » (٢) .

وعن أبي بكر بن عبد الله بن قيس الأشعري ، عن أبيه : أن
 النبي ﷺ قال : « الخيمة ذرةٌ مجوفةٌ ، طولها في السماء ثلاثون ميلاً ، في
 كل زاويةٍ منها للمؤمن أهلٌ لا يراهم الآخرون » قال أبو عبد الصمد
 والحارث بن عبيد عن أبي عمران : « ستون ميلاً » . (٣) .

وفي الخوف والرجاء معاً :

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ :
 « إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالفداء والعشي ، فإن كان من أهل
 الجنة فمِن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمِن أهل النار » (٤) .

(١) المصدر السابق ، الموضع نفسه : ٨ - باب : ما جاء في صفة الجنة وأهلها مخلوقة :

١١٨٥/٣ ، رقم ٣٠٧٢ .

(٢) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم الحديث ٣٠٧٣ .

(٣) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم الحديث ٣٠٧١ .

(٤) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم الحديث ٣٠٦٨ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً ، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً ، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْتَسَّ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ » ^(١) .



(١) البخاري: ٨٤ - الرقاق ١٩ - باب: الرجاء مع الخوف: ٢٣٧٤/٥ ، رقم: ٦١٠٤ .

المبحث الثالث : التواصي بالحق ، والتواصي بالصبر .

قال السعدي - رحمه الله - : « والتواصي بالحق : الذي هو الإيمان والعمل الصالح ، أي : يوصي بعضهم بعضاً بذلك ويحثه عليه ويرغبه فيه » (١) .

وقال القرطبي : ﴿ وَتَوَاصَوْا ﴾ أي تحابوا ؛ أوصى بعضهم بعضاً وحث بعضهم بعضاً ، ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أي بالتحديد ، كذا روى الضحاك عن ابن عباس .

قال قتادة : ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أي القرآن . وقال السُّدِّي : الحق هنا هو الله ﷻ « (٢) .

« والتواصي بالحق : هو الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والتواصي بالصبر : على طاعة الله ، وعن معصية الله ، وعلى أقدار الله المؤلمة ، فبالأميرين الأولين يكمل العبد نفسه ، وبالأميرين الأخيرين يكمل غيره .

وبتكميل الأمور الأربعة : يكون العبد ، قد سلم من الخسار ، وفاز بالربح العظيم » (٣) .

وقال ابن كثير : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ على المصائب والأقدار ، وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه على المنكر » (٤) .

(١) تيسير الكريم الرحمن : ٤٥٣/٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١٨١/٢٠ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن : ٤٥٣/٥ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٣٨٥٣/٨ ، طبعة دار ابن حزم .

وقد أمر الله ﷻ بعد الأمر بالدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ؛ أمر بالعدل حال المعاقبة إذا أصابه أذى جراء دعوته إلى الله وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وندب إلى الصبر وأمر به ، فقال :

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٣٧﴾
وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٣٩﴾ ^(١) .

قال السعدي - رحمه الله - : « يقول تعالى - مبيحاً للعدل ، ونادياً للفضل والإحسان : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ ﴾ من أساء إليكم بالقول والفعل ، ﴿ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾ من غير زيادة منكم على ما أجراه معكم ، ﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ ﴾ عن المعاقبة ، وعفوتهم ﴿ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ من الاستيفاء ، وما عند الله خيرٌ لك ، وأحسن عاقبة ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ ، ثم أمر رسوله بالصبر على دعوة الخلق إلى الله ، والاستعانة بالله على ذلك ، وعدم الاتكال على النفس ، فقال : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ هو الذي يعينك عليه ويثبتك .

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ إذا دعوتهم فلم تر منهم قبولاً لدعوتك ؛ فإنَّ الحزن لا يجدي عليك شيئاً .

﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ ﴾ أي شدة وحرص ﴿ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ فإنَّ مكروهم عائدٌ إليهم . وأنت من المتقين المحسنين . والله مع المتقين المحسنين ، بعونه ، وتوفيقه ، وتسديده ، وهم الذين اتقوا الكفر

(١) النحل : الآيات (١٢٦ - ١٢٨) .

والمعاصي ، وأحسنوا في عبادة الله ، بأن عبدوا الله ، كأنهم يرونه ، فإن لم يكونوا يرونه ، فإنه يراهم ، والإحسان إلى الخلق يبذل النفع لهم من كل وجه . نسأل الله أن يجعلنا من المتقين المحسنين « (١) .

وقد ربى النبي ﷺ أصحابه على الدعوة إلى الحق والصبر على الأذى فيه . فمن ذلك ما ذكره ابن إسحاق قال : « فلما أسلم أبو بكر ﷺ ، أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله ... فأسلم بدعائه - فيما بلغني - عثمان ، والزبير ، وعبدالرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله .

فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له ، فأسلموا وصلوا . فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام ، فصلوا وصدقوا رسول الله ﷺ بما جاءه من الله « (٢) .

والثمانية يقصد بهم : هؤلاء الخمسة ، وأبو بكر الصديق ، وأم المؤمنين خديجة ، وعلي بن أبي طالب ﷺ ، والله أعلم .

وهذا عبد الله بن مسعود ﷺ . قال ابن إسحاق : « كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ عبدًا لله بن مسعود ، قال : اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : والله ما سمعت قريشاً هذا القرآن يُجهرُ لها به قطّ ، فمن رجلٌ يسمعه موه ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا ؛ قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعون من القوم إن أرادوه ، قال : دعوني فإن الله سيمنعني .

(١) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٩٣/٣ - ٩٤ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح أبي فرّ الخشني : ٣١٧/١ ، ٣١٨ . مختصراً ، وقد سبق تحريجه .

قال : ففدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى ، ثم قرأ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ رافعاً بها صوته ﴿ الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ قال : ثم استقبلها يقرؤها . قال : فتأملوه فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ؟ قال : ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه فجعلوا يضربونه في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه .

فقالوا له : هذا الذي خشينا عليك ؛ فقال : ما كان أعداء الله أهونَ منهم الآن ، ولكن شئتم لأغاديئهم بمثلها غداً ؛ قالوا : لا ، حسبك . قد سمعتم ما يكرهون « (١) .

فقد أثبت عبد الله بن مسعود ﷺ شجاعته في دين الله ، وصبره على الأذى الذي لقيه من جرّاء دعوته .

وهذا أبو بكر ﷺ يخشى إن ترك شيئاً من أمر رسول الله ﷺ أن يزيغ عن دين الله . قال عروة بن الزبير : « وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَسْأَلُ أَبَا بَكْرٍ نَصِيحَتَهَا مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَيْرٍ وَفَدَكٍ ، وَصَلَّتْهُ بِالْمَدِينَةِ ، فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهَا ذَلِكَ وَقَالَ : لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ ، إِنِّي أَخَشَى أَنْ تَرَكَتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ » (٢) .

ولقد ربّاهم النبي ﷺ على الصبر ، وخاصة ما ينال الداعية إلى الله من أذى جرّاء دعوته ، ربّاهم بالقرآن والسنة :

(١) السيرة النبوية : ٣٨٨/١ - ٣٨٩ .

(٢) مسلم : ٣٢ - كتاب الجهاد والسير ١٦ - باب قول النبي ﷺ : « لا تُورث . ما تركنا فهو صدقة » : ٣/١٣٨١ - ١٣٨٢ ، رقم الحديث ٥٤/١٧٥٩ .

فمن القرآن الكريم : قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ . (١)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٦) .

وقال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بَيِّنَاتٍ لِّمَنْ يُوقِنُونَ ﴾ (٣٧) .

وفي الصبر على ما يُصيب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ اقِمُوا الصَّلَاةَ وَآمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرُوا عَلَى مَا أَصَابَكُمْ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (٣٨) .

وقال تعالى في توكل الأنبياء وصبرهم على أذى أقوامهم : ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٣٩) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبُّكَ فَكْبَرٌ ﴿٣﴾ وَيَا بَا بَكَ فَطَهَّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاصْبِرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُنَّ تَسْتَكْبِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ . (١)

(١) فصلت : الآيات (٣٣ - ٣٥) .

(٢) الزمر : جزء من الآية (١٠) .

(٣) السجدة : الآية (٢٤) .

(٤) لقمان : الآية (١٧) .

(٥) إبراهيم : الآية (١٢) .

(٦) المدثر : الآيات (١ - ٧) .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَّبَتْ كَلْبَةَ رَسُولٍ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى آتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مَبْدَلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَكَذَلِكَ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ أَدَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا دَخَرْنَا لِرِزْقِكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ (٤) .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتُمْ صَابِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ (٥) .

وقوله : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّكَ بَعْضَ الَّذِي بَعَدْتُمْ أَوْ نَهْنَأُكَ وَاللَّيَالِي تَزْحَكُونَ ﴾ (٦) .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَلِّبُواكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَكَلِّبُوا أَخْبَارَكُمْ ﴾ (٧) .

(١) الأنعام : الآية (٣٤) .

(٢) الأعراف : الآية (١٢٨) .

(٣) طه : الآية (١٣٠) .

(٤) طه : الآية (١٣٢) .

(٥) الفرقان : الآية (٧٧) .

(٦) غافر : الآية (٧٧) .

(٧) محمد : الآية (٣١) .

وقوله : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٦﴾ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١﴾ .

وقوله : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴿٣﴾ .

وقوله : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣﴾ .

وقوله : ﴿ أَزُقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿١٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٦﴾ إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَابَهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿٤﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَكَبَلُوكُم بِالسُّرْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥﴾ .

ومن السنة : ما رواه

خبّاب بن الأرت قال : « شكرونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسّد ببردّة له في ظل الكعبة ، قلنا له : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو الله لنا ؟ قال : كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض ، فيجعل فيه ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشقّ باثنتين ، وما يصده ذلك عن دينه . ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه ،

(١) ص : الآيات (١٦ ، ١٧) .

(٢) الأحقاف : الآية (٣٥) .

(٣) ق : الآية (٣٩) .

(٤) القمر : الآيات (٢٥ - ٢٧) .

(٥) الأنبياء : الآية (٣٥) .

وَاللَّهِ لَيَتِمَّنْ هَذَا الْأَمْرَ ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِيبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتِ ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» (١) .

وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : « قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟ قَالَ : الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ ؛ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » (٢) .

وقد اهتدى الأئمة الأعلام بهديه ﷺ ، وتمسكوا بطريقته وفهموا ما أمرهم به وما حثهم عليه ، ومن هؤلاء الأئمة : الإمام ابن القيم - رحمه الله - حيث قال في سورة العصر :

« هذه السورة على غاية اختصارها لها شأن عظيم ، حتى قال الشافعي - رحمه الله - : لو فكر الناس كلهم فيها لكفتهم .

فأقسم بالعصر الذي هو زمان أفعال الإنسان ومحلها على عاقبة تلك الأفعال وجزائها ، ونبه بالمبدأ وهو خلق الزمان ، والفاعلين وأفعالهم على المعاد ، وأن قدرته كما لم تقصر عن المبدأ لم تقصر عن المعاد ، وأن حكمته التي اقتضت خلق الزمان وخلق الفاعلين ، وأفعالهم ، وجعلها قسمين : خيراً ، وشرّاً تأبى أن يسوي بينهم ، وأن لا يجازي

(١) البعاري : - ٦٥ ، المناقب : ٢٢ - باب علامات النبوة في الإسلام : ١٣٢٢/٣ ، رقم ٣٤١٦ .

(٢) سنن الترمذي : أبواب الزهد ٤٥ - الصبر على البلاء ، رقم ٢٥٢٢ .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي : ٢٨٦/٢ ، رقم ١٩٥٦ .

المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ، وأن يجعل النوعين راجحين أو خاسرين ، بل الإنسان من حيث هو إنسان خاسر ، إلا من رحمه الله ، فهداه ووفقه للإيمان والعمل الصالح في نفسه ، وأمر غيره به ، وهذا نظير رده الإنسان إلى أسفل سافلين ، واستثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هؤلاء المردودين .

وتأمل حكمة القرآن لما قال : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ فإنه ضيق الاستثناء وخصّصه ، فقال : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ ، ولما قال : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ وسّع الاستثناء وعمّمه ، فقال : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ، ولم يقل ﴿ وَتَوَاصَوْا ﴾ فإن التواصي هو أمر الغير بالإيمان والعمل الصالح وهو قدر زائد على مجرد فعله ، فمن لم يكن كذلك فقد خسر هذا الربح فصار في خسر . ولا يلزم أن يكون في أسفل سافلين ، فإن الإنسان قد يقوم بما يجب عليه ولا يأمر غيره ، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتبة زائدة ، وقد تكون فرضاً على الأعيان ، وقد تكون فرضاً على الكفاية ، وقد تكون مستحبة . والتواصي بالحق يدخل فيه الحق الذي يجب ، والحق الذي يستحب ، والصبر الذي يجب ، والصبر الذي يُستحب ، فهؤلاء إذا تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر حصل لهم من الربح ما خسره أولئك الذين قاموا بما يجب عليهم في أنفسهم ولم يأمرؤا غيرهم به ، وإن كان أولئك لم يكونوا من الذين خسروا أنفسهم وأهليهم ، فمطلق الخسار شيء ، والخسار المطلق شيء ، وهو سبحانه إنما قال : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ ومن ربح في سلعة وخسر في غيرها قد يطلق عليه أنه في خسر وأنه ذو خسر . كما قال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - : « لَقَدْ

فَرَطْنَا فِي قَرَارِيطٍ كَثِيرَةٍ» (١). فهذا نوع تفريط ، وهو نوع خُسْرٍ بالنسبة إلى من حصل ربح ذلك .

ولما قال في سورة التين : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ قال : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ فقسّم النَّاسَ إلى هذين القسمين فقط ، ولما كان الإنسان له قوتان ؛ قوّة العلم ، وقوّة العمل ، وله حالتان ؛ حالة يَأْتَمِرُ فيها بأمر غيره ، وحالة يَأْمُرُ فيها غيره ، استثنى سبحانه من كَمَلَ قوّته العلمية بالإيمان ، وقوّته العملية بالعمل الصالح ، وانقاد لأمر غيره له بذلك .

وأمر غيره به من الإنسان الَّذِي هو في خسر ، فَإِنَّ العبدَ له حالتان : حالة كمال في نفسه ، وحالة تكميل لغيره ، وكمالُه وتكميله موقوفٌ على أمرين : علم بالحقّ ، وصبرٌ عليه .

فتضمّنت الآية جميع مراتب الكمال الإنساني ، من :

العلم النافع .

والعمل الصالح .

والإحسان إلى نفسه بذلك .

وإلى أخيه به ، وانقياده وقبوله لمن يأمره بذلك ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ إرشاد إلى منصب الإمامة في قوّة

(١) البخاريّ : الجنائز : باب فضل اتباع الجنائز : ٤٤٥/١ ، رقم ١٢٦٠ .

قال الحافظ : أي من عدم المواظبة على حضور الدفن ، لأنّ ابن عمر كان يصلّي على الميت ثمّ ينصرف .

الدين . كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ ، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين .

والصبر نوعان : نوع على المقدور ، كالمصائب ، ونوع على المشروع ، وهذا النوع أيضاً نوعان ، صبر على الأوامر ، وصبر عن النواهي . فذاك صبر على الإرادة والفعل ، وهذا صبر عن الإرادة والفعل .

فأما النوع الأول من الصبر فمشارك بين المؤمن والكافر ، والصبر والفاجر ، لا يثاب عليه لمجردة إن لم يقترن به إيمان واختيار .

قال النبي ﷺ في ابنته : « فَاتَّصِرْ وَاتَّحَسِبِ » ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ﴾ ^(٣) ، وقال : ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ﴾ ^(٤) . فالصبر بدون الإيمان والتقوى بمنزلة قوة البدن الخالي عن الإيمان والتقوى ، وعلى حسب اليقين بالمشروع يكون الصبر على المقدور .

(١) البعاري : الجنائز : باب قول النبي ﷺ : « يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه » :

٤٣١/١ ، رقم ١٢٢٤ .

وزينب هي ابنته - رضي الله عنها - التي بعثت إليه أن ابناً لها قبض فأتتنا .

(٢) هود : الآية (١١) .

(٣) آل عمران : الآية (١٢٥) .

(٤) آل عمران : الآية (١٢٠) .

وقال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ ^(١) .
فأمره أن يصبر ولا يتشبه بالذين لا يقين عندهم في عدم الصبر . فإنهم
لعدم يقينهم عدم صبرهم ، وخفوا واستخفوا قومهم .

ولو حصل لهم اليقين والحق لصبروا ، وما خفوا ولا استخفوا ،
فمن قلّ يقينه قلّ صبره ، ومن قلّ صبره خفّ واستخفّ ، فالموقن
الصابر رزين ، لأنه ذو لبّ وعقل ، ومن لا يقين له ، ولا صبر عنده
خفيف طائش تلعب به الأهواء والشهوات ، كما تلعب الرياح بالشيء
الخفيف . والله المستعان « ^(٢) .



(١) الروم : الآية (٦٠) .

(٢) التبيان في أقسام القرآن ، لابن القيم ، تصحيح وتعليق : محمد حامد الفقي ،
ص ٨٨ .

وقد آثرت إيراده بطوله لأنه عزيزٌ ونادر ، وله فوائد عظيمة ، وتفصيلٌ جليل ،
ومقارنة عجيبة . ولم أحده في كتب التفسير التي اطّلت عليها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

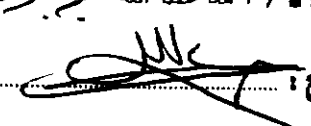
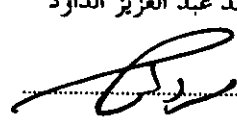
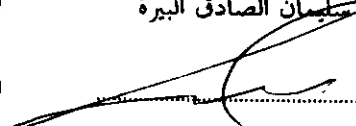
نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : حاسن عليّ صوّان الغامدي / كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم : الكتاب والسنة .
الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير . في تخصص : القرآن والسنة .
عنوان الأطروحة : منهج النبي ﷺ في الدعوة من القرآن الكريم والسنة المطهرة .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :-
فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه - والتي تمت مناقشتها بتاريخ : ٢٧ / ٨ / ١٤٢٢ هـ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ،
فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...
والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المناقش الداخلي	المناقش الداخلي	المشرف
الاسم : هـ / أحمد عطا الله عراجور	الاسم : هـ / عماد عبد العزيز الداود	الاسم : هـ / سليمان الصادق البيرة
التوقيع : 	التوقيع : 	التوقيع : 

يعتمد

رئيس قسم الكتاب والسنة

الاسم : د / مطر أحمد الزهراني

التوقيع : 

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنة

منهج النبي ﷺ في الدعوة من القرآن الكريم والسنة المطهرة

رسالة مقصّمة لنيل درجة " الماجستير "

إعداد الطالب

حاسن بن عليّ صوّان الغامدي

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور

سليمان الصادق اليرّة

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ

المسلك الثاني : (اللهم امل في المنعم النبوي) .

قال ﷺ : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » (١) ، وقال : « تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِينَ ، فَخَيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خَيْرٌ لَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا » (٢) ، وسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ : مَنْ خَيْرُ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : « أَفْقَهُهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ وَأَوْصَلُهُمْ لِرَجِيمِهِ » (٣) ، وقال ﷺ : « نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ ، حَتَّى يَبْلُغَهُ غَيْرَهُ ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ لَيْسَ بِفِقْهِهِ » (٤) . وهذا الحديث فيه دعاء لمن حفظ العلم وبلغه غيره فهمه أم لم يفهمه ، وفيه بيان لمراتب الفقهاء .

ودعا النبي ﷺ لخير الأمة ثلاث دعوات : الأولى خاصة بالفقه فقال : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » (٥) ، أي فهمه . والثانية بالحفظ والفقه معاً حيث قال : « ضَمَّنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ » (٦) ، قال البخاري : أي حفظه ألفاظه ، وفهمه معانيه وأحكامه . والثالثة : قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : « ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ

(١) صحيح البخاري : انظر : الفتح : ٧١/١ .

(٢) صحيح مسلم : رقم ٢٥٢٦ .

(٣) المسند : ٦٨/٦ ، والمهشمي في مجمع الزوائد : ٢٥٨/٩ ، وقال : رجاله ثقات ، واللفظ له .

(٤) الترمذي : رقم ٢٦٥٦ ، وأبو داود (٣٦٦٠) ، وقال الألباني : صحيح : ٦٩٧/٢ .

(٥) صحيح البخاري : الوضوء : وضع الماء عند الخلاء : ٦٦/١ ، رقم ١٤٣ .

(٦) البخاري ، كتاب العلم : باب قول النبي ﷺ : اللهم علِّمهُ الْكِتَابَ : ٤١/١ ، رقم ٧٥ .

وَقَالَ : اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا الْحِكْمَةَ « (١) ، قال البخاريّ : والحكمة : الإصابة في غير النبوة .

وعن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال : « إِنَّ الْفَقِيهَ حَقُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقْنَطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَلَمْ يُرَخَّصْ لَهُمْ فِي مَعْاصِي اللَّهِ ، وَلَمْ يُؤْمِنُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، وَلَمْ يَدْعِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ . إِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَا عِلْمَ فِيهَا ، وَلَا عِلْمٍ لَا فَهْمَ فِيهِ ، وَلَا قِرَاءَةَ لَا تَدْبِيرَ فِيهَا » (٢) .

وقال ابنُ عباسٍ - رضي الله عنهما - : « كُونُوا رَبَّائِنَ ﴿ ﴾ : حُلَمَاءَ فَفَهَاءَ » (٣) .

قال ابن عبد البرّ : « أما طالبُ الحديثِ على ما يطلبه كثيرٌ من أهل عصرنا اليوم دون تفقهٍ فيه ولا تدبُّرٍ لمعانيه فمكروه عند جماعة أهل العلم » (٤) .

وقال الترمذيّ : « سمعتُ أبا عبد الله يقول : « إذا كان يعرف الحديث ، ويكون معه فقه أحبّ إليّ من حفظ الحديث لا يكون معه فقه » ، وقال سفيان بن عيينة : « يا أصحاب الحديث تعلّموا معاني الحديث ، فإنّي تعلّمتُ معاني الحديث ثلاثين سنة » .

(١) البخاري : فضائل الصحابة : باب ذكر ابن عباس - رضي الله عنهما - : ١٣٧١/٣ ، رقم ٣٥٤٦ .

(٢) الدارمي في المقدمة : ١٠١/١ ، رقم ٢٩٧ .

(٣) فتح الباري : ١٩٢/١ ، مقدّمة باب العلم قبل القول والعمل .

(٤) جامع بيان العلم وفضله : ١٠٢٠/٢ .

وقال ابن الجوزي : « فإن اتسع الزمان للترديد من العلم فليكن من الفقه فإنه الأنفع » (١) .

فهذه هي منزلة الفهم والفقه في الإسلام . إذ الفقه هو الثمرة ، والنتيجة ، والمحصلة الأخيرة فإن النصوص تُحفظ لتُفهم وتُستنبط منها الأحكام لِيَتَعَبَّدَ بها .

وهذا عبدا لله بن مسعود رضي الله عنه يقول : « وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ! مَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ سُورَةٌ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ ، وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أَنْزَلْتُ ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ » (٢) .

فهذه ثمرة المنهج النبوي في التعليم الذي كان متوازنا حفظاً وفهماً . فهذا ابن أم عبد يقسم أمام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن ما من آية إلا يعلم فيما أنزلت ، ولو يعلم أحداً أعلم منه بكتاب الله لذهب إليه ، والعلم هو الحفظ والفهم .

قال الزرنوجي : « وينبغي أن يجتهد في الفهم عن الأستاذ ، أو بالتأمل والتفكير ، وكثرة التكرار ، فإنه إذا قلَّ السَّبْقُ وكثُرَ التكرار والتأمل يُدرك ويُفهم ، فقد قيل : حفظ حرفين خير من سماع وقرين ، وفهم حرفين خير من حفظ وقرين - ومذاكرة بين اثنين خير من هذين - وإذا تهاون في الفهم ولم يجتهد مرة أو مرتين ، يعتاد ذلك ، فلا يفهم

(١) صيد الخاطر : ص ٢٠٢ .

(٢) مسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل عبدا لله بن مسعود وأمه : ١٩١٣/٤ ،

الكلام اليسير ، فينبغي ألا يتهاون في الفهم ، بل يجتهد ، ويدعو الله تعالى ويتضرع إليه ، فإنه يجيب من دعاه ولا يُخيب من رجاه « (١) .
ولقد أوصى ﷺ بالعناية بالقرآن في حجة الوداع وحذر من الكذب والافتراء عليه ما لم يقله .

قال مالك بن عتاهية ، وعقبة بن عامر يحدث : « إن صاحبكم غافل أو هالك ، إن رسول الله ﷺ عهد إلينا في حجة الوداع ، فقال : « عليكم بالقرآن ، فإنكم ستؤخرون إلى قوم يشتهون الحديث عني ، فمن عقل شيئاً فليحدث به ، ومن أفتى علي فليتبوا مقعده أو بيتاً من جهنم » (٢) . لا أدري أيهما قال . ومالك بن عتاهية تحيي ، وليس بغافقي ، وله صحبة .
قال أبو خالد الأحمر : « يأتي على الناس زمانٌ تُعطل فيه المصاحف ، لا يُقرأ فيها ، يطلبون الحديث والرأي . ثم قال : إياكم وذلك ، فإنه يصفق الوجه ويكثر الكلام ، ويشغل القلب » (٣) .

وامتد منهجه ﷺ في العلم وحفظه وفهمه إلى التابعين ومن تبعهم من علماء السلف - رحمهم الله جميعاً - فهم الحملة والشهود من بعد الصحابة ﷺ الذين حملوا العلم وعملوا به ونقلوه إلينا .

فقد نقل الكثير والكثير من أخبارهم في الحفظ والفهم والعناية بالقرآن والسنة . قال أبو زرعة : « كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث . فقيل له : وما يُدريك ؟ قال : ذاكرته وأخذت عليه الأبواب » (٤) .

(١) تعليم المتعلم : ص ٣٩ - ٤٠ ، وما بين الفاصلتين إضافة .

(٢) الجامع لأخلاق الرُّوي وآداب السامع : ٦٧١/١ ، رقم ١٠٥٠ . وقال المحقق : صحيح .

(٣) جامع بيان العلم : ١٠٢١/٢ ، رقم ١٩٧٤ ، وقال المحقق : إسناده لا بأس به .

(٤) الحث على حفظ العلم لابن الجوزي : ص ٢٦ .

وقال الإمام أحمد في حقه : « ما جاوز الجسر أحفظ من أبي زُرعة ، فقد حفظ ستمائة ألف »^(١) . وقال أبو زُرعة عن نفسه : « أحفظ مائتي ألف حديث ، كما يحفظ الإنسان قل هو الله أحد ، وفي المذاكرة ثلاثمائة ألف حديث »^(٢) .

وقال أبو بكر الجعابي : « هو محمد بن سالم : قاضي الموصل (ت ٣٥٥) ببغداد » ، قال : أحفظ أربعمائة ألف حديث ، وأذاكر بستمائة ألف حديث »^(٣) .

وقال محمد بن يحيى : « ما رأيتُ عند عبدالرحمن بن مهدي كتاباً قط ، وكلُّ ما سمعته منه سمعته حفظاً ، وكان عبدالرحمن يختم القرآن في كلِّ ليلتين ، وقال عنه عبيد الله القواريري : أملى عليَّ عبدالرحمن ابن مهدي عشرين ألف حديث حفظاً »^(٤) .

أما القرآن وحُفَاطُه فقد يسره الله ﷻ كما جاء في محكم التنزيل ، وقد رُوي في هذا التيسير ما يثير الدهشة والعجب . فهذا النهي - رحمه الله - يقول : « ومن حفظ الزهري أنه حفظ القرآن في ثمانين ليلة »^(٥) .

« وعلي بن هبة الله الجميزي (ت ٦٤٩ هـ) حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين »^(٦) .

(١) المرجع السابق : ص ٤٤ .

(٢) المرجع السابق : ص ٤٥ .

(٣) المرجع السابق : ص ٦٢ .

(٤) المرجع السابق : ص ٤٦ .

(٥) تذكرة الحُفَاط : ١٠٤/١ - ١٠٦ .

(٦) معرفة القراء الكبار : ٦٥١/٢ .

« وزيد بن الحسن ، تاج الدين الكندي (ت ٦١٣ هـ) قرأ القرآن تلقيناً وله نحو من سبع سنين ، وهذا نادر - كما قال الذهبي - وأندر منه أنه قرأ بالروايات العشر وهو ابن عشر حجج » (١) .

« وخلف بن هشام بن ثعلب الإمام الحافظ الحجة شيخ الإسلام (ت ٢٢٩ هـ) خرج من بغداد وعمره ١٩ عاماً لم يخلف فيها أقرأ منه » (٢) .

« ومكي بن أبي طالب العلامة المقرئ ، ولد سنة (٣٥٥ هـ) وقرأ بالقراءات على ابن غلبون سنة (٣٧٦ هـ) » (٣) ، أي أن عمره كان ٢١ سنة .

وكان لمنهجه ﷺ في توجيه مسيرة التعلّم ، آثاراً كبيرة وأصداء واسعة جعلت العلماء يحنّون طلابهم على حفظ العلم وفهمه وكتابته وتقويده ، فلقد زحرت كتب العلم بكثير من المنشور والمنظوم في ذلك ، ومنه ما يُنسب لعلي عليه السلام قول : « قيمة كل امرئ ما يُحسن » (٤) . وقيل : إنه لم يُسبق في ذلك . وقالوا : ليس كلمة أحض على طلب العلم منها ، وقالوا : ولا كلمة أضرّ بالعلماء والمتعلّمين من قول القائل : « ما ترك الأوّل للآخر شيئاً » (٥) ، والأولى أن يُقال : « كم ترك الأوّل للآخر » .

(١) معرفة القراء الكبار : ٥٨٦/٢ - ٥٨٧ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٥٨٠/١٠ .

(٣) معرفة القراء الكبار : ٣٩٥/١ .

(٤) تذكرة السامع : انظر : ص ٨٧ الهامش .

(٥) تذكرة السامع : انظر : ص ٨٧ الهامش .

وقال الخليل بن أحمد (١) :

ليس بعلم ما حوى القمطر (٢) * ما العلم إلا ما حواه الصدر
وقال الرحي (٣) :

والثلثان وهما التمام * فاحفظ فكل حافظ إمام
وقال محمد بن هبة المكي :

ومنها تنقسم الأجسام * فاحفظ فكل حافظ إمام
وأورد الخطيب بسنده إلى بعض البصريين (٤) :

رَبِّ إِنْسَانٍ مَلَأَ أَسْفَاطَهُ كُتُبَ الْـ * عِلْمٍ وَهُوَ بَعْدَ يَخُطُ
فَلِذَا قَشَّتهُ عَنْ عِلْمِهِ * قَالَ عِلْمِي يَا خَلِيلِي فِي السَّفَطِ
بِكِرَارِيسٍ جِيَادٍ أُخْرَزَتْ * وَيَخُطُّ أَيُّ خَطِّ أَيُّ خَطِّ
فَلِذَا قَلَّتْ لَهُ : هَاتِ ، أَرْنَا * حِكِّ لِحْيَتِهِ جَمِيعًا ، وَامْتَخَطْ

وأورد هذه الآيات في أهمية الحفظ لمحمد بن بشير (٥) :

أَمَا لَوْ أَعْيَ كُلَّ مَا أَسْمَعُ * وَأَحْفَظُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَجْمَعُ
وَلَمْ أَسْتَقِدْ غَيْرَ مَا قَدْ جَمَعْتُ * لَقِيلَ هُوَ الْعَالِمُ الْمُتَنَعُّ

(١) جامع بيان العلم : ٢٩٣/١ ، رقم ٣٧٥ .

(٢) القمطر : هو ما يُصان فيه الكتب ، انظر : مختار الصحاح : ص ٥٥١ .

(٣) الرحيية بشرح سبط المارديني : ص ٤٦ ، طبعة دار القلم .

(٤) الجامع في الحث على حفظ العلم : ص ٦١ ، رقم ١٧٦١ .

(٥) الجامع في الحث على حفظ العلم : ص ٦١ ، رقم ١٧٦١ .

ولكنّ نفسي إلى كل شيء * من العلم تسمعه تنزع
 فلا أنا أحفظ ما قد جمعت * ولا أنا من جمعه أشبع
 إذا لم تكن واعياً حافظاً * فجمعك للكذب لا ينفع
 أشاهدُ بالعمي في مجلس * وعلمي في البيت مستودع
 ومن يكن في علمه مكذاً * يكن دهره القهقري يرجع

وقال ابن أبي الحديد في نظمه لإصلاح المنطق لابن السكيت :

فالعلم إذا لم ينضبط بالحفظ * لم ينفع ومن ماري غلط
 وأيسر المحفوظ نظم الشعر * لأنه أحضر عند الذكر

وقيل :

عليك بالحفظ دون الجمع في الكذب * فإن للكذب أفات تفرقها
 الماء يفرقها واللص يسرقها * والنار تحرقها والفار يخرقها

وقيل في ذم الحفظ مجرداً عن الفهم :

زوامل للأخبار لا علم عندهم * بمنقلها إلا كالم الأباعر
 لعمرك ما يدري البعير إذا غدى * بأوساطه أو راح ما في الفرائر

ويعترض عليه دعاء النبي ﷺ لمن حفظ العلم وبلغه بالنضارة ، مع
 أنه لا فقه له .

ومن فاته العلم في الصغر فلا يأنف من التعلم في كبر سنه ، وليبادر
 ويتدارك ما بقي من عمره قبل أن يفجأه الأجل فيندم على ما فاته من
 الخير ، ولات حين ساعة مندم .

قال الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - : « وَقَالَ عُمَرُ : تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا » (١) ، « وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : وَبَعْدَ أَنْ تُسَوِّدُوا . وَقَدْ تَعَلَّمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِي كِبَرِ سِنِهِمْ » (٢) ، وقد أنزل على النبي ﷺ وهو في الأربعين .

وقال عكرمة مولى ابن عباس : « طلبت العلم أربعين سنة ، وكان ابن عباس يضع الكبل في رجلي على تعليم القرآن والسنن » (٣) ، وقال أحمد : « كان جريح من أوعية العلم ، وقال الذهبي : ولم يطلب العلم إلا في الكهولة ، ولو سمع في عنفوان شبابه لحمل عن غير واحد من الصحابة . فإنه قال : كنت أتبع الأشعار والعريية والأنساب حتى قيل لي : لو لزمت عطاء ، فلزمته ثمانية عشر عامًا ؛ قال ابن المديني : لم يكن في الأرض أعلم بعطاء بن أبي رباح من ابن جريح » (٤) .

قال الشافعي : « ما رأيت شيخاً له جدّة لا يطلب العلم إلا رحمة كائناً من كان » (٥) .

- (١) البخاري : العلم : الاغتباط في العلم والحكمة : ٣٩/١ (تعليقاً) .
- (٢) فتح الباري : كتاب العلم : باب الاغتباط في العلم والحكمة ، (وهو من كلام البخاري ، أورده بعد الترجمة) .
- (٣) تذكرة الحفاظ : ٩٦/١ ، ترجمة (٨٧) ، والكبل : هو القيد الضخم ، اللسان : ٥٨٠/١١ .
- (٤) العبير في خبر من غير ، للذهبي : ١٦٣/١ ، وفيه أن ابن جريح هو (أبو الوليد ، عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريح) .
- () والكهل من الرجال : من زاد على ثلاثين سنة إلى أربعين ، وقيل : هو من ثلاث وثلاثين إلى تمام الخمسين . نقله ابن منظور عن ابن الأثير : اللسان : ٦٠٠/١١ ، مادة (كهل) .
- (٥) الفقيه والمتفقه : ١٦٧/٢ ، رقم ٧٩٩ ، وصحّح المحقق لإسناده .

وقال أبو بكر بن دريد : « نظر سقراط إلى رجلٍ يُحبُّ النظر في الفلسفة ، ويستحي ، فقال له : يا هذا تستحي أن تصير في آخر عُمرِكَ أفضل مما كنت في أوَّلِهِ » (١) .

وقيل قيل في صعوبة التعلُّم في الكِبَرِ وشِدَّتِهِ :

قال الخطيب (٢) : « وإذا أهْمِلَ العلم إلى حالة الكبر كان كما قال الشاعر :

إذا أنت أعياك التعلُّم ناشئاً * فمطلبه شيخاً عليك شديدٌ
وأنشد أبو عبد الله نبطويه لنفسه (٣) .

أراني أنس ما تعلِّمُ في الكِبَرِ * ولستُ بناسٍ ما تعلِّمُ في الصِّغَرِ
وما العلم إلا بالتعلُّم في الصِّبى * وما الحِلْمُ إلا بالتعلُّم في الكِبَرِ
وما العلم بعد الشيب إلا تَسَفُّ * إذا كلَّ قلب المرء والسمع والبصر
وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - (٤) :

اصبر على مرِّ الجفا من معلِّمٍ * فلإن رسوب العلم في قراته
ومن لم يذق مرَّ التعلُّم ساعةٍ * تجرَّع ذلَّ الجهل طول حياته
ومن فاتته التعلُّم وقت شبابه * فكبَّر عليه أربعاً لوفاته
وذاتُ الغنى والله بالعلم والتقى * إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته



(١) الفقيه والمتفقه : ص ١٦٨ .

(٢) المرجع السابق : ١٧٩/٢ ، ١٨٠ .

(٣) جامع بيان العلم : ٣٦٣/١ ، ٣٦٤ .

(٤) ديوان الشافعي : ص ٢٩ .

المسألة الثالث : الحاجة إلى الجمع بين الحفظ والفهم .

بعد استعراض النصوص السابقة في الحفظ والفهم ، يتضح أنهما من أهم أصول طلب العلم في المنهج النبوي ، وأن الحفظ له مكانته وفضله وأهميته ، وأنه لا يمكن الاستغناء عنه . وأن الطالب إذا لم يحفظ الآية والحديث والقاعدة ، يعمل بها ويطبّقها ويستشهد بها ، ويستنبط منها ، ويعظ بها ويذكر ، والله ﷻ يقول : ﴿ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِدِ ﴾^(١) ، ويقول : ﴿ وَجَاهِدْتُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾^(٢) . فبم يذكّر ؟ وبم يجاهد ، وبم يعظ ويُرشد ، أو ييسّر ويُنذر ، إن كان لا يحفظ من القرآن والحديث شيئاً .

إنه بالتأكيد سيخطئ في نصوص الآيات ، والأحاديث سينقلها مع احتمال الخطأ ، أو أنه سيضطر إلى القول بالرأي والنظر والفكر ، فيذهب بعيداً عن المقاصد الشرعية ، فلا يؤمن عليه حينئذ الزلل . وحفظ القرآن والسنة وإن كان ممن لا فقه له كما ورد في النصوص السابقة فصاحبه ماجور إذا نقلها إلى من هو أفقه منه ، وقد دعا له النبي ﷺ بالنضارة ، أما الذي يتفقه في النصوص ويدرسها ، ويحلّل ويقارن فهو على خير إن شاء الله وأجر كبير ، ولذا دعا النبي ﷺ لخير الأمة بالفقه في الدين .

وربما أعترض على تقرير أهمية الحفظ وأنه أصل في طلب العلم بأن الطالب قد يفهم ويحلل ويستشهد ويستنبط وهو ليس بحافظ ، وهذا

(١) ق : الآية (٤٥) .

(٢) الفرقان : الآية (٥٢) .

صحيح ، ولكن بشرط وجود الكتب ، وسيكون فهمه واستنباطه محدوداً بما وقع له من كتب في وقته ذاك ، أو هو بحاجة إلى حافظ للعلم يسرد عليه أصول المسائل التي يريد الاستنباط منها ، أو التفقه فيها أو الاستشهاد بها .

فأصحاب هذه الطائفة بحاجة دائمة إلى مكتبة يلزمها ؛ كلما أراد أن يحدث الناس أو يعظهم أو يذكرهم .

ويحتاج في كل مرة إلى تحضير وبحث وقراءة وتلوين . ومثل هذا لا يعدُّ طالب علم على التحقيق فضلاً أن يكون عالماً . وإنما قد يصدق عليه أنه باحث . ولكن الحديث بصدده منهج نبوي يُعدُّ طالباً موصلاً ، ويؤهله ليكون عالماً حافظاً ضابطاً فاهماً متفهماً ، معتمداً على النصوص الشرعية . إذ إنَّ العالمِ علمه محفوظٌ في صدره حيثما توجه ، فهو معه . فإن احتاج المقام إلى الوعظ والإرشاد وعظ وذكر ، وإن احتاج إلى الخطبة خطب ، أو إلى الفتوى أفتى . علمه مضبوطٌ بالحفظ ، ومُصانٌّ بالفهم والفقہ . في الحوادث والنوازل ، يستعرض النصوص والقواعد الشرعية كأنها رأي العين ، فيتأمل وينظر ، ويستنبط ويقارن ويوازن ، يعرف منازع الأدلة وما أخذها ، ويعرف الصحيح من الضعيف ، والناسخ من المنسوخ ، والمتقدم والمتأخر ، والخاص والعام ، والمطلق والمقيّد . والمصلحة والمفسدة .

ولا يُعكّر على ذلك حاجته للكتب والمطالعة والاستذكار والمراجعة والمتابعة والاستزادة من العلم ، عارف بفقہ الحال ، والحوادث ، والملل والنحل ، والبدع المخترعة من أهل عصره ، والدخيل من الثقافات والعلوم الوافدة على الأمة ، فقد أنكر النبي ﷺ على عمر ؓ عندما

رأى في يده ورقة من التوراة ، وقال لعدي بن حاتم : « لَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - أَلَسْتَ تَرَأْسُ قَوْمِكَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : أَلَسْتَ تَأْكُلُ الْمِرْبَاعَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : بَلَى قَالَ : فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ » (١) . وعند أحمد : « قَالَ : نَعَمْ ، أَلَسْتَ مِنَ الرُّكُوسِيَّةِ ؟ وَأَنْتَ تَأْكُلُ مِرْبَاعَ قَوْمِكَ ؟ » (٢) .

دل ذلك على معرفة النبي ﷺ بفقهِ الحال ، وإطلاعه على أحوال الناس وأديانهم ومللهم ونحلهم .

وإن من الآفات الدخيلة التي انتشرت في الأمة وانطبعت في أذهان كثير من الناس : أن الحفظ رمزٌ للغباء والبلاهة وعدم الفهم والتخلف ، وأنه وصمة في جبين صاحبه .

وأن الفهم والنظر والفكر يرمز للذكاء والتفوق والعلو . وأنه لا يمكن الجمع بينهما .

وقد تزامن هذا المفهوم الدخيل مع مفهوم آخر لا يقلُّ عنه خطراً . (مفهوم العلمي والأدبي) فقد ارتبط مفهوم العلمي بالفهم والذكاء والتقدم والحضارة ، وأصبح رمزاً لهذه الصفات .

(١) صحيح ابن حبان : كتاب التاريخ : باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث : ٧١/١٥ - ٧٢ ، وقال المحقق شعيب الأرنؤوط : إسناده قوي .

والمرباع : هو ربع الغنيمة .

(٢) المسند : مسند الكوفيين ، حديث عدي بن حاتم : ١٢٢٨٨/٦ ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في حديث عدي بن حاتم : « وهو حديث حسن طويل ، رواه أحمد والترمذي وغيرهما » اهـ . انظر : كتاب الإيمان له : ص ٦٤ .

أما الأدبي فأصبح رمزاً للغباء والتخلف والتأخر والانحطاط ،
وعُدَّت علوم الشريعة واللغة العربية غير علمية ، وأنها تابعة للأدبي .
هكذا انطبع هذان المفهومان في أذهان كثير من الناس فأثرت في أعمالهم
واختياراتهم وتصرفاتهم .

ومثل ذلك ترك حفظ القرآن تأثماً بسبب الحديث الضعيف الذي
رُوي في ذلك ، فهذا من أكبر المفاهيم الخاطئة الدخيلة على الأمة . قال
الإمام الخطابي في ترك حفظ القرآن تأثماً بسبب الحديث الضعيف :
« إشكالٌ أُحيل به على إبهام » ، ومثله المقولة التي استشرى خطرُها
أيضاً فيمن حفظ صحيح البخاري وهي قولهم : « زاد نسخة في البلد » .

فلقد أضرت هذه المفاهيم الدخيلة بالعلم أيما ضرر . وهنا يمكن
السؤال عن المانع من الجمع بين الحفظ والفهم !! خاصة وأن الحفظ
والإسناد مما اختص الله به هذه الأمة . وفي هذا يقول ابن الجوزي
- رحمه الله - : « فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ خَصَّ أُمَّتَنَا بِحِفْظِ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ ، وَقَدْ
كَانَ مِنْ قَبْلِنَا يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ مِنَ الصُّحُفِ ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْحِفْظِ ،
فَلَمَّا جَاءَ عَزِيرُ فَقَدَ التَّوْرَةَ مِنْ حِفْظِهِ ، فَقَالُوا : هَذَا ابْنُ اللَّهِ ؟! » .

فكيف نقوم بشكر من حولنا أن ابن سبع سنين منا يقرأ القرآن عن
ظهر قلب ، ثم ليس في الأمم ممن ينقل عن نبيه أقواله وأفعاله على وجه
يحصل به الثقة إلا نحن ، فإنه يروي الحديث منا خالف عن سالف ،
وينظرون في ثقة الراوي إلى أن يصل الأمر إلى رسول الله ﷺ ، وسائر الأمم
يروون ما يذكرونه عن صحيفة لا يلرى من كتبها ، ولا يعرف من نقلها .

وهذه المنحة العظيمة تفتقر إلى حفظها ، وحفظها بدوام الدراسة ،
ليبقى المحفوظ .

فآل الأمر إلى أقوامٍ يفرّون من الإعادة ميلاً إلى الكسل ، فإذا احتاج أحدهم إلى محفوظ لم يقدر عليه ، ولقد تأملتُ على المتفهمّة أنهم يعيدون الدرس مرتين أو ثلاثاً ، فإذا مرّ على أحدهم يومان نسي ذلك ، وإذا افتقر إلى شيء من تلك المسألة في المناظرة لم يقدر على ذلك ، فذهب زمان الأول نايماً^(١) ، ويحتاج أن يتدبّر الحفظ لما تعب فيه أولاً ، والسبب أنه لم يحكمه^(٢) ، وهذه الخاصية لهذه الأمة خاصية حفظ القرآن والعلم ، فقد أخبر الله على لسان رسوله ﷺ من حديث طويل لعياض بن حمار المجاشعي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال في خطبته : « الا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمتني يومئذ هذا ... وقال : إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك . وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء^(٣) ، تقرّوه نائماً ويحفظون ... »^(٤) .

فالأصل إذاً هو حفظه في الصدور ، وإنّ دعاء النبي ﷺ لمن حفظ حديثه وبلغه كما سمعه هو من أكبر الشواهد على أهمية الحفظ ، ودعاؤه ﷺ لخير الأمة بالفقه في الدين ، وقوله : « مَنْ يَرِدِ اللّهَ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ »^(٥) ، فحصر من يرد الله به الخير في تفقيهه في دين الله . وهذا من أكبر الأدلة على أهمية الفقه .

(١) نايماً : أي ضائعاً .

(٢) الحث على حفظ العلم ، لابن الجوزي : ص ١١ - ١٢ .

(٣) لا يغسله الماء : معناه محفوظ في الصدور قبل السطور .

(٤) صحيح مسلم : رقم ٢٨٦٥ .

(٥) صحيح البخاري ، رقم ٧١ . ومسلم ، رقم ١٠٣٧ .

لذا ينبغي لطالب العلم المتأسي بنبيه ﷺ أن ينال هذين الشرفين :
شرف الحفظ والفقہ ، يجمع بينهما ، ثم يعمل بعلمه ويعلمه لغيره ،
فهذا هو الرباني .

وهذا الاختلاف الحادث ، هو أشبه بالخلاف الذي حصل في عهد الإمام
الخطابي - رحمه الله - بين أصحاب الحديث والأثر وأهل الفقه والنظر .

وقد كتب - رحمه الله - في تصوير هذا الاختلاف ، وتفنيده ،
والرد عليه ، وكيفية الجمع بين وجهات نظر الفريقين في مقدمته
الشهيرة لمعالم السنن . يتم إيرادها لأهميتها باختصار .

قال الإمام الخطابي - رحمه الله - : « ورأيتُ أهل العلم في زماننا
قد حصلوا حزبين ، وانقسموا إلى فرقتين : أصحاب حديث وأثر ،
وأهل فقه ونظر ، وكل واحدة منهما لا تتميز عن أختها في الحاجة ،
ولا تستغني عنها في درك ما تنحوه من البغية والإرادة ، لأن الحديث
بمنزلة الأساس الذي هو الأصل ، والفقه بمنزلة البناء الذي هو له
كالفرع ، وكلُّ بناءٍ لم يوضع على قاعدة وأساس فهو منهار ، وكلُّ
أساسٍ خلا عن بناءٍ وعمارة فهو قفرٌ وخراب :

ووجدت هذين الفريقين على ما بينهم من التداني في المحليين ،
والتقارب في المنزلتين وعموم الحاجة من بعضهم إلى بعض ، إخواناً
متهاجرين ، وعلى سبيل الحق بلزوم التناصر والتعاون غير متظاهرين .

فأما هذه الطبقة الذين هم أهل الأثر والحديث ، فإنَّ الأكثرين منهم
إنما وكدهم الروايات وجمع الطرق وطلب الغريب والشاذ من الحديث
الذي أكثره موضوع أو مقلوب ، لا يراعون المتن ، ولا يتفهّمون

المعاني ، ولا يستنبطون سيرها ولا يستخرجون ركازها وفقها ، وربما عابوا الفقهاء ، وتناولوهم بالطعن ، وادعوا عليهم مخالفة السنن ، ولا يعلمون أنهم عن مبلغ ما أوتوه من العلم قاصرون ، وبسوء القول فيهم آثمون .

وأما الطبقة الأخرى ، وهم أهل الفقه والنظر ، فإن أكثرهم لا يعرجون من الحديث إلا على أقله ، ولا يكادون يميزون صحيحه من سقيمه ، ولا يعبتون بما بلغهم منه أن يحتجوا به على خصومهم إذا وافق مذاهيبهم .

وقد اصطالحوا على مواضعة بينهم في قبول الخير الضعيف ، والحديث المنقطع إذا كان ذلك قد اشتهر عندهم .

وهؤلاء وفقنا الله وإياهم لو حُكي لهم عن واحد من رؤساء مذاهيبهم وزعماء نحلهم قول يقوله باجتهاد من قبل نفسه طلبوا فيه الثقة واستبرؤوا له العهدة .

فكيف يجوز لهم أن يتساهلوا في الأمر الأهم وأن يتواكلوا الرواية عن إمام الأئمة ورسول رب العزة .

ولكن أقواماً عساهم استوعروا طريق الحق ، واستطالوا المدّة في درك الحظ ، وأحبوا عجلة النيل ، فاقتصروا طريق العلم ، واقتصروا على نتف وحرّوف منتزعة عن معاني أصول الفقه سمّوها عللاً ، وجعلوها شعاراً لأنفسهم في الترسّم برسم العلم ، واتخذوها جنة عند لقاء خصومهم ، ونصبوها دريئة للنحوض والجدال ، يتناظرون بها ، ويتلاطمون عليها ، وعند التصادُر عنها قد حُكم للغالب بالحذق والتبريز ، فهو الفقيه المذكور في عصره ، والرئيس المعظّم في بلده ومصره .

هذا وقد دسّ لهم الشيطان حيلة لطيفة ، وبلغ منهم مكيده بليغة ، فقال لهم : هذا الذي في أيديكم علمٌ قصير ، وبضاعة مزجاة ، فاستعينوا عليه بالكلام ، واستظهروا بأصول المتكلمين ، يتسع لكم مذهب الخوض ، ومجال النظر ، فصدق عليه ظنه ، وأطاعه كثيرٌ منهم ، واتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين .

فيا للرجال والعقول أنى يُذهب بهم ، وأنى يختدعهم الشيطان عن حظهم وموضع رشدهم ، والله المستعان « (١) .

وهنا رسالة ردّ من الإمام مالك بيّن فيها - رحمه الله - التكامل الذي جعله الله بين الناس ، وأن بعضهم يكمل بعضاً ، وأن الله قسم أعمالهم وقرباتهم إليه كما قسم أرزاقهم .

أخرج الذهبي عن الحافظ ابن عبد البر قال : « إن عبد الله العمري العابد ، كتب إلى مالك يُحضه على الانفراد والعمل ، فكتب إليه مالك : « إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق ، فربّ رجل فتح له في الصلاة ، ولم يفتح له في الصّوم ، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم ، وآخر فتح له في الجهاد .

فنشر العلم من أفضل أعمال البر ، وقد رضيت بما فتح لي فيه ، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه ، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر » (٢) .

وهذا من فقهه - رحمه الله - ، ونظرته العميقة الشمولية لهذا

(١) معالم السنن ، للخطابي : المقدّمة : ص ٣ - ٥ باختصار .

(٢) سير أعلام النبلاء : ١١٤/٨ .

الدين ، وحُسن ردّه وتعليمه ، وأدبه الجَمِّ مع من نصحه بأمرٍ يخالفُ فقهِه - رحمه الله - ، ومن فقه هذا الأثر أيضاً :

أولاً : جدير بالمؤمن أن يعلم أن الله قَسَمَ أعمال البرِّ ووجوه الخير بين عباده ، كما قَسَمَ أرزاقهم ، فإذا آمن بهذا وتيقنه أورثه الله الرضا بما قَسَمَ له وفتح عليه فيه ، فلا يمدنُّ عينيه إلى ما عندهم إلا غبطة لهم ، وهو أجدر أن لا يزدري نعمة الله عليه ، أو يزدري إخوانه أو يتنقصهم أو يحسدهم أو يؤذيههم أو يفتابهم ، ويدعهم إلا من خير .

ثانياً : ترسيخ مفهوم التكامل والتعاون بين المؤمنين ، وأن كلُّ على ثغر من ثغور الإسلام يسدُّه ، ولولاه لفتح عليه ولما استطاع المُضيّ فيما هو فيه ، وأن فروض الكفايات تتوزع في الأمة ، فإذا أهملت القيام بشيء منها أثمت ، وأثم هو معها . فالفقهاء على ثغر ، والمفسرون على ثغر ن والمحدثون على ثغر ، وهكذا الخطباء ، والوعاظ ، وأهل الحسبة ، والمفتون ، والمربون ، والمعلمون ، والمصنّفون ، والجاهلون ، ومن يقوم بإغاثة المهوفين ، وبناء المساجد ، ومتابعة الإنجازات العلمية ، والمخترعات الطبية ، لحفظ صحّة المسلمين ، والمخترعات العسكرية ، وتطوير قدرات الأمة الجهادية لحفظ أمنهم وجهاد أعدائهم ودعوتهم إلى هذا الدين . إذ الواجب أن تكون الأمة الإسلامية رائدة في شتى المجالات ، وقائدة لجميع الأمم في الخير لتتم لها الشهادة عليهم .

ثالثاً : اختيار الإمام مالك - رحمه الله - تعليم العلم ونشره ، وترك العزلة يدلُّ على فقهِه - رحمه الله - ، ذلك أن عمله هذا يتعدى نفعه إلى غيره ، ومعلوم أن العمل الذي يتعدى نفعه خيرٌ من العمل الذي يقتصر نفعه على صاحبه .

رابعاً : أن ما يقدمه هو لبنة في الصرح تسد مكانها ولا تُغني عن أخواتها . فعليه أن يدعو لإخوانه ويرجو لهم الخير ، فإن في ذلك تأليف لقلوبهم وتحقيق لولاية المؤمنين بعضهم لبعض . قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾^(١) . وإن استطاع أن يضرب معهم بسهم في شتى مجالات البر فهذا خيرٌ عظيم ، وتحقيق لقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾^(٢) .



(١) التوبة : الآية (٧١) .

(٢) المائدة : الآية (٢) .

المطلب الثاني : استذكار العلم وتعاهده .

من أهم أصول طلب العلم في المنهج النبوي ؛ استذكار العلم وتعاهده ، فالعلم إذا ترك تفلت ونُسي ، لذا أمر النبي ﷺ أصحابه باستذكاره فقال : « استذكروا القرآن ، فلهو أشدُّ تفصيًّا من صدور الرجال من النعم بعقلها » (١) .

وقال ﷺ : « تعاهدوا القرآن ، فوالذي نفسي بيده لهو أشدُّ تفصيًّا من الإبل في عقلها » (٢) .

فهذا قسم منه ﷺ بأن تفلت القرآن من الصدور أشدُّ من تفلت الإبل المعقلة من عقلها .

وقال ﷺ : « إن جبريلَ كان يعارضني القرآن كل سنة مرة ، وإنه عارضني العام مرتين » (٣) .

قال السخاوي : « واحفظه - أي الحديث - بالتدرج قليلاً قليلاً مع الأيام والليالي ، ثم ذاكرك به الطلبة ونحوهم ، فإن لم تجد من تذاكره فذاكر مع نفسك وكرره على قلبك ، فالذاكرة تعينك على ثبوت المحفوظ ، وهي من أقوى أسباب الانتفاع به . والأصل فيها معارضة جبريل مع النبي ﷺ القرآن في كل رمضان » (٤) .

(١) مسلم : صلاة المسافرين : فضائل القرآن : ٥٤٤/١ ، رقم ٧٩٠ .

(٢) البخاري : فضائل القرآن : باب استذكار القرآن وتعاهده : ١٩٢١/٤ ، رقم ٤٧٤٦ .

(٣) البخاري : المناقب : باب علامات النبوة في الإسلام : ١٣٢٧/٣ ، رقم ٣٤٢٦ .

(٤) فتح المغيث ، للسخاوي : آداب طالب العلم : ٣١٥/٣ - ٣١٦ ، مختصراً .

وقال ﷺ : « إِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذِكْرَهُ ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَةً » (١) . فمن أكبر العوامل المساعدة على تثبيت الحفظ القيام بالقرآن .

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتذكرون العلم فيما بينهم ، فعن أنس بن مالك ﷺ قال : « كُنَّا نَكُونُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ ، فَإِذَا قَمْنَا تَذَاكَرْنَاهُ فِيمَا بَيْنَنَا حَتَّى نَحْفَظَهُ » (٢) .

وكانوا يَحْتَوْنَ بعضهم بعضاً على مذاكرة الحديث ، فعن علي بن أبي طالب ﷺ قال : « تَزَاوَرُوا ، وَتَدَارَسُوا الْحَدِيثَ ، وَلَا تَتْرَكُوهُ يَدْرُسُ » (٣) .

وعن ابن عباس قال : « إِذَا سَمِعْتُمْ مِنِّي حَدِيثًا فَتَذَاكَرُوهُ بَيْنَكُمْ » (٤) .

وعن أبي سعيد الخدري قال : « تَحَدَّثُوا ، وَتَذَاكَرُوا ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ يَذْكَرُ بَعْضُهُ بَعْضًا » (٥) .

(١) مسلم : المسافرين : باب الأمر بتعاهد القرآن : ٥٤٤/١ ، رقم ٢٢٧ .

(٢) الجامع لأخلاق الرُّوِي للخطيب : ٣٦٣/١ ، رقم ٤٦٦ . « وقال في الجمع : ١٦١/١ : وفيه يزيد الرقاشي ، وهو ضعيف ، ولكن له شواهد من المرفوعات والموقوفات ، يرتقى بها إلى درجة الحسن » عن فتح المغيث ، انظر : ٣١٦/٣ الحاشية .

(٣) المحدث الفاصل : رقم ٧٢١ ، وجامع البيان : ١٠١/١ ، والجامع لأخلاق الرُّوِي ، للخطيب : ٣٦٤/١ ، رقم ٤٦٧ ، والجامع في الحث على حفظ العلم ، برقم ٤٦٥ ، وصحح إسناده .

(٤) المحدث الفاصل : رقم ٧٢٨ ، والجامع ، للخطيب : ٣٦٤/١ ، رقم ٤٦٩ .

(٥) الجامع لأخلاق الرُّوِي ، للخطيب : ٣٦٥/١ ، رقم ٤٧٠ ، وأخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل : رقم ٧٢٢ ، وجامع بيان العلم : ١٠١/١ ، ١١١ ، والطبراني في المعجم الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح ، انظر : مجمع الزوائد : ١٦١/١ .

وقال عبد الله بن مسعود : « تذاكروا الحديث ، فإنه يهيج بعضه بعضاً » (١) .

وعن إبراهيم الأصبهاني قال : « كلُّ من حفظ حديثاً فلم يذكر به تفلت منه » (٢) .

وقال الخطيب : « وليس يثبتُ الحفظُ إلاَّ دوام المذاكرة بالمحفوظ » (٣) .

وقال علقمة : « تذاكروا الحديث ، فإنَّ حياته مذاكرته » (٤) .

وقال عبد الله بن المعتز : « من أكثر مذاكرة العلماء ، لم ينسَ ما علم ، واستفاد ما لم يعلم » (٥) .

وعن الزهري قال : « إنما يُنهب العلمَ النسيان وترك المذاكرة » (٦) .

وعن محمد بن فضيل ، عن أبيه ، قال : « كان ابن شبرمة ، والمغيرة ، والحارث العُكلي ، والقعقاع بن يزيد ، وغيرهم يسمرون في الفقه ، فربما لم يقوموا حتى يسمعوا النداء بالفجر » (٧) .

(١) جامع بيان العلم وفضله : ٤٢٤/١ ، رقم ٦٢٨ ، وصححه المحقق .

(٢) الجامع في الحث على حفظ العلم : ص ١٩٦ ، رقم ٤٧٢ ، وحسن إسناده ، وقال إبراهيم : هو ابن أرومة الحافظ ، قال أبو نعيم الأصبهاني : « فاق أهل عصره في المعرفة والحفظ » .

(٣) الفقيه والمتفقه : ٢٦٥/٢ .

(٤) العلم لأبي عيشة ، ص ١٩ ، رقم ٧١ ، وإسناده صحيح : « انظر : صحيح جامع بيان العلم : ٤٢٤/١ ، رقم ٦٢٧ » .

(٥) الجامع في الحث على حفظ العلم : ص ١٩٦ ، رقم ١٨٤١ ، وصحح إسناده

(٦) صحيح جامع بيان العلم : ص ١٢٥ ، رقم ٤٠٧ .

(٧) الفقيه والمتفقه : ٢٦٨/٢ ، رقم ٩٥٦ ، وصحح إسناده المحقق .

وقال الخطيب : « وأفضل المذاكرة : مذاكرة الليل ، وكان جماعة من السلف يبدؤون في المذاكرة من العشاء ، فربما لم يقوموا حتى يسمعوا أذان الصبح » (١) .

وقال ابن جماعة : « فإن لم يجد الطالب من يذاكره ؛ ذاكر نفسه بنفسه ، وكرّر معنى ما سمعه ولفظه على قلبه ليعلق ذلك على خاطره » (٢) .

وقال الزرنوجي : « وإياك والمذاكرة مع متعنت غير مستقيم الطبع فإن الطبيعة متسرّية ، والأخلاق متعدّية ، والمجازرة مؤثّرة » (٣) .

قال حمّاد بن إبراهيم بن إسماعيل الصّفّار (٤) :

ذاكر الناس بالعلوم تحييا * لا تكن من أولي النهى ببعيد

وروي عن بعض الفلاسفة : أنه كان لا يُعلّم أحداً يتعلّق بشيء من الدنيا ، ويقول : « العلم أجلُّ من أن يُشتغل عنه بغيره » (٥) .

قال الناظم :

شروطُ درس العلم أربعة * فأولها التفرّغ له
ودرسٌ ثمّ فهمٌ ثمّ حفظ * ثمّ حملكته مع الحملة
شروط من لم تكن فيه * وإلا لم ينل ألمه

(١) تذكرة السامع : ص ٢٠١ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٣) تعليم المتعلّم : ص ٤٢ .

(٤) المرجع السابق : ص ٤١ .

(٥) الفقيه والمتفقه : ١٨٤/٢ .

وقال إبراهيم : « إذا سمعت حديثاً فحدث به حين تسمعه ، ولو أن تحدث به من لا يشتهيهِ ، فإنه يكون كالكتاب في صدرك » (١) .

وعن إسماعيل بن رجاء : « أنه كان يجمع صبيان الكتاب فيحدثهم لئلا ينس حديثه » (٢) .

وذكر ابن الجوزي - رحمه الله - : « أن أبا الحسين عليّ بن محمد إلْكِيَا الهَرَّاسِي كان يُعيد الدرس سبعين مرّة ، وأن أبا إسحاق الشيرازي كان يعيده مائة مرّة ، وذكر أن الحسن بن أبي بكر النيسابوري الفقيه قال له : لا يحصل الحفظ حتى يُعاد خمسين مرّة » (٣) .

وكان أبو إسحاق الشيرازي يكرّر مسائل المنطق ألف مرّة .

فتحصّل بهذا ما يثبت به العلم :

١ - تقوى الله والإخلاص في طلبه .

٢ - الحفظ والإتقان .

٣ - الفهم والفقّه فيه .

٤ - الاستذكار والتكرار الشديد .

٥ - المعارضة والمذاكرة به مع غيره .

(١) صحيح جامع بيان العلم وفضله : ص ١١٧ ، رقم ٣٦٥ .

(٢) المرجع السابق : ص ١١٧ ، رقم ٣٧٠ .

(٣) الحث على حفظ العلم ، لابن الجوزي : ص ٢١ .

- ٦ - القيام بالقرآن .
- ٧ - العمل بالعلم وتطبيقه في نفسه .
- ٨ - التحديث به ابتغاء وجه الله .



المطلب الثالث : كتابة العلم وتقييده .

تقرّر عند أهل العلم أنّ منع الكتابة كان في بادئ الأمر ، خشية اختلاط السنّة بالقرآن ، والاعتماد على الكتابة وترك الحفظ . فلمّا أمن هذا الجانب سُمِحَ بالكتابة وتقييد العلم ، بل أمر به ، فقد روي عن النبي ﷺ أنّه قال : « قِيدُوا العلم بالكتاب »^(١) ، وقال أبو شاه (رجل من اليمن) : يا رسول الله اكتبوا لي . فقال رسول الله ﷺ : « اكتبوا لأبي شاه »^(٢) ، يعني خطبة الفتح .

وعن عبد الله بن عمرو قال : « كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فنهتني قريش ، وقالوا : أتكتب كلّ شيء تسمعه ! رسول الله ﷺ يتكلّم في الرضا والغضب ؟ . فأمسكت عن الكتاب ، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ ، فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال : اكتب ، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلّا حق »^(٣) .

ولقد درج الصحابة من بعد ذلك والتابعون ومن تبعهم من علماء الأمة على ذلك .

قال خالد بن خديش البغدادي : « ودّعتُ مالك بن أنس ، فقلتُ :

(١) جامع بيان العلم وفضله : ٣٠٦/١ ، رقم ٣٩٥ .

وقال المحقق : إسناده ضعيف ، والحديث حسن ، وقد أطال في الكلام على إسناده وشواهده فراجعه هناك ، ص ٣٠٦ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق : ٢٩٨/١ ، رقم ٣٨٦ ، وصحح إسناده المحقق .

(٣) المصدر السابق : ٣٠٠/١ ، رقم ٣٨٩ ، وصحح إسناده المحقق .

يا أبا عبد الله أوصني . فقال : عليك بتقوى الله في السر والعلانية ، والنصح لكل مسلم ، وكتابة العلم من عند أهله « (١) .

وكان أنس يقول لبيه : « يا بني قَيِّدُوا العلم بالكتاب » (٢) .

وقال الإمام أحمد - رحمه الله - ، ويحيى بن معين : « كل من لا يكتب العلم لا يؤمن عليه الغلط » (٣) .

وقال علي بن المديني : « ليس في أصحابنا أحفظ من أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، وبلغني أنه لا يحدث إلا من كتاب ، ولنا فيه أسوة » (٤) .

وقال : « قال لي سيدي أحمد بن حنبل : لا تُحدثن إلا من كتاب » (٥) .

وقال صالح بن كيسان : « اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم ، فقلنا نكتب السنن ، فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ ، ثم قال : نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة ، وقلت أنا : ليس بسنة فلا نكتبه ، وكتب ، ولم أكتب ، فأجح ، وضيعت » (٦) .

وقال الشعبي : لا تدع شيئاً من العلم إلا كتبه ، وقال : « إذا سمعت شيئاً فاكتبه ولو في حائط » (٧) .

-
- (١) المصدر السابق : ٣٢٢/١ ، رقم ٤١٨ ، وحسن إسناده المحقق .
 - (٢) العلم لأبي عبيدة : ص ٢٩ . قال الألباني : وقفت على طرق كثيرة للحديث مرفوعاً ، دل مجموعها على أنه صحيح ، انظر : السلسلة الصحيحة رقم ٢٠٢٦ .
 - (٣) جامع بيان العلم وفضله : ٣٣٠/١ ، رقم ٤٣٣ ، وقال المحقق : إسناده صحيح .
 - (٤) الجامع لأخلاق الراوي ، للخطيب : ٦٦٥/١ ، رقم ١٠٣٧ . وقال فيه صاحب الجامع في الحث على حفظ العلم : « صحيح » ، انظر : ص ٢٦٢ منه .
 - (٥) المصدر السابق : ص ٦٦٦ .
 - (٦) جامع بيان العلم وفضله : ٣٣٣/١ ، رقم ٤٤٢ ، وصحح المحقق إسناده .
 - (٧) العلم ، لأبي عبيدة : ص ٣٤ ، وقال الألباني : السند إلى الشعبي صحيح .

وقال معاوية بن قرة : « من لم يكتب العلم فلا تعدُّوه عالماً » (١) .
وعن أبي المليح قال : تعيين علينا الكتاب ، وقد قال الله تعالى :
﴿ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ﴾ [طه / ٥٢] .

وقال الخليل بن أحمد : « اجعل ما تكتب بيت مال ، وما في
صدرك للنفقة » (٢) . وقال : « ما سمعت شيئاً إلا كتبت ، ولا كتبت إلا
حفظته ، ولا حفظته إلا نفعني » (٣) .

وقال الناظم :

العلم صيدٌ والكتابة قيده * قيد صيودك بالجبال الواقعة
فمن حماقة أن تصيد غزالة * وتتركها بين الخلائق طالقة

وقال الإمام أحمد - رحمه الله - : « مع المحيرة إلى المقبرة » (٤) ،
وقالوا : « الحَيْرُ عطرُ الحَيْرِ » .

وينبغي لطالب العلم أن يراجع ما يكتب ، ويحفظ أحسن ما
يكتب ، ليحدث بأحسن ما يحفظ ، وإلا فالكتابة دون حفظ لا تكفي .

وينبغي لطالب العلم تقييد اللطائف ، والفوائد ، والشوارد ،
والإضافات ، والتحقيقات ، والشروحات ، ويكون لها تبويهاً معلوماً
عنده ، ليتمكن من الاستفادة منها دون عناء .



(١) جامع بيان العلم وفضله : ٣٢١/١ ، رقم ٤١٧ .

(٢) المصدر السابق : ٣١٤/١ ، رقم ٤٠٧ .

(٣) المصدر السابق : ٣٢٦/١ ، رقم ٤٢٦ .

(٤) المصدر السابق : ٣٣٥/١ ، رقم ٤٤٧ .

المبحث الرابع : (تطبيق عملي) ، (تحليل مطالب العلم) .

المطلب الأول : أوصاف علماء السنة الذين يؤخذ عنهم العلم .

ينبغي لطالب العلم أن يجتهد في البحث عمّن يأخذ عنه دينه ، ذلك أنّ الكتب لا تغني عن العالم الربّاني شيئاً ، وأن علماء البدعة والأهواء يُفسِدون ولا يُصلِحون ، فينبغي للمتعلم أن لا يألو جهداً في البحث عمّن تنطبق عليه هذه الأوصاف أو أغلبها ، فإن لم يجد فليبحث عن الذي أدنى منه منزلة وهكذا يتدرّج تنزلاً ، في البحث والتحري عن أفضل الموجود :

١ . أقرب الناس سمناً وهدياً ودلاً بالنبي ﷺ :

روى البخاري عن عبد الرحمن بن يزيد قال : « سألنا حذيفة عن رجل قريب السمّت والهدى من النبي ﷺ حتى نأخذ عنه ، فقال : ما أعرف أحداً أقرب سمناً وهدياً ودلاً بالنبي ﷺ من ابن أم عبد » (١) . وفي رواية قال حذيفة : « إن أشبه الناس دلاً وسمناً وهدياً برسول الله ﷺ لابن أم عبد من حين يخرج من بينه إلى أن يرجع إليه ، لا ندري ما يصنع في أهله إذا خلا » (٢) .

(١) البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب مناقب عبد الله بن مسعود : ١٣٧٣/٥ ، رقم ٣٥٥١ .

(٢) البخاري : كتاب الأدب : باب في الهدى الصالح : ٢٢٦٢/٥ ، رقم ٥٧٤٦ .

والسمت : القصد والسكينة والوقار وحسن الهيئة والمنظر في الدين ، وهيئة أهل الخير ، وتأتي بمعنى الطريق ، أي طريقة أهل الإسلام ، ومعنى اتباع الحق والهدى .

=

ومن هذا يتضح اهتمام السلف بمن يأخذون عنه العلم ، وأن يكون أقرب الناس سيرة وهيئة وحديثاً وعبادة برسول الله ﷺ .

فقد روى الخطيب عن إبراهيم قال : « كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه ، نظروا إلى سمته وإلى صلاته ، وإلى حاله ، ثم يأخذوا عنه » (١) .
فحريُّ بالمتعلم أن يسلك مسلكهم .

٣ . سلامة العقيدة واستقامة الطريقة :

أن يكون سنياً ، سلفياً : معتقداً ومنهجياً وطريقة ، سالماً من البدعة .
وفي هذا يقول الخطيب - رحمه الله - : « هذا كله بعد استقامة الطريقة ، وثبوت العدالة ، والسلامة من البدعة ، فأما من لم يكن على هذه الصفة ، فيجب العدول عنه ، واجتناب السماع منه » (٢) .

والهذي : السيرة ، والطريقة ، والمهبة ، انظر : النهاية في غريب الحديث : ٢٥٣/٦ ، قال : واهدوا هدي عمار ، أي سيروا بسيرته ، وتهاوأوا بهيئته ، وفي مختار الصحاح : ص ٢٨٩ : ما أحسن هديته أي سيرته ، ويُقال : هدى هدى فلان أي سيرته ، وقال ابن فارس : التقدّم للإرشاد : ٤٢/٦ .

والدال : حُسن الحديث ، والمزح عند الأهل . انظر : اللسان : ٤٦/٢ .

والكلمات الثلاث تكاد تحمل معنى واحداً ، قال صاحب النهاية في غريب الحديث : « وقد تكرر ذكر الدال في الحديث ، وهو والمهدي والسمت عبارة عن الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار ، وحُسن السيرة والطريقة واستقامة المنظر والمهبة » : ١٣١/٢ .

لذلك بدأت كل كلمة بأبرز معنى تتميز به عن رفيقاتها ، وذلك من مجموع ما اطلعت عليه من كتب اللغة والغريب .

(١) الجامع لأخلاق الراوي : ١٩٣/١ ، رقم ١٣٦ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : ١٩٢/١ ، رقم ١٣٣ .

وقال - رحمه الله - : « وما شيء أضعف من عالم ترك الناسُ علمه لفساد طريقته ، وجاهلٍ أخذ الناسُ بجهله لنظرهم إلى عبادته » (١) .

٣. ثبوت العدالة والضبط :

قال طاووس : « إِنْ كَانَ صَاحِبُكَ مَلِيًّا فَخُذْ عَنْهُ » (٢) . قال النووي : « يعني : ثقة ، ضابطاً ، متقناً ، يوثق بدينه ومعرفته ، ويُعتمد عليه ، كما يُعتمد على معاملة المولى بالمال ثقة بدمته » (٣) .

٤. ربانياً :

عن أبي رزين في قوله تعالى : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ [آل عمران / ٧٩] ، قال : فقهاء ، علماء . وسئل ابن الأعرابي عن (رباني) فقال : إذا كان الرجل عالماً عاملاً معلماً ، قيل هذا رباني ، فإن حرم عن خصلةٍ منها لم يُقل له رباني » (٤) .

وروى البخاري عن ابن عباس : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ : « حلماة فقهاء ، ويقال : الرباني الذي يُربي الناس بصغار العلم قبل كباره » (٥) .

ومن أهم صفات الرباني : أن يكون عاملاً بعلمه ، قال ﷺ : « لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : وَذَكَرَ مِنْهَا : وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ » (٦) .

(١) اقتضاء العلم بالعمل : ص ١٤ .

(٢) صحيح مسلم : المقدمة : ص ١٥ . قال في الشرح : انفرد به مسلم ، تحفة الأشراف : رقم ١٨٨٢٦ ، انظر : النووي على مسلم : ٤٤/١ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم : ٤٤/١ .

(٤) الفقيه والمتفقه : ١٨٥/١ .

(٥) البخاري تعليقا : كتاب العلم : باب العلم قبل القول والعمل : ٣٧/١ .

(٦) صحيح سنن الترمذي : ٢٩٠/٢ ، رقم ٢٥٤٥/١٩٧٠ .

وقال **ﷺ** : « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ . فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى ، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ : يَا فُلَانُ مَا لَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتَيْتِهِ » (١) .

وفي البخاري : « يَجَاءُ بِرَجُلٍ فَيَطْرَحُ فِي النَّارِ ، فَيَطْحَنُ فِيهَا كَطْحَنِ الْحِمَارِ بِرَحَاهُ ، فَيَطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ : أَيُّ فُلَانٍ ، أَلَسْنَا كُنْتُ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : إِنِّي كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا أَفْعَلُهُ ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَفْعَلُهُ » (٢) .

ومن صفات العالم الرباني : خشية الله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٣) .

قال الشعبي : « إِنَّمَا الْعَالِمُ مِنْ خَافِ اللَّهِ **ﷻ** » (٤) .

وقال مسروق : بحسب المرء من العلم أن يخشى الله ، وبحسبه جهلاً أن يُعجب بعلمه » (٥) .

(١) مسلم : الزهد والرقائق : باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله : ٢٢٩٠/٤ ، رقم ٢٩٨٩ .

(٢) البخاري : الفتن : باب الفتنة التي تموج كموج البحر : ٢٦٠٠/٦ ، رقم ٦٦٨٥ .
اندلقت أقتاب بطنه : إذا خرجت أمعاؤه . وناقاة دُلِقَتْ : شديدة الدفعة : معجم مقاييس اللغة : مادة دلِق : ٢٩٧/٢ .

(٣) فاطر : الآية (٢٨) .

(٤) جامع بيان العلم وفضله : ص ٥٣٨ .

(٥) العلم لأبي عبيدة : قال الألباني : إسناده صحيح عن مسروق ، وهو ابن الأجدع تابعي فقيه عابد ، مات سنة (٦٢) ، ص ١٤ ، رقم ٤٦ .

ومن صفاته : إحسان العمل ، عن أبي العالية قال : « كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا الرَّجُلَ لِنَأْخُذَ عَنْهُ نَظَرْنَا إِلَى صَلَاتِهِ ، فَإِذَا أَحْسَنَ الصَّلَاةَ أَخَذْنَا عَنْهُ ، وَإِنْ أَسَاءَ الصَّلَاةَ لَمْ نَأْخُذْ عَنْهُ » (١) .

مشتهراً بديانته . قال الخطيب : « يَنْبَغِي لِلْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَقْصِدَ مِنَ الْفُقَهَاءِ مَنْ اشتهر بالديانة ، وعُرف بالستر والصيانة » (٢) .

وقال محمد بن المنكدر : « إِنَّ الْعَالِمَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ » (٣) .

٥. أن يكون ممن رباه العلماء وأخذ عنهم مع طول صحبة ولازمة لهم :

عن سليمان بن موسى القرشي الأموي قال : « لا تَقْرَؤُوا الْقُرْآنَ عَلَى الْمُصْحَفِيِّينَ ، وَلَا تَأْخُذُوا الْعِلْمَ مِنَ الصُّحُفِيِّينَ » (٤) .

وقال الخطيب : « وَيَكُونُ قَدْ أَخَذَ فَقْهَهُ مِنْ أَفْوَاهِ الْعُلَمَاءِ لَا مِنَ الصُّحُفِ » (٥) .

وقال ابن جماعة : « وَهُوَ مِنْ يُوَثِّقُ بِهِ مِنْ مَشَايخِ عَصْرِهِ كَثْرَةَ بَحْثِ وَطُولِ اجْتِمَاعِ لَا يَمُنُّ أَخْذَ عَنْ بَطُونِ الْأَوْرَاقِ وَلَمْ يُعْرِفْ بِصُحْبَةِ الْمَشَايخِ الْحُذَّاقِ » (٦) .

(١) المحدث الفاضل : ص ٤٠٩ ، رقم ٤٣٠ ، والخطيب في الكفاية : ص ١٥٧ .

(٢) الفقيه والمتفقه : ١٩١/٢ .

(٣) المصدر السابق : ١٠٨٨/٢ ، وصحح إسناده المحقق .

(٤) الفقيه والمتفقه : ١٩٣/٢ ، رقم ٨٤٨ ، وصحح المحقق إسناده .

(٥) المصدر السابق : ١٩٣/٢ .

(٦) تذكرة السامع : ص ١٣٥ .

وقال الشاطبي : « وقد قالوا : إن العلم كان في صدور الرجال ، ثم انتقل إلى الكتب ، وصارت مفاتيحه بأيدي الرجال ، وهذا الكلام يقضي بأن لا بد في تحصيله من الرجال ؛ فإذا تقرّر هذا ؛ فلا يؤخذ إلا ممن تحقق به ، وللعالم المتحقق بالعلم أمارات وعلامات ثلاث : إحداها العمل بما علم ، فإن كان مخالفاً له ؛ فليس بأهل أن يؤخذ عنه ، ولا أن يقتدى به في علم .

والثانية : أن يكون ممن ربّاه الشيوخ في ذلك العلم لأخذه عنهم وملازمته لهم ، فهو الجدير بأن يتّصف بما اتصفوا به من ذلك ، وهكذا كان شأن السلف الصالح .

والثالثة : الإقتداء بمن أخذ عنه ، والتأدب بأدبه ، كما علمت من إقتداء الصحابة بالنبي ﷺ وإقتداء التابعين بالصحابة وهكذا في كل قرن . فلما ترك هذا الوصف ؛ رفعت البدع رؤوسها لأن ترك الإقتداء دليل على أمرٍ حدث عند التارك ؛ أصله اتباع الهوى « (١) .

٦. اتباع الكتاب والسنة وإجماع الأمة :

قال أبو محمد ؛ الحسن بن عليّ البربهاري (ت ٣٢٩ هـ) : « واعلم رحمك الله أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب ، وإنما العالم من اتبع العلم والسنن ، وإن كان قليل العلم والكتب ، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة وإن كان كثير العلم والكتب « (٢) .

(١) الموافقات : ١٤٠/١ - ١٤٥ باختصار ؛ فليراجع من أراد التوسّع ، وكذلك في باب الاجتهاد : الموافقات : ٢٦٢/٥ .

(٢) شرح السنة للبربهاري : ص ١٠٤ ، رقم ١٠٣ .

وروى اللالكائي عن أبي بكر بن عيَّاش : قال له رجلٌ : من السنِّي ؟ قال : الذي إذا ذُكِرَتُ الأهواء لم يتعصَّبَ لشيءٍ منها « (١) .
وقال : « علامة أهل البدع ؛ الرقعة في أهل الأثر » (٢) .

وقال البربهاري : « وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى ، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح ؛ فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله » (٣) .

وقال الطحاوي : « ولا ندعو عليهم ، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة » (٤) .

وعن عمرو بن سفيان البِكَالِي قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كانت عليكم أمراء يأمرونكم بالصلاة والزكاة ، حلت لكم الصلاة خلفهم ، وحرم عليكم سبهم » (٥) .

وقال عمر رضي الله عنه : « إياكم وأصحاب الرأي ، فإنهم أعداء السنن ، أعتيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا » (٦) .

وقال أبو بكر بن أبي داود : « أهل الرأي هم أهل البدع » (٧) ،

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي : ٥٣/١ .

(٢) المصدر السابق : ١٧٩/١ .

(٣) شرح السنة للبرهاري : ص ١٣٦ .

(٤) الطحاوية ، بتعليق الألباني : ص ٤٧ ، ٤٨ ، وقال : ذلك خاص بالمسلمين منهم .

(٥) معرفة الصحابة ، لأبي نعيم : ٢٠٢٧/٤ ، رقم ٥٠٩٣ .

(٦) جامع بيان العلم وفضله : ١٠٤٢/٢ ، رقم ٢٠٠٤ ، وصححه المحقق .

(٧) المصدر السابق : ١٠٤٢/٢ ، ملحق برقم ٢٠٠٥ .

وقال سفيان بن عيينة : « العالم : الذي يُعطي كُلَّ حديثٍ حقّه » (١) ،
 أي في شرحه متناً وسنداً ، وبيان جودته وحُسْنِه من ضعفه مع بيان
 علله ، فقد كان غسان الرازي الطيالسي - (لقبه زُنيج) - « إذا مرَّ
 بالحديث في إسناده شيء ، قال هذا فيه عهدة » (٢) .

وقال أبو القاسم الجنيد بن محمد البغدادي : « عَلِمْنَا مضبوطاً
 بالكتاب والسنة ، ومن لم يحفظ الكتاب والسنة ويكتب الحديث ولم
 يتفقه ؛ لا يُقتدى به » (٣) .

وتما يميّز علماء السنة عن غيرهم كون الغالب على حديثهم الكتاب
 والسنة وأقوال الصحابة وأعمالهم ، وأن يكون كلامه بقدر ما يوضّح
 للناس معاني النصوص ويفهمهم إيّاها ويستنبط منها ويستدل بها .

٧. التواضع والرفق بالمتعلّم :

قال الخطيب : « ويكون قد وسم نفسه بأداب العلم من استعمال
 الصبر والحلم والتواضع للطالبين ، والرفق بالمتعلّمين ، ولين الجانب
 ومداراة الصاحب ، وقول الحقّ والنصيحة للخلق وغير ذلك من
 الأوصاف الحميدة والنعوت الجميلة » (٤) .

وقال ابن جماعة : « إذا كان للشيخ من التقوى نصيبٌ وافر وعلى
 شفقتة ونصحته للطلبة دليل ظاهر ، وكذلك المصنّفات ، وجدت

(١) صحيح جامع بيان العلم : ص ٣٠٠ ، رقم ١٠٤٧ .

(٢) الجامع لأخلاق الرواي : ١٩٢/١ ، رقم ١٣٤ .

(٣) تاريخ بغداد : ٢٤١/٧ - ٢٤٩ .

(٤) الفقيه والمتفقه : ١٩٢/٢ .

الانتفاع بتصنيف الأتقي الأزهد أوفر ، والفلاح بالاشتغال به أكثر « (١) .
والعالم أحقّ بالتواضع من غيره .

وعن الزهري قال : « كان عروة يتألف الناس على حديثه » (٢) .
وعن الأعمش عن إبراهيم قال : « كانوا يكرهون أن يُظهر الرجلُ
ما عنده » (٣) .

روى أبو خيثمة قال : « كان النبي ﷺ يكره أن يوطأ عقبه ، ولكن
عن يمين وشمال » (٤) .

وعند ابن ماجه : « مَا رَأَيْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ يَأْكُلُ مُتَكِعًا قَطُّ ، وَلَا
يَطَّأُ عَقْبَيْهِ رَجُلَانِ » (٥) . وعنده أيضاً : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا مَشَى
مَشَى أَصْحَابُهُ أَمَامَهُ وَتَرَكُوا ظَهْرَهُ لِلْمَلَائِكَةِ » (٦) .

وعن الهيثم ، عن عاصم بن ضمرة : « أنه رأى أناساً يتبعون سعيد بن
جبير فنهاهم وقال : « إِنَّ صَنِيعَكُمْ هَذَا مَذَلَّةٌ لِلتَّابِعِ ، وَفِتْنَةٌ لِلْمَتَّبِعِ » (٧) .

-
- (١) تذكرة السامع والمتكلم : ص ١٣٥ .
 - (٢) العلم لأبي خيثمة : ص ١٣ .
 - (٣) المصدر السابق : ص ١٣ .
 - (٤) العلم لأبي خيثمة : ص ٢٥ ، رقم ١٠١ ، وقال الألباني : حديث صحيح ،
وإسناده مرسل ، لكن وصله الحاكم من طريق أمية بن خالد : ٢٧٩/٤ ، ٢٨٠ .
 - (٥) سنن ابن ماجه : انظر : صحيح سنن ابن ماجه للألباني : باب من كره أن يوطأ
عقبه : ٤٧/١ ، رقم ١٩٩ ، ٢٠٠ .
 - (٦) سنن ابن ماجه : انظر : صحيح سنن ابن ماجه للألباني : باب من كره أن يوطأ
عقبه : ٤٧/١ ، رقم ١٩٩ ، ٢٠٠ .
 - (٧) العلم لأبي خيثمة : ص ٣٠ ، رقم ١٢٣ ، قال الألباني : هو الهيثم بن حبيب : أبي
الهيثم الصيرفي ، وهو ثقة ، وكذلك سائر الرواة .

٨. أن يكون من الأكابر :

قال ﷺ : « البركة مع أكابركم » ^(١) .

وعن ابن مسعود قال : « لا يزال الناس صالحين ، متماسكين ما اتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابريهم ، فإذا اتاهم من أصاغريهم هلكوا » ^(٢) .

وعن أبي أمية الجمحي ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن من أشراط الساعة ثلاثاً : إحداهن أن يلتبس العلم عند الأصغر . قال نعيم : قيل لابن المبارك : من الأصغر ؟ قال : الذين يقولون برأيهم ، فأما صغير يروي عن كبير فليس بصغير » ^(٣) . وذكر أبو عبيد في تأويل هذا الخبر « عن ابن المبارك أنه كان يذهب بالأصغر إلى أهل البدع ، ولا يذهب إلى السنن ، قال أبو عبيد : وهذا وجهه ، وقال : والذي أراه أنا في الأصغر : أن يُوخذ العلم ممن كان بعد أصحاب رسول الله ﷺ ، فذاك أخذ العلم عن الأصغر » ^(٤) .

وقال عبدا لله : « إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم ، فإذا كان العلم في صغاركم سفّه الصغير الكبير » ^(٥) .

(١) جامع بيان العلم وفضله : ٦١٣/١ ، رقم ١٠٥٣ ، وصححه المحقق ، وقال :

أخرجه ابن جبان (٩٥٥) ، والحاكم : ٦٢/١ ، وقال الحاكم : على شرط البخاري ، ولم يخرجاه ، ووافقه النهي ، ثم قال : وهو كما قال .

(٢) الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله موثوقون ، انظر : مجمع الزوائد : ١٣٥/١ .

(٣) جامع بيان العلم : ٦١٢/١ ، رقم ١٠٥٢ ، حسنه المحقق ، وقد علق عليه هناك ، وأورد له شواهد .

(٤) جامع بيان العلم : ٦١٢/١ ، تابع لرقم ١٠٥٢ .

(٥) المصدر السابق : ص ٦١٦ ، رقم ١٠٥٩ .

قال ابن عبد البر: « واستشهد بعضهم بأن عبدا لله بن عباس - رضي الله عنهما - كان يُستفتى وهو صغير ، وأن معاذ بن جبل وعتاب بن أسيد كانا يفتيان وهما صغيرا السن ، وولاهما رسول الله ﷺ الولايات مع صغر أسنانهما ، ومثل هذا في العلماء كثير » (١) .

وعن الزهري قال : « كان مجلس عمر مفتصاً من القراء شباباً وكهولاً ، فرمما استشارهم ، ويقول : لا يمنع أحدكم حداثة سنّه أن يشير برأيه ، فإنّ العلم ليس على حداثة السنّ وقدمه ، ولكن الله يضعه حيث يشاء » (٢) .

وقال عمر بن الخطاب ﷺ : « قد علمت متى صلاح الناس ومتى فسادهم : إذا جاء الفقه من قبل الصغير استعصى عليه الكبير ، وإذا جاء الفقه من قبل الكبير تابعه الصغير فاهتديا » (٣) .

أي أنّ الكبير يأنف من الأخذ عن الصغير .

وروى الخطيب بسنده إلى عبدا لله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، قال : « سألت عن قوله : لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم : يريد : لا يزال الناس بخير ما كان علماءهم المشايخ ، ولم يكن علماءهم الأحداث ، لأن الشيخ قد زالت عنه ميعة الشباب ، وجدته ، وعجلته ، وسفهته ، واستصحب التجربة والخبرة فلا يدخل عليه في علمه الشبه ، ولا يغلب عليه الهوى ، ولا يميل به الطمع ، ولا

(١) المصدر السابق : ص ٦١٨ ، رقم ١٠٦٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ٦١٩ ، رقم ١٠٧٠ . وصحّ إسناده المحقق .

(٣) المصدر السابق : ص ٦١٥ ، رقم ١٠٥٥ .

يستزله الشيطان استزلالَ الحدّث . ومع السنّ الرقارُ ، والجلالةُ والهيبةُ ، والحدّث قد يدخل عليه هذه الأمور التي أمنت على الشيخ ، فإذا دخلت عليه وأفتى هلك وأهلك « (١) .

والعلم في الكبار غالباً . ذلك أنّ الكبير قد حفظ العلم في العادة صغيراً ، واستزاد منه وفهمه شباباً ، وذاكره وذاكر به ، مع طول صحبة وملازمة وثني للركب عند العلماء ، فقد قضى حياته في العلم والتعليم ، فأصبح ذا خبرة وممارسة وذوقٍ علمي ومملكة ورسوخ قدم في العلم ، وطول عهدٍ بالمسائل وتحريرها ومعرفة منازعها ومآخذها .

واكتسب قوّة في النظر والاستدلال وممارسة الفتوى .

قال الحافظ أبي الفداء ابن كثير عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ اأَشْتَهُ وَبَلَغَ اأَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ (٢) . قال : « قوي وشبّ وارتجل ، ﴿ وَبَلَغَ اأَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ . أي تنهى عقله وكمل فهمه وحلمه ، ويقال : إنه لا يتغيّر غالباً عما يكون عليه ابن الأربعين « (٣) ، حتى إذا كملت خبراته وتراكت تجاربه ، جُلس إليه ، وهذه القاعدة استثناءات من النجباء النوادِر الذين رزقهم الله ذكاءً خارقاً ، وفهماً ثاقباً ، وتوجيهاً صحيحاً ، وتوفيقاً لتحصيل العلم النافع من قريب ، من أمثال عبد الله ابن عباس ، ومعاذ بن جبل ، وغيرهم كثير من علماء الأمة الذين حفظ الله بهم الدين .

(١) الفقيه والمتفقه : ١٥٦/٢ ، رقم ٧٧٧ .

(٢) الأحقاف : الآية (١٥) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء بن كثير : ١٦٩/٤ - ١٧٠ .

٩. الأعلام والأورع ، والأتقن والأحفظ ، مع الشهرة وعلو الإسناد :

قال الزرنوجي : « فينبغي أن يختار الأعلام ، والأورع ، والأسنَّ » (١) .

وقال ابن جماعة : « ولا يرغب الطالب في زيادة العلم مع نقصٍ في ورعٍ أو دينٍ أو عدم خلقٍ جميل » (٢) .

وقال يحيى بن معين : « آلة الحديث : الصدق ، والشهرة ، والطلب ، وترك البدع ، واجتناب الكبائر » (٣) .

وقال الخطيب : « تَمَنِّ علَا إسنادِه ، المشهور بطلب الحديث ، المشار إليه بالإتقان له ، والمعرفة به ، والأحفظ » (٤) .

وعن ابن أبي الزناد عن أبيه : قال : « أدركتُ بالمدينة مائة كلهم مأمون ، ما يؤخذ عنهم الحديث ، يقال : ليس من أهله » (٥) .

١٠. متدرجاً في تعليمه :

والأصل في التدرج وتقديم الأهم هو حديث معاذ إلى اليمن ، وكذلك التدرج في التشريع ، قال الشاطبي - رحمه الله - في وجوب التدرج بالمتعلم : « فلا يصح للعالم في التربية العلمية ، إلا المحافظة على هذه المعاني ، وإلا لم يكن مربياً ، واحتاج هو إلى عالم في التربية » (٦) .

(١) تعليم المتعلم : ص ١٤ .

(٢) تذكرة السامع والمتكلم : ص ١٣٣ .

(٣) المحدث الفاضل : ص ٤٠٦ ، ٤٢٤ ، والخطيب في الكفاية ، ص ١٠١ .

(٤) الجامع لأحلاق الرأوي وآداب السامع : ١٨٩/١ .

(٥) تذكرة السامع والمتكلم ، لابن جماعة : ص ١٣٣ .

(٦) الموافقات : ١٢٤/١ .

وقال - رحمه الله - : « أو ذكر كبار المسائل لمن لا يحتمل عقله إلا صغارها على ضد التربية المشروعة . فمثل هذا يوقع في مصائب » (١) .

١١ . العالم الذي ينتقى الحديث انتقاءً ، ولا يحدث بكل ما سمع ، ولا يحدث بالغاز ، ولا يتتبع الغرائب ،

قال ﷺ : « كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » (٢) .

وعن عبد الله بن عباس قال : « إِنَّمَا كُنَّا نَحْفَظُ الْحَدِيثَ ، وَالْحَدِيثُ يُحْفَظُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَأَمَّا إِذْ رَكِبْتُمْ كُلَّ صَعْبٍ وَذُلُولٍ فَهَيْهَاتَ » (٣) . أي بعد أن نثق بحديثكم .

وقال مالك : « اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ يَسْلَمُ رَجُلٌ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ، وَلَا يَكُونُ إِمَامًا أَبَدًا ، وَهُوَ يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » (٤) .

وقال عبدالرحمن بن مهدي : « لَا يَكُونُ الرَّجُلُ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ حَتَّى يُمْسِكَ عَنْ بَعْضِ مَا سَمِعَ » (٥) . بل كان بعض السلف ينبه الناس ويحذروهم من الأخذ عمّن به حارم ، ويُعلن ذلك إعلانًا على رؤوس الأشهاد .

فقد روى الإمام مسلم في المقلّمة أن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ قَالَ عَلَي رُؤُوسِ النَّاسِ : دَعُوا حَدِيثَ عَمْرٍو بْنِ ثَابِتٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَسُبُّ السَّلْفَ » (٦) .

(١) الموافقات : ١٢٣/١ .

(٢) مقدّمة مسلم : ١٠/١ ، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع : رقم ٥/٥ .

(٣) مقدّمة مسلم : ١٣/١ ، رقم ٥/٧/٧ .

(٤) مقدّمة مسلم : ١١/١ ، رقم ٤/٥/٥ .

(٥) مقدّمة مسلم : ١١/١ ، رقم ٦/٥/٥ .

(٦) مقدّمة مسلم : ١٦/١ .

وقال عبدالرحمن بن مهدي : « لا يكون إماماً في العلم من أخذ بالشاذ من العلم ، ولا يكون إماماً في العلم من روى عن كلِّ أحد ، ولا يكون إماماً في العلم من روى كلِّ ما سمع » (١) .

وقال ابن عبدالبرّ : « وكان يقال : العالم النليل الذي يكتب أحسن ما يسمع ، ويحفظ أحسن ما يكتب ، ويحدّث بأحسن ما يحفظ » (٢) .

١٣- إغشائه للعلم في المساجد وغيرها علانية إلا لعارض :

فقد روى الإمام البخاري تعليقا أن عمرُ بنُ عبد العزيز « كتب إلى أبي بكر بن حزم : انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ ، فأكتبه ، فأبني خفتُ دُرُوسَ العِلْمِ وذَهَابَ العُلَمَاءِ ، وَلَا تَقْبَلْ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلْتَفَشُوا العِلْمَ ، وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعْلَمَ مَنْ لَا يُعْلَمُ ، فَإِنَّ العِلْمَ لَا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا » (٣) .

وعن الحسن قال : « جاء أعرابي إلى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ! علّمني الدين ، فقال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتحج البيت ، وتصوم رمضان ، وعليك بالعلانية ، وإياك والسرّ وكل ما يستحي منه ... » (٤) .

(١) جامع بيان العلم : ٨٢٠/٢ ، رقم ١٥٣٩ ، وصحح إسناده المحقق ، وانظر كذلك : ١٥٣٠ - ١٥٣٢ .

(٢) صحيح جامع بيان العلم : ص ١٢٢ ، رقم ٣٩٨ .

(٣) البخاري تعليقا : كتاب العلم : باب كيف يقبض العلم : ٤٩/١ .

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٢٠٣/١ ، رقم ٣٣٤ .

وقال ﷺ : « لا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ » (١) . وقد بَوَّبَ البخاريُّ على ذلك بقوله : « بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ يَقَاتِلُونَ . وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ » .

فذكر أنهم أهل العلم ، وقال الحافظ في شرحه لهذه الكلمة : « أي على من خالفهم ، أي غالبون ، أو المراد بالظهور أنهم غير مستترين ، بل مشهورون ، والأول أولى » (٢) .

والمعنى عام في الظهور بمعنى : البروز والشهرة والغلبة على الأعداء ، وذلك حتى تتم الشهادة على الناس ، وتقوم الحجّة عليهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٣) .

وقال السفاريني فيما ينبغي للعالم : « وترك الحجاب ؛ بل يكون بابه للشريف والرضيع ، ولذا قيل : إذا مُنِعَ العلمُ عن العامة لم تنتفع به الخاصة » (٤) .

وكتب عمر بن عبدالعزيز فقال : « أما بعد ، فأمر أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم ، فإنَّ السنة كانت قد أميتت » (٥) .

(١) البخاريّ : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب قول النبي ﷺ : « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ » : ٢٦٦٧/٦ ، رقم ٦٨٨١ .

(٢) فتح الباري ، للحافظ ابن حجر : ٣٠٧/١٣ عند شرح قوله : « وهم ظاهرون » .

(٣) البقرة : الآية (١٤٣) .

(٤) غذاء الألباب ، شرح منظومة الآداب : ٤٨/١ في مطلب : يراد للعالم عشرة أشياء .

(٥) المحذّث الفاضل : في عقد المجالس في المساجد : ص ٦٠٣ ، رقم ٨٧٣ ، وقال : أخرج البخاريّ نحوه تعليقاً ، انظر : فتح الباري : ٢٠٤/١ .

أوصاف من تؤخذ عنه الفتوى :

للعالم المفتي أوصاف زائدة على ما سبق من أوصاف علماء السنة الذين يُعلّمون العلم : قال الإمام الشافعي : « لا يحل لأحدٍ يُفتي في دين الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله : بناسخه ومنسوخه ، وبمحكمه ومتشابهه ، وتأويله وتنزيله ، ومكيّه ومدنيّه ، وما أُريد به ، وفيما أنزل ، ثمّ يكونُ بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله ﷺ ، وبالناسخ والمنسوخ ، ويعرفُ من الحديث مثل ما عرّفَ من القرآن ، ويكون بصيراً باللّغة ، بصيراً بالشُّعر ، وما يحتاجُ إليه للعلم والقرآن ، ويستعملُ مع هذا الإنصاف ، وقلة الكلام ، ويكونُ بعد هذا مُشرفاً على اختلاف أهل الأمصار ، ويكون له قريحة بعد هذا .

فإذا كان هذا هكذا ، فله أن يتكلّم ويُفتي في الحلال والحرام ، وإذا لم يكن هكذا فله أن يتكلّم في العلم ولا يُفتي » (١) .

وقال الإمام أحمد : « ينبغي للرجل إذا حمل نفسه على الفتيا أن يكون عالماً بالسنن ، عالماً بوجوه القرآن ، عالماً بالأسانيد الصحيحة ، وإنما جاء خلاف من خالف لقلّة معرفتهم بما جاء عن النبي ﷺ في السنة ، وقلة معرفتهم بصحيحها من سقيمها » (٢) .

وسئل ابن المبارك : متى يُفتي الرجلُ ؟ قال : إذا كان عالماً بالأثر ، بصيراً بالرأي » (٣) .

(١) الفقيه والمتفقه ، للخطيب : ٣٣١/٢ - ٣٣٢ ، رقم ١٠٤٨ .

(٢) المصدر السابق : ٣٣٢/٢ ، رقم ١٠٤٩ .

(٣) المصدر السابق : ٣٣٢/٢ ، رقم ١٠٥٠ .

وقال ابن الماجشون : « كانوا يقولون : لا يكون فقيهاً في الحادث من لم يكن عالماً بالماضي » (١) .

وقال عبد الله بن المبارك - في وجوب اعتماد المفتي على الكتاب والسنة ، وآثار السلف - : « ليكن الذي تعتمد عليه الأثر وخُذ من الرأي ما يُفسر لك الحديث » (٢) .

قال الحسن : « الفقيه : الورعُ الزاهد الذي لا يسخر بمن أسفل منه ، ولا يهزم من فوقه ، ولا يأخذُ على علمِ علمه الله طعاماً » (٣) .

وعن عليّ بن أبي طالب أنه قال : « ألا أنبئكم بالفقيه حقّ الفقيه ؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يرخص لهم في معاصي الله ، ولم يؤمنهم مكر الله ، ولم يترك القرآن إلى غيره ، ولا خير في عبادة ليس فيها تفقه ، ولا خير في فقه ليس فيه تفهّم ، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبّر » (٤) .

وقد أورد الخطيب جملة من الأوصاف في باب ذكر شروط من يصلح للفتوى ، قال :

« أن يكون بالغاً عاقلاً عدلاً ، إذ لم يختلف علماء المسلمين في رد فتوى الفاسق وإن كان بصيراً بها ، ثقة ضابطاً عالماً بالأحكام الشرعية وأصولها الأربعة : الأول : العلم بالكتاب ، على الوجه الذي تصحّ به

(١) صحيح جامع بيان العلم وفضله : ص ٣٠٠ ، رقم ١٠٥٠ .

(٢) الفقيه والمتفقه : ٣٤٦/٢ ، رقم ١٠٧٣ .

(٣) الفقيه والمتفقه : ٣٤١/٢ ، رقم ١٠٦٧ .

(٤) الفقيه والمتفقه : ٣٣٩/٢ ، رقم ١٠٦١ .

معرفة ما تضمنته من الأحكام ، محكمًا ومتشابهًا ، وعمومًا وخصوصًا ،
 ومجملاً ومفسرًا ، وناسخًا ومنسوخًا ، والثاني : العلم بالسنة دراية
 ورواية ، والثالث : العلم بأقوال السلف فيما أجمعوا عليه ، واختلفوا
 فيه ، ليتبع الإجماع في فتواه ، ويجتهد برأيه فيما اختلفوا فيه ، والرابع :
 العلم بالقياس الموجب لردّ الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوق
 بها والمُجمَع عليها ، حتى يجد المفتي طريقًا إلى العلم بأحكام النوازل ،
 وتمييز الحق من الباطل .

فهذا لا يجوز للمفتي الإخلال بشيء منه .

ثم قال - ما ملخصه - : « وينبغي أن يكون قوي الاستنباط
 والملاحظة والفهم ، رصين الفكر ، صحيح الاعتبار ، صاحب أناة
 وتؤدة وثبت ، بصيرًا بما فيه المصلحة ، مستوفيًا بالمشاورة ، حافظًا
 لدينه ، مشفقًا على أهل ملته . مواظبًا على مروءته ، مستطيبًا لمأكله ،
 متورعًا عن الشبهات وفساد التأويلات ، صليبيًا في الحق ، دائم
 الاشتغال بمعادن الفتوى وطرق الاجتهاد ، لم تغلب عليه الغفلة أو
 يعتوره السهر ، أو يُعرف بالاختلال ، يجيب بما لا يسئح له ، ويُفتي بما
 يحنى عليه .

واعلم أنّ العلوم كلّها أبازير الفقه ، وليس دون الفقه علم إلا
 وصاحبه يحتاج إلى دون ما يحتاج إليه الفقيه ، لأن الفقيه يحتاج لمعرفة
 طرف من كلّ شيء من أمور الدنيا والآخرة ، وإلى معرفة الجدّ والهزل ،
 والخلاف والضدّ ، والنفع والضّر ، وأمور الناس الجارية بينهم ،
 والعادات المعروفة منهم .

ولن يُدرك ذلك إلا بملاقة الرجال ، والاجتماع مع أهل النحل

والمقالات المختلفة ومساءلتهم ، وكثرة المذاكرة لهم ، وجمع الكتب ودرسها ، ودوام مطالعتها .

والدليل على ذلك أن الله لما أراد إعلام الناس أن ما أتى به النبي ﷺ من قصص وأخبار وسير هو معجز لهم أخبرهم أنه لا يُعرف ﷺ بقاء الرجال ، ودراسة الكتب ، وخطه يمينه ، يُصدّق قوله إنه إخبار له من الله . وأن وجوده خلاف ذلك خرق للعادة « (١) . اهـ ملخصاً .

ثم أورد - رحمه الله - بسنده إلى سفيان بن عُيينة قوله : « ليس أحدٌ أحوَجَ إلى طلب العلم من العالم لأنه ليس الجهلُ بأحدٍ أقبحُ به من العالم » (٢) .

وينبغي للمفتي أن يكون على قدر كبير من الورع والتقوى ، والزهد والتقلُّل من الدنيا ، والخوف من الله ﷻ . وأن تكون فتواه مطّردة ومنتزعة ، لا اضطراب فيها ولا تردد ، فلا يكون له اليوم فتوى في أمرٍ ما ، وغداً له فتوى ، وبعد غدٍ أخرى .

ولا يمنعه ذلك من الرجوع إلى الحق إذا استبان له . ويقع الاضطراب في الغالب من وجهين :

الأوّل : ترك استقصاء الأدلة وجمعها في المسألة الواحدة ، والتأكد من صحتها ، ومن ثم موازنتها ومعرفة إن كان قد دخل النسخ على أحدها ، أو وجد المانع ، أو إن كان في المسألة إجماع ، ثم النظر والتأمل ، وترك الاستعجال والتسرُّع .

(١) الفقيه والمتفقه : ج٢ ، ملخص من ص ٣٣٠ - ٣٣٤ .

(٢) المصدر السابق : ٣٣٦/٢ ، رقم ١٠٥٥ .

الثاني : فهم الحال ، وتحقيق المناط ، وتنزيل الأحكام الشرعية على الوقائع والنوازل ، والتأكد من مدى مطابقة الحكم على النازلة .

وليس عليه حرج أن يقول لما لا يعلم : لا أعلم .

قال الشعبي : « لا أدري ، نصف العلم » (١) .

وقال ابن عجلان : « إذا أخطأ العالم لا أدري أصيبت مقاتله » (٢) .

وأخبر عقبة بن مسلم ، أن ابن عمر سُئل عن شيء فقال : لا أدري ، ثم أتبعها فقال : أتريدون أن تجعلوا ظهورنا لكم جسوراً في جهنم ؛ أن تقولوا أفتانا ابن عمر بهذا » (٣) .

وقد يجملُ بالمفتي تأخير الجواب ، للتأمل والنظر ومراجعة الكتب ، وعليه أن يشاور غيره فيما استشكل عليه ، فهذا الأمر مما تدخل فيه الشورى ، وهي سنة المصطفى ﷺ : قال الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (٤) .

قال أبو هريرة ؓ : « ما رأيت أحداً أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ » (٥) .

وقال الخطيب : « ثم يذكر المسألة لمن بحضرته ممن يصلح لذلك

(١) الفقيه والمتفقه : ٣٦٩/٢ ، رقم ١١١٩ .

(٢) المصدر السابق : ٣٦٦/٢ ، رقم ١١١٣ .

(٣) المصدر السابق : ٣٦٥/٢ ، رقم ١١٠٩ .

(٤) الشورى : الآية (٣٨) .

(٥) الفقيه والمتفقه : ٣٩١/٢ ، رقم ١١٥٣ .

من أهل العلم ، ويشاورهم في الجواب ، ويسأل كل واحدٍ منهم عمّا عنده ، فإنّ في ذلك بركة ، واقتداء بالسلف الصالح ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩] ، وشاور النبي ﷺ في مواضع وأشياء ، وأمر بالمشاورة ، وكانت الصحابة تشاور في الفتوى والأحكام « (١) .

بل من الورع أن يحيل الفتوى ويدفعها إلى من هو أفضل منه فإنّ عدم فإلى مثله .

قال عبدالرحمن بن أبي ليلى : « أدركتُ عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ - قال الراوي : أراه قال في المسجد - فما كان منهم مُحدّث إلا ودَّ أن أخاه كفاه الحديث ، ولا مفتي إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفتيا » (٢) .

وقال البراء : « لقد رأيت ثلاثمائة من أهل بدر ؛ ما منهم من أحدٍ إلا وهو يُحبُّ أن يكفيه صاحبه الفتوى » (٣) .

- ولا يُحبُّ أن يُسأل ، قال بشر بن الحارث : « من أحبَّ أن يُسأل فليس بأهلٍ أن يُسأل » (٤) .

- ولا يكون نهماً وشرهاً في الفتوى ، ولا يجيب على كلّ سؤال ، بل ينبغي أن يكون لديه حكمة وبصيرة وفساسة في السائل ، فإنّ بعض

(١) المصدر السابق : ٣٩٠/٢ ، رقم ١١٥٢ .

(٢) جامع بيان العلم : ١١٢٠/٢ ، رقم ٢١٩٩ .

(٣) الفقيه والمتفقه : ٣٤٩/٢ ، رقم ١٠٧٦ .

(٤) المصدر السابق : ٣٥٣/٢ ، رقم ١٠٨٤ .

الأسئلة تُرادُ لغيرها : كالفتنة ، أو الوقعة ، أو إظهار ما عند السائل من علم ، أو المرء ، أو المجادلة ، فلا يليق بالعالم أن يكون مطية أو أداة لغيره .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « من أفتى الناس في كل ما يسألونه فهو مجنون » ^(١) .

- وأن يُكثِر الصمت ويُقلِّ الكلام ، فقد قال رضي الله عنه : « من صمت نجا » ^(٢) .

وقال أحدُ الحكماء الأوائل : « من اتخذ العلم لجاماً ، اتخذهُ الناسُ إماماً ، ومن عُرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار » ^(٣) ، غير أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز .

ويلزم السائل أن يتحرى في سؤاله الصدق والإحاطة بجميع جوانب المسألة ، وأن لا يُخفي منها ما يؤثر على الفتوى ، وأن يسأل من اشتهر من العلماء بالعلم والدين ، والتقوى والورع ، فقد كثر في هذا الزمان الخطباء ، والوعاظ ، والمشايخ ، وقلَّ العلماء .

وكثيرٌ من الناس يخلط بين هذا وذاك ، وعليه أن يتنبه أنه ليس كلُّ من خطب أو ألقى موعظةً أو درساً أو محاضرة أو تكلم في أمور الدين وكان فصيح اللسان بليغاً ، يقوى على الفتوى .

(١) جامع بيان العلم : ١١٢٤/٢ ، رقم ٢٢٠٨ .

(٢) المصدر السابق : ٥٤٧/١ ، رقم ٩٠٨ .

(٣) المصدر السابق : ٢٤٦/١ ، رقم ٢٨١ .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « إنكم في زمان كثير علماءؤه ، قليل خطبأؤه ، وإن بعدكم زماناً كثير خطبأؤه ، والعلماء فيه قليل » (١) .
ولا أراه إلا زماننا هذا .

وعن أبي عبد الرحمن : أن علياً رضي الله عنه مرّ بقاص ، فقال : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ فقال : لا ، قال : هلكت وأهلكت » (٢) .

وقد حث السلف على أخذ الفتوى من مشاهير العلماء ، فقد قال سفيان الثوري : « خذ الحلال والحرام من المشهورين في العلم ، وما سوى ذلك فمن المشيخة » (٣) .

على أنه ما من عالم إلا وفيه نقص ، ويصيب ويخطئ ، فالعصمة للأتبياء .

روى مالك بن أنس عن سعيد بن المسيّب : « ليس من عالم ولا شريف ، ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ، ذهب نقصه لفضله ، كما أن من غلب عليه نقصانه ذهب فضله » (٤) .

وقال غيره : « لا يسلم العالم من الخطأ ، فمن أخطأ قليلاً وأصاب كثيراً فهو عالم ، ومن أصاب قليلاً وأخطأ كثيراً فهو جاهل » (٥) .

(١) كتاب العلم ، لأبي عبيدة : ص ٢٧ ، رقم ١٠٩ ، قال الألباني : « هذا موقوف صحيح الإسناد ، ورجاله رجال الصحيحين ، غير عبد الله بن يزيد الصهباني ، وهو ثقة ، وله ترجمة في الجرح والتعديل » .

(٢) المصدر السابق : ص ٣١ ، رقم ١٣٠ ، قال الألباني : « إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وأبو عبد الرحمن : هو عبد الله بن حبيب السلمى : تابعي ، مقرأ ، ثقة ثبت » .

(٣) المحذت الفاصل : ص ٤٠٦ ، رقم ٤٢٣ ، والخطيب في الكفاية ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٤) صحيح جامع بيان العلم : ص ٣٠٢ ، رقم ١٠٦٠ .

(٥) المصدر السابق : ص ٣٠٢ ، رقم ١٠٦١ .

تفقد أحوال المفتين وغيرهم من أهل العلم :

إنَّ وجود طائفة من العلماء المشهود لهم بالعلم والتقوى والورع والنصح للأمة تقوم بتفقد أحوال المفتين والعلماء الذين يُعلِّمون النَّاس ويربِّونهم ، والوعاظ وأهل الحسبة وغيرهم ، أمرٌ في غاية الأهميَّة ، لأنَّه قد دخل في هذا الشأن من ليس من أهله .

تقوم هذه الطائفة بوضع الضوابط المناسبة لكل فئة من هذه الفئات ، وفي ضوء ذلك تتم إجازة كلِّ من يستحق الإجازة لممارسة العمل ، ولها دور الرقابة والمتابعة في هذا الشأن ، وكذلك متابعة المصنِّفات الجديدة في العلم الشرعي ، والمجلات والجرائد والدوريات ، وجميع ما يُكتب أو يُسمع أو يُشاهد مما له علاقة بالدين .

قال الخطيب : « ينبغي لإمام المسلمين أن يتصفَّح أحوال المفتين ، فمن كان يصلح للفتوى أقره عليها ، ومن لم يكن من أهلها منعه منها ، وتقدّم إليه بأن لا يتعرّض لها ، وأوعده بالعقوبة إن لم ينته عنها . وقد كان الخلفاء من بني أميَّة ينصبون للفتوى بمكَّة في أيام الموسم قومًا يُعيِّنونهم ، ويأمرون بأن لا يُستفتى غيرهم .

والطريق للإمام إلى معرفة حال من يُريدُ نصبه للفتوى أن يسأل عنه أهل العلم في وقته ، والمشهورين من فقهاء عصره ، ويعوّل على ما يخبرونه من أمره » (١) .

(١) الفقيه والمنفقه : ٣٢٤/٢ - ٣٢٥ ، تابع لرقم ١٠٣٩ ، ورقم ١٠٤٠ من قول الخطيب نفسه .

وروى بسنده إلى عبد الله بن إبراهيم بن عمر بن أبي يزيد الصنعاني عن أبيه قال : « كان يصيح الصائح في الحاج ، لا يُفقي الناس إلا عطاء بن أبي رباح ، فإن لم يكن فعبداً لله بن أبي نجیح » (١) .

ذلك لعظم شأن الفتوى ، فإنها دين ، لذا كان السلف - رضوان الله عليهم - يتورعون فيها أشد الورع ، ولا يقدمون عليها حتى يشهد لهم الثقات .

قال الإمام مالك : « ما أفنيتُ حتى شهد لي سبعون أني أهلٌ لذلك » (٢) .

وقال أيضاً : « ما أجبتُ في الفتوى حتى سألتُ من هو أعلم مني : هل يُراني موضعاً لذلك ؟ سألت ربيعة ، وسألت يحيى بن سعيد ، فأمراني بذلك ، فقلت له : يا أبا عبد الله ! لو نهوك ، قال : كنتُ أنتهي ، لا ينبغي لرجلٍ أن يرى لنفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه » (٣) .



(١) المصدر السابق : ٣٢٥/٢ ، رقم ١٠٤٠ .

(٢) المصدر السابق : ٣٢٥/٢ ، رقم ١٠٤١ .

(٣) المصدر السابق : ٣٢٥/٢ ، رقم ١٠٤٢ .

المطلب الثاني : (خوارم المنهج وموقاته) .

ومن الأمور التي تتسبب في عدم ثبات المتعلم على المنهج ، وانقطاعه ، بل تعدُّ من عوائقه أو خوارمه :

١ - حبُّ الشهرة والتصدُّر للتعليم قبل أوانه ، وظنُّه أنَّ هذا الطريق طويلٌ جدًّا ، ومملٌّ ، في حين أنه لو أنعم النظر فيه لوجده أقصر الطرق ، فقد كان المصطفى ﷺ يلقن أصحابه آيات ذوات عدد ، يبينها لهم حتى يفهمونها ، ويفهمون ما فيها من أحكام شرعية فيعملون بها ، فيكسبون العلم والعمل معًا .

٢ - ومن أسباب عدم الثبات على المنهج عدم معرفة المتعلم به ، وعدم تذكير المعلم به ، وبطبيعته المتدرجة . والتذكير دائماً بذلك مهمٌّ في استمرار المتعلم وثباته وعدم فتور عزيمته أو انقطاعه .

فقد يعتبر المنهج طويلًا ومثبِّطًا له ، وأنه يستطيع الوصول إلى العلم في زمن أقصر وبجهدٍ أقلِّ ، إذ يسمع بعض قرناؤه يتباهون بقراءة المطولات والوصول إلى تفصيلات وجزئيات دقيقة . ولو دقق النظر لعلم أن بضاعتهم مزجاة ، وأنهم قد عرفوا بضع مسائل ولكنهم خلوا من باقي العلوم .

٣ - المراء والجدال بالباطل والخصومات في الدين ، والشحناء ، والمشاجرات ، والمهاترات ، وقالة السوء ، والغيبة والنميمة ، والحسد والكبرياء والعجب ، والتعالي على الناس وازدراءهم ، والغرور ، والردود التي تُعدُّ انتصاراً للنفس ، وليست الردود العلمية الموضوعية التي تُقرُّ حقاً أو تلغى باطلاً .

وكذا الطمع في الدنيا ، والتكثُر من الأموال وتكديسها دون إنفاقها في وجوه الخير ، كل ذلك من غوائل العلم .

٤ - القول على الله بغير علم ، فقد قرنه الله بالشرك ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

لذا يتعيّن على طالب العلم القول والعمل بما علم ، وما لا يعلمه يكله إلى أهله .

٥ - إفناء العُمُر في علوم الآلة ، وهي وسيلة لفهم الكتاب والسنة ، أو إفناء العمر في العلم دون العمل به ، وهذا مخالف لمقاصد العلم والشريعة ، فالعلم هو آلة العمل .

أو التسويف وإضاعة العمر في التردد بين الأمور في طلب العلم ، كالتردد في اختيار متن من المتون أو حفظه أو اختيار أحد الشروح وهكذا ، أو الاستخارة والاستشارة في ذلك التي قد تمتد عدة سنين ، وبالمقابل فإن ترك الاستخارة والاستشارة هو ترك لسنة المصطفى ﷺ ، فلا ينبغي ذلك .

٦ - الاشتغال بعلوم كثيرة من بداية طلب العلم ، فقد يُصاب باليأس ، أو الفوضى ، والانسحاق وراء فروع المسائل فإنها لا تنتهي ، وقد أُلّف في بعض فروع المسائل مجلدات ... وإنما يكون الاشتغال بعلم واحد أو علمين أو ثلاثة ، ولا يزيد ، فمن طلب العلم جملة فاتته جملة .

(١) الأعراف : الآية (٣٣) .

والأصل علم واحد كما فعل النبي ﷺ بأصحابه ، فقد كان يقرئهم القرآن ، ويفسره لهم . قال أبو حيان : « أما صاحب تناتيف ، وينظر في علوم كثيرة فهذا لا يمكن أن يبلغ الإمامة في شيء منها ، وقد قال العقلاء : ازدحام العلوم مضلة للفهوم » .

وأما التوسع قليلاً في علم أو علمين فإن هذا من باب التنويع للتخفيف على النفس ، قال الماوردي : « إن النفوس لترتاح إلى الفنون المختلفة » .

والذي بلغ الإمامة في الدين من الأئمة السابقين لا يكاد يُنسب إلا إلى علم واحد ، ولا يُنسب إلى غيره ؛ فيقال : فلان النحوي ، فلان المحدث ، فلان الفقيه ، ومن النادر أن يُنسب إلى عدة فنون .

٧ - وكذلك تتبع الغرائب وشواذ المسائل والآثار ، أو التخصص من بداية الطلب في علم واحد ، وخاصة علوم الآلة ، أو اختيار المتون المعقدة والروايات ، قال علي بن الحسن : « العلم ما تواطفت عليه الألسن » أي ما اشتهر بين العلماء . والدافع لذلك غالباً طلب الشهرة ، وكما قيل : تحصرم قبل أن يتزيب .

٨ - ومن خوارم المنهج : الخوض في كتب الفلسفة والكلام والمنطق في بداية الطلب ، إذ لا يكون هذا إلا بعد التمكن ، وبقصد معرفة طرقهم وأساليبهم للرد عليها ، ويلحق بها الكتب الفكرية التي لا تعتمد الدليل الشرعي .

٩ - الضجر والملل والتقل بين الفنون والمتون ، فلا يكاد يبدأ في حفظ متن أو فهم شرح إلا وينتقل إلى غيره دون مبرر ، أو من شيخ إلى غيره ، فهذا نهايته الشتات والضياع والانقطاع عن العلم .

كما قال القائل :

يومٌ مجزوى ويومٌ بالعذيب ويومٌ بالخليلصاء

ومن أسباب الانقطاع كذلك : الشعور بالكمال والاكتفاء والتوقف عن الطلب ، فهذا فيه غرور وعُجب وجهل ؛ فينبغي له التواضع واعتقاد أن هناك من هو أفضل منه وأكثر علماً .

فالعلم ليس له وقت محدود ، والتوقف فيه بداية الجهل ، وكما قال الإمام أحمد - رحمه الله - : « مع المحيرة إلى المقيرة » .

١٥ - تسوية ترك الحفظ بـكبر السن أو الاشتغال بالأهل والأولاد ، فإنه يمكن الجمع بين ذلك ، قال الإمام البخاري - رحمه الله - : « وَقَدْ تَعَلَّمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِي كِبَرِ سِنِهِمْ » (١) .

أو الاشتغال بالكتابة عن الحفظ والفهم والتكرار والمراجعة والمدارسة وفقه النصوص .

أو الاشتغال بالحفظ دون الفهم ، أو بالفهم دون الحفظ .

أو أخذ الأحكام الشرعية من كتب النصوص المجردة دون شرح من شيخ أو كتاب ، وذلك من بداية الطلب ، إذ قد يكون النص مقيداً ، أو مخصوصاً ، أو مفسراً ، أو منسوخاً ، فهذا يسبب الشذوذ في كثير من المسائل .

أو أخذ العلم عن متعالم أو مبتدع أو شيخ ليس له منهج صحيح ، فقد يتعمق في شرح جزئية بطريقة موسعة جداً ، ويفرغ في مسائلها وشُعبها ، والتعمق فيها في مرحلة مبتدئة من الطلب هذا بخلاف المنهج الصحيح .

(١) البخاري : كتاب العلم : باب الاغتباط في العلم والحكمة ، انظر : فتح الباري في الكتاب والباب نفسه .

ومن العوائق والمثبطات أن يتوقف الطالب عند جزئية من الجزئيات تستغلق عليه فلا يتجاوزها فتكون سبباً في انقطاعه . فينبغي إذا استغلق عليه شيء في حفظه أو فهمه أن يوجِّله إلى وقت يكون فيه أكثر استعداداً وتهيئاً فإن الإصرار على شيء مع استغلاقه مضيعة للعمر ، وهو أيضاً يورث الملل ، ويؤدي إلى التوقف والانقطاع .

ويُحكى عن الأصمعي أنه اجتمع بالخليل بن أحمد وحرص على فهم علم العروض من الخليل ، فأعياه ذلك ، فقال له الخليل يوماً : قطع لي هذا البيت :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه * وجاوزه إلى ما تستطيع

وكان مقصود الخليل المعنى الذي انطوى عليه البيت .



المطلب الثالث : (مراحل سُلْمِ التَّعَلُّمِ) .

سلك العلماء في تعليمهم طلابهم العلم طريقتين :

الطريقة الأولى : (طريقة المخاربة) .

وفيها تُدرّس العلوم فناً فناً ، ولا يزيد المتعلّم على حفظ آيات ذوات عدد ، أو تفسيرها . أو حديثٍ واحد ، أو بيتٍ واحد ، لا يتجاوز ذلك أبداً .

ويمثلون من يريد أن يُنهي فنين معاً بمن يُريد إخراج التوائم في آنٍ واحد . ولا بُدَّ أن يخرج أحدهما قبل الآخر .

الطريقة الثانية : (طريقة المشاركة) .

يُجمع فيها أكثر من علمٍ في آنٍ واحد . ويُذكر عن النووي - رحمه الله - أنه كان يقرأ تسعة علومٍ معاً ، أو اثني عشر درساً في علومٍ عدّة في اليوم الواحد .

والأولى أثبت وأكد مع الزمن ، وهي موافقة للمنهج النبوي ، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم ؛ يستقرّون عشر آيات لا يتجاوزونها حتى يعرفوا معانيها وأحكامها وحدودها ، وأمرها وزاجرها . فيفهمونها ويطبّقونها ، وهذه هي السُّنة والطريقة .

أما الثانية فهي أسرع ، ولكن نتائجها غير منضبطة ، وهي مخالفة لمنهج النبي صلى الله عليه وآله .

والتمكن من إنهاء عدة فنون مجتمعة تختلف باختلاف الهمة ،
والقدرات ، والمواهب ، والأحوال . لكن التدرُّج والترُّق هو الصحيح
الذي سار عليه الصحابة والسلف - رحمهم الله - .

وقد اجتهدوا - رحمهم الله - في تقرير الطريقة الصحيحة لتعلم
العلوم الشرعية بعدما كثرت ، ودخلت العُجْمَة على اللغة ، والكذب
على النبي ﷺ ، وغير ذلك مما اكتنف علوم الوسائل خاصة ، فتقرر أن
أخذ العلم يتمُّ غالباً على ثلاث مراحل ، لكلِّ مرحلة منهاجها ،
ومقاصدها ، ووسائلها ، وخصائصها ، وضوابطها .

ولو تجاوز المتعلم مرحلة إلى التي تليها حصل له الخلل ، وقد سمّاها
العلماء : « سلّم التعلم » .

أولاً : مرحلة التأسيس :

وتُسمّى مرحلة المختصرات ، أو البدايات ، أو المقدمات . قال
العلماء : من المختصرات ، إلى المتوسطات ، ثمَّ المطولات . وقد صنّف
لها كتب تُسمّى المختصرات ، أو المتون ، أو الكتب المبتدئة ، صنّفت عن
علم وتجربة وممارسة ، لتكون أساسات العلوم ، وقالوا : « المختصرات
مفاتيح العلوم » ، ولكلِّ مرحلة مقاصد ، ووسائل ،
وخصائص ، وضوابط .

مقاصد هذه المرحلة :

الإحاطة بأصول الفنِّ ومسائله الأصلية ، واجتماع معالمه ، وترابط
أولها بآخرها . وذلك بحفظ أصل راجح في كلِّ مسألة .

الوسائل :

حفظ متن مختصر بدليله ، بعد ضبطه على شيخ . ويكون سهلاً خالياً من التعقيد ، مستوعباً لأصول ذلك الفن . ويختار له شرحٌ مجمل ، يقرأه على شيخ . ويجري المسألة بدليلها الراجح ، أو أن الشيخ يبين الراجح دون تفصيل . ويحتفظ بالمتن مع شرحه ، بالإضافة إلى تعليقات شيخه .

الخصائص والضوابط :

الحفظ المتقن للمختصرات ، وتكرارها حتى يثبت الحفظ ، والمراجعة الدائمة ، وضابط هذه المرحلة ترك الالتفات إلى غير المتن المختار ، أو الانتقال عنه دون موجب ، أو الدخول في التفصيلات .

ثانياً : مرحلة التوسط :

وتُسمى مرحلة التوسّطات : وتُسمى كتبها « الكتب المتوسطة » ، أو كتب المتوسّطين . ولا ينتقل من المختصرات إلى المتوسّطات إلا بعد استكمال تلك المرحلة ، ولو في الجملة . ليصبح لديه قاعدة وأساس في كل فن ، (المسألة بدليلها) ، وقد تكون لديه فكرة إجمالية وإمامة سريعة بالفنون المختلفة ، فأصبح مهيباً لمرحلة التوسط (مرحلة فهم العلم وتحصيل مسأله) ، فهنا يستوفي الشرح والبيان بشيء من التفصيل ، وتذكر له أوجه الخلاف ذكراً إلى أن يتمه مرة أخرى بنوع من التفصيل .

مقاصدها :

تكوين إمامة مفصلة نوعاً بالفن ، مع معرفة أوجه الخلاف ، والخروج عن الإجمال باستيفاء الشرح والبيان دون التفصيلات الدقيقة والتفريعات الكثيرة .

الوسائل :

يحفظ متن متوسط مع شرحه ، فيحفظ إن كان في الحديث عمدة الأحكام بعد النوية وإتمام الخمسين لابن رجب . وإن كان في الفقه فبعرض شرح متوسط على المتن الذي حفظه .

الخصائص والضوابط :

حفظ الأصول المتوسطة ، ومعرفة أوجه الخلاف ، وضابطها أن لا يجعل المسائل التفصيلية ، والفوائد والشوارد هدفاً ومطلباً أساسياً ، وإنما تأتي تبعاً لا أصالة .

ثالثاً : مرحلة التوسُّع والمطوَّات :

أصبح المتعلِّم ملماً إجمالاً بالعلوم ، متوازناً فيها ، لم يطغ فنٌّ على فنٍّ ، ذو قدرة نحوية ولغوية وأصولية وفهم عام بالشريعة . إذ هو طالب مؤسسٍ مؤصلٍ .

فيعود إلى الفنِّ مرَّةً ثالثة وقد اشتدَّ عوده ؛ فلا يترك عويصاً ولا مغلقاً إلا فتح مغلقه ، ولا شاردة ولا واردة ولا فائدة إلا حفظها وكتبها ، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته وأحاط به .

مقاصد هذه المرحلة :

حفظ أصوله ، وفهم مسائله التفصيلية ، وتكوين ملكة تمكِّنه من معرفة المسائل الخلافية ، وعزو الأقوال إلى أصحابها وأدلتهم ، وما اعترض به عليهم ، والردود ، مع مقارنة الأدلة والقدرة على الترجيح .

الوسائل :

حفظ أصل موسّع في الفن ، كبلوغ المرام ، أو المنتقى في الحديث ، مع عرض شرحه على شيخ .

أو قراءة شرح موسّع للمختصر الذي سبق حفظه في المرحلة الأولى ، وتوسّع فيه في المرحلة المتوسطة .

خصائص هذه المرحلة :

- كثرة قراءة الموسّعات ، مع استدامة استذكار محفوظاته في الفن .
- تحقيق بعض المسائل المشكّلة ، جمعًا ، وموازنة ، وترجيحًا .
- معرفة الأقوال المخالفة وأدلة أصحابها .
- إفادة الأمة بالأحكام الشرعية في الحوادث والنوازل .
- تنقية العلم من الدخيل .

هذه مراحل الطلب الثلاث المعتادة في سلّم التعلّم عند أهل العلم ، ولا يوجد بينها فواصل دقيقة ، وإنّما هي أمور صناعية تقديرية ، تُدرك في الجملة . وصفها أهل العلم للتيسير على المتعلّمين . ومن العلماء من يضيف لها مرحلة رابعة ، ويسميها : « مرحلة التخصص » .

رابعاً : مرحلة التخصص :

هي مرحلة طبيعية تلقائية ؛ إذ يميل الطالب فيها إلى أحد العلوم ، فيُحِبُّ أكثر من العلوم الأخرى ، ويبرز فيه ، كما وقع لكثير من الأئمة الذين برزوا في بعض الفنون ، مع إمام بثاقبها .

قال ابن حزم الأندلسي : « من مال بطبعه إلى علم ما - وإن كان أدنى من غيره - فلا يشغلها بسواه ، فيكون كفارس النارجيل بالأندلس ، وكفارس الزيتون بالهند ، وكل ذلك لا ينبغي » (١) .

وهذه المرحلة لا تنتهي إلا بالموت ، وإذا ظنَّ العالم أنه قد انتهى من طلب العلم فإنَّ هذا أوَّل النقص يدخل عليه ، فلا بُدَّ له أن يطلب العلم حتى يلقى ربَّه ، بل إنَّ بعض العلماء يتعلَّم بعض المسائل وهو في مرض موته .

أما القراءة في المطولات وجردها ، كجامع الأصول ، والبداية والنهاية ، ودرء التعارض ، وزاد المعاد ، وغذاء الألباب ، والآداب الشرعية ، وسير أعلام النبلاء ، فلا يصحَّ في بداية الطلب لأنَّه يُشغل عن التأسيس والتأصيل .

وقراءة مثل هذه الكتب على شيخ ليست من الطريقة المنهجية ، إذ لا يتسنى له الشرح والتعليق والتحقيق .

ولم يكن العلماء يضعونها في الأوقات الأساسية ، وإنما في الأوقات الفرعية .



(١) رسالة مداواة النفوس : ص ٦٥ - ٦٦ .

المطلب الرابع : (مفردات منهج طلب العلم في ضوء سَلَمِ التعلُّم) .

أولاً : حفظ القرآن الكريم :

من أراد منزلة عليّة في الدنيا والآخرة ، فعليه بحفظ كتاب الله الكريم وتعلّمه واتباعه ، ومن لم يتمكّن من حفظه كاملاً فعليه ببذل الوسع فيه ، وقد سبق الحديث عن فضل حفظه ، فمقلّ ومستكثر ، مع المداومة على الورد اليومي ، والمختار التسبيح ، وختمه كلّ جمعة ، فإنّه عمل عامّة الصّحابة رضي الله عنهم .

طريقة الحفظ :

١ - العرض على شيخ ماهر بالقرآن متلق عن مثله ، له سند متصل ..
يعرض عليه خمس ^(١) أو عشر آيات ^(٢) يومياً ، لا يتجاوزها حتّى يعرف معانيها من خلال تفسير مختصر ، والمختار : الجلالين ، ويعمل بها .

ويمكن حفظ وجه واحد ، أو الحفظ على المقاطع والمعاني ، ويُسمّى الحفظ التصويري .

(١) قال أبو العالية (التابعي الثقة رحمه الله) : « تعلّموا القرآن خمس آيات ، فإنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يأخذ من حبريل خمساً خمساً . رواه ابن أبي شيبة : ٤٦١/١٠ ، وغيره ، وقال صاحب الجامع في الحثّ على حفظ العلم : « سنده صحيح مرسل » . انظر : ص ١٨٤ . وقال عليّ بن بكّار الزاهد : قال بعض أهل العلم : من تعلّم خمساً خمساً لم ينسه . انظر : الجامع في الحثّ على حفظ العلم ، ص ١٨٤ .

(٢) قال أبو عبد الرحمن السلمي : التابعي الإمام : حدّثنا من كان يقرئنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنهم كانوا يقرئون من رسول الله صلى الله عليه وآله - عشر آيات - فلا يأخذون في العشر الأخرى حتّى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل ، قالوا : فعلمنا العلم والعمل . رواه أحمد : ٤١٠/٥ ، وغيره . انظر : المصدر السابق : ص ١٨٤ ، وقال : « سنده صحيح » .

٢ - تخصيص وقتٍ ثابتٍ يوميًا للحفظ ، ومراجعة المحفوظ ، والمختار الإبرار .

٣ - تعاهد القرآن يوميًا ، والمشهور عن الصحابة كما ذكر تحزيبه على سبع ليالٍ .

٤ - الإكثار من القراءة في المصحف ، فإنها تُصوِّر الآيات وترسمها في الذهن ، وكذلك كثرة السَّماع تسهِّل الحفظ ، وتُثبِّت المحفوظ .
وينبغي مراجعة المتشابهات اللفظية .

تجويد القرآن :

يُلحق بتلاوة القرآن وحفظه ، لأنه لا يُقصد لذاته ، ولكن يُعرف به النطق الصحيح بالقرآن وتقويم الألفاظ كما كان يتلوه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ ، والأصل في هذا قول الله تعالى : ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ مُرَتَّلًا ﴾^(١) ، وقد ورد عن عليّ ﷺ قوله : « هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف »^(٢) ، وقول الله تعالى : ﴿ يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾^(٣) .

وقعد له العلماء قواعد ، استنبطوها من أداء القرآن وتلاوته ، وتطبيقه العملي ، فالأصل فيه التلقي ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾^(٤) . فهو لا يكون إلا بالتلقي والتطبيق

(١) المزل : الآية (٤) .

(٢) التمهيد في علم التجويد ، لابن الجزري ، ص ٤٨ .

(٣) البقرة : الآية (١٢١) .

(٤) النمل : الآية (٦) .

العملي عن المشايخ المتقنين المهرة ، مشافهة كما تلقّوه عن مثلهم كابر عن كابر بالسند المتّصل إلى النبي ﷺ .

هذه القواعد والضوابط سُمّيت « علم التجويد » ، وقد أُلّفت فيه التآليف المنثورة والمنظومة .

ويُفضّل للمبتدئ حفظُ متنٍ يحوي أصول هذا الفن ، والمختار « تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن » للشيخ سليمان الجمزوري ، تُحفظ على شيخ متخصص .

ولها شروح :

- فتح الأقبال بشرح متن تحفة الأطفال ، للناظم نفسه .
- فتح الملك المتعال ، لمحمد الميهي .
- وقد شرحها الشيخ محمد الضبّاع - رحمه الله - .
- ثمّ المقلّمة الجزريّة ؛ ولها شروح ، منها: شرح الشيخ عبدالعزيز القاري .
- ومن قصّرت همّته عنها . فليجمع بين التحفة ، وأبيات الصفات والمخارج من الجزرية .

ثانياً : تفسير القرآن الكريم .

المرحلة الأولى :

تفسير الجلالين : جلال الدين المحلي الذي هو الأصل فيه ، ومكّمه : جلال الدين السيوطي .

والأفضل أن يُبدأ بالمفصّل ، ويسير مع الحفظ ، يحفظ الطالب خمس آيات أو عشر ، حسب الطاقة ، ويقرأ التفسير على شيخه ، فيشرحه له ، ويسره ، وينبّه على ما فيه من تأويل .

يعيده الطالب ويكرّره حتى تثبت المعلومات ، ويذاكر به زملاءه أو يذاكر مع نفسه إن لم يجد له صاحب فيُغلق الكتاب ويفسّر عن ظهر قلب .

المرحلة الثانية :

تفسير البيضاوي . ويُعني باللغة والإعراب ، وأسباب النزول . مع متانة الأسلوب ، ودقة العبارة .

المرحلة الثالثة :

تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء ؛ إسماعيل بن كثير - رحمه الله - . ويمتاز بسلامة الفكرة ، وصحة المعنى ، والاعتماد على الأثر . وقد لاقى قبولا كبيرا لدى علماء الأمة وطلابها وعامتها . فلا تكاد تجد بيتا من بيوت المسلمين إلا وهو فيه .

وفيه إسرائيليّات وروايات حديثة تحتاج إلى تحقيق .

ثمّ يتوسّع الطالب بعد ذلك ما شاء في المطوّلات ، ففي التفسير المأثور : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ؛ لجلال الدين السيوطي .

ومن أهم التفاسير المشتركة : تفسير الطبري .

ومن تفاسير آيات الأحكام : تفسير آيات الأحكام لابن العربي .

ومن تفاسير القرآن بالقرآن : أضواء البيان ، للشنقيطي . ومن التفاسير الجيدة أيضاً تفسير السعدي - رحمه الله - .

وينبغي الاهتمام بالآثار المنقولة عن الصحابة رضي الله عنهم ، ومعرفة أسباب النزول . والناسخ والمنسوخ ، وغير ذلك من علوم القرآن .

ثالثاً : حفظ السنّة .

المرحلة الأولى :

حفظ الأربعين النووية . تضبط على شيخ ، وتحفظ تدريجياً ، حديث وحديثان . مع الإعادة والتكرار . فإذا حُفِظت خُتِمت كلّ جمعة .

فإذا استقرت في القلب . قرئ أحدُ شروحاتها على الشيخ ، وليبدأ بأسهلها لمؤلفها النووي . ثم شرح ابن دقيق العيد .

ثم ينتقل إلى أوسع شروحاتها مع إضافة عشرة أحاديث . خمسون حديثاً لابن رجب ، المسمّى « جامع العلوم والحكم » . فيقرأه على شيخه حتى يتقنه ويفهمه ، ويكرّره حتى يكون أشبه بالحافظ له ، ويذاكر به أقرانه ، فإن لم يجد فمع نفسه . يُغلق الكتاب ويشرح الحديث شرحاً قريباً من الحفظ .

وهذه الخمسون حديثاً ينفع الله بها الطالب خاصّة إذا أضيف لها تفسير قصار السور ، فتعطي الطالب قدرة على الوعظ والإرشاد ، وخطبة الجمعة ، وغيرها .

المرحلة الثانية :

عمدة الأحكام : للحافظ عبدالغني بن عبدالواحد الجماعيلي المقدسيّ توفي - رحمه الله - (٦٠٠) على الطالب حفظها وإتقانها على التدرج .

مع قراءة : إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد على شيخه .

المرحلة الثالثة :

بلوغ المرام من أدلة الأحكام : للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) . يأتي الطالب على ما زاد من أحاديث على عمدة الأحكام فيؤشّر عليها ، ويحفظها ، ويتقن حفظها .

ويقراً شرحها : « سبيل السلام شرح بلوغ المرام » على شيخ . وهو شرح خالٍ عن التعقيد كما قال مؤلفه الصنعاني ، قال : « فهذا شرح لطيف على بلوغ المرام ؛ اختصرته عن شرح القاضي شرف الدين المغربي ، مقتصرًا على حلّ ألفاظه ، وبيان معانيه ، مُعرضًا عن ذكر الخلافات والأقاويل ، إلا أن يدعو إليه ما يرتبط به الدليل ، محتنبًا للإيجاز المُجَلِّ ، والإطناب المملّ ، وقد ضمنتُ إليه زيادات جمّة على ما في الأصل من الفوائد » ا.هـ .

المرحلة الرابعة :

منتقى الأخبار : للمجد ابن تيمية أبي البركات : مجد الدين عبدالسلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الحرّاني ، المعروف بابن تيمية (ت ٦٢١ هـ) .
ويصنع به مع بلوغ المرام ما صنع بهذا الأخير مع عمدة الأحكام .
ثم يحفظه .

ويقراً شرحه « نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار » للإمام محمد بن عليّ الشوكاني على شيخ مبرز خبير بفقهِ الموازنات ، ذلك أنه قال في مقدّمته : « وقد قمت والله الحمد في هذه المقامات مقامًا لا يعرفه إلا المتأهلون . ولا يقف على مقدار كنهه من حملة العلم إلا المبرزون .. شرحًا يشرح الصدور ، ويمشي على سنن الدليل وإن خالف الجمهور .. » (١) .

فإذا أتم الطالب هذه المرحلة أصبح متمكناً في أحاديث الأحكام حفظاً وفقهاً .. وفي هذا الكفاية .

أما من أراد التوسع في حفظ السنة فعليه خوض غمار مرحلة التوسع .

المرحلة الخامسة : التوسع في حفظ السنة :

إذا استكمل صاحبُ الهمة العالية والعزيمة السامية المراحل السابقة ورام التوسع في حفظ سنة المصطفى ﷺ ، فإنَّ هناك ثلاث طرق لاختيار الكتب المقررة ، مرتبة حسب الأفضلية :

الطريقة الأولى ،

يبدأ بحفظ أصول الصحيحين : البخاريّ ومسلم ، ولتيسير ذلك يحفظ مختصريهما : مختصر البخاريّ للزيدي ، ومختصر مسلم للمنذري .

فلو بُدئ بمختصر مسلم للمنذري الذي قال مؤلفه : ضمّنته جُلّ الأصل ، وهو قرابة (١٨٠٠) حديث من صحيح مسلم ، ثمَّ عُرض على أصل صحيح مسلم عليه ، وأثبتت الزيادات ، ثمَّ يُعرض أصل البخاريّ على هذا المختصر وما استُدرك عليه من أصل مسلم فإنّه يجتمع الجمع بين الصحيحين .

فإذا حُفِظ الصحيحان بدون المكرر فإنّه بعرض سنن أبي داود على الصحيحين ثمَّ زيادات الترمذيّ على الثلاثة ، ثمَّ زيادات النسائيّ على الأربعة ، ثمَّ زيادات ابن ماجه على الخمسة . فيجتمع أكثر من خمسة آلاف حديث تقريباً .

ثمَّ مجمع الزوائد للهيثمي^(١) ، ثمَّ المطالب العالية لابن حجر^(٢) .

الطريقة الثانية .

وهي حفظ كتاب جامع لعدة أصول ، مثل جامع الأصول لابن الأثير ، فقد جمع الكتب السنَّة سوى ابن ماجه ، استبدله بالموطأ .

وقد رتبته على جزئيات الأبواب ، مثل المعجم المفهرس ، وشرح الأحاديث ، وجاء على شيء من فقها .

ثمَّ يضيف إليه مجمع الزوائد للهيثمي ، فيصبح جامع الأصول ومجمع الزوائد اثنا عشر كتابًا .

فلو أضيف إليهما المطالب العالية ، فكانه أتى على عشرين أصلًا من كتب السنَّة

الطريقة الثالثة .

فمن لم يستطع الطريقتين الأوليين فعليه بجمع الفوائد من جامع الأصول ، ومجمع الزوائد ، لمحمد بن سليمان الروذاني الفاسي المغربي (ت ١٠٩٤) .

فقد جمع بين جامع الأصول ومجمع الزوائد ، وحذف الزيادات ،

(١) ذلك أن الهيثمي - رحمه الله - أخذ زيادات مسند أبي يعلى ، ومسند البيهقي ، ومسند الإمام أحمد ، والمعجم الثلاثة للطبراني ، وذلك على الكتب السنَّة ، وجعلها في كتابه هذا .

(٢) لأن الحافظ جمع زيادات المسانيد الثمانية على الكتب السنَّة ، وهي مسند الطيالسي ، وأبي عمر العدني ، والحميدي ، ومسدد ، وابن منيع ، ومسند أبي بكر ابن أبي شيبة ، ومسند عبد بن حميد ، ومسند الحارث بن أبي أسامة . وذكر ما فات الهيثمي من مسند أبي يعلى ، ووقع له شطرٌ من مسند إسحاق بن راهويه .

وجعلها في كتاب واحد أسماه « جمع الفوائد ». فمن حفظه فكانه حفظ الكتب الستة سوى ابن ماجه ، وكذلك المسانيد الستة التي في جمع الزوائد . فإن اكتفى به فنعماً هو ، وإن أراد الاستزادة أضاف المطالب العالية .

فمن حفظ جمع الفوائد والمطالب العالية فقد أتى على معظم السنة .

طريقة حفظ الحديث :

١ - يحفظ الطالب يومياً دون انقطاع حديثين أو ثلاثة من متن مضبوط ، أو يضبطه على شيخ ، ولا يزد عليها ، فإن القصد مطلوب ، قال ﷺ : « القصد ، القصد ، تلبفوا » ، وقال : « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ » . فإذا عود نفسه على الحفظ يسهّل عليه يوماً بعد يوم .

وطريقة الحفظ : أن يقرأ الحديث بتدبر ، ويكرّره حتى يحفظه ، يسرده بصوت عالٍ إن كان قصيراً ، أي أقلّ من خمسة سطور ، ويجزئه إن كان طويلاً إلى سطرين سطرين ، فيحفظهما ، ثم يضيف إليهما ما بعدهما وهكذا .

وبعد إتقان الحفظ يكرّره مراتٍ كثيرة ، ويعود إليه من وقتٍ إلى آخر في اليوم نفسه ، ومن الغد ، وهكذا ، حتى يرسخ الحفظ ، وسيجد نفسه بعد فترة أنه قد تریض وسهّل عليه الحفظ .

ومن المهم أن يعرف ترتيب الأحاديث ، فيقول مثلاً : حديث أبي جمرة ، بعده حديث أبي هريرة ، ثم حديث سعيد بن المسيّب عن أبيه وهكذا .

٢ - يكون العرض على شيخ حافظٍ متقن ، فإن عُدم فعلى شيخ له معرفة باللغة والحديث وعلومه ، ولا يُشترط أن يكون حافظاً .

٣ - اتخاذ صحبة جادة للمذاكرة بالمحفوظ ، فإن الحديث يهيج بعضه بغضاً . فقد أثير : « تذاكروا هذا الحديث ، فإنكم إن لم تفعلوا يدرس » .

كيفية المذاكرة بالحديث :

أن يقول الشيخ أو الصاحب مثلاً : حديث ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ؟ فيقول : حديث العباس ، رواه مسلم . ويقول : حديث أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً ، فيقول : حديث عبد الله ابن عمر ، ويقول : من خرّجه ، فتقول : البخاريّ ومسلم . ويقول : حديث ويلكم لا ترجعوا بعدي كفاراً ، فتقول : حديث عبد الله بن عمرو ، وحديث جرير ، والحديث متفق عليه ... وهكذا ... (١) .

أو يقول : ماذا تذكر في الباب الفلاني ؟! أو المسألة الفلانية ؟ .

نصائح في حفظ الحديث :

١ - حفظ متون الأحاديث يكون بعد ضبطها ، وحذف المكرر منها ، مع حفظ السند ، فإن قصرت همته حفظ أصل السند ، وهو الصحابي .

هذا إذا كان الحديث في الصحيحين ، أما غيرهما فلا بُدّ من معرفة السند ، وتمييز الصحيح من السقيم ، والثقة من الضعيف ، فإن ذلك

(١) منهج حفظ الحديث ، مستفاد من مجموعة من المحاضرات ، على رأسها محاضرة في حفظ السنة للشيخ يحيى ، والتأصيل العلمي للشيخ أحمد القرني .

في غاية الأهمية ، وخاصة عندما يكون الأمر متعلقاً بالأحكام والحلال والحرام . إذ لا يجوز بناء حكم شرعي إلا على حديثٍ يُحتجُّ به .

٢ - جمع شرح الحديث وفقهه إلى الحفظ ، ولكن بعد إتمام حفظ جزء لا بأس به من الأحاديث ، كالأربعين النووية مثلاً ، يُستكمل حفظها حتى إذا أتقنت شرع في فهم معانيها وفقه أحكامها .

٣ - قال أبو شامة المقدسيّ : علوم الحديث ثلاثة :

أشرفها : حفظ متونه ، ومعرفة غريبها وفقهها .

والثاني : حفظ أسانيد ، ومعرفة رجاله ، وتمييز صحيحه من ضعيفه .

والثالث : كتابته ، وجمعه ، وسماعه .

٤ - وقال الخطيب ^(١) : حفظُ الحديث على ضربين :

أحدهما : حفظ ألفاظه ، وعدّ حروفه .

والآخر : حفظ معانيه دون اعتبار لفظه .

والمستحب للراوي : أن يورد الأحاديث بألفاظها التي سمعها ، فإن ذلك أسلم له ، مع الاتفاق على جوازه وصحته ، وكان الحسن يذهب إلى جواز الرواية على المعنى ، ويستحبُّ الأداء كما سمع ، فأما من شدّد في الحروف ورأى أنّ تغيير اللفظ غير جائز فجماعة من أعيان السلف وكبار المتقدمين ، منهم : القاسم بن محمد ، ورجاء بن حيوة ، ومحمد بن سيرين ، وخالد بن الحارث ، وعبدالرحمن بن مهدي ، ووكيع « ا.هـ .

(١) الجامع في الحث على حفظ العلم : ص ٥٦ .

٢ - حفظ العقيدة الواسطية ، لشيخ الإسلام ، وقد حوت مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة ، وفهم شرحها للهراّس ، يُحفظ المتن ويذاكر به ، ويُفهم الشرح ويذاكر به .

٣ - قراءة الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ، وفهماً فهمًا جيّدًا .

٤ - قراءة الرسالة التدمرية له ، وتحوي مجمل اعتقاد السلف في التوحيد والصفات ، والشرع والقدر ، مع شرحها المسمّى بتقريب التدمرية ، وفهمه جيّدًا .

المرحلة الثالثة :

حفظ متن العقيدة الطحاوية حفظًا متقنًا لأبي جعفر أحمد بن سلامة الأزدي المعري الحنفي الطحاوي . وقراءة شرح ابن أبي العزّ لها وفهمه على شيخ فهمًا جيّدًا .

المرحلة الرابعة :

قراءة كتاب الأسماء والصفات للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) قراءته على شيخ ، وفهمه فهمًا جيّدًا .

مرحلة التوسّع :

ثمّ من أراد التوسّع : فليقرأ : أبواب الإيمان ، والتوحيد ، والاعتصام بالكتاب والسنة من الكتب التسعة ، ثمّ كتب السنّة ، مثل السنّة للإمام أحمد ، والسنّة لعبدالله بن أحمد ، والسنّة لابن أبي عاصم ، والسنّة للالكائي ، والسنّة للخلال ، وكتاب التوحيد وإثبات صفات الرّب لابن خزيمة ، وكتاب التوحيد لابن منده ، والإبانة لابن بطه العكبري ، والحجة في بيان الحجّة لإسماعيل الأصبهاني ، ومدارج

السالكين لابن القيم ، وإغاثة اللهفان ، وشفاء العليل ، وكتاب الإيمان لشيخ الإسلام .. « ولم يكن المتقدمون يجذبون المنظومات في علوم المقاصد ، بخلاف الوسائل » (١) .

ولكن من أراد حفظ منظومة في الاعتقاد : فالنونية وشروحاتها وهي لابن القيم ، والدرر المضية للسفاريني ، وسلم الوصول للحكيمي (٢) .

ثم كتب الملل والنحل : مثل الملل والنحل للشهرستاني ، والبدع لابن وضاح ، واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، والصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة .

ملحظ :

الكتب في المراحل الأربع وضعت جميعها للأخذ بها ، وليست للاختيار ، ولكن من عجز عن جميعها فليأخذ :

- ١ - كتاب التوحيد وشرحه .
- ٢ - العقيدة الواسطية وشرحها .
- ٣ - العقيدة الطحاوية وشرحها .
- ٤ - فهم كتاب الأسماء والصفات لليهقي .

(١) التأصيل العلمي : الشيخ أحمد القرني .

(٢) التأصيل العلمي للقرني .

خامساً : اللغة (١) :

(النحو) واللغة ليست من علوم المقاصد (العلوم الأصلية) وإنما هي من العلوم المساعدة ، وتُسمى : علوم الآلة : أو علوم صناعية ..

فيلزم طالب العلم ؛ مقدّمة في النحو يقوم بها لسانه ، ويعرف بها النطق الصحيح بالكتاب والسنة وعلوم الشريعة ، وإلا فإنه لا يؤمن على فهم الكتاب والسنة .

قال ابن الوردي : جمل المنطق بالنحو ، فمن يُحرم الإعراب بالنطق اختبل .

وقد اعتاد المتفقهون البداية في النحو بالآجرمية .

المرحلة الأولى : المقدمة الآجرمية .

يعرضها على شيخ ، يضبطها ، ويشرحها له حتى يفهمها . ويحفظها . وقد نظمها الشرف العمريطي في منظومة سماها « الدرّة البهيّة » في مائتين وخمسين بيتاً . عشرون منها مقدّمة .

فإذا أتم فهم الآجرمية فهماً جيّداً ، انتقل إلى المرحلة التي تليها .

المرحلة الثانية : ملحة الإعراب ، للحريري .

حفظاً وفهماً ، حتى إذا أتمها انتقل إلى ما بعدها .

المرحلة الثالثة : أقيّة ابن مالك ، وتسمى الخلاصة .

يعرضها على شيخ ، يضبطها ، ويشرحها ، ويتقن حفظها ، وهذا يحتاج إلى جهد ، لأنّ أبياتها يكاد كل واحدٍ يستقلّ بمعنى ، وكثيرٌ منها لا يرتبط بما يليه .

(١) استفاد من التأصيل العلمي ، ومنهج عملي للقاريء .

ولها شروح : أفضلها وأشهرها : شرح ابن عقيل (ت ٧٦٩) ،
وشرح ابن هشام (ت ٧٦١) ، المسمى « أوضح المسالك » .

مرحلة التوسُّع :

فمن أراد التوسُّع ، فليحفظ : « الكافية الشافية » لابن مالك
ويفهمها .

وفي العروض : ميزان الذهب .

والبلاغة : الجوان والجواهر المكنون .

والمنطق : السُّلَم المنمرق . قال فيه ابن القيم : شرٌّ لا بُدَّ منه . وهو
علم آلة ، وليس تنقد المنطق الذي تنقد فيه القياس وغيره .

سادساً : الفقه :

وهو فقه الأحكام الشرعية ، أو فقه الشريعة ، ويقابل فقه الإيمان ،
وهو خلاصة علوم الشريعة بما سوى العقيدة ، وهو النتيجة والمحصلة ،
وهو أنفع العلوم بعد التوحيد وأكثر ما يحتاجه الناس ، وقد قيل في
فضله الشيء الكثير ، من ذلك :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « مَنْ يُرِدِ اللَّهَ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ
فِي الدِّينِ » ^(١) .

وعن مجاهد قال : « الرِّبَّانِيون : الفقهاء ، وهم فوق الأَحْبَار » ^(٢) ،

(١) متفق عليه ، واللفظ للبخاري ، كتاب العلم : باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين : ٣٩/١ ، رقم ٧١ .

(٢) الفقيه والمتفقه : ١٨٤/١ ، رقم ١٧٧ ، وقال الحق : إسناده صحيح .

وقال الزهري : « ما عُبِدَ اللهُ بِمِثْلِ الْفِقْهِ »^(١) . وقال أبو الدرداء في الفقهاء : « وما نحن لولا كلمات الفقهاء »^(٢) . وعن عطاء في قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [النساء/٥٩] ، قال : طاعة الله ورسوله ، اتباع الكتاب والسنة ، ﴿ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ . قال : « أولو العلم والفقه »^(٣) .

وعن مجاهد ، قال : « لا بأس بالسَّمْرِ فِي الْفِقْهِ »^(٤) ، وذلك يدلّ على أهمية الفقه ، وقال علقمة لأصحابه : « امشوا بنا نزداد إيماناً - يعني تفقّها - »^(٥) .

وعن الحسن بن أبي الحسن أنه قال : « إِنَّ مِنَ الصَّدَقَةِ ، أَنْ تَسْمَعَ بِالْفِقْهِ فَتُحَدِّثَ بِهِ »^(٦) .

وكان الأعمش يسأل أبا حنيفة ، ثمّ يقول : « يا معشر الفقهاء ، أنتم الأطباء ، ونحن الصيادلة »^(٧) .

وقال عمر رضي الله عنه - : « وَقَالَ عُمَرُ : تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا »^(٨) ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيُّ : وَبَعْدَ أَنْ تُسَوِّدُوا .

(١) الفقيه والمتفقه : ١١٩/١ ، رقم ٨١ .

(٢) الفقيه والمتفقه : ١٥٢/١ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله : ٧٦٧/١ ، رقم ١٤١٧ .

(٤) العلم لأبي خيثمة : ص ٢٧ ، رقم ١١٠ .

(٥) الفقيه والمتفقه : ١٥٢/١ .

(٦) المصدر السابق : ١٥٣/١ .

(٧) المصدر السابق : ١٦٣/٢ ، ١٦٤ ، رقم ٧٩٣ .

(٨) المصدر السابق : ١٥٤/٢ .

وعن يحيى بن كثير أنه قال : « تعليم الفقه صلاة ، ودراسة القرآن صلاة »^(١) .

وقال رجلٌ لأبي مجلز ، وهم يتذاكرون الفقه والسنة : « لو قرأت علينا سورة من القرآن » فقال : « ما أنا بالذي أزعجُ أن قراءة القرآن أفضل مما نحن فيه »^(٢) .

وقال سهل بن عبد الله التستري : « من أراد أن ينظر إلى مجالس الأنبياء ، فليُنظر إلى مجالس العلماء ، يجيء الرجل ، فيقول : يا فلان أيش تقول في رجلٍ حلف على امرأته بكذا وكذا ؟ فيقول : طَلَّقت امرأته ، ويجيء آخر فيقول : ما تقول في رجلٍ حلف على امرأته بكذا وكذا ؟ فيقول : ليس يحنث بهذا القول ، وليس هذا إلا لني أو لعالم ، فاعرفوا لهم ذلك »^(٣) .

وعن محمد بن الحسن : قال : « ولكن من وُفق لهذا العلم ، الذي فيه الحلال والحرام ، والفرائض ، والحدود ، والأحكام ، ومعالم الدين كلها ، فطلبه في شبيبته ، قبل تراكب الأشغال عليه ، فأدرك منه حظاً ، فإن أراد به الآخرة وُفق فيه للخير والصدق ، أدرك به الدنيا والآخرة »^(٤) .

ومنزلة الفقه بين العلوم بمنزلة الحاكم ، فهو النتيجة والثمرة ، وذلك لنفعه الناس ، وتعليمهم أحكام دينهم .

(١) المصدر السابق : ١٠٣/١ ، رقم ٥٧ .

(٢) المصدر السابق : ١٠٣/١ ، رقم ٥٦ .

(٣) الفقيه والمتفقه : ١٤٩/١ .

(٤) الفقيه والمتفقه : ١٥٦/١ .

كتب الفقه :

كتب الفقه هي حصيلة جهودٍ عظيمة ، وعلمٍ واسع ، وأعمار طويلة ، وأزمان مديدة بنها الأئمة الأعلام ورثة الأنبياء ، حفظاً ، وفهماً ، ودراسة ، ومذاكرة ، وذكاءً ، وتوفيقاً ، وفهماً عميقاً ، بنصوص الكتاب والسنة ، والإجماع والقياس ، فهماً بأدلة الأحكام ، وأصول الفقه ، والقواعد الفقهية ، ومقاصد الشريعة ، والناسخ والمنسوخ ، والمقدم والمؤخر ، والشاذ ، والمنكر ، والمطلق والمقيّد ، والعام والخاص ، ومعرفة بالقرآن وعلومه ، ومحكمه ومتشابهه ، وأسباب نزوله ، ومعرفة بلغة العرب وشواهدنا ، وفهم الصحابة رضي الله عنهم ولغة الخطاب بينهم ، ومعرفة تامة بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، صحيحها وسقيمها ، ومعرفة بجمليتها جرحاً وتعديلاً ، ومعرفة بلغة الفقه والفقهاء ، وكلماتهم المألوفة المحلودة ، وطرق الاستنباط والاستدلال والتعليل ، وتأصيل المسائل ، وردّ الفروع إلى الأصول ، وطرق الموازنة والمقارنة بين الأدلة وترجيح بعضها على بعض .

وهي نتيجة معايشة طويلة للناس ، وخلاصة جهود كبيرة ، وعلمٍ غزير ، ونظرٍ ثاقب .

فإذا ضرب المتعلم المبتدئ صفحاً عن كلّ تلك الجهود ، واستغنى برأيه من أول الطريق ، فقد نصّب نفسه في مقام أولئك الأفاذ ، وهو لا يملك من العلم قطميراً ، فيخسرهما كليهما ، ولا يستفيد منها لجهله واستكباره وإعراضه ، واستغناؤه برأيه وفهمه القاصر ، ويأنف من الاستفادة من هذه الثروة العظيمة التي تلقنتها الأمة بالقبول ؛ والله عز وجل يقول : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) ، والرجوع إلى كتب أهل العلم هو في معنى سؤال أهل الذكر .

(١) النحل : الآية (٤٢) .

كل ذلك بحجة عدم التمدُّب ، فيقول : هم رجال ونحن رجال ،
ونأخذ مما أخذوا . فهذا لا يحصل من العلم على طائل ، ويغلب عليه
التنقل بين كتب الحديث يأخذ منها أحكاماً ، وبعضها معارضٌ
بأحاديثٍ أحرَّ أقوى منها صحَّةً أو دلالة ، بل قد يكون بعضها
منسوخاً أو ضعيفاً لا يُحتجُّ به وهو لا يعلم ، وكتبُ الحديث تغلبُ
عليها الصناعة الحديثية .

فتمرُّ عليه السنون الطويلة لا يخرج بشيء ، ويغلب عليه الضياع
والشتات .

وفريقٌ آخر يدرس الفقه من غير نصوص ، متون فقهية مجردة عن
الدليل في الغالب ، يحفظها وكأنها نصوص نبوية ، فأورثته قبول أقوال
الأئمة دون بحثٍ عن ما أخذهم وأدلتهم .

وقد حُجِّبوا عن الدليل وعُزلوا عن الأصول ، قد نصَّبوا أقوال
العلماء وآرائهم بديلاً عن الوحي ، فيستشهدون بها وينسون أنَّ أصول
الشريعة عند أهل السنة هي الكتاب والسنة والإجماع ، فهم على طرف
نقيض مع الفريق السابق .

إمَّا فقه بدون استدلال ، أو حديث بدون فقه . وكلا طريقي
الخلافاً ذميمة ، والصحيح التوسط والجمع بينهما كما سيأتي .

التربية على اتباع الدليل والانتفاع بجهود العلماء دون تمذُّب :

ترك أئمة العلم ثروة ضخمة في شتى صنوف العلم والمعرفة ، ومن
أبرزها وأهمها كتب الفقه ، وموسعاته العظيمة .

فإن ذهب المتعلِّم لدراسة الفقه استقلالاً دون الاستفادة منها لعدم

التمذهب . فاته خير كثير . وإن خاض غمارها دون توجيه صحيح ،
أشرب في قلبه المذهب ، وسرى في دمه ، وصعب عليه التخلص منه .

فكيف يمكن الاستفادة من هذه الجهود ، دون الانخراط في المذهب ؟
ينبغي للطالب أن يبحث عن فقيه ربّاني متحرّر من قيود المذهب ،
خارج من ربقتها ، متبع للدليل ، تارك للتقليد ، خبير بفقهِ الموازنات ،
بصير بالخلاف .

ويُعرف بأنه إذا ذكرت المذاهب عنده لم يتعصب لها ، يستفيد منها
دون أن تقيده ، يتبع الدليل الصحيح فيها أو في غيرها أنى وجده .

فإذا شرع هذا الرباني في التعليم . فلا بُدّ من مقدّمة بين يدي درس
كُتب المذاهب تُمهّد للطالب ، وتبيّن جهود العلماء الجهابذة ، وتشرح
أسباب الخلاف ، فإنّه أجدد أن لا يزدري جهودهم أو يقلل من شأنهم .

وترتيبه على تقديرهم واحترامهم ، وإن خالفت اجتهاداتهم الدليل ،
ذلك أنهم لم يخالفوه قصداً وعنوة ، فهم في إحدى منزلتيّ الاجتهاد من الأجر .

فيدرس الطالب متناً فقهياً ، يُسّره له ، ويُسهله عليه ويفك
إشكالاته وإبهاماته ويشرح مسائله ويضرب لها الأمثال ، ويصوّرها له
حتى يفهمها ، وتكون صورتها ماثلة في ذهنه ، بتقسيماتها وتفرعاتها ،
لا تشبه مع رفيقاتها ومثيلاتها . فيعرف صورة كل قسم منها بحُكمه
ودليله وتعليقه .

يربط الطالب بالدليل ، فإن كانت المسألة في الكتاب راجحة
اكتفى ، وإن كانت مرجوحة ، نبّه عليها ، وذكر الراجح بدليله ،
ويّن خطأ المصنّف في الاستدلال أو ضعف دليله أو غير ذلك .

وبتربيته على اتباع الدليل وعدم التقليد ، يستفيد علمًا من هذه الثروة ويعرف لغة الفقه والفقهاء ، وطرق الاستنباط ، والاستدلال ، والإيراد ، والردود ، ومقارنة الأدلة ، والترجيح وطرقه .. وكذلك يستفيد استقلالاً في الشخصية وقوة في التمسك بالنصوص ، دون أن يتمذهب .

فإن لم يُربط بنصوص الشريعة مباشرة وإجماع الأمة ، فإنه سيضع أقوال الفقهاء وآرائهم في مقام الدليل ، ويستشهد بها عند الحاجة . لفصله عن الدليل وحججه عنه ؛ واعتماده على أقوال العلماء وآرائهم مجردة عن النصوص في الغالب .

وهذا هو التقليد المذموم ، والتعصب الأعمى . ومن دخل المذهب بهذه الروح لم يكذُ يخرج منه .

فهذا فرقٌ دقيق في كيفية دراسة الكتب الفقهية يجب التنبه له .

ومن حُرِّم المعلم الذي يحقق هذا المنهج ؛ فعليه الجمع بين متن فقهي ، ومتن حديثي . أي الجمع بين الحكم والدليل ، وتحري الكتب التي تعتمد الدليل بقدر الإمكان وتحري الصّحة في الدليل . أما اختيار المتون الفقهية فله ضوابط كلما تحققت فيها كانت أولى بالدراسة :

١ - أن يكون المتن سهل العبارة خالي من التعقيد .

٢ - أن تكون أكثر مسائله راجحة .

٣ - الأكثر ذكرًا للدليل والتعليل .

٤ - الأكثر استيعابًا .

أولاً : مدرسة الإمام أبي حنيفة النعمان . رحمه الله . :

المرحلة الأولى : أحد المختصرات التالية :

- ١ - البداية : (بداية المبتدئ) .
 - ٢ - نور الإيضاح . للشرنبلاني .
 - ٣ - كنز الدقائق . لأبي بركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت ٧١٠) .
 - ٤ - المختار للفتوى ، للموصلي .
 - ٥ - مختصر الطحاوي ، للطحاوي .
 - ٦ - مختصر القدوري ، المسمى (الكتاب) .
 - ٧ - تنوير الأبصار ، للتمرناشي .
- المرحلة الثانية : أحد كتب المتوسطات .
- ١ - الوقاية : وهو مختصر الهداية ، محمود المحجوبي .
 - ٢ - الهداية : وهي شرح البداية ، لأبي الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني الرشداني ، (ت ٥٩٣ هـ) .
 - ٣ - مراقي الفلاح : للشرنبلاني . وهو شرح (نور الإيضاح) له .
 - ٤ - شرح الكنز ، للعيني .
 - ٥ - الاختيار لتعليل المختار ، للموصلي .
 - ٦ - تحفة الفقهاء ، للسمرقندي .
 - ٧ - اللباب ، شرح الكتاب ، للميداني .
 - ٨ - الدر المختار . (شرح تنوير الأبصار) ، مختصر للحصكفي .

المرحلة الثالثة :

١ - البناية : في شرح الهداية . بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥) .

٢ - (فتح القدير للعاجز الفقير) ، الكمال بن الأهمام : (محمد بن عبدالواحد بن عبدالحميد السيواسي ، ثم السكندري .

٣ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، علاء الدين الكاساني .

٤ - المبسوط في الفروع ، محمد بن محمد بن الحسين بن عبدالكريم البزدوي . أبو اليسر الحنفي (ت ٤٩٣ هـ) .

٥ - تبين الحقائق : شرح كنز الدقائق للزيلعي .

٦ - حاشية ابن عابدين : وهي ردّ المختار على الدر المختار .

يُختار كتاب من كل مرحلة حسب المتوفر ، وحسب اختيار شيخه أيضاً ، ويُفضّل أن تكون كتب المراحل المتقدمة شروح لنفس المتن المختار .

ثانياً : مدرسة الإمام مالك بن أنس - رحمه الله :-

المرحلة الأولى :

١ - مختصر خليل ، هو خليل بن إسحاق الجندي المالكي - رحمه الله - (ت ٧٦٧ هـ) .

٢ - الرسالة ، لعبدالله بن عبدالرحمن بن أبي زيد القيرواني - رحمه الله - (ت ٣٨٦ هـ) .

٣ - أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك (مختصر من مختصر خليل) . لأحمد بن أحمد العدوي المالكي .

المرحلة الثانية :

- ١ - شرح مختصر خليل ، عبد الباقي بن يوسف الزرقاني .
(ت ١٠٩٩ هـ) .
- ٢ - شرح الرسالة ، علي بن محمد أبو الحسن المالكي (ت ٩٣٩ هـ) .
- ٣ - الشرح الصغير على أقرب المسالك ، أبو البركات ، أحمد بن محمد الدردير (ت ١٢٠١ هـ) .

المرحلة الثالثة :

- ١ - الشرح الكبير على مختصر خليل ، أحمد الدرديري .
- ٢ - البيان والتحصيل لما في المدونة من المعاني والتوجيه والتعليل ، لابن رشد الجذ .

ثالثاً : مدرسة الإمام الشافعي - رحمه الله .:

المرحلة الأولى :

- ١ - المهذب : لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي
(ت ٤٧٦ هـ) ، وهو المتن الذي شرح النووي في المجموع .
- ٢ - منهاج الطالبين : لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي
(ت ٦٧٦) .
- ٣ - منهج الطلاب ، زكريا الأنصاري ، (وهو مختصر لمنهاج الطالبين) .
- ٤ - الوجيز للغزالي .

المرحلة الثانية :

- ١ - شرح المنهاج : المسمّى (كنز الراغبين في شرح منهاج الطالبين) . محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد المحلي ، جلال الدين المصري الفقيه الشافعيّ (ت ٨٦٤) .
- ٢ - الرسيط للغزالي .

المرحلة الثالثة :

- ١ - المجموع شرح المهذب ، للنووي .
- ٢ - فتح العزيز شرح الوجيز ، للرافعي الكبير .
- ٣ - البسيط ، للغزالي .

وابعاً : مدرسة الإمام أحمد - رحمه الله .:

المرحلة الأولى : يُختار أحد الكتب التالية :

- ١ - عمدة الفقه ، لابن قدامة الجماعيلي (ت ٦٢٠) ، والمتن الحديثي عمدة الأحكام ، في غياب الشيخ .
- ٢ - منار السبيل لابن ضويان (ت ١٣٥٣) ، وهو شرح متن الدليل لمرعي بن يوسف (ت ١٠٣٣) .
- ٣ - زاد المستقنع ، وهو اختصار المقنع ، والزاد للحجاوي (ت ٩٦٠) ، والمتن الحديثي المناسب له بلوغ المرام . والمختار الزاد لاستيعابه ، ورجاحته ، وكثرة شروحاته ، وعلى الأخص المتمع ، فهو في الغالب على الرأي الراجح بدليله .

المرحلة الثانية : أحد الكتب التالية :

١ - المقنع : لابن قدامة ، وهو المختار لكون الزاد مختصراً منه .

٢ - الكافي : له أيضاً .

٣ - الشرح الممتع على زاد المستقنع .

وفي هذه المرحلة يكفي بلوغ المرام كمتنٍ حديثي .

المرحلة الثالثة :

١ - المغني ، لابن قدامة - رحمه الله - ، وهو شرح مختصر الخرقني - رحمه الله - ، المتوفى سنة ٣٣٤ هـ .

هذه المرحلة تعطي المتفقه ملكة في جميع الأقوال في المسألة وأدلة كل قول وما اعترض عليه والردود ، وتحرير محل النزاع ، والموازنة والترجيح بالدليل . أما المتن الحديثي : فالمنتقى للمجد ابن تيمية - رحمه الله - .

وقد رتب الإمام ابن قدامة - رحمه الله - كتبه الفقهية على النحو التالي :

١ - عمدة الفقه ، قول واحد بدليله ولو نادراً ، ويصلح للمبتدئين .

٢ - ثم المقنع ، قولان ، ويصلح للمتوسطين .

٣ - ثم الكافي ، وهو أكثر تفصيلاً ، ويصلح كذلك للمتوسطين .

٤ - المغني ، موسعة فقهية ، وهو فقه موازنات ، أو ما يسمى بالفقه المقارن .

المرحلة الرابعة : مرحلة التوسُّع في الفقه .

ويتوسَّع في هذه المرحلة ما شاء في فقه الموازنات ، فيقرأ في المغني ، والمجموع ، وبدائع الصنائع ، ومواهب الجليل ، والإنصاف للمرداوي ، والمحلى لابن حزم ، والحاوي للماوردي ، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأعلام الموقعين ، لابن القيم ، وفتاوى العلماء عموماً .

مع الاهتمام بكتب أدلة الأحكام وشروحها . فيهتم بعمدة الأحكام وشرحه إحكام الأحكام لابن دقيق العيد ، وبلوغ المرام للحافظ ابن حجر ، وشرحه سبل السلام للأمير الصنعاني ، ومنتقى الأخبار للمجد ابن تيمية وشرحه نيل الأوطار .

والسيل الجرار للشوكاني ، وتمام المنة للألباني وإرواء الغليل ، مع الاهتمام بكتب شروح الحديث عموماً مثل فتح الباري للحافظ ابن حجر ، وفتح الباري لابن رجب (شرح قطعة من صحيح البخاري) وكذلك النووي على مسلم ، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ..

والاهتمام بتفسير آيات الأحكام مثل أحكام القرآن للقرطبي .

سابعاً : مصطلح الحديث :

المرحلة الأولى :

- النخبة .

نخبة الفكر في مصطلح علم الأثر للحافظ ابن حجر ، تفهم جيداً ، وتحفظ .

- قصب السكر نظم نخبة الفكر للصنعاني .

المرحلة الثانية :

- ١ - علوم الحديث للحافظ ابن كثير - رحمه الله - .
- ٢ - مقدّمة ابن الصلاح .

المرحلة الثالثة :

- ١ - ألفية العراقي ، تُحفظ جيّداً ، « ومن حفظها فكأنه حفظ مقدّمة ابن الصلاح وزاد عليها ، وهي أشهر من ألفية السيوطي ، وبها مباحث فاقت السيوطي جمعاً وكثرة ، ودار حولها أغلب الشروح ، والعراقي يذكر الخلاف ثمّ الراجح »^(١) .
- ٢ - فتح المغيث ، للسخاوي . وهو شرح موسّع لألفية العراقي ، وفي غاية الأهمية .

المرحلة الرابعة :

ولمن أراد التوسّع أكثر والتخصّص ، فعليه بما يلي :

- ١ - ألفية السيوطي . حفظ ، وهي أشمل من ألفية العراقي^(٢) ، وقد شرحها السيوطي نفسه - رحمه الله - في شرح سماه « البحر الذي زخر » ، وشرحها أيضاً الترمسي .
- ٢ - تدريب الراوي ، للسيوطي - رحمه الله - .

(١) التّأصيل العلمي .

(٢) التّأصيل العلمي للشيخ أحمد القرني ، قال : « وفي دراسة وُجد أنّ الإضافات العلمية لألفية السيوطي على العراقي تبلغ (٢٧٠) إضافة ، وإضافات الأشعار والكلمات بلغت (٤٨٠) . ولكن تبقى ألفية العراقي الأشهر ، وهي التي دارت حولها أغلب الشروح .

- ٣ - توضيح الأفكار ، للصنعاني - رحمه الله .
 ٤ - النكت على كتاب ابن الصلاح ، للحافظ ابن حجر - رحمه الله .
 ٥ - منظومة عبدالحفيظ في ألفين بيت ، وهو من سلاطين المغرب .
 ٦ - منظومة حافظ الحكمي .

ثامناً : أصول الفقه :

المرحلة الأولى :

- ١ - متن الورقات لإمام الحرمين الجويني ، وهو الأصل المعتمد لدى المتقدمين ، (وقد نظممه الشرف العمريطي في منظومة « نظم الورقات »)^(١) ، ينبغي على الطالب حفظه وفهمه ، وعليه شرح الورقات في أصول الفقه لعبدالله الفوزان .

المرحلة الثانية :

- ١ - روضة الناظر ، لابن قدامة مع شرحها نزهة الخاطر العاطر .

المرحلة الثالثة :

- ١ - جمع الجوامع ، تاج الدين السبكي ، عبد الوهاب بن عليّ ، « وهو الأصل المعتمد عند المتأخرين ، وقد لخصه من مائة مصنف ، الكوكب الساطع « منظومة لجمع الجوامع » تقع في (١٤٥٠) بيتاً . تحفظ .
 ٢ - شرح جمع الجوامع ، لجلال الدين المحلي .

(١) التاصيل العلمي .

٣ - وحاشية البناني ، لشمس الدين محمد بن أحمد ، وهي على شرح المحلي « (١) .

٤ - الموافقات ، للشاطبي .

٥ - القواعد الفقهية ، لابن رجب .

تاسعاً : سيرة النبي ﷺ ، وفتوحها :

المرحلة الأولى :

١ - مختصر سيرة الرسول ﷺ للإمام المجدد : محمد بن عبدالوهاب .

المرحلة الثانية :

١ - الرحيق المختوم ، للمباركفوري .

المرحلة الثالثة :

١ - السيرة النبوية ، لابن هشام .

٢ - وشرحها : الروض الأنف ، للسهيلى .

٣ - وفقه السيرة : زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم .

عاشراً : الغرائز :

المرحلة الأولى :

١ - متن الرحبية ، للرحبي .

٢ - شرح الشنشوري على الرحبية .

٣ - حاشية الباجوري على الشرح .

(١) التأصيل العلمي .

وأخيراً : فإنَّ هناك علوماً تلزم الفقيه كما تلزم المحدث ، من ذلك : علم التخريج ، وعلم الإسناد والرواية ، وعلم الرجال ، والجرح والتعديل ، وعلم علل الحديث .

« وينبغي الاهتمام كذلك بكتب شروح الحديث ، وكتب التاريخ ، وكتب دراسة مراحل تطوّر العلم ، وذلك للجمع بين تأصيل العلم وتاريخ الفنّ ، وهي الكتب الوصفية التي تصف العلوم ؛ نشأتها وتطورها ومسائلها ، وهي من أصعب المصنّفات لأنها تحتاج إلى استقراء طويل ، ومن أمثلتها : تاريخ بحوث السنة المشرفة لأكرم ضياء العمري ، وكذلك يُرجع لكتب الموارد والمناهج لمعرفة أصول المؤلفات في علم ما ، ومدى أهميتها ، وأي الكتب هي الأصل ؟ ومن ذلك في التفسير مثلاً ، منهج الشوكاني ، منهج القرطبي ، وفي التاريخ منهج الذهبي في تاريخ الإسلام لبشار معروف ، وفي الحديث منهج وموارد الخطيب للشيخ أكرم ضياء العمري .

ولمعرفة القضايا الكبرى في علم ما يُرجع إلى الدراسات التي تناولت أبرز الشخصيات في ذلك العلم ، ولمعرفة مدى التأثير والتأثير في علم ما يُرجع إلى دراسات الموازنة ، أو المقارنة التي أجريت حول هذا العلم . وعلى سبيل المثال : ما استفاده الباحثون في المصطلح من قواعد النحو واللغة والتاريخ . فمثلاً اللغة والنحو لغازي حمادي تكلم عن الحديث وأثره في اللغة ، وأسد رستم في مصطلح التاريخ تكلم عن الحديث وأثره في التاريخ ، وهكذا لا تكون الفوائد جامدة على العلم نفسه دون غيره ، وينبغي الاهتمام كذلك بالكتب التي توصل العلم وتوثق موارده ، وتلغ عنه الشكوك والشبهات ، وهي مما يُرسخ الجانب التاريخي بمسائل العلم » (١) .

(١) التأصيل العلمي : للشيخ أحمد القرني ، بتصرف واختصار .

ونظراً لكثرة المعارف ، ولسهولة طباعتها ونشرها وتعدد وسائل الحصول عليها فإنه يوجد كمّاً هائلاً من الكتب والثقافات والمعارف .

لذا فإنه ينبغي إعمال العقل في الانتقاء ، وعدم إضاعة العمر إلاّ فيما يفيد . مع التركيز على الأصول في كلّ علم وحفظه ، ويسهل حفظ المنظوم منه أكثر من المنثور .

ومن فوائد حفظ المنظومات :

١ - ضبط القواعد العلمية بطريقة متسقة يسهل حفظها ، ومن ثمّ استحضارها عند الحاجة إليها .

٢ - تجمع الأصول المتناثرة في مكانٍ واحدٍ ، وإن كانت لا تجمع كلّ المسائل .

٣ - حفظ المنظوم أسهل من حفظ المنثور ، وكذا مراجعته .

ضوابط في اختيار المنظومات :

١ - يُختار الأسهل والمتأخر والأرجح لأنه أشمل ويزيد على المتقدم في الغالب .

٢ - استشارة الشيخ المتخصص والاستخارة ، عند وجود متنين في فنٍّ واحدٍ أيهما يحفظ .

٣ - تُحفظ المنظومات في الغالب في العلوم المساعدة وهي ما يُسمّى بعلوم الآلة أو علوم الأدوات ، ولا يُحبذ المنظومات في علوم المقاصد .

طريقة حفظ المنظومات (١) :

- ١ - ضبط المتن على شيخ وقراءته عليه وفهمه .
- ٢ - حفظ المتن الطويل ، يمكن إدخال عدّة متون قصيرة معه .
- ٣ - في حال صعوبة المتن ، يُحفظ كل بيتٍ منفردًا ، إذ قد يستقل كل بيتٍ بمعنى خاص ، ثمّ يضاف إلى الذي بعده ، مع تقليل المحفوظ كلما كان المتن صعبًا .
- ٤ - ربط البيت السابق بالأحق في الباب الواحد ، إمّا بترابط المعنى ، أو بما يُسمى التضمين ، وهو تعلقُ قافية البيت السابق باللاحق ، مما يجعل كل بيتٍ يستدعي الذي يليه .
- ٥ - لمراعاة التواحي النفسية ، فإنه يُكتب بيتين أو ثلاثة في كرتٍ مستقلٍ يحمله الحافظ معه ويكرره طوال اليوم ، فإن ذلك يخفف نفسيًا من طول المنظومة . بحيث يحفظ في الأسبوع حوالي عشرين بيتًا لا يزد عليها .
- ٦ - التكرار الكثير بعد الحفظ ، لرسوخ المحفوظ .
- ٧ - المراجعة المنظّمة المستمرة .

(١) هذه الفوائد والضوابط والطريقة في حفظ المعلومات مستفادة من : التأسيس العلمي ، مسرّطه للشيخ أحمد القرني ، وقد ذكرها بدون التصنيف إلى هذه الفئات الثلاث والعناوين . وقد أعيدت بعض الصياغات مع الاختصار وبعض الإضافات .

محاذير في حفظ المتن^(١) :

١ - عدم حفظ متنين في علمٍ واحد ، في وقت واحد ، خشية التداخل .

٢ - عدم الجمع بين حفظ المتن وشرحه في آنٍ واحد ، إذا كان الحفظ متتاليًا .

لأن الطالب قد ينسى كلمة من المتن فيتذكر معناها في الشرح فيختلط به . فيكون حفظاً معنوياً ؟ أي بالمعنى لا باللفظ . بالإضافة إلى عدم ترابط المتن ، وخاصة في علوم الآلة .



(١) التأصيل العلمي .

القسم الثاني

دعوة غير المسلمين (الكفار)

الباب الأول : (دعوة المشركين عامة) .

الفصل الأول : (دعوتهم إلى التوحيد)

الفصل الثاني : (الأساليب النبوية في دعوة المشركين)

المبحث الأول : (دعوتهم بالحكمة) .

المبحث الثاني : (دعوتهم بالموعظة المسنة) .

المبحث الثالث : (مجادلتهم ومطاورتهم) .

الفصل الثالث : (وسائله ﷺ في الدعوة)

الباب الثاني : (منهجه ﷺ في دعوة أهل الكتاب) .

الفصل الأول : دعوتهم إلى التوحيد والتدرج في إخبارهم بالفرائض .

الفصل الثاني : بشارتهم بالسلامة والأجر مرتين إن هم استجابوا .

الفصل الثالث : إجابته ﷺ على أسئلتهم التعجيزية .

الفصل الرابع : مجادلتهم وإقامة الحجّة عليهم .

الفصل الخامس : دعوتهم إلى المباشلة حال الرفض .

الفصل السادس : هديه ﷺ في التعامل معهم .

الفصل السابع : جهادهم .

الباب الثالث : (منهجه ﷺ وهدية في المنافقين) .

تمهيد : في معنى النفاق ، وأقسامه ، وأحكامه ، ونجومه .

الفصل الأول : قبول علانيتهم ، وإيصال سرائرهم إلى الله .

الفصل الثاني : الإعراض عنهم ، ووعظهم ، والصبر على أذاهم .

الفصل الثالث : عدم توقيرهم أو الاستغفار لهم أو الصلاة عليهم والقيام على قبورهم .

الفصل الرابع : جهادهم والإغلاظ عليهم .

الفصل الخامس : محاصرتهم والتضييق عليهم وتهديدهم .

الفصل السادس : كشف خططهم ومؤامراتهم وإبطالها .

الفصل السابع : منهجه ﷺ في معالجة المواقف الناجمة عن فتن المنافقين .

الفصل الثامن : إشهار علاماتهم وأعمالهم دون أسمائهم .

الباب الأول

(دعوة المشركين عامة)

الفصل الأول : (دعوتهم إلى التوحيد) .

الفصل الثاني : (الأساليب النبوية في دعوة المشركين) .

الفصل الثالث : (وسائله ﷺ في الدعوة) .

الفصل الأول

دعوتهم إلى التوحيد

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في ترتيب سياق هدي النبي ﷺ مع الكفار من حين بُعث إلى حين لقي الله ﷻ : « أول ما أوحى إليه ربه تبارك وتعالى : أن يقرأ باسم ربه الذي خلق ، وذلك أول نبوته ، فأمره أن يقرأ في نفسه ، ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ .

ثُمَّ أنزل عليه ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ . فنبأه بقوله : ﴿ اقْرَأ ﴾ ، وأرسله بـ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ . ثُمَّ أمره أن يُنذِرَ عشيرته الأقربين . ثُمَّ أنذر قومه ، ثُمَّ أنذر من حوله من العرب . ثُمَّ أنذر العرب قاطبة . ثُمَّ أنذر العالمين . فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية ، ويؤمر بالكفّ والصبر والصفح ، ثُمَّ أُذن له في الهجرة ، وأذن له في القتال .

ثُمَّ أمره أن يقاتل من قاتله ، ويكفّ عمّن اعتزله ولم يقاتله .

ثُمَّ أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله .

ثُمَّ كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام ؛ أهل صلح وهُدنة ، وأهل حرب ، وأهل ذمة .

فأمر بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم ؛ فإن خاف منهم خيانة نبذ إليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد . وأمر أن يقاتل من نقض عهده .

ولما نزلت (سورة براءة) ^(١) نزلت بيان حكم هذه الأقسام كلها ، فأمره فيها أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب والمنافقين والغلظة عليهم فجهاد الكفار بالسيف والسنان ، والمنافقين بالحجة واللسان .

وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار ، ونبذ عهودهم إليهم ، وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام : قسماً أمره بقتالهم ، وهم الذين نقضوا عهده ، ولم يستقيموا له ، فحاربهم وظهر عليهم . وقسماً لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ، ولم يظاهروا عليه ، فأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم .

وقسماً لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه ، أو كان لهم عهد مطلق فأمر أن يوجههم أربعة أشهر ، فإذا انسلخت قاتلهم .

فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام ؛ محاربين له ، وأهل عهد ، وأهل ذمة ، ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام ، فصاروا معه قسمين : محاربين ، وأهل ذمة ، والمحاربون له خائفون منه . فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام : مسلم مؤمن به ، ومسلم له آمن ، وخائف محارب ^(٢) .

فأول ما بُدئ بالنبي ﷺ من الرحي أن أمر أن يقرأ في نفسه ، ولم يؤمر بتبليغ ، ولكنه أخبر خديجة - رضي الله عنها - بما حصل له من الملك ، وبما قال له .

(١) فيه سقط ، والمعنى يصح بما أثبت .

(٢) زاد المعاد : ١٥٨/٣ - ١٦٠ ، مختصراً .

قالت عائشة - رضي الله عنها - : « فرجعَ بها رسولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُوَادُهُ ، فَدَخَلَ عَلَيَّ خَدِيجَةَ - رضي الله عنها - فَقَالَ : زَمَلُونِي زَمَلُونِي ، فزَمَلُونَهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوحُ ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبِيرَ : لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي ، فَقَالَتْ : كَلَا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْلُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَيَّ نَوَائِبِ الْحَقِّ .

فَانْطَلَقْتُ بِهِ حَتَّى آتَتْ بِهِ وَرَقَةً ... فَقَالَ لَهُ وَرَقَةٌ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ مُوسَى ... لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَوْ مَخَّرَجِي هُمْ ؟ قَالَ نَعَمْ ... » (١) .

ثم فتر الوحي فترة من الزمن وعاد بنبوة النبي ﷺ ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ : فَيَنِينَا أَنَا أَمَشِي ، إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِوَاءِ ، جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَجِئْتُ مِنْهُ رُعْبًا ، فَجَعْتُ فَقُلْتُ : زَمَلُونِي زَمَلُونِي ، فَدَثَرُونِي ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ إِنْ أَرَادْتَ الْخُرُوجَ فَخُذْ رِحْلَكَ مِنَ الْمُؤْتَمِرِ ﴿٢﴾ أَذْهَبَ الْخُبْرُ وَوَجَدَ الْمُؤْتَمِرِينَ ﴿٣﴾ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿٤﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٥﴾ وَالرَّحْمَنُ فَاعْبُرْ ﴿٦﴾ - قَبْلَ أَنْ تَفْرُضَ الصَّلَاةَ - وَهِيَ الْأَوْتَانُ » (٢) .

قال ابن إسحاق : « ثم تنام الوحي إلى رسول الله ﷺ وهو مؤمن بالله مُصَدِّقٌ بما جاءه منه قد قبله بقبوله . وآمنت به خديجة ، وصدقت

(١) البخاري: ١ - بدء الوحي ١ - باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ : ٤/١ - ٥ ، رقم ٣ ، مختصرًا .

(٢) البخاري: ٦٨ - التفسير : ٤٠٤ - باب : وثياك فطهر : ٤/١٨٧٥ ، رقم ٤٦٤١ .

بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله ، وصدق بما جاء منه . فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبتته وتخفف عليه ، وتصلقه ، وتهون عليه أمر الناس « (١) .

وقد أسلم عليّ بن أبي طالب ﷺ بعد خديجة إذ كان في حجر النبي ﷺ قبل الإسلام معونة من رسول الله ﷺ لأبي طالب ورداً لجميله ، فقد كان قليل المال كثير العيال . قال ابن عباس : وكان عليّ أول من أسلم من الناس بعد خديجة - رضي الله عنها - « (٢) .

وكان أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق ﷺ ، قال النبي ﷺ : « إِنْ اللّٰهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ ، فَقُلْتُمْ : كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقَ ، وَوَأَسَانِي بِنَفْسِيهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي ؟ مَرَّتَيْنِ ، فَمَا أُرْذِي بَعْدَهَا » (٣) .

قال ابن كثير عن هذا الحديث : « وهذا كالنصّ على أنه

(١) السورة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الخشنى : ٣٠٤/١ - ٣٠٥ ، مختصراً . ذكره ابن هشام بدون إسناد .

قال العمريّ في السورة النبوية الصحيحة : « ومصنف ابن أبي شيبة : ٧٤/١٤ من مرسل الزهري ، ومستترك الحاكم ١٨٤/٣ بسند ضعيف من حديث حذيفة بن اليمان .

(٢) من حديث طويل أخرجه الحاكم ، ٣١ - كتاب معرفة الصحابة : ١٤٣/٣ ، رقم ٤٦٥٢ / ٢٥٠ ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة ، قال في التلخيص : صحيح .

(٣) البخاريّ : فتح الباري ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة ٤ - باب فضل أبي بكر : ٢٢/٧ ، رقم ٣٦٦١ .

أول من أسلم ﷺ» (١) ، « وقد أسلم أهل بيت أبي بكر بإسلامه » (٢) قالت عائشة - رضي الله عنها - : « لَمْ أَعْقِلْ أَبُويَ إِلَّا وَهَمًا يَدِينَانِ الدِّينَ » (٣) .

وقال ابن إسحاق : « فلما أسلم أبو بكر أظهر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله . وكان رجلاً مألُفاً لقومه ، محبباً سهلاً . وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته .

فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ، ممن يغشاه ويجلس إليه . فأسلم بدعائه - فيما بلغني - عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبدالرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله .

فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له ، فأسلموا وصلوا . فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام ، فصلوا وصدقوا رسول الله ﷺ بما جاءه من الله » (٤) .

وقال ابن كثير : « والجمع بين الأقوال كلها : أن خديجة أول من أسلم من النساء - وظاهر السياقات - وقبل الرجال أيضاً .

وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة ، وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب ، وهؤلاء الأربعة كانوا إذ ذاك أهل البيت .

(١) السيرة النبوية لابن كثير : ٤٣٤/٤ .

(٢) السيرة النبوية الصحيحة ، للعمري : ١٣٥/١ .

(٣) صحيح البخاري : فتح الباري : ٤٧٥/٤ .

(٤) السيرة النبوية ، لابن هشام ، مع شرح أبي فرّ الخشني : ٣١٧/١ ، ٣١٨ . وقد أوردها عن ابن إسحاق دون إسناد .

وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق ، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم ، إذ كان صدرًا معظّمًا ، ورئيسًا في قريش مكرّمًا ، وصاحب مال ، وداعية إلى الإسلام ، وكان محببًا متألّفًا يبذل المال في طاعة الله ورسوله « (١) .

وقال - رحمه الله - : « وروى الإمام أحمد وابن ماجه من حديث عاصم ابن أبي النجود عن زرّ عن ابن مسعود قال : « أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمّار ، وأمه سميّة ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد » (٢) .

وهكذا يتّضح من النقول السابقة أن النبي ﷺ بدأ بأهل بيته وأقرب الناس إليه ، وأحبّ أصدقائه إليه .

وقال ابن إسحاق : « ثمّ دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الإسلام بمكّة وتحدّث به .

ثمّ إن الله ﷻ أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يبايئ الناس بأمره ، وأن يدعو إليه .

وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه ؛ ثمّ قال تعالى له :

(١) السيرة النبوية ، لابن كثير : ٤٣٢/١ .

(٢) المصدر السابق : ٤٣٦/١ .

وقال صاحب تهذيب سيرة ابن كثير في تخريجه لها : رواه أحمد في فضائل الصحابة (١٩١) بسند حسن ، (٢٨٢) عن مجاهد بسند صحيح . انظر : تهذيب سيرة ابن كثير ، ص ١١١ .

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ^(١) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ .

قال ابن هشام : اصدع : أفرق بين الحق والباطل . قال ابن إسحاق : وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم .

فلما بادی رسولُ الله ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه - فيما بلغني - حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته ، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام « (١) .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : قال « لَمَّا نَزَلَتْ ﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي : يَا بَنِي فِهْرٍ ، يَا بَنِي عَدِيٍّ ، لِبَطْنِ قُرَيْشٍ ، حَتَّى اجْتَمَعُوا ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ ، فَقَالَ : أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي ، تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ ، لَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِلْقًا ، قَالَ : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : تَبَّأَ لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا ؟ فَنَزَلَتْ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ « (١) .

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الخشنى : ٣٢٥/١ - ٣٢٦ ، باختصار .

(٢) البخاري : ٦٨ - التفسير / الشعراء : ٢٦٠ - باب وأنذر عشيرتك الأقربين :

١٧٨٧/٤ ، رقم ٤٤٩٢ .

وفي حديث أبي هريرة قال : « قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ وَأَذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ قَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ، اسْتَرَوْا أَنْفُسَكُمْ ، لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِمَنَافٍ لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا صَفِيَّةَ عَمَةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أَغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي ، لَا أَغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » (١) .

وفي إحدى روايات ابن عباس قال : « خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصُّفَا فَهَتَفَ : يَا صَبَاحَةَ » (٢) الحديث ...

وفي حديث أبي هريرة عند مسلم ؛ قال : « لَمَّا أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَأَذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ : يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي مُرَّةِ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا فَاطِمَةَ أَنْقِدِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، غَيْرَ أَنْ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبْلُهَا بِبِلَالِهَا » (٣) .

ومن شِدَّةِ حرصه ﷺ على تنفيذ أمر ربه وضع أصبعه في أذنيه

(١) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم ٤٤٩٣ .

(٢) المصدر السابق ، الموضع نفسه : ٤٦٦ - باب تفسير سورة تبت يدا أبي لهب :
١٩٠٢/٤ ، رقم ٤٦٨٧ .

(٣) مسلم : ١ - كتاب الإيمان ٨٩ - باب في قوله تعالى : ﴿ وَأَذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ :
١٩٢/١ ، رقم ٢٠٤ .

وصعد الجبل وهتف ، فعن قسامة بن زهير قال حدثني الأشعري^(١) قال : « لَمَّا نَزَلَ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُصْبَعِيهِ فِي أُذُنِيهِ فَرَفَعَ مِنْ صَوْتِهِ فَقَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافِ يَا صَبَاحَةَ »^(٢) .

قال ابن إسحاق : « ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه ، يُظهر دين الله ويدعو إليه ، ثم شرى الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا ، وأكثر قريش ذكراً رسول الله ﷺ بينها فتدامروا فيه وحض بعضهم بعضاً عليه »^(٣) .

ولقد كانت دعوة النبي ﷺ إلى الخلق كافة .

فعن أبي هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « فَضَلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَيْتٌ : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَتُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً ، وَخْتِمَ بِي النَّبِيُّونَ »^(٤) .

وفي حديث جابر : « كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ »^(٥) .

وكانت دعوته ﷺ تشمل الثقيلين الخنّ والإنس ، فعن ابن مسعود

(١) الأشعري : هو أبو موسى الأشعري ، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار ، الصحابي المشهور . معرفة الصحابة لأبي نعيم : ١٧٤٩/٤ .

(٢) سنن الترمذي : أبواب تفسير القرآن : ٢٧ - سورة الشعراء ، رقم ٣٤١٥ .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي : ٨٦/٣ ، رقم ٢٥٤٧ .

(٣) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الخشني : ٣٢٨/١ - ٣٢٩ .

(٤) مسلم : ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة : ٣٧١/١ ، رقم ٥٢٣ .

(٥) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم ٥٢١ .

أن النبي ﷺ قال في ليلة الجحَن : « أتاني داعي الجين ، فذهبت معه فقَرأت عليهم القرآن . قال : فأنطلق بنا فأرانا آثارهم ، وآثار نيرانهم ، وسألوه الزَّاد ، فقال : لكم كلُّ عظم ذكَّر اسمُ الله عليه يقع في أيديكم لو قرأ ما يكون لهما ، وكلُّ بغرة علفٌ ليدوابكم . فقال رسولُ الله ﷺ : فلا تستنجوا بهما ، فإنهما طعامٌ إخوانكم » (١) .

وفي رواية أنه أخبرته بهم شجرة ، فعن معن قال : « سمعتُ أبي قال : سألتُ مسروقاً : من آذن النبي ﷺ بالجحَن ليلةً استمعوا القرآن ؟ فقال : حدَّثني أبوك - يعني ابن مسعود - أنه آذنته بهم شجرة » (٢) .

وكان النبي ﷺ يدعو إلى التوحيد مجرداً ، ويدعو أحياناً إلى التوحيد ومعه بعض شرائع الدين .

فعن معاذ بن جبل قال : قال النبي ﷺ : « يا معاذ أتدري ما حقُّ الله على العباد ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . أتدري ما حقُّهم عليه ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : أن لا يعذبهم » (٣) .

وعن ابن عباس قال : « لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى نحر أهل اليمن قال له : إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ما

(١) مسلم : ٤ - كتاب الصلاة ٣٣ - باب الجهر بالقراءة في الصبح : ٣٣٢/١ ، رقم ٤٥٠ ، مختصراً .

(٢) المصدر السابق ، الموضع السابق ، رواية للحديث ٤٥٠ .

(٣) البعاري : ١٠٠ - كتاب التوحيد ١ - باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أنه إلى توحيد الله تبارك وتعالى : ٢٦٨٥/٦ ، رقم ٦٩٣٨ .

تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى ، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ
فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيَاتِهِمْ ، فَإِذَا صَلُّوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ
افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ ، تَأْخُذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتَرُدُّ عَلَى فُقَيْرِهِمْ ، فَإِذَا
أَقْرَبُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ « (١) .

وأحياناً يأمر مع التوحيد بأمور ، وينهى عن أمور ، كما في حديث
وفد عبد القيس حينما قالوا له : « فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَأْمُرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا ،
وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ إِذَا نَحْنُ أَخَذْنَا بِهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَمْرُكُمْ
بِارْتِعِ ، وَانْتِهَاكُمْ عَنْ ارْتِعِ . اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ،
وَأَتُوا الزَّكَاةَ ، وَصُومُوا رَمَضَانَ ، وَأَعْطُوا الْخُمْسَ مِنَ الْغَنَائِمِ . وَانْتِهَاكُمْ عَنْ
ارْتِعِ : عَنِ الدِّبَاةِ ، وَالْحَنْتَمِ ، وَالْمَرْقَتِ ، وَالنَّقِيرِ ... » (٢) .

وكان ﷺ يبايع على ترك الإشراك بالله ، وعلى بعض الأحكام
الشرعية ، فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ : « بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
فِي رَهْطٍ ، فَقَالَ : أَبَايَعُكُمْ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَسْرِقُوا ، وَلَا
تَزْنُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ، وَلَا تَأْتُوا بِبَهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ ،
وَلَا تَغْضُونِي فِي مَغْرُوفٍ . فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ
ذَلِكَ شَيْئًا فَأَخِذْ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَظُهُورٌ ، وَمَنْ سَتَرَهُ اللَّهُ فَذَلِكَ
إِلَى اللَّهِ : إِنْ شَاءَ عَذْبَةٌ ، وَإِنْ شَاءَ غَفْرَةٌ لَهُ » (٣) .

(١) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم ٦٩٣٧ .

(٢) مسلم : ١ - كتاب الإيمان . (٦) باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين ،
والدعاء إليه : ٤٨/١ ، ٤٩ ، رقم ١٨ .

(٣) البحاري : ٨٩ - الحدود ١٤ - باب توبة السارق : ٢٤٩٤/٦ ، رقم ٦٤١٦ .

وكان ﷺ يحذر من شرك العمل ، ويقول : « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :
أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي ،
تَرَكَتُهُ وَشِرْكُهُ » (١) .

ويبين ﷺ أن الإنسان يولد على الفطرة الحنيفة ، وهي التوحيد ، فعن
أبي هريرة قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ،
فَأَبْوَاءُ يَهُودِيَّةٍ ، أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ ، أَوْ يَشْرِكِيَّةٍ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَمَنْ
هَلَكَ قَبْلَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ بِهِ » (٢) .

وقد كان النبي ﷺ يبين الدين لأصحابه ، ويقول أحياناً : سلوني ،
فيهابونه ، وربما نزل جبريل عليه السلام يسأله ليبين للناس دينهم .

كما جاء في حديث أبي هريرة ؛ قَالَ : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
سَلُونِي ، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ : يَا
رَسُولَ اللَّهِ ! مَا الْإِسْلَامُ ؟ ... فَذَكَرَ حَدِيثَ جَبْرِيلَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ،
وَقَالَ فِي آخِرِهِ : ثُمَّ قَامَ الرَّجُلُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : رُدُّوهُ عَلَيَّ .
فَأَلْتَمِسَ فَلَمْ يَجِدُوهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَذَا جَبْرِيلُ أَرَادَ أَنْ تَعْلَمُوا
إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا » (٣) .

(١) مسلم : ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق (٥) باب من أشرك في عمله غير الله :
٢٢٨٩/٤ ، رقم ٢٩٨٥ .

(٢) سنن الترمذي : أبواب القدر : ٥ ت باب ما جاء في كل مولود يولد على الفطرة ،
حديث رقم ٢٢٣٧ ، وصححه الألباني : انظر سنن الترمذي : ٢٢٥/٢ ،
رقم ١٧٣٧ . وهو في الصحيحين من المتفق عليه بصيغ متقاربة .

(٣) مسلم : ١ - كتاب الإيمان (١) باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان : ٤٠/١ ،
رقم ٧ - (١٠) .

والحديث رواه عبد الله بن عمر عن أبيه قال : « حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ^(١) وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْإِسْلَامُ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا . قَالَ : صَلَّيْتَ . قَالَ : فَعَجِّنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَلِّعُهُ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ ؟ قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . قَالَ : صَلَّيْتَ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : مَا الْمَسْتُورُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا ؟ قَالَ : أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا ^(٢) ، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْغُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَنْطَاوِلُونَ فِي الْبُنْيَانِ .

قَالَ : ثُمَّ أَنْطَلَقَ . فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا عُمَرُ ! أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ^(٣) .

(١) أي الرجل الداخِل هو الذي وضع كفيه على فخذي نفسه ، وجلس على هيئة المتعلم . هامش صحيح مسلم : ٣٦/١ .

(٢) ربَّتْهَا : في الرواية الأخرى : ربَّها ، على التذكير ، وفي الأخرى : بعلمها . ومعنى ربَّها وربَّتْها ؛ سيدها ومالكها ، وسيدتها ومالكها . هامش صحيح مسلم : ٣٦/١ .

(٣) مسلم : (١) كتاب الإيمان : (١) باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان : ٣٦/١ ، رقم ١ - (٨) .

وفي رواية النسائي : قال عمر : « فَلَيْسَتْ ثَلَاثًا » (١) .

وكان يبين لهم ﷺ مع التوحيد أركان الإسلام ودعائمه العظام ؛
ويبين لهم الإيمان وشعبه . قال عبد الله : قال رسول الله ﷺ : « يَبْنِي
الإِسْلَامَ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .
وَإِقَامَ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ، وَحَجَّ الْبَيْتِ ، وَصَوْمَ رَمَضَانَ » (٢) .

وعن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « الإِيمَانُ بِضْعٌ
وَسِتُّونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً . فَأَفْضَلُهَا : قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا :
إِمَاطَةُ الْأُذَى عَنِ الطَّرِيقِ . وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ » (٣) .

وفي حُرْمَةِ هذه الكلمة العظيمة وحقها روى جُنْدُبُ بن عبد الله
البحلي قال : « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ . وَإِنَّهُمْ اتَّقَوْا ، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ
يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ . وَإِنْ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ
قَصَدَ غَفَلْتَهُ . قَالَ : وَكُنَّا نَحَدِّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ . فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ
السَّيْفَ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَتَلَهُ .

فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ . فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ . حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ

(١) سنن النسائي : ٤٧ - كتاب الإيمان وشرائعه (٥) باب نعت الإسلام .

وصححه الألباني : انظر صحيح سنن النسائي : ١٠٢٥/٣ ، رقم ٤٦١٧ .

(٢) مسلم : ١ - كتاب الإيمان . (٥) باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام :
٤٥/١ ، رقم ١٦ .

(٣) المصدر السابق ، الكتاب نفسه : (١٢) باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها
وأدناها ، ص ٦٣ ، رقم ٣٥ .

الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ . فَدَعَاهُ ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : لِمَ قَتَلْتَهُ ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أُرْجِعَ فِي الْمُسْلِمِينَ ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا . وَسَمِي لَهُ نَفْرًا .

وَأَنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اِقْتَلْتَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهَ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرُ لِي . قَالَ : وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهَ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَيَّ أَنْ يَقُولَ : كَيْفَ تَصْنَعُ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهَ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ « (١) .

ومضى ﷺ في تبليغ أمر الله ﷻ ، لا يشغله عن ذلك شاغل ولا يصرفه صارف ، ولا يصدّه صاد ، رغم ما كان يلقاه .

قال ابن إسحاق : « ثُمَّ إِنَّ قَرِيْشًا اشْتَدَّ أَمْرُهُمُ لِلشَّقَاءِ الَّذِي أَصَابَهُمْ فِي عِدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ أَسْلَمَ مَعَهُ مِنْهُمْ ، فَأَغْرَوْا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَفَهَاءَهُمْ ، فَكَذَّبُوهُ وَأَذَوْهُ ، وَرَمَوْهُ بِالشَّعْرِ وَالسَّحَرِ وَالْكَهَانَةِ وَالْجِنُونِ ، وَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُظْهِرٌ لِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَسْتَخْفِي بِهِ ، مُبَادٍ لَهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَ مِنْ عَيْبِ دِينِهِمْ ، وَاعْتِرَالِ أَوْلِيَانِهِمْ ، وَفِرَاقِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ » (٢) .

ومن أشد ما لاقى ﷺ من صور العنت من قريش ما أخرجه ابن إسحاق قال : « فحدَّثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال :

قُلْتُ لَهُ : مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيْمَا

(١) المصدر السابق ، الكتاب نفسه : (٤١) تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ : ٩٧/١ - ٩٨ ، رقم ٩٧ .

(٢) السيرة النبوية ، بشرح الخشنى : ٣٥٧/١ - ٣٥٨ .

كَانُوا يُظْهِرُونَ مِنْ عَدَاوَتِهِ ؟ قَالَ : حَضَرْتُهُمْ وَقَدْ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الْحِجْرِ ، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ ، سَفَهَ أَحْلَامَنَا ، وَشَتَمَ آبَاءَنَا ، وَعَابَ دِينَنَا ، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا ، وَسَبَّ آلِهَتَنَا ، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ ، أَوْ كَمَا قَالُوا . فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ ؛ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ بِبَعْضِ مَا الْقَوْل . قَالَ : فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

قال : ثُمَّ مَضَى ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ الثَّانِيَةَ غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ الثَّلَاثَةَ فَعَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا . فَوَقَفَ ثُمَّ قَالَ :

اتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ؟ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ . فَأَخَذْتُ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ ، حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَأَنَّمَا عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَأَقْبَعَ . حَتَّى إِنْ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَصَاةٌ قَبْلَ ذَلِكَ لَيُرْفَوُهُ بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنْ الْقَوْلِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ : انصَرَفَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ جَهُولًا . قَالَ : فَانصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ وَأَنَا مَعَهُمْ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ذَكَرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ ، وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ ، حَتَّى إِذَا بَادَأَكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ ! فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَثَبُوا إِلَيْهِ وَثَبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ . وَأَحَاطُوا بِهِ يَقُولُونَ : أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا ؟ لِمَا كَانَ يَقُولُ مِنْ عَيْبِ آلِهَتِهِمْ وَدِينِهِمْ ؛ فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَعَمْ ، لَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ . قَالَ :

فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ . قَالَ : فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ دُونَهُ ، وَهُوَ يَبْكِي وَيَقُولُ : أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ! ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لِأَشَدِّ مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا نَالُوا مِنْهُ قَطُّ .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض آل أمّ كلثوم بنت أبي بكر أنّها قالت : لقد رجع أبو بكر يومئذٍ وقد صدّعوا فرق رأسه مما جذوه بلحيته ، وكان رجلاً كثير الشعر^(١) .

ولقد كان النبي ﷺ يطيف بمنازل القبائل من العرب وبأسواقهم ومواسمهم يدعوهم إلى الله ، ويبيّن لهم ما جاء به ، ويعرض نفسه عليهم .

فعن طارق المحاربيّ قال : « رأيت رسول الله ﷺ مرتين بسوق ذي الحجاز^(٢) وعليه جبة حمراء وهو ينادي بأعلى صوته :

يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا . ورجلٌ يتبعه بالحجارة قد أدمى كعبيه وهو يقول : يا أيها الناس لا تطيعوه فإنه كذاب .

قلت : من هذا ؟ قالوا : غلام من بني عبدالمطلب . قلتُ : من هذا الذي معه ؟ يتبعه يرميه ؟

قالوا : هذا عمّه عبدالعزّي - وهو أبو لهب - «^(٣) .

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح أبي ذر الخثني : ٣٥٨/١ - ٣٥٩ .

والحديث رواه البخاريّ في كتاب فضائل الصحابة : باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة : ١٤٠٠/٣ ، رقم ٣٦٤٣ مختصراً ، وأخرجه في كتاب التفسير ، باب تفسير سورة المؤمن . وقال خرّجا السيرة : ورواه أحمد في مسنده . انظر : الفتح الرباني : ٢١٩/٢٠ . قال الهيثمي : وقد صرح ابن إسحاق بالسماع ، وبقية رجاله رجال الصحيح . انظر : مجمع الزوائد : ١٥/٦ - ١٦ ، ورواه ابن أبي شيبة في المصنّف : ٢٩٧/١٤ .

(٢) ذو الحجاز : سوق حلف عرفة كانت تقوم فيه الجاهلية لمائة أيام من كلّ عام ، معجم البلدان : ٥٥/٥ . وقال في اللسان : كانوا يقيمون شهراً : ٤٤/٧ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي : ٧٦/٤ ، رقم ١٤١٣ ،

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَبِثَ - فِي حَدِيثِ
خَلْفٍ ؛ مَكَّةَ - عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ الْحَاجَّ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوْسَمِ بِمَجْنَّةٍ ^(١)
وَعَكَازٍ ^(٢) وَمَنَازِلِهِمْ بِمَنْىَ :

مَنْ يُؤْوِينِي وَيُنْصِرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي فَلَهُ الْجَنَّةُ » ^(٣) .

وَعَنْهُ ﷺ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي
الْمَرْقِفِ . فَقَالَ : أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ ؟ فَإِنْ قَرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ
أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي » ^(٤) .

وَكَانَ اللَّهُ ﷻ يَأْمُرُ نَبِيَّهُ ﷺ بِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ ، وَيُخْبِرُهُ أَنْ أَمْرَ الْهُدَايَةِ
إِلَيْهِ ، وَأَنَّ عَلَى نَبِيِّهِ الْبَلَاغَ لَيْسَ إِلَّا .

وَقَالَ مُحَقِّقُهُ : سَنَدُهُ حَسَنٌ . وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ بِسَنَدٍ آخَرَ عَنْ يَزِيدَ بِهِ ، وَصَحَّحَهُ ،
وَوَافَقَهُ النَّهْيِيُّ : ٦١١/٢ - ٦١٢ .

(١) مجنّة : من أسواق الجاهلية ، أسفل مكة ؛ ممر الظهر ؛ معجم البلدان : ٥٨/٥ .

(٢) عكاظ : سوق للعرب ، وموسم من مواسم الجاهلية . كان العرب يجتمعون بها
كلّ سنة فيقيمون بها شهراً ؛ يتبايعون ويتفاخرون ، ويتناشدون ، فلما جاء الإسلام
هدم ذلك . اللسان : ٤٤٨/٧ ، ومعجم البلدان : ١٤٢/٤ .

(٣) شرح السنّة للإلكائي : ٧٦٤/٤ ، رقم ١٤٢١ من حديث طويل لجابر ﷺ . وقال
المحقق : سنده حسن من كلا الطريقتين ما عدا أحمد بن عبيد شيخ المؤلف لم أحده ،
وقال : رواه الحاكم بطريق آخر عن ابن خثيم ، ثم قال : هذا حديث صحيح
الإسناد ، ووافقه النهي : ٦٢٤/٢ - ٦٢٥ .

(٤) سنن أبي داود : كتاب السنّة (٢٢) باب في القرآن . رقم الحديث ٤٧٣٤ .
وصحّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود : ٨٩٧/٣ ، رقم ٣٩٦٠ .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

عَنْ مَسْرُوقٍ ، عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أُنزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ كَذَبَ ، وَاللَّهُ يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ الْآيَةَ » (٢) .

وأنه مع هذا البلاغ فإن الهداية والحكم بيد الله وحده ، وهداية الأنبياء إنما هي هداية بيان ودلالة .

قال ابن إسحاق : ثُمَّ قَالَ لِمُحَمَّدٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (٣) . أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم ، أو أتوب عليهم برحمتي ، فإن شئت فعلت ، أو أعذبهم بذنوبهم فبحقِّي » (٤) .

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ . وَشَجَّ فِي رَأْسِهِ . فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ : كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَّتَهُ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ (٥) .

(١) المائدة : الآية (٦٧) .

(٢) البخاري ٦٨ - كتاب التفسير ١١٤ - باب ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ : ١٦٨٦/٤ ، رقم ٤٣٣٦ .

(٣) آل عمران : الآية (١٢٨) .

(٤) السيرة النبوية ، لابن هشام : ١٥٨/٣ .

(٥) مسلم ٣٢ - الجهاد والسير ، ٣٧ غزوة أحد : ١٤١٧/٣ ، رقم ١٧٩١ .

وقال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ ^(١) ،
 وقال : ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اقْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
 بِالْعِبَادِ ﴾ ^(٢) ، وقال : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ ^(٣) ، وقال :
 ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ ^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْتُوا مِنْ أَضَلِّ اللَّهُ ﴾ ^(٥) ، وقال تعالى :
 ﴿ أَفَلَمْ يَتَسَّسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ^(٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴾ ^(٧) .
 يقول جل ثناؤه : « ولو شئت لجمعتهم على الهدى » ^(٨) . وهي بمعنى
 قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ﴾ ^(٩) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ ^(١٠) .

والهداية نورٌ من الله ألقاه على عباده يوم خلقهم ، من لم يُصبه
 منهم من نوره فلا يمكن هدايته .

(١) البقرة : الآية (٢٧٢) .

(٢) آل عمران : الآية (٢٠) .

(٣) الرعد : الآية (٤٠) .

(٤) القصص : الآية (٥٦) .

(٥) النساء : الآية (٨٨) .

(٦) الرعد : الآية (٣١) .

(٧) الأنعام : الآية (١٠٧) .

(٨) شرح أصول أهل السنة : ٥٥٠/٣ ، للالكائي ، ورواه الطبري في التفسير : ٧٨/٨ .

(٩) الأنعام : الآية (٣٥) .

(١٠) المائدة : الآية (٤١) .

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَنْ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ ، لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى ، وَمَنْ لَخِطَاهُ ضَلَّ ، فَلِذَلِكَ أَقُولُ : جَعَلَ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ » (١) .
ومع أن الهداية بيد الله إلا أن المصطفى ﷺ كان يأمر أصحابه بإبلاغ هذا الدين .

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » (٢) .

وقد بلغ صلوات الله وسلامه عليه رسالة ربه وأدى ونصح أمته أفضل أداء وأجمله . وقد سأل أصحابه عن ذلك واستشهدهم ، وسأل الله أن يشهد على قلوبهم .

(١) سنن الترمذي : أبواب الإيمان ١٨ - باب افتراق الأمة . رقم الحديث ٢٧٩٣ .

وصححه الألباني : انظر : صحيح سنن الترمذي : ٣٣٤/٢ ، رقم ٢١٣٠ .

وأخرجه الحاكم : ٨٤/١ ، رقم ٨٣/٨٣ من حديث طويل ، وقال : هذا حديث صحيح قد تداوله الأئمة ، وقد احتجنا بجميع رواته ثم لم يخرجناه ، ولا أعلم له علة . قال في التلخيص : على شرطهما ولا علة له .

وأخرجه الأجرى في الشريعة ، ص ١٧٥ .

وأخرجه ابن أبي عاصم ، برقم ٢٤١ - ٢٤٤ . ٤٣ - باب ذكر قول النبي ﷺ :

« إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَنْ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ ، لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ » : ١٠٧/١ - ١٠٩ ، وصححه إسناده .

وأخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة : ٤٢٤/٢ ، رقم ٩٣٢ .

(٢) البخاري : ٦٤ - الأنبياء ٥١ - باب : ما ذكر عن بني إسرائيل : ١٢٧٥/٣ ،

رقم ٣٢٧٤ .

ففي حديث حجة النبي ﷺ الطويل الذي يرويه جابر بن عبد الله ، قال في آخر خطبته يوم عرفة مخاطباً أصحابه ، قال : « ... وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ قَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ . ثَلَاثَ مَرَّاتٍ » (١) .



(١) مسلم : ١٥ - كتاب الحج ١٩ - باب حجة النبي ﷺ : ٨٨٦/٢ ، رقم ١٢١٨ .

الفصل الثاني

الأساليب النبوية في دعوة المشركين

المبحث الأول : هاتمه بالحكمة .

١- تبليغ ما جاء به وبيانه ، وجهادهم به :

ودعوة النبي ﷺ كلها حكمة ، وأساليبه حكمة ، والقرآن كله حكمة ، والسنة والهدي كله حكمة . وقد مرّ في المبحث السابق كثير من تبليغ النبي ﷺ رسالة ربه وبيانه وجهاده في ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ﴾ ^(٢) ، وقال : ﴿ وَجَاهِدْتُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ ^(٣) ، وقال تعالى : ﴿ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِدِ ﴾ ^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ^(٥) . وقال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ ^(٦) .

(١) الأنبياء : الآية (٤٥) .

(٢) الأعراف : الآية (٢٠٣) .

(٣) الفرقان : الآية (٥٢) .

(٤) ق : الآية (٤٥) .

(٥) النحل : الآية (٤٤) .

(٦) النساء : الآية (١١٣) .

قال ابن كثير : « ثم امتنّ عليه بتأييده إياه في جميع الأحوال ، وعصمته له ، وما أنزل عليه من الكتاب ، وهو القرآن . والحكمة وهي السنة » (١) .

ومن الأمثلة التطبيقية .

ما رواه ابن إسحاق عن محمود بن لبيد قال : « لما قدم أبو الحيسر مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل ، فيهم إياس بن معاذ ، يلتبسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج . سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم في خير مما جئتم له ؟ قالوا : وما ذلك ؟ قال : أنا رسول الله ، بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل علي الكتاب ، قال : ثم ذكر الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . فقال إياس بن معاذ - وكان غلاماً حدثاً - : أي قوم ، هذا والله خير مما جئتم له . قال : فيأخذ أبو الحيسر حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ ، وقال : دعنا منك ، فلعمري لقد جئنا لغير هذا . وقام رسول الله ﷺ عنهم ، وأنصرفوا إلى المدينة .

قال : ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك . فما كانوا يشكون أن قد مات مسلماً ، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس ، حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع » (٢) .

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ١٠١٦/٣ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الخشني : ٨٠/٢ - ٨١ ، مختصراً .

قال المحققان : قصة إسلام إياس من معاذ صرح ابن إسحاق بالسماع ، وسنده صحيح ، ورواها أحمد والطبراني من طريق ابن إسحاق ، ورجاله ثقات .

وكان يبين ﷺ مع التوحيد بعض مكارم الأخلاق وآداب الإسلام كصلة الأرحام ؛ وهي أمرٌ ينطبق تمامًا مع الفطرة ، ويؤيده العقل السليم ، فيذكره ترغيبًا وتحبيبًا لمن يدعو به في الإسلام :

فعن عمرو بن عبسة قال : « أتيتُ رسولَ الله ﷺ في أوَّل ما بُعث وهو بمكة ؛ وهو حينئذٍ مستضعف ، فقلت : ما أنت ؟ قال : أنا نبي ، قلت : وما نبي ؟ قال : رسولُ الله ، قلت : بما أرسلك ؟ قال : بأن يعبد الله وتُكسر الأوثان ، وتوصل الأرحام ؛ بالبرِّ والصلة » (١) .

وعن ابن عباس : « أن ضِمَادًا قَدِيمَ مَكَّةَ ، وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنْوَةَ ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ : إِنَّ مُحَمَّدًا مَحْنُونٌ ، فَقَالَ : لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَيَّ يَدِي ، قَالَ : فَلَقِيَهُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَيَّ يَدِي مِنْ شَاءَ ، فَهَلْ لَكَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَتَسْتَعِينُهُ ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَمَا بَعْدُ ، قَالَ : فَقَالَ : أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَ : فَقَالَ : لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ

انظر : مجمع الزوائد : ٣٦/٦ ، وانظر الفتح الرباني : ٢٦٦/٢ ، ورواه البيهقي في دلائل النبوة : ٤٢٠/٢ - ٤٢١ . قال ابن حجر في الإصابة : رواه جماعة عن ابن إسحاق هكذا ، وهو صحيح من حديثه . انظر : الإصابة : ١٠٢/١ ، قال : فيكون الخبر صحيحًا . انظر : الحاشية ، مختصرًا .

(١) المستدرک : کتاب البر والصلة : ١٦٥/٤ ، رقم ٧٢٤٠ ، قال الحاكم : حديثٌ صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . قال في التلخيص : على شرط البعاري ومسلم .

الكهنة ، وَقَوْلَ السُّحْرَةِ ، وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ ، وَلَقَدْ بَلَغَنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ ، قَالَ : قَالَ : هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ ، قَالَ : فَبَايَعَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَعَلَى قَوْمِكَ ، قَالَ : وَعَلَى قَوْمِي ، قَالَ : فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً ، فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ : هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً ، فَقَالَ : رُدُّوهَا ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ ضِمَادٌ « (١) .

٢- الصبر على أذاهم ، والكف والعلم ، والعضو عنهم :

الصبر والعفو هو الأصل والقاعدة العريضة في منهجه ﷺ ، وقد أمر الله بالصبر بعد الأمر بالدعوة إليه .

فقال تعالى : ﴿ وَكُنْ صَابِرًا مِمَّا هُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ (٣٧) وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴿ (٢) .

وأمر ﷺ بالصبر والكف بمكة قبل الإذن بالقتال في المدينة :

فَعَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَأَصْحَابًا لَهُ ، أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ بِمَكَّةَ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّا كُنَّا فِي عِزٍّ وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ ، فَلَمَّا آمَنَّا صَبَرْنَا أَذْلَةً ؟ فَقَالَ : إِنِّي أَمَرْتُ بِالْعَفْوِ ، فَلَا تَقَاتِلُوا .

فَلَمَّا حَوَّلَنَا اللَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ أَمَرْنَا بِالْقِتَالِ ، فَكَفُّوا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ « (٣) .

(١) مسلم : كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة : ٥٩٣/٢ ، ٥٩٤ ، رقم ٨٦٨ .

(٢) النحل : جزء من الآية (١٢٦ - ١٢٧) .

(٣) سنن النسائي : ٢٥ ت كتاب الجهاد ١ - باب وجوب الجهاد .

وصحح إسناده الألباني . انظر : صحيح سنن النسائي : ٦٤٦/٢ ، رقم ٢٨٩١ .

وقد لاقى ﷺ العنت من قومه والأذى ، ولكنه صبر ﷺ . قالت عائشة - رضي الله عنها - للنبي ﷺ : « هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبدياليل بن عبدكلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال فسلم علي ، ثم قال : يا محمد ، فقال : ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال النبي ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ، لا يشرك به شيئاً » (١) .

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد . وشج في رأسه . فجعل يسأل الدم عنه ويقول : كيف يفلح قوم شحوا نبيهم ، وكسروا رباعيته ، وهو يدعوهم إلى الله ؟ فأنزل الله ﷻ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ (٢) .

وعن عبد الله قال : « كآني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربته قومه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » (٣) .

(١) البخاري : ٦٣ - بدء الخلق ، ٧ - باب إذا قال أحدكم : آمين ، والملاحكة في

السماء ، فوافقت إحداهما الأخرى غير له ما تقدم من ذنبه : ١١٨٠/٣ ، رقم ٣٠٥٩ .

(٢) مسلم ٣٢ - الجهاد والسير ، (٣٧) باب غزوة أحد : ١٤١٧/٣ ، رقم ١٧٩١ .

(٣) مسلم ٣٢ - الجهاد والسير ، (٣٧) باب غزوة أحد : ١٤١٧/٣ ، رقم ١٧٩٢ .

وعن أسامة بن زيد: « أن النبي ﷺ مرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبْدَةَ الْأوثَانِ وَالْيَهُودِ . فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي . . . فَلَمَّا غَشِيَتْ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةٌ الدَّابَّةِ حَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ . ثُمَّ قَالَ : لَا تُغَيِّرُوا عَلَيْنَا . فَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ ، فَدَعَاَهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي : أَيُّهَا الْمَرْءُ لَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا ، إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَلَا تُؤْذِنَا فِي مَجَالِسِنَا ، وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ ، فَمَنْ جَاءَكَ مِنَّا فَاقْصُصْ عَلَيْهِ ... فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ ، حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَتَوَاتَبُوا ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ .

ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ : أَيُّ سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى مَا قَالَ أَبُو حَبَابٍ ؟ - يُرِيدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي - قَالَ : كَذًا وَكَذًا . قَالَ : اعْفُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاصْفَحْ ، فَوَاللَّهِ ! لَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ الَّذِي أَعْطَاكَ ، وَلَقَدْ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحِيرَةِ أَنْ يَتَوَجَّهُوا . فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَهُ شَرِيقَ بِذَلِكَ . فَعَفَا عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ » (١) .

وَعَنْ أَنَسِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذِي أَحَدٌ ، وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ ، وَلَقَدْ آتَتْ عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَمَا لِي وَبِلَيْلٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ ، إِلَّا مَا وَارَى إِبْطَ بِلَالٍ » (٢) .

(١) المصدر السابق ، والكتاب نفسه (٤٠) باب في دعاء النبي ﷺ وصره على أذى المتناقضين : ١٤٢٢/٣ - ١٤٢٣ ، رقم ١٧٩٨ ، مختصراً .

وابن أبي لم يكن أظهر الإسلام وأخفى الكفر بعد ، وإنما هو كافر مجاهر بكفره .

(٢) سنن ابن ماجه : (١١) باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، رقم ١٥١ .

وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ٣٠/١ - ٣١ ، رقم ١٢٣ .

وفي صلح الحديبية صبر عليهم النبي ﷺ في شروطهم المجحفة ، وفي كتابة الصلح أيضاً ، فعن أنس : « أن قريشاً صالحوا النبي ﷺ ، فيهم سهيل بن عمرو . فقال النبي ﷺ لعلي : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . قال سهيل : أما باسم الله ، فما نذري ما بسم الله الرحمن الرحيم ، ولكن اكتب ما نعرف : باسمك اللهم .

فقال : اكتب ، من محمد رسول الله ، قالوا : لو علمنا أنك رسول الله لا تبغناك . ولكن اكتب اسمك واسم أهلك . فقال النبي ﷺ : اكتب : من محمد بن عبد الله ، فاشترطوا على النبي ﷺ : أن من جاء منكم لم نردّه عليكم ، ومن جاءكم منا ردّتموه علينا . فقالوا :

يا رسول الله ! أنكب هذا ؟ قال : نعم ، إنه من ذهب منا إليهم ، فأبغده الله ، ومن جاءنا منهم ، سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً » (١) .

وقد يدعو النبي ﷺ على المشركين إذا بالغوا في أذاهم واستهزأهم .

فعن عبد الله قال : « بينما رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة ، وجمع قريش في مجالسهم ، إذ قال قائل منهم : ألا تنظرون إلى هذا المرابي ؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان ، فيعبد إلى فرثها ودمها وسلاها ، فيجيء به ، ثم يمهلها ، حتى إذا سجد ، وضعه بين كفيه ؟ فانبعث أشقاهم ، فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كفيه ، وثبت النبي ﷺ ساجداً ، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك ،

(١) مسلم : ٣٢ - كتاب الجهاد والسير (٣٤) باب صلح الحديبية في الحديبية :

فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقًا إِلَى فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ - وَهِيَ جُوَيْرِيَّةٌ - فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى ، وَتَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا ، حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسْبِيحُهُمْ .

فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ : اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ . ثُمَّ سَمَى : اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرٍو بْنِ هِشَامٍ ، وَعَنْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُنْبَةَ ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ ، وَعَقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَعَمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرَغَى يَوْمَ بَدْرٍ ، ثُمَّ سُجُّوا إِلَى الْقَلْبِيبِ ، قَلْبِيبِ بَدْرٍ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَأَتَّبِعَ أَصْحَابُ الْقَلْبِيبِ لَعْنَةً « (١) .

٢- الدعوة بالتألف بالدعاء بالهدى لهم :

قال أبو هريرة ؓ : « قَدِمَ طَفِيلُ بْنُ عَمْرٍو الدُّوسِيُّ وَأَصْحَابُهُ ، عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا . فَقِيلَ : هَلَكْتُ دَوْسٌ . قَالَ : « اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ » (٢) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال : « اللهم اعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة » (٣) .

وعن أبي هريرة قال : « كُنْتُ أَدْعُو أُمَّي إِلَى الْإِسْلَامِ - وَهِيَ مُشْرِكَةٌ - فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا ، فَأَسْمَعْتَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ ،

(١) البخاري: ١٢ - سيرة المصلي ١٩ - باب : المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى : ١٩٤/١ ، رقم ٤٩٨ .

(٢) البخاري: ٦٠ - الجهاد ٩٩ - باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم : ١٠٧٣/٣ ، رقم ٢٧٧٩ .

(٣) المستدرک : کتاب معرفة الصحابة . مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ : ٨٩/٣ ، رقم ٤٤٨٥ .

فَأْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي كُنْتُ
أَدْعُو أُمَّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْتِي عَلَيَّ . فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعْتَنِي فِيكَ مَا
أَكْرَهُ ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ، فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا
بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ .

فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ ، فَسَمِعْتُ أُمَّي
خَشَفَ قَدَمَيَّ . فَقَالَتْ : مَكَانَكَ أَيَا أَبَا هُرَيْرَةَ ! وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ
الْمَاءِ . قَالَ : فَاغْتَسَلْتُ ، وَلَبَسْتُ دِرْعَهَا ، وَعَجَلْتُ عَنْ حِمَارِهَا .
فَفَتَحَتِ الْبَابَ ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ! أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ
أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَأْتَيْتُهُ وَأَنَا
أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ . قَالَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَبَشِرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ
دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ . فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ خَيْرًا « (١) .

٤- تَأْتِيهِم بِالْعَطَايَا وَالْهَدَايَا :

عن أنسٍ رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « إِنِّي أُعْطِي قَرِينَتَا أَتَأْتِيهِمْ ، لِأَنَّهُمْ
حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ » (٢) .

وعن عمرو بن تغلب رضي الله عنه قال : « أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمًا وَمَنَعَ
آخَرِينَ ، فَكَأَنَّهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنِّي أُعْطِي قَوْمًا أَخَافُ ظَلْفَهُمْ

(١) مسلم : ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة (٣٥) باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه :
١٩٣٨/٤ ، رقم ٢٤٩١ .

(٢) البخاري : ٦١ - الخمس ١٩ - باب : ما كان النبي ﷺ يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ
وغيرهم من الخمس ونحوه : ١١٤٧/٣ ، رقم ٢٩٧٧ .

وَجَزَعَهُمْ ، وَأَكَلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْفَنَى ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ .

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ : مَا أَحْبَبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ « (١) .

وعن عبد الله ﷺ قال : « لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَسًا فِي الْقِسْمَةِ ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَعْطَى عَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ ، فَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ ، قَالَ رَجُلٌ :

وَاللَّهِ إِنْ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُذِلَ فِيهَا ، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لِأَخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : فَمَنْ يَفْعَلُ إِذَا لَمْ يَفْعَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟ رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ « (٢) .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ : « مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ ، قَالَ : فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ . فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا قَوْمِ ! أَسْلِمُوا ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ « (٣) .

وَقَالَ أَنَسٌ : « إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيْسَ لِمَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا . فَمَا يُسَلِّمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا « (٤) .

(١) المصدر السابق ، الموضوع نفسه : رقم ٢٩٧٦ .

(٢) المصدر السابق ، الموضوع نفسه : رقم ٢٩٨١ .

(٣) مسلم : ٤٣ - كتاب الفضائل . (١٤) باب ما سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فقال : لا ، وكثرة عطائه : ١٨٠٦/٤ ، رقم ٢٣١٢ .

(٤) المصدر السابق ، الموضوع نفسه ، بعد رواية أخرى للحديث ، ٥٨/٢٣١٢ .

وعن ابن شهاب قال : « غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ ، فَتَحَ مَكَّةَ ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ . فَفَضَّرَ اللَّهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ .

وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةَ مِائَةٍ مِنَ النَّعَمِ ، ثُمَّ مِائَةَ ، ثُمَّ مِائَةَ .

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ؛ أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ . فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ » (١) .

وهذا الحديث يبين ما يفعله المال في النفس البشرية ، وأنه يقلبها رأساً على عقب .

وعن محمد بن إسحاق ، قال : « لَمَّا قَلِمَ وَفَدَ هِوَا زَن ، قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا فَعَلَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ ؟ قَالُوا : هُوَ بِالطَّائِفِ مَعَ ثَقِيفٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَخَبِرُوا مَالِكًا إِنَّهُ إِنْ أَتَانِي مُسْلِمًا رَدَدْتُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، وَأَعْطَيْتُهُ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ .

فَأَنْبِئْ مَالِكَ بِذَلِكَ . فَلَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَدْرَكَهُ بِالْجِعْرَانَةِ أَوْ بِمَكَّةَ ؛ فَرَدَّ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، وَأَعْطَاهُ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ ، فَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ . وَاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ » (٢) .

(١) المصدر السابق ، الموضع نفسه : رقم الحديث ٢٣١٣ .

(٢) معرفة الصحابة ، لأبي نعيم الأصبهاني : ٢٤٧٣/٥ ، ترجمة رقم ٢٦١٧ ، حديث رقم ٦٠٢٢ ، مختصراً ، قال الميمني : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات . انظر : مجمع الزوائد : ١٨٩/٦ .

٥- التألف بما يُعيب المدعو :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ حِينَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ ، وَقَدْ خَرَجَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ يَتَحَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ .

وبعد أن شهد أبو سفيان شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ . قال العباس : فقلتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ يُحِبُّ الْفَخْرَ فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئاً . قَالَ : نَعَمْ ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ... » (١) الحديث .

٦- الإعراض عن أخطائهم ، والعمو عنهم :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ نَجْدٍ ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ ، فَأَذْرَكَهُمْ الْقَائِلَةَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ ، فَانزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاهِ يَسْتَنْظِلُونَ بِالشَّجَرِ ، وَانزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ سَمْرَةٍ ، فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ . قَالَ جَابِرٌ : فَبِمَا نَوَمْنَا ، ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا فَجِئْنَا ، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنْ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِي صَلْتًا ، فَقَالَ لِي : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ : اللَّهُ ، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٍ . ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ » (٢)

والأساليب النبوية في دعوة المشركين كثيرة .



(١) المطالب العالية ، لابن حجر : كتاب السيرة والمغازي - باب غزوة الفتح : ٢٤٤/٤

- ٢٤٨ ، رقم الحديث ٤٣٦٢ ، مختصراً .

قال الحافظ ابن حجر : هذا حديث صحيح .

(٢) البخاري : ٦٧ - المغازي ٢٩ - باب غزوة ذات الرقاع : ١٥١٥/٤ ، رقم ٣٩٠٥ .

المبحث الثاني : هاموتهم بالموعظة الحسنة .

وهي كل ما يثير الوجدان ، ويلهب العاطفة ، ويحمل الإنسان على تقوى الله وخشيته وخوفه ورجائه بالترغيب والترهيب ، والتبشير والإنذار ، والتذكير بأيام الله ونعمه ، ومصارع الأمم الغابرة ، والتذكير بعظمة الله ﷻ والتخويف منه ، وما أعدّه لمن عصاه ، وما أعدّه لمن أطاعه .

والكتاب والسنة مليان بالمواعظ الحسنة ، التي تحمل على تقوى الله وخشيته ، ومن ذلك :

قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿٥٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لِّلنَّاسِ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿٥٣﴾ وَمَا تَوْخِئَةٌ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ هُنَّ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنَ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿٥٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿٥٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَمِنَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْنُودٍ ﴿٥٨﴾ .

(١) الأنفال : الآيات (٥٠ ، ٥١) .

(٢) هود : الآيات (١٠٢ - ١٠٨) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلُ هُمْ كُنُوزُكُمْ مِنْ آرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ .

وقال ﷻ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿١٩﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُمْ هَوَاهُ ﴿٢٠﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ بِحُجْبِ دَعْوَتِكَ وَتَبِعَ الرَّسُلَ أَوْلَمَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٢١﴾ وَسَكَتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٢٢﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٢٣﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفًا وَعْدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَتَزُولُ إِلَهُ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٢٥﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْقَادِ ﴿٢٦﴾ سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قَطْرٍ أَنْ تَفْشَى وَجُوهُهُمْ النَّارُ ﴿٢٧﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ هَسٍّ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٨﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ الْوَاحِدُ وَيَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿٣٠﴾

(١) إبراهيم : الآيات (١٣ - ١٨) .

(٢) إبراهيم : الآيات (٤٢ - ٥٢) .

يَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿٣٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿٣٤﴾ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿٣٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿٣٦﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا غِوَاخٌ وَلَا أَمْثَلًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿٣٨﴾ (١)

وقال : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿٣٦﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٣٧﴾ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٣٨﴾ كَمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِينُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٣٩﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرَّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿٣٤﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٥﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٣٦﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ ﴿٣٧﴾ (٤)

(١) طه : الآيات (١٠٢ - ١٠٨) .

(٢) الحج : الآيات (١٩ - ٢٢) .

(٣) فاطر : الآيات (٣٦ - ٣٨) .

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿٦٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهَوْنِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٧﴾ وَجَعَلْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَلُوا بِتَعْوَنَ ﴿٦٨﴾ وَيَوْمَ يُخْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٦٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَقَالُوا الْجُلُودُ دَهْمٌ لَّمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ﴿٧١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْفًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَأَكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٧٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٧٤﴾ .

والأحاديث النبوية في ذلك كثيرة ، منها : ما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - قَالَ : « لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ وَرَهْطُكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا ، فَهَتَفَ : يَا صَبَاحَةَ . فَقَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي ؟ قَالُوا : مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا ، قَالَ :

فَأَنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . قَالَ أَبُو لَهَبٍ : تَبَا لَكَ ، مَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا ؟ ثُمَّ قَامَ . فَنَزَلَتْ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ وَقَدْ تَبَّ ، هَكَذَا قَرَأَهَا الْأَعْمَشُ يَوْمَئِذٍ « (١) .

(١) فصلت : الآيات (١٣ - ٢٤) .

(٢) البعاري : ٦٨ - التفسير ٤٦٦ - باب تفسير سورة (تبت يدا أبي لهب) :

١٩٠٢/٤ ، رقم ٤٦٨٧ .

ففي هذا الحديث بعد أن جمعهم النبي ﷺ تقررهم على تصديقه ، فأصبحت قلوبهم وعقولهم مهيأة لسماع حديثه . أخبرهم أنه نذير لهم ، فهذه من المواعظ المختصرة التي تثير الخوف في القلوب ، وتحمل من سمعها على الاستجابة .

وفي حديث أبي هريرة قال : « قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ قَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ، اشْتَرَوْا أَنْفُسَكُمْ ، لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِمَنْفٍ لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِالمُطَّلِبِ لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا صَفِيَّةَ عَمَةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أَغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي ، لَا أَغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » (١) .

فهذا التخصيص بعد التعميم تحذير من النبي ﷺ لأقرب الناس إليه ؛ ابنته فاطمة ، وعمته صفية ، وعمه العباس . أنه لن ينفع عند الله إلا من أتاه بقلب سليم ، فلا وسائط ولا قريب ولا بعيد ، إنما هو التوحيد والعمل الصالح الذي يكون سبباً في رحمة الله ﷻ .

ومن ذلك أيضاً ما رواه سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، قال :

« لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، فَقَالَ : أَيُّ عَمٍّ ، قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، كَلِمَةٌ أَحَاجُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ . فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ : أترغبُ عن مِلَّةِ عَبْدِالمُطَّلِبِ ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) المصدر السابق ، الكتاب نفسه ، ٢٦٠ - باب : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ :

يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ ، وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ : عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَلَمْ أَنْعَكَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ « (١) .

قال الحافظ : « ووقع في رواية معمر عن الزهري بهذا الإسناد في الجنائز « أشهد » ، بدل « أحاج » . وفي رواية مجاهد عند الطبري « أجادل عنك بها » . زاد الطبري من طريق سفيان بن حسين عن الزهري قال : « أبي عم ، إنك أعظم الناس علي حقا ، وأحسنهم عندي يدا ، فقل كلمة تجب لي بها الشفاعة فيك يوم القيامة » « (٢) .

هذا النداء اللطيف منه ﷺ ، يدعو عمه إلى الاستجابة ، وفي طلبه ﷺ إيجاء إلى عمه بوجوب اتقاء غضب الله ﷻ وبأسه ، كما أن كلامه ﷺ الوارد في الروايات الأخرى وعرفانه ﷺ بالجميل وبحق عمه عليه ، فيه تمهيد وترقيق لقلبه كي يلين في يديه ، ولكن الهداية الحقيقية بيد الله ، وله الأمر من قبل ومن بعد .



(١) البخاري : ٦٨ - التفسير ٢٦٣ - باب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ : ٤/١٧٨٨ ، رقم ٤٤٩٤ .

(٢) الفتح : ٦٥ - كتاب التفسير ٢٨ - سورة القصص ١ - باب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ : ٨/٣٦٦ ، رقم الحديث ٤٧٧٢ .

المبحث الثالث : مجاهلتهم ، ومحاورتهم .

وما أكثر ما ورد في القرآن الكريم من إقناعات ومحاورات ، وضرب للأمثلة والأقيسة ، ودعوة للتفكير والتأمل والنظر في الكون والحياة ومخلوقات الله ، ولفت الانتباه إلى النفس البشرية والتبصّر فيها كل ذلك لدعوتهم إلى الإيمان بالله وتوحيده .

ومن ذلك ما يلي :

أولاً :- الاستشهاد بما يقرونه على ما ينكرونه .

ورد في مواضع كثيرة من القرآن الكريم الاستشهاد عليهم بتوحيدهم للربوبية على وجوب توحيد الألوهية ، وإلزامهم بتوحيد العبادة له سبحانه ، وإفراده بها .

قال الله تعالى : ﴿ وَكَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَلَى يُؤْفَكُونَ ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ وَكَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنَ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَكَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَلَى يُؤْفَكُونَ ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ^(٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ^(٨٦)

(١) العنكبوت : الآيتان (٦١ ، ٦٣) .

(٢) الزمر : الآية (٨٧) .

سَيَقُولُونَ لَلَّهِ قُلٌّ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيزُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لَلَّهِ قُلٌّ فَأَنى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ آتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا الذَّهَبُ كُلُّهُ إِلَى اللَّهِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْ يَدِينُكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٩٢) ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتْ بِكُمْ بَرِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرَّخُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٩٣) فَلَمَّا أَجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٤) .

فعندما يُحاط بهذا الإنسان ويظن أنه هالك لا محالة يزول الرآن عن الفطرة وتتجلى في أحسن صورها ، حينئذ يتم تحقيق التوحيد باللجأ إلى الله بالدعاء - وهو مخ العباداة - فيستجيب الله ﷻ فينجيه ، ولكنه لا يلبث أن يعود الرآن فيطمس على الفطرة ، فيعود إلى الشرك .

(١) المؤمنون : الآيات (٨٤ - ٩٢) .

(٢) يونس : الآية (٣) .

(٣) يونس : الآيات (٢٢ ، ٢٣) .

ثانياً :- الصبر على سماع عروضهم ، والرّد عليهم في حلم ورفق .

قال ابن إسحاق : « فقام عُتبة حتّى جلس إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا ابن أخي إنك منا حيثُ قد علمت ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها ، لعلك تقبل منها بعضها . قال : يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتّى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رؤياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب .

حتّى إذا فرغ عُتبة ، ورسولُ الله ﷺ يستمع منه قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ؛ قال فاسمع مني ، قال : أفعل ؛

فقال : بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ حم ﴿٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ كِتَابٌ فَضَّلْتِ آيَاتِهِ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا قَوْلُنَا فِي آكَةِ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ... ﴿٦﴾ . ثم مضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه ، فلمّا سمعها منه عتبة أنصت لها ، ثمّ انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها ، فسجد ، ثمّ قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك « (١) .

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح أبي فرّاح الخشني : ٣٦٢/١ ، ٣٦٣ ، مختصراً .

قال الألباني في تعليقه على أحاديث فقه السيرة ، ص ١١٣ :

هذه القصة أخرجه ابن إسحاق في المغازي بسند حسن عن محمد بن كعب القرظي مرسلأ ، ووصله عبد بن حميد ، وأبو يعلى البغدادي من طريق أخرى من حديث جابر رضي الله تعالى عنه كما في تفسير ابن كثير : ٩٠/٤ - ٩١ . وسنده حسن إن شاء الله .

ثالثاً : - مجادلتهم وإفحامهم .

قال ابن إسحاق : « وجلس رسول الله ﷺ - فيما بلغني - مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم في المجلس ، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله ﷺ فعرض على النضر بن الحارث ، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه .

ثم تلا عليه وعليهم : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَهَنَم لَهَا وَارْدُونَ ﴿٥١﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلَ اللَّهِ مَا وَرَدُوا مَا وَكُلَّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٢﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرُسُلِهِمْ لَخَسَفَ بِهَا نَارٌ لِيَسْمَعُونَ ﴾ .

ثم قام رسول الله ﷺ ، وأقبل عبد الله بن الزبيري السهمي حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبيري ؛ والله ما قام النضر ابن الحارث لابن عبدالمطلب آنفاً وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبد الله بن الزبيري : أو والله لو وجدته لخصمته .

فسلوا محمداً : أكل ما يُعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهودُ تعبدُ عزيزاً ، والنصارى تعبد عيسى ابن مريم (عليهما السلام) .

فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبيري ورأوا أنه قد احتجّ وخاصم ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ .

فقال : إن كل من أحب أن يُعبد من دون الله فهو مع من عبده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ، ومن أمرتهم بعبادته .

فأنزل الله تعالى عليه في ذلك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿٣٦﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿٣٧﴾ ، أي عيسى ابن مريم ، وعزيراً ، ومن عبدوا من الأجباز والرهبان الذي مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله « (١) .

والرواية في مسند أحمد ، قال : « فأنزل الله ﷻ : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِلُونَ ﴾ » (٢) .

وسمى الله احتجاج قريش بالجدل ، فقال : ﴿ ضَرْبُوهَ لَكَ إِجْدَالًا ﴾ ، وهو المراء الباطل ، فقد كانوا عرباً فصحاء بلغاء يفهمون لغة الخطاب .

رابعاً :- استجابة النبي ﷺ لسؤال المشركين أن يريهم آية .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ : « أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً ، فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ » (٣) .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : « انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ : فِرْقَةً فَوْقَ الْجَبَلِ ، وَفِرْقَةً دُونَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اشْهَدُوا » (٤) .

(١) السيرة النبوية ، بشرح أبي ذر الحسني : ١/٤٤٠ - ٤٤٢ ، مختصراً .

قال العمري : « والرواية في مسند أحمد : ١/٣١٧ - ٣١٨ ، والمعجم الكبير للطبراني : ١٢/١٥٣ - ١٥٤ ، كلاهما من حديث ابن عباس ، وإسنادهما حسن » . انظر : السيرة النبوية الصحيحة : ١/١٦٣ .

(٢) عن السيرة النبوية الصحيحة للعمري : ١/١٦٣ .

(٣) البخاري : ٦٥ - المناقب ٢٤ - باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية . فأراهم انشقاق القمر : ٣/١٣٣١ ، رقم ٣٤٣٨ .

(٤) المصدر السابق : ٦٨ - التفسير ٣٤٥ - باب : ﴿ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ وَإِنْ رَوَّاهُ آيَةً يُقْرَأُ ﴿ : ٤/١٨٤٣ ، رقم ٤٥٨٣ .

وفي الصحيح أيضاً: «فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شِقَّتَيْنِ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءَ بَيْنَهُمَا» (١).
وسأله أعرابي آية تدلُّ على نبوته :

فَعَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ : « جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : بِمِ
أَعْرِفُ أَنَّكَ نَبِيٌّ ؟ قَالَ : إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِدْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ ، أَتَشْهَدُ لَنِي
رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ
إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : ازْجِعْ . فَعَادَ ، فَاسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ » (٢) .

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : « كُنَّا مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ ، قَالَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَيْنَ تَرِيدُ ؟ قَالَ : إِلَى أَهْلِي ، قَالَ : هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ ؟
قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، قَالَ : هَلْ مِنْ شَاهِدٍ عَلَيَّ مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : هَذِهِ
الشَّجَرَةُ ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ عَلَى شَاطِئِ الْوَادِي . فَأَقْبَلَتْ
تُخَذُّ الْأَرْضَ خَدًّا ، فَقَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا ؛ فَشَهِدَتْ أَنَّهُ
كَمَا قَالَ ، ثُمَّ إِنَّهَا رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا ، وَرَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ :
إِنْ يَتَّبِعُونَ آتِيكَ بِهِمْ ، وَإِلَّا رَجَعْتُ إِلَيْكَ وَكُنْتُ مَعَكَ » (٣) .

(١) السيرة النبوية الصحيحة ، للعمري : ١٦١/١ ، وقال : صحيح البخاري : فتح
الباري : ١٨٢/٧ ، ٦١٧/٨ .

(٢) سنن الترمذي : أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ ، باب ٩/٢٨ ، رقم الحديث
٣٨٨٩ ، وصححه الألباني . انظر : سنن الترمذي : ١٩٣/٣ ، رقم ٢٨٦٨ .

(٣) حياة الصحابة - باب الدعوة إلى الله ورسوله ، عرضه ﷺ الدعوة في السفر :
٨٤/١ ، وقال : وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه ، ولا رواه الإمام أحمد كذا في البداية :
٥٠٥/٦ ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح ، رواه أبو يعلى

خامساً - دعوتهم إلى التفكر .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مثنًى وَفُرَادًى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (١) .

قال السعدي : « أي قل لهؤلاء المكذبين المعاندين ﴿ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ﴾ أي بخصلة واحدة أشير عليكم بها وأنصح لكم في سلوكها ، وهي طريق نصف ، لست أدعوكم بها ، إلى اتباع قولي ، ولا إلى ترك قولكم من دون موجب لذلك .

وهي : أن تنهضوا بهمة ونشاط ، وقصد لاتباع الصواب وإخلاص لله ، مجتمعين ، ومتباحثين في ذلك ، ومتناظرين ، وفردى كل واحد يخاطب نفسه بذلك .

فإذا قمتم لله ، مثنًى وفردى ، استعملتم فكركم وأجلموه ، وتدبرتم أحوال رسولكم : هل هو مجنون ، فيه صفات المجانين من كلامه وهيئته وصفته ؟

أم هو نبي صادق ، منذر لكم ما يضركم ، مما أمامكم من العذاب الشديد ؟ فلو قبلوا هذه الموعظة ، لتبين لهم أن رسول الله ﷺ ليس مجنون ، لأن هيئته ليست كهيئة المجانين في خنقهم واختلاجهم ونظرهم .

والبيزار . انظر : مجمع الزوائد ، كتاب علامات النبوة - باب شهادة الشجر

بنيوته ﷺ : ٢٩٢/٨ .

(١) سبأ : الآية (٤٦) .

بل هيئته أحسن الهيئات ، وهو أكمل الخلق أدباً ، وسكينة وتواضعاً ووقاراً ، ثم تأملوا كلامه الفصيح ، ولفظه المليح ، وكلماته التي تملأ القلوب ، أمناً ، وإيماناً ، وتزكّي النفوس ، وتطهر القلوب ، وتبعث على مكارم الأخلاق ، وتمتدُّ على محاسن الشيم ، وتزجر عن مساوئ الأخلاق ورذائلها . إذا تكلم رمقته العيون ، هيبة وإجلالاً ، وتعظيماً « (١) .

سادساً - التعدي والإعجاز حال الرفض .

قال الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ قَوْلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٣) فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴿ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً ﴾ (٣) .

وتنزل معهم في تحديهم وإعجازهم إلى عشر آيات ، فقال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افترأه قُلْ فاتوا بعشر سورٍ مثله مُفترياتٍ وادعوا من استطعتم من دونِ الله إن كنتم صادقين ﴾ (٤) .

وتنزل إلى سورة واحدة :

فقال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا دَرَأْنَا عَلَى عِبِيدِنَا فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٥) .

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام اللان ، للسعدي : ١٩٨/٤ - ١٩٩ ، باختصار .

(٢) الطور : الآيات (٣٣ ، ٣٤) .

(٣) الإسراء : الآية (٨٨) .

(٤) هود : الآية (١٣) .

(٥) البقرة : الآية (٢٣) .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) .

سابعاً- تغييرهم في الإسلام أو دفع الجزية أو جهادهم .

عن عبد الله بن عمر ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « أَمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ . فَإِذَا فَعَلُوا عَصَمُوا مِنِّي بِمَاءِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » (٢) .

قال المغيرة - مخاطباً ترجمان عامل كسرى - : « فَأَمَرْنَا نَبِيَّنَا رَسُولَ رَبِّنَا ﷺ أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ أَوْ تُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ ، وَأَخْبَرْنَا نَبِيَّنَا ﷺ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا : أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَطُّ . وَمَنْ بَقِيَ مِنَّا مَلَكَ رِقَابَكُمْ » (٣) .



(١) يونس : الآية (٣٨) .

(٢) مسلم : ١ - كتاب الإيمان (٨) باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ... الخ : ٥٣/١ ، رقم ٢٢ .

(٣) البخاري : ٦٣ - الجزية والموادعة : ١ - باب الجزية والموادعة مع أهل النعمة والحرب : ١١٥٢/٣ ، رقم ٢٩٨٩ ، جزء من الحديث .

الفصل الثالث

وسائله في الدعوة

قال شيخ الإسلام في الفتاوى : « وسائله في دعوته : العلم والجهاد » ، أو كما قال - رحمه الله - .

وقد أفرد العلم في بابٍ مستقلٍّ ، وقد مضى ..

الجهاد :

كانوا يومرون في مكة حال الضعف والقلة وقلة المنعة بالصبر والكف ، والعفر والصفح ، فلما خرج النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة وقويت شوكتهم وأصبح لهم منعة أذن لهم في القتال .

أخرج الحاكم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « لَمَّا أخرج أهل مكة النبي ﷺ قال أبو بكر الصديق ﷺ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ ، لِيَهْلِكُنَّ . قال : فَانزَلَتْ : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ ، وكان ابن عباس يقرؤها أذن ، قال أبو بكر الصديق : فعلمت أنها قتال . قال ابن عباس : وهي أول آية نزلت في القتال » (١) .

« فهذا إذن لهم حيثئذٍ في القتال ، ولم يفرضه عليهم ، ثم فرض

(١) المستدرک : ٢٠ - كتاب الجهاد : ٧٦/٢ ، رقم ١/٢٣٧٦ .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . قال في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم .

عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم ، فقال : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ ، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة ، وكان محرماً ، ثم مآذوناً به ، ثم مأموراً به لمن بدأهم القتال ، ثم مأموراً به لجميع المشركين إما فرض عينٍ على أحد القولين ، أو فرض كفاية على المشهور .

والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عينٍ إما بالقلب ، وإما باللسان ، وإما بالمال ، وإما باليد ، فعل كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع . أما الجهاد بالنفس ، ففرض كفاية ، وأما الجهاد بالمال ، ففي وجوبه قولان ، والصحيح وجوبه ، لأن الأمر بالجهاد به وبالنفس في القرآن سواء « (١) .

وقد أمر الله بالجهاد فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنَسِ الْمَاصِيئَ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ فَإِنِ اتَّهَمُوا فَإِنِ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٣) .

وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُمْ ابْتَغَاءَ لِيَوْمِ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٤) .

(١) زاد المعاد : ٧٠/٣ - ٧٢ ، مختصراً .

(٢) التوبة : الآية (٧٣) .

(٣) الأنفال : الآية (٣٩) .

(٤) التوبة : الآية (١١١) .

ومن منهج النبي ﷺ في الجهاد :

ما كتبه عبد الله بن أبي أوفى إلى عمر بن عبيد الله - حين سار إلى
الحرورية يخبره أن رسول الله ﷺ كان في بعض أيامه التي لقي فيها
العدو ينتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال :

يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية . فإذا لقيتموهم
فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلل السيوف .

ثم قام النبي ﷺ وقال : اللهم ! منزل الكتاب ، ومجري السحاب ، وهازم
الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم « (١) .

ومن منهجه ﷺ عدم قتل النساء والصبيان :

فعن نافع ، عن ابن عمر ، قال : « وجدت امرأة مقتولة في بعض
تلك المغازي . فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان « (٢) .

وجوازه من غير عمد . فعن الصعب بن جثامة قال : « سئل
النبي ﷺ عن الذراري من المشركين ؟ فيصيبون من نسايتهم
وذراريهم . فقال : هم منهم « (٣) .

(١) مسلم : ٣٢ - كتاب الجهاد والسير . (٦) باب كراهة تمني لقاء العدو :

١٣٦٢/٣ ، رقم ١٧٤٢ .

(٢) المصدر السابق ، الكتاب نفسه : (٨) باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب :

١٣٦٤/٣ ، رقم الحديث ١٧٤٤ .

(٣) المصدر السابق : الكتاب نفسه : (٩) باب جواز قتل النساء والصبيان في البيات

من غير عمد : ١٣٦٤/٣ ، رقم ١٧٤٥ .

ومن منهجه ﷺ في الجهاد ؛ وصية أمير الجيش قبل خروجه :

فَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ
أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْ صَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ :

اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ،
ولا تغدروا ، ولا تعتلوا ، ولا تقتلوا وليدا . وإذا لقيت عدوك من المشركين
فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فأيتهن ما لجابوك فاقبل منهم وكف
عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، فإن لجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم
إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما
للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم
يكونون كأعراب المسلمين يجزي عليهم حكم الله الذي يجزي على المؤمنين ،
ولا يكون لهم في الغنمة والفداء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم
أبوا فسلهم الجزية ، فإن هم لجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أبوا
فاستعين بالله وقاتلهم ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله
وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة
أصحابك ، فإنكم أن تخفروا ذمكم وذمة أصحابكم ، أفون من أن تخفروا
ذمة الله وذمة رسوله ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله
فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدري أتصيب
حكم الله فيهم أم لا » (١) .

(١) مسلم : ٣٢ - كتاب الجهاد والسير (٢) باب تأمير الإمام الأمراء على البعث
روصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها : ١٣٥٦/٣ - ١٣٥٨ ، رقم ١٧٣١ .

ومن منهجه ﷺ : ما رواه النُّعْمَانُ قَالَ : « وَكَانِي شَهِدْتُ الْقِتَالَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، كَانَ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ ؛ أَنْتَظِرَ حَتَّى تَهْبُ الْأَرْوَاحُ وَتَحْضُرَ الصَّلَوَاتُ » (١) .

وعن أنس ﷺ قَالَ : « وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا غَزَا قَوْمًا لَمْ يُغْرُ حَتَّى يُصْبِحَ ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ بَعْدَ مَا يُصْبِحُ ، فَزَلْنَا خَيْرَ لَيْلٍ » (٢) .

ومن منهجه ﷺ : الدعاء قبل الغزو ، قَالَ ﷺ : « اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَأَنْتَ نَصِيرِي وَبِكَ أَقَاتِلُ » (٣) .

وفي منزلة المجاهد في سبيل الله ، روى أبو هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ مَنْزِلَةً ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : رَجُلٌ أَخَذَ بَعْنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَقْتُلُ أَوْ يَمُوتُ . أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالَّذِي يَلِيهِ ؛ رَجُلٌ مُغْتَزِلٌ فِي شَيْبٍ ؛ يَقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » (٤) .

(١) البعاري: ٦٢ - الجزية ١ - باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب : ١١٥٢/٣ ، رقم ٢٩٨٩ . جزء من آخر حديث طويل .

(٢) البعاري: ٦٠ - الجهاد (١٠١) ، دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام : ١٠٧٧/٣ ، رقم ٢٧٨٤ .

(٣) سنن الترمذي: أحاديث شتى من أبواب الدعوات ٨ - باب فضل لا حول ولا قوة إلا بالله : رقم ٣٨٣٦ .

وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن الترمذي : ١٨٣/٣ ، رقم ٢٨٣٦ .

(٤) المستدرک ، للحاكم : ٢٠ - كتاب الجهاد : ٧٧/٢ ، رقم ٤/٢٣٧٩ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . قال في التلخيص : على شرط البعاري ومسلم .

وعن أبي سعيد الخُدريّ ﷺ ، عن النبي ﷺ : « أنه سُئل أي المؤمنين أكمل إيماناً ؟ قال : الذي يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله . ورجل يعبد الله في شغبٍ من الشُعَبِ فقد كَفَى الناسَ شرّاً » (١) .

وفي البخاريّ قال أبو سعيد الخُدريّ ﷺ : قيل : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ . قَالُوا : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : مُؤْمِنٌ فِي شِغْبٍ مِنَ الشُّعَابِ ، يَتَّقِي اللَّهَ ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ » (٢) .

وللمجاهدين في سبيل الله درجاتٌ في الجنة .

فعن أبي هريرة ﷺ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَفَلَا تُبَشِّرُ النَّاسَ ؟ قَالَ : إِنْ فِي الْجَنَّةِ مِائَةٌ دَرَجَةٍ ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَأَيْتُمْ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنَهُ تَفَجَّرَ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » (٣) .

(١) المصدر السابق ، الموضع نفسه . رقم ١٥/٢٣٩٠ ، وقال : هذا حديث صحيح

على شرط الشيخين ولم يخرجاه . قال في التلخيص : على شرط البخاريّ ومسلم .

(٢) البخاريّ : ٦٠ - الجهاد (٢) باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله : ١٠٢٦/٣ ، رقم ٢٦٣٤ .

(٣) البخاريّ : ٦٠ - الجهاد ٤ - باب : درجات المجاهدين في سبيل الله : ١٠٢٨/٣ ، رقم ٢٦٣٧ .

وعن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله ﷺ قال : « يا أبا سعيد ، من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وجبت له الجنة . قال فعجب لها أبو سعيد قال : أعدّها عليّ يا رسول الله ، ففعل ، ثم قال رسول الله ﷺ : وأخرى يُرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض . قال : وما هي يا رسول الله ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، الجهاد في سبيل الله » (١) .

وعن فضالة بن عبيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنا زعيم - والزعيم : الحميل - لمن آمن بي وأسلم وهاجر بيئت في ريب الجنة ، وبيئت في وسط الجنة . وأنا زعيم لمن آمن بي ، وأسلم وجاهد في سبيل الله ، بيئت في ريب الجنة ، وبيئت في وسط الجنة ، وبيئت في أعلى غرف الجنة ، من فعل ذلك فلم يدع للخير مطلباً ولا من الشر مهزباً ، يموت حيث شاء أن يموت » (٢) .

ومن فضائل الشهداء :

ما رواه المقدام بن معدى كرب قال : قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ست خصال : يقر له في أول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفرع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، والياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشق في سبعين من أقاربه » (٣) .

(١) سنن النسائي ٢٥ - كتاب الجهاد ١٨ - باب درجة المجاهد في سبيل الله ﷺ .

وصححه الألباني : انظر صحيح سنن النسائي : ٦٥٦/٢ ، رقم ٢٩٣٤ .

(٢) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، وصححه الألباني برقم ٢٩٣٦ .

(٣) سنن الترمذي : أبواب فضائل الجهاد : ٢٤ - باب ما جاء أي الناس أفضل ،

رقم ١٧٢٨ . وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي : ١٣٢/٢ ، رقم ١٣٥٨ .

وقال عثمان بن عفان وهو على المنبر : « إني كتمتكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ كراهية تفرقكم عني ، ثم بدا لي أن أحدثكموه ليختار أمرؤ لنفسه ما بدا له ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل » (١) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة » (٢) .

وعنه ﷺ قال : « مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته لطيبها ، فقال : لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب ، ولكن أفعل حتى أستأذن رسول الله ﷺ ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : لا تفعل ، فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة » (٣) .

وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : « من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض » (٤) .

(١) المصدر السابق : الموضع نفسه ، وحسنه الألباني ، برقم ١٣٦١ .

(٢) المصدر السابق : الموضع نفسه ، وصححه الألباني ، برقم ١٣٦٢ .

(٣) المصدر السابق : أبواب فضائل الجهاد : ١٧ - باب الغزو والرواح في سبيل الله ﷺ ، رقم ١٧١٨ . وحسنه الألباني . انظر : صحيح سنن الترمذي : ١٢٩/٢ ، رقم ١٣٤٨ .

(٤) المصدر السابق والكتاب نفسه ٣ - باب ما جاء في فضل الصوم في سبيل الله . رقم ١٦٩٠ .

وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن الترمذي : ١٢٤/٢ ، رقم ١٣٢٥ .

وعنه ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « مَنْ لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهَّزْ غَازِيًا أَوْ يَخْلُفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ ، أَصَابَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » (١) .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْفُزْوِ ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ » (٢) .

وعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « كُلُّ الْمَيِّتِ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ ، فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَيُؤْمَنُ مِنْ فِتْنَانِ الْقَبْرِ » (٣) .

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالسِّبْتِكُمْ » (٤) .

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ : أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِي السِّيَاحَةِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنْ سِيَاحَةُ أُمَّتِي : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى » (٥) .

(١) سنن ابن ماجه : ٢٤ - كتاب الجهاد (٥) باب التغليظ في ترك الجهاد : رقم ٢٧٦٢ .

وحسنه الألباني . انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ١٢٣/٢ ، رقم ٢٢٣١ .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الجهاد (١٨) باب كراهية ترك الفزو : رقم ٢٥٠٢ .
وصححه الألباني برقم ٢١٨٤ ، وهو في مسلم .

(٣) سنن أبي داود : كتاب الجهاد ١٣ - باب فضل الرباط : رقم ٢٥٠٠ .

وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن أبي داود : ٤٧٤/٢ ، رقم ٢١٨٢ .

(٤) المصدر السابق : الموضوع نفسه ، برقم ٢٥٠٤ ، وصححه الألباني في الموضوع نفسه رقم ٢١٨٦ .

(٥) المصدر السابق : الموضوع نفسه ، برقم ٢٤٨٦ ، وحسنه الألباني في الموضوع نفسه رقم ٢١٧٢ .

وقد غزا النبي ﷺ تسع عشرة غزوة .

فعن أبي إسحاق قال : « سألتُ زيدَ بنَ أرقمَ ﷺ : كم غزوتَ معَ رسولِ اللهِ ﷺ ؟ قال : سبعَ عشرةَ ، قلتُ : كم غزا النبي ﷺ ؟ قال : تسعَ عشرةَ » (١) .



(١) البخاري : ٦٧ - المغازي ٨٢ - باب : كم غزا النبي ﷺ ؟ : ٤ / ١٦٢١ ، رقم ٤٢٠١ .

الباب الثاني

(منهجه ﷺ في دعوة أهل الكتاب)

- الفصل الأول : (دعوتهم إلى التوحيد والتدرج في إخبارهم بالفرائض) .
- الفصل الثاني : (بشارتهم بالسلامة والأجر مرتين إن هم استجابوا) .
- الفصل الثالث : (إجابته ﷺ على أسئلتهم التعجيزية) .
- الفصل الرابع : (مجادلتهم وإقامة الحجّة عليهم) .
- الفصل الخامس : (دعوتهم إلى المباهلة حال الرفض) .
- الفصل السادس : (هديه ﷺ في التعامل معهم) .
- الفصل السابع : (جهادهم) .

الفصل الأول

دعوتهم إلى التوحيد والتدرج في إخبارهم بالفرائض ، وإخبار رسوله أنه يأتي قوماً أهل كتاب

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ ابْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ ، قَالَ لَهُ : « إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُؤَخِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى ، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيَاتِهِمْ ، فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ ، فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ فَخَذْ مِنْهُمْ ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ » (١) .

وفي هذا الحديث يُعَلِّمُ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذًا أَنَّهُ يَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : « وَإِنَّمَا نَبَّهَ عَلَى هَذَا لِيَتَهَيَّأَ لِمُنَاطَرَتِهِمْ ، وَيَعِدُّ الْأَدْلَةَ لِإِفْحَامِهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ عِلْمٍ سَابِقٍ ، بِخِلَافِ الْمُشْرِكِينَ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ » (٢) .

وهذا ممَّا اخْتَصَّ النَّبِيُّ ﷺ بِهِ رَسُولَهُ إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ .

وفي الحديث دليلٌ على التدرج في التعليم ، فإنه فصل بين إخبارهم بأن الله افترض عليهم زكاةً في أموالهم ، وبين إخبارهم بفريضة الصلاة بفعل الصلاة نفسها ، فقال : « فَإِذَا صَلَّوْا » . وقد أمره ﷺ هو

(١) البخاري : ١٠٠ - كتاب التوحيد : ١ - باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ آمنه إلى توحيد الله تبارك وتعالى : ٢٦٨٥/٦ ، رقم ٦٩٣٧ .

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم : (١) كتاب الإيمان : ٦ - أول ما يجب على المكلفين : ١٨١/١ ، شرح الحديث نفسه ، وهو برقم ١٦ في المفهم .

وصاحبه أبا موسى بالتيسير وعدم التعسير ، والتبشير وعدم التنفير ، والتطارع وعدم الاختلاف . فعن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ بعث مُعَاذًا وأبا موسى إلى اليمن ، قال : « يسرنا ولا تعسرنا ، وبشرنا ولا تنفرا ، وتطوعنا ولا تختلِفنا » (١) .

وفي رواية ، قال أبو موسى : يا رسول الله ، إنا بأرض يُصنع فيها شراب من العسل ، يُقال له البتع ، وشراب من الشعير : يُقال له الميزر ؟ فقال رسول الله ﷺ : « كل مسكر حرام » (٢) .

وفي سؤال أبي موسى تطبيق عملي لتبنيه النبي ﷺ لمعاذ أنه يأتي قومًا أهل كتاب . حيث بدأ بالتفقه لما قد يعترضه من الأسئلة .

ومن أساليبه ﷺ في الدعوة إلى التوحيد والإسلام : ما كان يحدث في المناسبات . فقد عاد غلامًا يهوديًا مريضًا كان يخدمه ، فدعاه إلى الإسلام .

فعن أنس ﷺ قال : « كَانَ غُلامًا يَهُودِيًّا يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَمَرَضَ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ ؛ فَفَعَدَّ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَقَالَ لَهُ : اسْلِمْ ، فَنظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ ، فَأَسْلَمَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ » (٣) .

(١) البخاري : ٦٠ - الجهاد : ١٦١ - باب ما يُكره من التنازع والاختلاف في الحرب : ١١٠٤/٣ ، رقم ٢٨٧٣ .

(٢) المصدر السابق : ٨١ - الأدب : ٨٠ - قول النبي ﷺ : « يسرنا ولا تعسرنا » : ٢٢٦٩/٥ ، رقم ٥٧٧٣ .

(٣) البخاري : ٢٩ - الجنائز : ٧٨ - باب : إذا أسلم الصبي فمات ، هل يُصلّى عليه ، وهل يُعرضُ على الصبي الإسلام : ٤٥٥/١ ، رقم ١٢٩٠ .

وفي هذا الحديث : دليل على حرص النبي ﷺ على إنقاذ الناس من النار إلى آخر لحظات أعمارهم ، وفيه أيضاً : عدم اليأس حتى مع هذا الصبي وإن كان في حضرة أبيه ، وفيه : حرص الوالد على ولده وحب الخير له .

ومن أساليبه ﷺ معرفة معتقدات من يدعوهم ، وفهمه العميق لنفسياتهم ومشاعرهم وميولهم ، ومن ثمّ نقض ما هم عليه من ضلال ، وبناء القناعات والاتجاهات الصحيحة في قلوبهم . ومن ذلك ما كان من أمر عدي بن حاتم :

فعن أبي عبيدة بن حذيفة قال : كنتُ أسأل عن حديث عدي بن حاتم وهو إلى جنبي لا آتية فأسأله . فأتيته فسألتُهُ ، فقال : بُعث رسول الله ﷺ حيثُ بُعث فكرهته أشد ما كرهتُ شيئاً قط ، فانطلقتُ حتى كنتُ في أقصى الأرض مما يلي الروم . فقلتُ : لو آتيتُ هذا الرجل ؛ فإن كان كاذباً لم يخف عليّ ، وإن كان صادقاً اتبعته ، فأقبلتُ ، فلما قدمتُ المدينة استشرف لي الناسُ ، وقالوا : جاء عدي بن حاتم ، جاء عدي بن حاتم ، فقال النبي ﷺ لي : « يا عدي ابن حاتم أسلم تسلم . قال : قلتُ : إن لي ديناً ، قال : أنا أعلم بدينك منك - مرتين أو ثلاثاً - ألسنتُ ترأس قومك ؟ قال : قلتُ : بلى ، قال : فإن ذلك لا يحل لك في دينك . قال : فتضععتُ لذلك . ثم قال : يا عدي بن حاتم أسلم تسلم فإني قد أظن - أو قد أرى أو كما قال رسول الله ﷺ - أنه ما يمنعك أن تسلم خصاصة تراها ممن حولي ، وتوشك الظعينة أن ترحل من الحيرة بغير جوار حتى تطوف بالبيت ، وتفتحن علينا كنوز كسرى بن هرمز ، وليفيضن المال - أو ليفيض - حتى يهيم الرجل من

يقبل منه ماله صدقة . قَالَ عدي بن حاتم : فَقَدْ رَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرَحَّلَ مِنْ الحِيرَةِ بِغَيْرِ جِوَارٍ حَتَّى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ ، وَكُنْتُ فِي أَوَّلِ خَيْلِ أَغَارَتِ عَلَى المَدَائِنِ عَلَى كِنُوزِ كَسْرَى بْنِ هَرْمَزٍ . وَأَحْلَفَ بِاللَّهِ لِتَجِيئِ الثَّالِثَةِ ، إِنَّهُ لَقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِي « (١) .

ومن دعوة الصحابة ﷺ الذين علمهم النبي ﷺ ورباهم ما جاء في حديث أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ ، وهو حديث طويل :

أن جعفر بن أبي طالب قال : أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ المَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الفُؤَاجِشَ ، وَنَقَطَعُ الْأَرْحَامَ ، وَنُسِيءُ الجِوَارَ ، وَيَأْكُلُ القَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا ؛ نَعْرِفُ نَسَبَهُ ، وَصِدْقَهُ ، وَأَمَانَتَهُ ، وَعَفَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ ﷻ لِنُوحِدَهُ وَنَعْبُدَهُ ، وَنَحْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ ، مِنْ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ الجِوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنِ المَحَارِمِ وَالدَّمَاءِ ، وَنَهَانَا عَنِ الفُؤَاجِشِ ، وَشَهَادَةِ الزُّورِ ، وَأَكْلِ مَالِ التَّيْمِ ، وَقَذْفِ المُحْصَنَةِ ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزُّكَاةِ ...

وقد قَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؟

(١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - كتاب التاريخ - باب ذكر الأعبار عن فتح الله جلّ وعلا على المسلمين كثرة الأموال : ٧١/١٥ ، ٧٢ ، ٧٣ ، رقم الحديث ٦٦٧٩ . قال المحقق : شعيب الأرناؤوط : إسناده قوي .

فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : نَعَمْ ، قَالَ لَهُ النَّجَّاشِيُّ : فَأَقْرَأْهُ ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿ كَيْعَص ﴾ (١) .

فهذا جعفر بن أبي طالب عليه السلام ؛ ثمرة تربية النبي صلى الله عليه وآله وتعليمه ، آتاه الله الحكمة في الحديث وحُسن التصرف مع هذا الملك . واستغلال المناسبة مع الملك النصراني ، فقد أطلعه على ما كانوا عليه من عبادة الأوثان والأصنام ، وسعى الأخلاق من قطع الأرحام ، وإساءة الجوار ، وهو ما تمقته الفطر السليمة والأديان السماوية . ثم أخبره بما يدعو إليه من توحيد الله ومكارم الأخلاق ، وصلة الأرحام ، وهو ما تشترك فيه جميع الأديان ، وقرأ عليه صدرًا من سورة مريم ، وفيه نشأة عيسى عليه السلام وخلقته ، والقول الفصل فيه ، وما حصل لأمه مع قومها وما كانت عليه من طُهرٍ وعفاف .

وكذا ما تكلم به عيسى وهو في المهد صبيًا ، وأنه عبداً لله آتاه الكتاب وجعله نبياً ، وهذا ما جعل النجاشي يتأثر أشد التأثر ويكفي ، ويقول : إنه من مشكاة واحدة . فقد أحسن عليه السلام الاختيار .



(١) قال الميثمي : رواه أحمد ، ورجال رجال الصحيح عن ابن إسحاق ، وقد صرح بالسماع . انظر : مجمع الزوائد : كتابا لمغازي والسير - باب المحرة إلى الحبشة : ٢٤/٦ - ٢٧ .

الفصل الثاني

**بشارتهم بالسلامة والأجر مرتين إن هم استجابوا ،
وعدم اتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله**

عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه أخبره : أنه أخبره أن
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَبَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَيْهِ
مَعَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ ...

قَالَ (١) : قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : ثُمَّ دَعَا - أَي هِرَقْل - (٢) بِكِتَابِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ ، فَإِذَا فِيهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ
مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، إِلَى هِرَقْلٍ عَظِيمِ الرُّومِ ، سَلَامٌ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ
الْهُدَى ، أَمَا بَعْدُ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ : أَسْلِمْتَ تَسْلِمًا ، وَأَسْلِمْتَ
يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَإِن تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ وَ ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا قُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ « (٣)

(١) إضافة يقتضيهما السياق .

(٢) إضافة يقتضيهما السياق .

(٣) البخاري : ٦٠ - الجهاد ١٠١ - باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة ، وأن لا
يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ، وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ
إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، وَتَمَّتْهَا : ﴿ الْكِتَابِ وَالْحُكْمِ وَالنُّوْمَةِ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاعِينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ : ١٠٧٤/٣ ، رقم ٢٧٨٢ .

وبشارتهم بالأجر مرتين حال استجابتهم ، هو مما اختصهم به النبي ﷺ عند دعوته لهم ، وقد فسرها النبي ﷺ بقوله : « ثلاثة لهم لجزان : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأمن بمحمد ﷺ ... » (١) الحديث . وكذا تذكيرهم بعلم اتخاذ الأرباب من دون الله ، وكذلك اتخاذ ختم لختم الكتب المرسله إليهم . قال أنس ﷺ : « لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل له : إنهم لا يقرؤون كتابا إلا أن يكون محتوما ، فاتخذ خاتما من فضة ، فكأنني أنظر إلى ياضه في يده ، ونقش فيه : محمد رسول الله » (٢) .



- (١) المصدر السابق : الكتاب : ١٠٠ - باب : دعوة اليهود والنصارى ... : ١٠٧٤/٣ ، رقم ٢٧٨٠ .
- (٢) البخاري : ٣ - العلم ٣١ - باب تعليم الرجل أمته وأهله : ٤٨/١ ، رقم ٩٧ .

الفصل الثالث

إجابته ﷺ على أسئلتهم التعجيزية

كان اليهود يسألون النبي ﷺ أسئلة تعجيزية يريدون بها التحدي والإعجاز للنبي ﷺ إلا ما ندر منها كما في حال عبد الله بن سلام فإنه يريد التأكد من نبوة محمد ﷺ ليسلم .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : « يَبِينَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْبِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ ، فَمَرُّ بَنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا تَسْأَلُوهُ ، لَا يَجِيءُ فِيهِ شَيْءٌ تَكَرَّهُونَهُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَنَسْأَلَنَّهُ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ! مَا الرُّوحُ ؟ فَسَكَتَ ، فَقُلْتُ : إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ ، فَقُمْتُ ، فَلَمَّا انْحَلَى عَنْهُ ، قَالَ : ﴿ وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ وَمَا أوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا . قَالَ الْأَعْمَشُ : هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا » (١) .

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ حَدَّثَهُ قَالَ : « كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَجَاءَ جِبْرٌ مِنْ أَحْبَابِ الْيَهُودِ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ! فَلَمَّعَتْهُ دَفْعَةً كَأَدَّ يُصْرَعُ مِنْهَا . فَقَالَ : لِمَ تَدْفَعُنِي ؟ فَقُلْتُ : أَلَا تَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنْ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي . فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : جِئْتُ أَسْأَلُكَ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ

(١) البخاري : ٣ - العلم ٤٧ - باب قول الله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ :

٥٨/١ ، رقم ١٢٥ .

إِن حَدَّثْتُكَ ؟ قَالَ : أَسْمَعُ بِأُذُنِي . فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ .
 فَقَالَ : سَلْ . فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ
 الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ .
 قَالَ : فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَارَةٌ ؟ قَالَ : فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ . قَالَ الْيَهُودِيُّ :
 فَمَا تُحَفَّتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ : زِيَادَةُ كَبِدِ النَّوْنِ . قَالَ : فَمَا
 غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا ؟ قَالَ : يَنْحَرُ لَهُمْ ثَوْبُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ
 اطْرَافِهَا . قَالَ : فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا .
 قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ
 الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ ، قَالَ : يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ ؟ قَالَ :
 أَسْمَعُ بِأُذُنِي . قَالَ : جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ ؟ قَالَ : مَاءُ الرَّجْلِ أَيْتِضُ ،
 وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ ، فَإِذَا اجْتَمَعَا ، فَعَلَا مَنِيَّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرًا بِيَدِنِ اللَّهِ ،
 وَإِذَا عَلَا مَنِيَّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ أَثْنَا بِيَدِنِ اللَّهِ . قَالَ الْيَهُودِيُّ : لَقَدْ صَدَقْتَ ،
 وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ ، ثُمَّ انصَرَفَ فَذَهَبَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ وَمَا لِي
 عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَانِي اللَّهُ بِهِ « (١) .

وهذا الحديث فيه دلالة على أن هذا الخبر اليهودي لم يسأل
 للانتفاع ، وإنما كان للتحدي والإعجاز والعنت ، بدلالة قوله في آخر
 الحديث : (ثُمَّ انصرف فذهب) أي ولم تنفعه أسئلته لأنها لم
 تُلقَى للاستفادة .

(١) مسلم : ٣ - كتاب الحيض (٨) باب بيان صفة مني الرجل والمرأة ، وأن الولد
 مخلوق من مائهما : ٢٥٢/١ ، رقم ٣١٥ .

ومن أمثلة من يريد الانتفاع : ما رواه أنس ﷺ قال : « سَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ يَقُولُ بِقُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ فِي أَرْضٍ يَخْتَرِفُ - فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ : فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ وَمَا يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ ؟ قَالَ : لَخَبَرْتَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ أَنْفَا . قَالَ : جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ . فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ، أَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ : فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامِ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ : فَرِيزَةٌ كَبِيدٌ حُوتٌ ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءَ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدُ وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ نَزَعَتْ .

قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهَّتْ ، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي ، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ فِيكُمْ ؟ قَالُوا : خَيْرُنَا وَأَبْنُ خَيْرِنَا ، وَسَيِّدُنَا وَأَبْنُ سَيِّدِنَا ، قَالَ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ اسْتَمَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ؟ فَقَالُوا : أَعَادَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ . فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالُوا : شَرُّنَا وَأَبْنُ شَرُّنَا وَأَنْتَقِصُوهُ ، قَالَ : فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ « (١) .

فكان عبداً لله بن سلام - رضي الله عنه - مثلاً صادقاً لمن أراد الانتفاع بالسؤال .

(١) البخاري: ٦٨ - التفسير / البقرة . ٨ - باب : قوله : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾ :

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس قال : « حَضَرَتْ عِصَابَةَ مِنَ الْيَهُودِ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ حَدِّثْنَا عَنْ خِلَالٍ نَسَأَلُكَ عَنْهُنَّ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ ، قَالَ : سَأَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ ، وَلَكِنْ اجْعَلُوا لِي ذِمَّةَ اللَّهِ ، وَمَا لَخَذَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى بَنِيهِ : لَئِنْ حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا فَعَرَفْتُمُوهُ لَتَتَابِعُنِي عَلَى الْإِسْلَامِ ، قَالُوا : فَذَلِكَ لَكَ ، قَالَ : فَسَأَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ ، قَالُوا : أَخْبِرْنَا عَنْ أَرْبَعٍ خِلَالٍ نَسَأَلُكَ عَنْهُنَّ : أَخْبِرْنَا أَيُّ الطَّعَامِ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ؟ وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ مَاءُ الْمَرْأَةِ وَمَاءُ الرَّجُلِ ؟ كَيْفَ يَكُونُ الذَّكْرُ مِنْهُ ؟ وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ هَذَا النَّبِيِّ الْأُمِّيُّ فِي النَّوْمِ ؟ وَمَنْ وَرِثَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ؟ قَالَ : فَعَلَيْكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ لَئِنْ أَنَا أَخْبَرْتُكُمْ لَتَتَابِعُنِي ؟ قَالَ : فَأَعْطُوهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ .

قَالَ : فَأَنْشِدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ﷺ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنْ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرِضٌ مَرَضًا شَدِيدًا وَطَالَ سَقَمُهُ ، فَتَذَرَّ لِلَّهِ نَذْرًا لَئِنْ شَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ سَقَمِهِ لَيَحْرَمَنَّ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ وَأَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لُحْمَانِ الْإِبِلِ ، وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ الْبَانُهَا ؟ قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ . قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ ، فَأَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَاءَ الرَّجُلِ أَيْبَضُ غَلِيظًا ، وَأَنَّ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ رَقِيقٌ ، فَأَيُّهُمَا عَلَا كَانَ لَهُ الْوَلَدُ وَالشُّبَّةُ بِإِذْنِ اللَّهِ ، إِنْ عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ عَلَى مَاءِ الْمَرْأَةِ كَانَ ذَكَرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَإِنْ عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ عَلَى مَاءِ الرَّجُلِ كَانَ أُنْثَى بِإِذْنِ اللَّهِ ؟ قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ . قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ .

فَأَنْشِدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ تَنَامَ عَيْنَاهُ وَلَا يَتَأَمَّ قَلْبُهُ ؟ قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ . قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ .

قَالُوا : وَأَنْتَ الْآنَ فَحَدِّثْنَا مَنْ وَرِثَكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ؟ فَعِنْدَهَا نُجَامِعُكَ أَوْ نَفَارِقُكَ ، قَالَ : فَإِنَّ وِلْيِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا وَهُوَ وَرِثُهُ .

قَالُوا : فَعِنْدَهَا نُفَارِقُكَ ، لَوْ كَانَ وَرَيْكَ سِوَاهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَتَابَعْنَاكَ وَصَدَّقْنَاكَ !! قَالَ : فَمَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ أَنْ تُصَدِّقُوهُ ؟ قَالُوا : إِنَّهُ عَدُونُنَا ! قَالَ : فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فَعِنْدَ ذَلِكَ ﴿ بَاءُوا بِغَضَبِ عَلَى غَضَبٍ ﴾ الْآيَةَ « (١) .

وفي رواية أخرى لهذا الحديث عن ابن عباس قال : « أَقْبَلْتُ يَهُودَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ ، فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَأَتَّبَعْنَاكَ ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَى بَنِيهِ إِذْ قَالُوا : ﴿ اللَّهُ عَلَى مَا هُمْ لَوْ وَكَيْلٌ ﴾ قَالَ : هَاتُوا ، قَالُوا : أَخْبِرْنَا عَنْ عَلَامَةِ النَّبِيِّ ؟ قَالَ : تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ ، قَالُوا : أَخْبِرْنَا كَيْفَ تُؤَنَّثُ الْمَرْأَةُ وَكَيْفَ تُذَكَّرُ ؟ قَالَ : يَلْتَقِي الْمَاءَانِ ، فَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءُ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَتْ ، وَإِذَا عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ أَثْقَتْ ، قَالُوا : أَخْبِرْنَا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ؟ قَالَ : كَانَ يَشْتَكِي عِرْقَ النِّسَاءِ ، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يَلَانِمُهُ إِلَّا الْبَانَ كَذًا وَكَذًا ، [قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ] : قَالَ أَبِي : قَالَ بَعْضُهُمْ : يَعْنِي الْإِبِلَ ، قَالَ : فَحَرَّمَ لِحْوَمَهَا . قَالُوا : صَدَقْتَ .

قَالُوا : أَخْبِرْنَا مَا هَذَا الرَّعْدُ ؟ قَالَ : مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ ﷻ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ ، بِيَدَيْهِ أَوْ فِي يَدَيْهِ مِخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ ، يَزْجُرُ بِهِ السَّحَابَ يَسُوقُهُ حَيْثُ

(١) المسند للإمام أحمد : - مسند ابن عباس : ١٧٦/٤ ، رقم الحديث ٢٥١٤ . قال أحمد شاكر : إسناده صحيح وهو مطول ٢٤٧١ ، ونقله ابن كثير : ١٨٦/٢ - ١٨٧ ، وعند تعليقه على الحديث رقم ٢٤٧١ ، وهو مختصر هذا ، قال : إسناده صحيح ، وقد وثق عبد الحميد بن بهرام الذي تكلم فيه بعضهم من أجل روايته عن شهر بن حوشب . انظر : المسند المحقق : ١٥٦/٤ ، رقم ٢٤٧١ .

أمر الله ، قالوا : فما هذا الصوت الذي يُسمع ؟ قال : صوته ، قالوا : صدقت ، إنما بقيت واحدة ، وهي التي نُبأِعك إن أخبرتنا بها ، فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر ، فأخبرنا من صاحبك ؟

قال : جبريل عليه السلام ، قالوا : جبريل ، ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا !! لو قلت : ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان ، فأنزل الله عليه السلام : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾ إلى آخر الآية « (١) .

لقد كان اليهود يسألونه ﷺ ويصدقونه ، فهم يعلمون الحق ، وإنما كان اعتذارهم بجبريل عليه السلام من باب التخلص من الموقف ؛ وإلا فهم مُصرون على ما هم عليه .



(١) مسند الإمام أحمد - مسند ابن عباس - : ١٦١/٤ - ١٦٢ ، رقم ٢٤٨٣ . قال أحمد شاكر : إسناده صحيح .

الفصل الرابع

مجادلتهم وإقامة الحجّة عليهم

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِنَّا وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ^(١) . قال ابن كثير : « قال قتادة وغير واحد : هذه الآية منسوخة ، وقال آخرون : بل هي باقية محكمة لمن أراد الاستبصار منهم في الدين ، فيجادل بالتي هي أحسن ليكون أنجع فيه ، كما قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ^(٢) . وهذا القول اختاره ابن جرير ، وحكاه عن ابن زيد ، وقوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ ، أي حادوا عن وجه الحق ، وعموا عن واضح الحجّة ، وعاندوا وكابروا ، فحينئذ يُنتقل من الجدل إلى الجلال » ^(٣) .

وقال السعدي : « ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب إذا كانت عن غير بصيرة من المجادل ، أو بغير قاعدة مرضية ، وأن لا يجادلوا إلى بالتي هي أحسن ، بمحسن خلق ، ولطف ، ولين كلام ، ودعوة إلى الحق وتحسينه ، وردّ الباطل وتهجينه ، بأقرب طريق ، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحبّ العلوّ ، بل يكون القصد بيان الحقّ وهداية الخلق .

(١) العنكبوت : الآية (٤٦) .

(٢) النحل : الآية (١٢٥) .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٢٧٠٠/٦ .

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من أهل الكتاب ، بأن ظهر من قصد المجادل أنه لا إرادة له في الحق ، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة ، فهذا لا فائدة في جداله ، لأن المقصود منها ضائع .

﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِنَّا وَإِهْكُمْ وَاحِدٌ﴾ أي : ولتكن مجادلتكم لأهل الكتاب مبنية على الإيمان بما أنزل إليكم وأنزل إليهم ، وعلى الإيمان برسولكم ورسولهم ، وعلى أن الإله واحد ، ولا تكن مناظرتكم إياهم على وجه يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية ، أو بأحد من الرسل ، كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم ، يقدح بجميع ما معهم ، من حق وباطل ، فهذا ظلم ، وخروج عن الواجب ، وآداب النظر . فإن الواجب : أن يُردّ ما مع الخصم من الباطل ، ويُقبل ما معه من الحق . ولا يرد الحق لأجل قوله ، ولو كان كافراً .

وأيضاً فإن بناء مناظرة أهل الكتاب على هذا الطريق فيه إلزام لهم بالإقرار بالقرآن ، وبالرسول الذي جاء به . فإنه إذا تكلم في الأصول الدينية ، والتي اتفقت عليها الأنبياء والكتب وتقررت عند المتناظرين ، وثبتت حقائقها عندهما ، وكانت الكتب السابقة ، والمرسلون ، مع القرآن ومحمد ﷺ ، قد بينتها ، ودلت وأخبرت بها ، فإنه يلزم التصديق بالكتب والرسل كلهم ، وهذا من خصائص الإسلام .

فأما أن يقال : نؤمن بما دلّ عليه الكتاب الفلاني ، دون الكتاب الفلاني ، وهو الحق الذي صدق ما قبله ، فهذا ظلم وهوى ، وهو يرجع إلى قومه بالكذب ، لأنه إذا كذب القرآن الدال عليهما ، المصدق لما بين يديه ، فإنه مكذب لما زعم أنه به مؤمن « (١) » .

(١) تيسير الكريم الرحمن : ٦٤/٤ - ٦٥ ، باختصار طفيف .

فالمجادلة بالتي هي أحسن هي التي يتبع أصحابها الأصول الشرعية في مجادلتهم ؛ من القول اللين ، والحجج الواضحة البيّنة التي تقع من القلوب موقعها ، ويكون هدف المجادلة الوصول إلى الحق . أمّا تلك التي تؤدي بأصحابها إلى الجدل العقيم المذموم فهذا المنهي عنه .

ومن مجادلات النبي ﷺ لأهل الكتاب وحواراته معهم وإقامة الحجّة عليهم : ما أخرجه الإمام البخاري عن أبي هريرة ؓ قال : « يَبْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمِدرَاسِ ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ! اسْلِمُوا تَسْلَمُوا . فَقَالُوا : قَدْ بَلَغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ذَلِكَ أُرِيدُ ، اسْلِمُوا تَسْلَمُوا ، فَقَالُوا : قَدْ بَلَغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ذَلِكَ أُرِيدُ ، ثُمَّ قَالَهَا الثَّالِثَةَ ، فَقَالَ : اعْلَمُوا أَنَّمَا الْأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِبِكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ ، وَإِلَّا فاعْلَمُوا أَنَّمَا الْأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ » (١) .

فهذه مجادلة النبي ﷺ ليهود ، فيها الجزالة ، والنداء اللطيف ، والخطاب اللين ، والأدب الجم ، « يَا مَعْشَرَ يَهُودَ !!! » ، وفيها التبشير بالسلامة حال إسلامهم ، فإن في الإسلام السلامة في الدنيا والآخرة . فلما شهدوا له بالبلاغ المشعر بعلم الاستجابة ؛ أعاده عليهم ثلاث ، ليقيم الحجّة عليهم .

(١) البخاري : ٩٩ - الاعتصام بالكتاب والسنة ١٨ - باب قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ

أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ :

٢٦٧٤/٦ ، رقم ٦٩١٦ .

ومن مجادلاته ﷺ ما كان في قصة إسلام عبدا لله بن سلام ﷺ ، يقول أنس بن مالك ﷺ : « فَلَمَّا جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ ؛ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ . وَقَدْ عَلِمْتُ يَهُودُ أَنِّي سَيِّئُهُمْ وَأَبْنُ سَيِّدِهِمْ ، وَأَعْلَمُهُمْ وَأَبْنُ أَعْلَمِهِمْ ، فَادْعُهُمْ فَاسْأَلُهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ . »

فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَإِنَّا اتَّقُوا اللَّهَ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّا كُنَّا لَتَّاعِمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ، وَإِنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ ، فَاسْأَلُوا . قَالُوا : مَا نَعْلَمُهُ - قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ - قَالَ : فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ؟ قَالُوا : ذَلِكَ سَيِّدُنَا وَأَبْنُ سَيِّدِنَا ، وَأَعْلَمُنَا وَأَبْنُ أَعْلَمِنَا .

قَالَ : أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ ؟ قَالُوا : حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ يُسْلِمَ .

قَالَ : أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ ؟ قَالُوا : حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ يُسْلِمَ .

قَالَ : أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ ؟ قَالُوا : حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ يُسْلِمَ .

قَالَ : يَا ابْنَ سَلَامٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ . فَخَرَجَ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، اتَّقُوا اللَّهَ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّا كُنَّا لَتَّاعِمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ . فَقَالُوا : كَذَبْتَ . فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « (١) » .

وفي رواية عن عوف بن مالك الأشجعي قال : « انطلق النبي ﷺ

(١) فتح الباري : ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار ٤٥ - باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه

إلى المدينة : ٢٩٣/٧ ، رقم الحديث ٣٩١١ .

وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا كَنِيسَةَ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ يَوْمَ عِيدِهِمْ ، وَكَرَّهُوا
دُخُولَنَا عَلَيْهِمْ .

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ! أَرُونِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا
يَشْهَدُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، يُخْبِطُ اللَّهُ عَنْ كُلِّ يَهُودِي تَحْتَ
أُذُنِ السَّمَاءِ الْغَضَبِ الَّذِي غَضِبَ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَأَسْكُتُوا وَمَا أَجَابَهُ مِنْهُمْ
أَحَدٌ ، ثُمَّ رَدُّ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ ثَلَاثَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ .

فَقَالَ : أَيُّكُمْ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَنَا الْحَاشِرُ ، وَأَنَا الْعَاقِبُ ، وَأَنَا الْمُقْفِي ، أَمَنْتُمْ
أَوْ كَذَبْتُمْ ، ثُمَّ انصَرَفَ وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى دَنَا أَنْ يَخْرُجَ ، فَلِذَا رَجُلٌ مِنْ
خَلْفِنَا يَقُولُ : كَمَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ ، قَالَ : فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : أَيُّ رَجُلٍ
تَعْلَمُونِي فِيكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ؟ قَالُوا : مَا نَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ فِينَا رَجُلٌ أَعْلَمُ
بكِتَابِ اللَّهِ ، وَلَا أَفْقَهُ مِنْكَ وَلَا مِنْ أَيْبِكَ مِنْ قَبْلِكَ وَلَا مِنْ جَدِّكَ
قَبْلَ أَيْبِكَ .

قَالَ : فَإِنِّي أَشْهَدُ لَهُ بِاللَّهِ أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ الَّذِي تَجِدُونَهُ فِي التَّوْرَةِ ،
قَالُوا : كَذَبْتَ ، ثُمَّ رَدُّوا عَلَيْهِ وَقَالُوا لَهُ شَرًّا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كَذَبْتُمْ ، لَنْ يَقْبَلَ قَوْلُكُمْ ، أَمَا إِنِّي فَتَنُّونَ عَلَيْهِ
مِنَ الْخَيْرِ مَا أَثْنَيْتُمْ ، وَأَمَا إِذَا آمَنَ كَذَبْتُمُوهُ ، وَقَلْتُمْ مَا قَلْتُمْ ، فَلَنْ يَقْبَلَ قَوْلُكُمْ .

قَالَ : فَخَرَجْنَا وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنَا ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ
سَلَامٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَرَّمْتُمْ بِهِ ﴾ (١) .

(١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : ٦١ - كتاب إخباره ﷺ عن مناقب
الصَّحَابَةِ ، ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ : ١١٨/١٦ ، رَقْمٌ ٧١٦٢ .

ومن أساليبه ﷺ في مجادلة أهل الكتاب : أمره لهم باختيار حكم بينه وبينهم .

قال الحافظ في الفتح : « وروى أبو سعيد في (شرف المصطفى) من طريق سعيد بن جبير : جاء ميمون بن يامين - وكان رأس اليهود - إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! ابعث إليهم فاجعلني حكماً ، فإنهم يرجعون إليّ ، فأدخله داخلاً ، ثم أرسل إليهم فأتوه ، فخاطبوه ، فقال : اختاروا رجلاً يكون حكماً بيني وبينكم ، قالوا قد رضينا ميمون بن يامن . فقال : اخرج إليهم ، فقال : أشهد أنه رسول الله ، فأبوا أن يصدّقوه » (١) .

ولقد حاورهم النبي ﷺ بالقرآن .

وللقرآن معهم أساليب كثيرة ، نذكر بعضها للدلالة عليها وعلى غيرها .

وقال شعيب الأرنؤوط في تخريجه للكتاب : « إسناده صحيح ، وأخرجه أحمد : ٢٥/٦ ، والطبري في جامع البيان : ١١/٢٦ ، والطبراني : ٨٣/١٨ » اهـ .

وقد أخرجه الحاكم عن عوف أيضاً ، دو ذكر (يوم عيدهم وكرهوا دخولنا عليهم) ، ويحطُّ بدل يحبط .

وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم ، وإنما اتفقا على حديث حميد عن أنس .

(١) فتح الباري : ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار ٥٢ - باب اتيان اليهود النبي ﷺ ، ذكره الحافظ في شرحه لترجمة الباب : ٣٢٢/٧ ، ولم أقف على درجته .

١- النداءات القرآنية التي تغاطب العقل من خلال الوجدان :

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ مَا أَنْتُمْ مَوْلَاءُ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (١)

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَوْنَ ﴿٦٧﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ ءَأَمَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدُّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٤)

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

(١) آل عمران : الآيات (٦٤ - ٦٧) .

(٢) آل عمران : الآيات (٧٠ ، ٧١) .

(٣) آل عمران : الآيات (٩٨ ، ٩٩) .

(٤) النساء : الآية (٤٧) .

وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١١﴾ .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣﴾ .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤﴾ .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُهَيِّمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمُ طَغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٥﴾ .

٢- الوعظ والتذكير بالنعم والنقم :

وهذا كثير جدًا في القرآن الكريم ؛ ومنه :

قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَلِي فَصَّلَتْكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَأَقْوَامٌ يَوْمَئِذٍ لَا تُجْزَى هَسٌّ عَنْ هَسٍّ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ بِدُبُحُونِ أبنَاءِكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ .

(١) النساء : الآية (١٧١) .

(٢) المائدة : الآيات (١٥ ، ١٦) .

(٣) المائدة : الآية (١٩) .

(٤) المائدة : الآية (٦٨) .

(٥) البقرة : الآيات (٤٧ - ٥٠) .

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ
تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَمَلَكُمْ تُسَكِّرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا
عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَهْسَهُمْ
يَظْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاذْخُلُوا الْبَابَ
سَجْدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا
غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آيَاتِنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٢﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَقَدْ عَلِمْتُمْ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً
خَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ .

٣- تحديهم في إثبات دعاواهم :

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ
النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٦﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ
يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٠٣﴾ .

(١) البقرة : الآيات (٥٥ - ٥٩) .

(٢) البقرة : الآيات (٦٣ - ٦٦) .

(٣) البقرة : الآيات (٩٤ ، ٩٥) .

(٤) المائدة : الآية (١٨) .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُمْ أَمْ قَوْلُنَا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٥﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَةُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (١)

٤- توضيح بطلان عقيدتهم في انبيائهم واحبارهم ورهبانهم ،
وتعليمهم الاعتقاد الصحيح :

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦٣﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ أَلِيرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٦٦﴾ قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَنْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٨﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفُ دُيِّبُنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦٩﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٠﴾ ﴾ (٣)

(١) البقرة : الآيات (٨٠ ، ٨١) .

(٢) التوبة : الآيات (٣٠ - ٣٢) .

(٣) المائدة : الآيات (٧٢ - ٧٦) .

وقال تعالى : ﴿ قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنَزِّلَ الْبَرْقَ مِنَ السَّمَاءِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا هَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَدَخَنَ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَدَّتْ قَلْبَ النَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي الْيَتِيمَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي هَيْبِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي هَيْبِكَ إِذْ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٣٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَقَّعْتَنِي كُنْتُ أَتَى الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَدَّتْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٣) .



(١) المائدة : الآية (١٧) .

(٢) البقرة : الآيات (١٣٥ ، ١٣٦) .

(٣) المائدة : الآيات (١١٦ ، ١١٧) .

الفصل الخامس

دعوتهم إلى المبالغة حال الرفض

قال ابن إسحاق : « وقدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ؛ ستون راكباً ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم ، في الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم : العاقب ؛ أمير القوم ، والسيد ؛ ثمّالهم ^(١) ، وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل ؛ أسقفهم ^(٢) وحرهم وإمامهم ، وصاحب مدرّاسيهم .

لما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر ، عليهم ثياب الخيرات ، وقد حانت صلاتهم ، فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يصلّون ، فقال رسول الله ﷺ : دعوهم ؛ فصلّوا إلى المشرق .

فلما كلمه الحيران ، قال لهما رسول الله ﷺ : أسلما ، قالا : قد أسلمنا ؛ قال : إنكما لم تسلما فأسلما ؛ قالا : بلى قد أسلمنا قبلك ؛ قال : كذبتما ، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً ، وعبادتكما الصليب ، واكلكما الخنزير ؛ قالا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت عنهما رسول الله ﷺ فلم يجبهما . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ، واختلاف أمرهم كلّهُ ، صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها « ^(٣) .

(١) السيد ثمّالهم : اللجأ والغياث . النهاية : ٢٢٢/١ .

(٢) أسقفهم : الأسقف هو عظيم النصارى . السيرة النبوية لابن هشام بشرح الخشني : ٢٢٢/٢ .

(٣) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الخشني : ٢٥٤/٢ - ٢٥٨ ، مختصراً .

وبعد أن ذكر ابن إسحاق الآيات من أول السورة وتفسيرها قال :
 « حتى انتهى إلى قوله : ﴿ ذَلِكَ تَلَوُّهُ عَلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ مِنْ آيَاتِ
 وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ القاطع الفاصل الحق ، فلا تقبلن غيره . ﴿ إِنَّ مَثَلَ
 عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ ﴾ فاستمع ﴿ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾
 ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ أي ما جاءك من الخير عن عيسى ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ
 الْمُمْتَرِينَ ﴾ أي فلا تمتز فيه .

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ أي من بعد ما قصصت
 عليك من خبره ، وكيف كان أمره . ﴿ قُلْ تَعَالَوْا دَعُوا أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ
 وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَهْسِنَا وَاهْسِنُوا لَنَا لِمَ كَذَّبْنَا بِكُمُ الْكَاذِبِينَ ﴾ .

فلما أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله عنه ، والفصل من القضاء
 بينه وبينهم ، وأمر بما أمر من ملاعتهم إن ردوا ذلك عليه ، دعاهم إلى
 ذلك فقالوا له : يا أبا القاسم ، دعنا ننظر في أمرنا . ثم خلوا بالعاقب
 فقالوا : ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن
 محمداً نبيّ مُرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خير صاحبكم ، ولقد
 علمتم ما لآعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم ، وإنه
 للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أيتتم إلا إلف دينكم ،
 والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادعوا الرجل ، ثم
 انصرفوا إلى بلادكم .

فاتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا ألا نلاعنك ،
 وأن نتركك على دينك ، ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلاً
 من أصحابك ترضاه لنا ، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ،
 فإنكم عندنا رضا .

قال محمد بن جعفر : فقال رسول الله ﷺ : اتقوني العشيّة أبعثُ معكم القويّ الأمين ، قال : فكان عمرُ بن الخطاب يقول : ما أحببت الإمارة قطُّ حُبيّ إياها يومئذٍ رجاء أن أكون صاحبها ، فرُحْتُ إلى الظهر مهجراً ، فلما صلّى بنا رسولُ الله ﷺ الظهرَ سلّم ، ثمّ نظر عن يمينه وعن يساره ، فجعلتُ أتطاول له ليراني ، فلم يزلْ يلتمس ببصره حتّى رأى أبا عبيدة بن الجراح ، فدعاه فقال : اخرج معهم ، فاقض بينهم بالحقّ فيما اختلفوا فيه . قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة « (١) » .

وأخرجه البخاريّ بعدّة روايات ، منها : عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ : « جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ ، صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ ، قَالَ : فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : لَا تَفْعَلْ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَيُنْ كَانَنِيَا فَلَاعِنَا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا . قَالَا : إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا ، وَأَبْعَثُ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا ، وَلَا تَبْعَثُ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا . فَقَالَ : لِأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ . فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : قُمْ يَا أَبَا عَبِيدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ . فَلَمَّا قَامَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ » (٢) .

وعن جابر : أن وفد نجران أتوا النبي ﷺ فقالوا : ما تقول في عيسى ابن مريم ؟ فقال : هو روح الله ، وكلمته ، وعبدالله ، ورسوله ،

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الحسيني : ٢٥٨/٢ - ٢٦٦ ، مختصراً .

(٢) وقد أخرج عمر السيد والعاقب وبعثُ أبي عبيدة : البخاريّ في ٦٧ - المغازي ٦٨ - باب قصة أهل نجران : ١٥٩٢/٤ ، رقم ٤١١٩ ، ورقم ٤١٢٠ ، وكذا في فضائل الصحابة برقم ٣٥٣٥ . مختصراً ، وبالفاظ مقاربة ، وفيه بعض الزيادات . ورواه مسلم في فضائل الصحابة ، ص ١٨٨٢ ، رقم ٢٤٢٠ .

قالوا له : هل لك أن نلاعنك أنه ليس كذلك ؟ قال : وذلك أحب إليكم ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا شئتم . فجاء النبي ﷺ وجمع ولده والحسن والحسين ، فقال رئيسهم : لا تلاعنوا هذا الرجل ، فوالله لئن لاعتتموه ليخسفن أحد الفريقين . فجاءوا . فقالوا : يا أبا القاسم إنما أراد أن يلاعنك سفهاؤنا ، وإنا نحب أن تعفينا ، قال : قد اعفيتكم ، ثم قال : إن العذاب قد أظل نجران « (١) .

وعن عامر بن سعد عن أبيه قال : « لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ تَعَالَوْا دَعُوا آبَاءَنَا وَآبَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ﴾ الْآيَةَ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي » (٢) .

نعم ، فقد كان النبي ﷺ عازماً على المباهلة عند رفضهم الإسلام وعنادهم ، وقد امتثل أمر الله ﷻ ، ودعا أهله ، ولكن القوم تراجعوا ومنعهم عقلاؤهم من المباهلة ، وأوضحوا لهم ما في مباهلة النبي ﷺ من الخطر عليهم وعلى ذرياتهم ، وقبلوا بدفع الجزية ، وأرسل معهم النبي ﷺ أمين هذه الأمة .

(١) المستدرک ، للحاکم : ٢٨ - کتاب تواریخ المتقدمین من الأنبياء والمرسلین . باب ذکر نبی الله وروحه عیسی ابن مریم صلوات الله وسلامه علیهما : ٦٤٩/٢ ، رقم ١٦٧/٤١٥٧ ، طبعة دار الكتب العلمية ، بیروت ، تحقیق : مصطفى عطا . قال الحاکم : هذا حدیث صحیح علی شرط مسلم ولم یخرجاه ، قال الحافظ فی التلخیص : علی شرط مسلم .

(٢) سنن الترمذی : أبواب تفسیر القرآن عن رسول الله ﷺ : ٤ - ومن سورة آل عمران ، رقم ٣١٩٨ ، وصحح إسناده الألبانی : انظر صحیح سنن الترمذی : ٢٢/٣ ، رقم ٢٣٩٧ .

قال ابن القيم - رحمه الله - في فقه هذه القصة ، وما فيها من فوائد :

« ومنها : جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم ، بل استحباب ذلك ، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يُرجى إسلامه منهم وإقامة الحجّة عليهم ، ولا يهرب من مجادلتهم إلاّ عاجز عن إقامة الحجّة ، فليؤلّ ذلك إلى أهله .

والمقصود : أن رسول الله ﷺ لم يزل في جدال الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم إلى أن توفي ، وكذلك أصحابه من بعده ، وقد أمره الله سبحانه بمجادلهم بالتي هي أحسن في السورة المكيّة والمدنية ، وأمره أن يدعوهم بعد ظهور الحجّة إلى المباهلة ، وبهذا قام الدين ، وإتّما جعل السيفُ ناصراً للحجّة .

ومنها : أن السنّة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجّة الله ولم يرجعوا ، بل أصرّوا على العناد أن يدعوهم إلى المباهلة ، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله ، ولم يقل : إن ذلك ليس لأمتك من بعدك ، ودعا إليه ابن عمّه عبداً لله بن عباس لمن أنكر عليه بعض مسائل الفروع ، ولم ينكر عليه الصحابة ، ودعا إليه الأوزاعي سفيان الثوري في مسألة رفع اليدين ، ولم ينكر عليه ذلك . وهذا من تمام الحجّة « (١) .



(١) زاد المعاد : ٦٣٩/٣ - ٦٤٣ ، مختصراً .

ومن هديه ﷺ في دعوتهم ، الاهتمام بأخبارهم وعليتهم . كما روى مسلم عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « لَوْ تَابَعْتَنِي عَشْرَةَ مِنْ الْيَهُودِ لَمْ يَبْقَ عَلَى ظَهْرِي يَهُودِيٌّ إِلَّا اسْلَمَ » ^(١) ، وفي رواية : « لَوْ آمَنَ بِي عَشْرَةَ مِنَ الْيَهُودِ لَأَمَنَ بِي الْيَهُودُ » ^(٢) .

ومن هديه ﷺ إقامة الحدود على الذميين وتذكيرهم بالله بصيغة معينة عند الحلف .

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : « جَاءَتِ الْيَهُودُ بِرَجُلٍ وَامْرَأَةٍ مِنْهُمُ زَنِيًّا ، فَقَالَ : اتَّوْنِي بِأَعْلَمِ رَجُلَيْنِ مِنْكُمْ ، فَأَتَوْهُ بَابْنِي صُورِيًّا . فَشَدَّهُمَا كَيْفَ تَجِدَانِ أَمْرَ هَذَيْنِ فِي التَّوْرَةِ ؟ قَالَا : نَجِدُ فِي التَّوْرَةِ إِذَا شَهِدَ أَرْبَعَةٌ : أَنَّهُمْ رَأَوْا ذَكَرَهُ فِي فَرْجِهَا مِثْلَ الْمِيلِ فِي الْمُكْحَلَةِ رُحْمًا ، قَالَ : فَمَا يَمْنَعُكُمَا أَنْ تَرْجُمُوهُمَا ؟ قَالَا : ذَهَبَ سُلْطَانُنَا ، فَكْرِهْنَا الْقَتْلَ ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالشُّهُودِ ، فَجَاءُوا بِأَرْبَعَةٍ فَشَهِدُوا أَنَّهُمْ رَأَوْا ذَكَرَهُ فِي فَرْجِهَا مِثْلَ الْمِيلِ فِي الْمُكْحَلَةِ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِرَجْمِهِمَا » ^(٣) .

وفي كيفية الحلف ، ما رواه عكرمة أن النبي ﷺ قال له - يَعْنِي لِابْنِ صُورِيًّا - : أذْكَرْكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي نَجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ، وَأَقَطَّكُمْ الْبَحْرَ ،

(١) مسلم : ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : (٣) باب نزل أهل الجنة : ٢١٥١/٤ ، رقم ٢٧٩٣ .

(٢) البخاري : ٦٦ فضائل الصحابة ٨٠ - باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة : ١٤٣٤/٣ ، رقم ٣٧٢٥ .

(٣) سنن أبي داود : كتاب الحدود (٢٦) باب في رجم اليهوديين ، رقم ٤٤٥٢ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود : ٨٤٣/٣ ، رقم ٣٧٤٠ .

وقد روى مسلم قريباً منه عن ابن عمر وعن البراء بن عازب ، برقم ١٧٠٠ .

وَظَلَّ عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ، أَتَجِدُونَ فِي كِتَابِكُمُ الرِّجْمَ ؟ قَالَ : ذَكَرْتَنِي بِعَظِيمٍ ، وَلَا يَسْعُنِي أَنْ أَكْذِبَكَ . - وَسَاقَ الْحَدِيثَ - « (١) .

ومن هديه ﷺ موادة اليهود حال قلة المسلمين وضعفهم :

قال البلاذري : « قالوا : وكان رسول الله ﷺ عند قدومه المدينة وادع يهودها ، وكتب بينه وبينهم كتاباً ، واشترط عليهم أن لا يعالوا عدوه ، وأن ينصروه على من دهمه ، وأن لا يُقاتل عن أهل الذمة ، فلم يحارب أحداً ، ولم يهجه ، ولم يبعث سرية حتى أنزل الله ﷻ عليه : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَإِنِ اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ فكان أول لواء عقده لواء حمزة بن عبدالمطلب » (٢) .

ومن هديه ﷺ إخراجهم من جزيرة العرب . فعن أبي هريرة قال : « بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ ، خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : انْطَلِقُوا إِلَىٰ يَهُودَ . فَخَرَجْنَا حَتَّىٰ جِئْنَا بَيْتَ الْمِدْرَاسِ ، فَقَالَ : اسْلِمُوا تَسْلَمُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ ، فَمَنْ يَجِدْ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ ، وَإِلَّا فاعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ » (٣) .



- (١) سنن أبي داود : كتاب الأقضية : (٢٧) باب كيف يحلف الذمي ؟ ، حديث رقم ٣٦٢٦ . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود : ٦٩١/٢ ، رقم ٣٠٨٥ .
- (٢) أنساب الأشراف : ٢٨٦/١ ، للبلاذري عن السيرة النبوية الصحيحة ، للعمري : ٢٧٧/١ .
- (٣) البعاري : ٦٢ الجزية ٦ - باب إخراج اليهود من جزيرة العرب : ١١٥٥/٣ ، رقم ٢٩٩٦ .

الفصل السابع

جهادهم

أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين من أهل الكتاب وغيرهم ، وحث عليه ، فقال :

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنَسِ الْمَصِيرُ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَافِي التُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٤) .

(١) التوبة : الآية (٢٩) .

(٢) التوبة : الآية (٧٣) .

(٣) التوبة : الآية (١٢٣) .

(٤) التوبة : الآية (١١١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَهْسِبُكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ۝ (١) .

وعن أنس ، عن النبي ﷺ قال : « جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ وَأَسِنَتِكُمْ » (٢) .

وقد رغب النبي ﷺ في الجهاد ، فعن المقدام بن معدي كَرِبَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ : يَغْفَرُ لَهُ فِي لَوْحٍ دَفْعَةً ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيَجَارُ مِنَ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفِرْعِ الْأَكْبَرِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ ، وَيَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ » (٣) .

وكان ينهى ﷺ أصحابه عن قتل النساء والصبيان في جهادهم .

فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قَالَ : « وَجَدْتُ امْرَأَةً مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ » (٤) .

(١) الصف : الآيات (١٠ - ١٢) .

(٢) سنن النسائي ٢٥ - كتاب الجهاد ١ - باب وحبوب الجهاد ، رقم ٢٩٠٠ .

وصححه الألباني : انظر صحيح سنن النسائي : ٦٤٩/٢ ، رقم ٢٩٠٠ ، وعند أبي داود : أنفسكم بدل أيديكم ، وهو في صحيح سنن أبي داود ، برقم ٢١٨٦ .

(٣) سنن الترمذي : أبواب فضائل الجهاد ٢٥ - باب ... رقم ١٧٢٨ .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي : ١٣٢/٢ ، رقم ١٣٥٨ .

(٤) البخاري : ٦٠ - الجهاد ١٤٦ - باب قتل النساء في الحرب : ١٠٩٨/٣ ، رقم ٢٨٥٢ .

وكان ﷺ يدعو على المشركين المحاربين بالهزيمة والزلزلة ، كما دعا يوم الأحزاب .

فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يَقُولُ : « دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ ، سَرِيعِ الْحِسَابِ ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ ، اللَّهُمَّ اهْزِمِهِمْ وَذَلِّزْلِهِمْ » (١) .

وقد جاهد النبي ﷺ أهل الكتاب والمشركين ، ومن ذلك ما كان من غزوة خيبر وما بها من يهود :

فَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الصُّبْحَ قَرِيبًا مِنْ خَيْبَرَ بَغْلَسَ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ خَرَيْتُ خَيْبَرَ ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمِ ﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ ، فَخَرَجُوا يَسْعَوْنَ فِي السُّكَّكِ ، فَقَتَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُقَاتِلَةَ ، وَسَبَى الذُّرَيْةَ ، وَكَانَ فِي السَّبْيِ صَفِيَّةُ ، فَصَارَتْ إِلَى دَحْيَةَ الْكَلْبِيِّ ، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا » (٢) .

وعنه ﷺ : « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى خَيْبَرَ لَيْلًا ، وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْمًا بَلِيلَ لَمْ يُغْرَبْ بِهِمْ حَتَّى يُصْبِحَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتْ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : خَرَيْتُ خَيْبَرَ ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمِ ﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ » (٣) .

(١) المصدر السابق : الكتاب نفسه ٩٧ - باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة :

١٠٧٢/٣ ، رقم ٢٧٧٥ .

(٢) البعاري : ٦٧ - المغازي ٣٦ - غزوة خيبر : ١٥٣٩/٤ ، رقم ٣٩٦٤ .

(٣) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، ص ١٥٣٨ ، رقم ٣٩٦١ .

وعن ابن سعدٍ ، قَالَ : « قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ : لِأَعْظَى الرَّايَةِ
 غَدَاً رَجُلًا يَفْتَحُ عَلَيَّ يَدَيْهِ ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ . فَبَاتَ
 النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ : أَيُّهُمْ يُعْطَى ، فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ ، فَقَالَ : أَيُّنَّ عَلَيَّ ؟
 فَقِيلَ : يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ ، فَبَرَأَ كَأَن لَمْ يَكُنْ بِهِ
 وَجَعٌ ، فَأَعْطَاهُ ، فَقَالَ : أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا ؟ فَقَالَ : انْفِذْ عَلَيَّ
 رِسْلَكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ ،
 فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ » (١) .



(١) البخاري: ٦٠ - الجهاد ، باب ١٤١ - باب فضل من أسلم على يديه رجل :

الباب الثالث

(منهجه ﷺ وهدية في المنافقين)

- تمهيد : (في معنى النفاق ، وأقسامه ، وأحكامه ، ونجومه) .
- الفصل الأول : (قبول علانيتهم ، وإيصال سرائرهم إلى الله) .
- الفصل الثاني : (الإعراض عنهم ، ووعظهم ، والصبر على أذاهم) .
- الفصل الثالث : (عدم توقيرهم أو الاستغفار لهم أو الصلاة عليهم والقيام على قبورهم) .
- الفصل الرابع : (جهادهم والإغلاظ عليهم) .
- الفصل الخامس : (محاصرتهم والتضييق عليهم وتهديدهم) .
- الفصل السادس : (كشف خططهم ومؤامراتهم وإبطالها) .
- الفصل السابع : (منهجه ﷺ في معالجة المواقف الناجمة عن فتن المنافقين) .
- الفصل الثامن : (إشهار علاماتهم وأعمالهم دون أسمائهم) .

تهيد

في معنى النفاق ، واتسامه ، وأحكامه ، ونجوه

قال ابن فارس : « النون والفاء والقاف أصلان صحيحان يدلّ أحدهما على انقطاع شيء وذهابه ، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه .
فالأول : نفقت الدابة نفوقاً : ماتت ، والأصل الآخر : النفق : سَرَبٌ في الأرض له مَخْلَصٌ إلى مكان . والنَّفَقُ : المسلك النافذ الذي يُمكن الخروج منه » (١) .

وقال الإمام محمد بن يوسف الصالحى : النفاق : اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وهو فعل المنافق الذي يسترُ كُفْرَه ويُظهرُ إيمانه . كما يتستر الرجلُ بالنفق الذي هو السَّرَبُ ، فقيل هو اشتقاقه من هذا . وقيل : من قولهم : نافق اليربوع إذا دخل في قاصعائه وخرج من نافقائه ، وبالعكس . وذلك أن اليربوع له حِجْرَةٌ أربعة : النافقاء ، والقاصعاء ، والراهطاء ، والدافقاء ، فهو يُرَقِّقُ أقصى النافقاء ويكتمها ويُظهر غيرها . فإذا قصد من غيرها من الحجر ضرب النافقاء برأسه فانتفق منها أي خرج . وقيل : إنها نافذة بعضها إلى بعض ، فمن أيها قصد خرج من الأخرى . فكذلك المنافق يدخل في الإيمان من جهة ويخرج من جهة أخرى ، فاشتقاقه من فعل اليربوع . وقيل : اشتقاقه من صورة النافقاء لا من فعل اليربوع ، وذلك أن النافقاء

(١) معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس : ٤٥٤/٥ ، ٤٥٥ .

ظَاهِرُهُ مدخل وباطنه مخرج ومهْرَب ، فكذا المنافق ظاهره إيمان ، وباطنه كُفْر ، ومحلّ النفاق القلب « (١) .

وقال ابن منظور : والنَّفَقَةُ مثالُ الهَمْزة : النِّافِقَاءُ ، تقول منه : نَفَّقَ اليربوع تنفيقا ، ونافق أي دخل في نفاقه ، ومنه اشتقاق المنافق في الدين ، والنَّفَاقُ : الدخول في الإسلام من وجه ، والخروج عنه من آخر ، مشتقٌّ من نفاق اليربوع ، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به . وهو مأخوذ من النفاق لا من النفق .

والنفاقاء : إحدى حِجْرَةِ اليربوع يكتمها ويظهر غيرها ، وهو موضع يرققه ، فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النفاقاء برأسه فانفق أي خرج ، والجمع النفاق « (٢) .

وقال الحافظ ابن حجر : « والنفاق لغة : مخالفة الباطن للظاهر ، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر ، وإلا فهو نفاق العمل ، ويدخل في الفعل والترك ، وتتفاوت مراتبه » (٣) .

وقال الحافظ ابن رجب :

« والذي فسره به أهل العلم المعتبرون أن النفاق في اللغة هو من جنس الخداع والمكر وإظهار الخير ، وإبطان خلافه .

وهو في الشرع ينقسم إلى قسمين :

(١) سُبُلُ الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق : عادل عبدالموجود ، وعلي معوض . ط. دار الكتب العلمية : ٤١٦/٣ .

(٢) لسان العرب ، لابن منظور : ٣٥٩/١٠ .

(٣) فتح الباري : (٢) كتاب الإيمان : ٢٤ - باب علامة النفاق : ١١١/١ .

أحدهما : النفاق الأكبر : وهو أن يُظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويؤمن ما يناقض ذلك كله أو بعضه ، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد النبي ﷺ ، ونزل القرآن بدم أهلهم وتكفيرهم ، وأخبر أن أهلهم في الدرك الأسفل من النار .

والثاني : النفاق الأصغر ، وهو نفاق العمل ، وهو أن يُظهر الإنسان علانيةً صالحاً ، ويؤمن ما يخالف ذلك « (١) .

فأما حكم الأول أي النفاق العقدي فهو كفرٌ مغلظ ؛ قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ يَخَافُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ (٣) .

وأما أنه مغلظ فلأنهم أشدُّ خطراً وضرراً على المسلمين ، لأنهم بينهم ويعرفون أسرارهم ومداخلهم ومخارجهم ويتربصون بهم الدوائر . لذلك كانت دركاتهم في النار في أسفل سافلين ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ صَابِرِينَ ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (٥) .

(١) جامع العلوم والحكم : ط. مؤسسة الرسالة ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ،

وابراهيم باحس : ٤٨١/٢ .

(٢) المنافقون : الآية (٣) .

(٣) التوبة : الآية (٧٣) .

(٤) النساء : الأيتان (١٤٥ - ١٤٦) .

(٥) النساء : الآية (١٤٠) .

أما النوع الثاني من النفاق ، وهو النفاق في العمل ، فحكمه حكم الرِّياء ، والرِّياء من الكبائر ، وقد أورد الأدلة على ذلك الإمام الذهبي^(١) ، وهو شرك أصغر يحبط العمل الذي خالطه .

نجوم النفاق :

كان النَّاسُ في مَكَّةَ على عهد رسول الله ﷺ مؤمنًا أو كافرًا ، فلَمَّا هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وظهر على النَّاسِ وقويت شوكة الإسلام ، بدأ النفاق .

يقول ابن إسحاق : « وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ ، فلم يبق بمكة منهم أحدٌ إلا مفتون أو مجوس »^(٢) . « فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة إذ قدمها شهر ربيع الأولِ إلا صفر من السنة الداخلة ، حتى بُني لها فيها مسجده مساكته ، واستجمع له إسلام هذا الحي من الأنصار ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها ، إلا ما كان من حظمة وواقف ووائل وأمّية ، وتلك أوس الله ، وهم حي من الأوس ، فلإنهم أقاموا على شركهم »^(٣) ، « وكتب رسول الله ﷺ كتابًا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدتهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم »^(٤) ، « فلَمَّا اطمأنت

(١) الكبائر ، للإمام الذهبي ، تحقيق : عبدالرحمن فاعوري . ط. دار السلام ، ص ١٧٨ - ١٨١ ، عند ذكره للكبيرة السابعة والثلاثين .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ، مع شرح أبي ذر الحاشني : ١٦٤/٢ .

(٣) المصدر السابق : ١٦٥/٢ - ١٦٦ .

(٤) المصدر السابق : ١٦٧/٢ .

برسول الله ﷺ داره ، وأظهر الله بها دينه ، وسرّه بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته ، قال أبو قيس صيرمة بن أبي أنس ، أخو بني عدي بن النجار وكان رجلاً قد ترهب في الجاهلية ، وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ، ودخل بيتاً له فاتخذ مسجداً وقال : أعبدُ ربَّ إبراهيم ، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فأسلم وحسن إسلامه ، يقول أشعاراً حسناً - وهو الذي يقول :

فلما أتانا أظهر الله دينه * فأصبح مسروراً بطيبة راضياً
فأصبح لا يخش من الناس واحداً * قريباً ولا يخشى من الناس نائياً
نعادي الذي عادى من الناس كلهم * جميعاً وإن كان الحبيب المصافياً (١)

ونصبت عند ذلك أحبارُ يهود لرسول العداوة ، بغياً وحسدًا وضغناً ، لما خصَّ الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم ، وانضاف إليهم رجالٌ من الأوس والخزرج ، ممن كان عسى (٢) على جاهليته ، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث ، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه ، فظهروا بالإسلام واتخذوه جنة من القتل ، وناققوا في السرّ ، وكان هواهم مع يهود ، لتكذيبهم النبي ﷺ وجحودهم الإسلام (٣) .

ثم قال ابن إسحاق : « وكانت أحبار يهود هم الذين

(١) المصدر السابق : ١٧٩/٢ - ١٨٢ ، مختصراً .

(٢) قوله (ممن كان عسى على جاهليته) أي بقي واشتد عوده على الجاهلية شبّ وشاب عليها .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

يسألون رسول الله ﷺ ويتعتنونه ، ويأتون باللبس ، ليلبسوا الحقّ بالباطل ، فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه ، إلا قليلاً من المسائل في الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها .

فهؤلاء أحبار اليهود ، وأهل الشرور والعداوة لرسول الله ﷺ وأصحابه وأصحاب المسألة ، والنصب لأمر الإسلام الشرور ليطفئوه .
إلا ما كان من عبدا لله بن سلام ومُخَيَّرِيقِ «^(١)» .

وكان ممن انضاف إلى يهود ، ممن سُمي لنا من المنافقين من الأوس والخزرج والله أعلم «^(٢)» ، وسُمي عدداً منهم ثم ذكر من أسلم من أحبار يهود نفاقاً ، فقال : « وكان ممن تعوذ بالإسلام ، ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق ، من أحبار يهود »^(٣) ، فذكر عدداً منهم وقال : « وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ، ويسخرون ويستهزئون بدينهم »^(٤) .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كلامٌ جيدٌ في ذلك ، إذ يقول : « وذلك أن الله تعالى منذ بعث محمداً ﷺ وأعزه بالهجرة والنصرة صار الناس ثلاثة أقسام :

- قسماً مؤمنين : وهم الذي آمنوا به ظاهراً وباطناً .
- وقسماً كفاراً : وهم الذين أظهروا الكفر به .
- وقسماً منافقين : وهم الذين آمنوا ظاهراً ، لا باطناً .

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٤ - ١٨٦ ، مختصراً .

(٢) المصدر السابق ، ١٨٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٤) المصدر السابق ، ١٩٩ - ٢٠٠ .

ولهذا افتتح (سورة البقرة) بأربع آيات في صفة المؤمنين ، وآيتين في صفة الكافرين ، وثلاث عشرة آية في صفة المنافقين « (١) .

« وأما قبل الهجرة فلم يكن الناس إلا مؤمن أو كافر ، لم يكن هنا منافق ، فإن المسلمين كانوا مستضعفين ، فكان من آمن باطنا وظاهراً ، ومن لم يؤمن فهو كافر ، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ، وصار للمؤمنين بها عزّ وأنصار ، ودخل جمهور أهلها في الإسلام طوعاً واختياراً ، كان بينهم من أقاربهم ومن غير أقاربهم من أظهر الإسلام موافقة ، رهبةً أو رغبةً وهو في الباطن كافر . وكان رأس هؤلاء عبداً لله بن أبي بن سلول ، وقد نزل فيه وفي أمثاله من المنافقين آيات ، والقرآن يذكر المؤمنين والمنافقين في غير موضع ، كما ذكرهم في سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، وسورة العنكبوت ، والأحزاب ، وكان هؤلاء في أهل المدينة والبادية ، وكان في المنافقين من هو في الأصل من المشركين ، وفيهم من هو في الأصل من أهل الكتاب .

وسورة الفتح ، والقتال ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والمنافقين ، بل عامة السور المدنية ، يذكر فيها المنافقين « (٢) .

ثم ذكر - رحمه الله - آيات في المنافقين من سورة آل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والعنكبوت ، والأحزاب ، والفتح ، والمجادلة ، وقال : « وأما سورة (براءة) فأكثرها في وصف المنافقين وذمهم ،

(١) مجموع الفتاوى : ٤٣٣/٢٨ .

(٢) المرجع السابق : ٤٦٣/٧ .

ولهذا سُميت الفاضحة ، والمبعثرة ، وهي نزلت عام تبوك ، وكانت تبوك سنة تسع من الهجرة ، وكانت غزوة تبوك آخر مغازي النبي ﷺ التي غزاها بنفسه ، وتميز فيها من المنافقين من تميز ، فذكر الله من صفاتهم ما ذكره في هذه السورة « (١) . ثُمَّ قَالَ :

« وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْقِتَالِ : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْفَانَهُمْ ﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرْسَلْنَاكُمْ فَلَغَرَفْتَهُمْ بِسَيْمَانِهِمْ وَكَتَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ والمقصود بيان كثرة ما في القرآن من ذكر المنافقين وأوصافهم ، والمنافقون هم في الظاهر مسلمون ، وقد كان المنافقون على عهد النبي ﷺ يلتزمون أحكام الإسلام الظاهرة لاسيما في آخر الأمر ما لم يلتزمه كثير من المنافقين الذين من بعدهم ؛ لعز الإسلام وظهوره إذ ذاك بالحجة والسيف تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ .

ولهذا قال حذيفة بن اليمان وكان من أعلم الصحابة بصفات المنافقين وأعيانهم ، وكان النبي ﷺ قد أسر إليه عام تبوك أسماء جماعة من المنافقين بأعيانهم ، فلهذا كان يقال : هو صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ، ويروى أن عمر بن الخطاب لم يكن يصلي على أحد حتى يصلي عليه حذيفة ؛ لتلا يكون من المنافقين الذين نهى عن الصلاة عليهم . قال حذيفة ؓ : النفاق اليوم أكثر منه على عهد رسول الله ﷺ .

وفي رواية : كانوا على عهد النبي ﷺ يسرونه ، واليوم يظهرونه .

(١) المرجع السابق : ٤٦٦/٧ .

وذكر البخاري في صحيحه عن ابن ابي مليكة قال : أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ يَصَلُّونَ وَيَزَكُّونَ وَأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ .

وقد كانوا يشهدون مع النبي ﷺ مغازيه ، كما شهد عبدا لله بن أبي بن سلول وغيره من المنافقين (الغزوة) التي قال فيها عبدا لله بن أبي : (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزَّ منها الأذلُّ) (١) .

وقال : « وكما أنه ﷺ كان يعلم بعض المنافقين ، ولا يعلم بعضهم ، كما بينه قوله : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ كذلك خلفاؤه بعده ، وورثته ؛ قد يعلمون بعض المنافقين ، ولا يعلمون بعضهم ، وفي المنتسبين إلى الإسلام من عامة الطوائف منافقون كثيرون ، في الخاصة والعامة ، ويُسمَّون الزنادقة (٢) ، وقد اختلف العلماء في قبول توبتهم في الظاهر ، لكون ذلك لا يُعلم ، إذ هم دائماً يظهرُونَ الإسلام » (٣) .

وقال : « فمن النفاق ما هو أكبر ، يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار ؛ كنفاق عبدا لله بن أبي وغيره ؛ بأن يظهر تكذيب الرسول أو جحود بعض ما جاء به ، أو بعضه ، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه ،

(١) مجموع الفتاوى : ٤٦٥/٧ - ٥٧١ ، مختصراً .

(٢) كان من يظهر الإسلام ويُخفي الكفر يُسمَّى على عهد رسول الله ﷺ منافق ، ثُمَّ سُمُّوا الزنادقة ، ثُمَّ في هذا العصر يُسمَّون العلمانيون تلبُّساً بالعلم وزخرفة للاسم وهي ترجمة عجيبة ومخادعة وغير صحيحة لكلمة (Secularism) التي تعني اللادينية أي لا علاقة لمن ينتمي إليها بالدين ، وتعني إقصاء الدين وفصله عن الحياة .

(٣) المرجع السابق : ٤٣٤/٢٨ - ٤٣٥ .

أو المسرة بانخفاض دينه ، أو المساءة بظهور دينه ، ونحو ذلك ؛ مما لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله ، وهذا القدر كان موجوداً في زمن رسول الله ﷺ ، وما زال بعده ؛ بل هو بعده أكثر منه على عهده ؛ لكون موجبات الإيمان على عهده أقوى . فإذا كانت مع قوتها وكان النفاق معها موجوداً ؛ فوجوده فيما دون ذلك أولى .

فهذا حزب النفاق الأكبر .

وأما النفاق الأصغر ؛ فهو النفاق في الأعمال ونحوها ، مثل أن يكذب إذا حدث ، ويخلف إذا وعد ، ويخون إذا ائتمن ، أو يفجر إذا خصم . ومن هذا الباب : الإعراض عن الجهاد . فإنه من خصال المنافقين . قال النبي ﷺ : « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَقْرَأْ ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْفَزْوِ ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ » . رواه مسلم ، وقد أنزل الله سورة براءة التي تُسمى الفاضحة ؛ لأنها فضحت المنافقين . أخرجاه في الصحيحين عن ابن عباس ، قال : هي الفاضحة ، ما زالت تنزل ﴿ ومنهم ﴾ ، ﴿ ومنهم ﴾ حتى ظنوا أن لا يبقى أحد إلا ذكر فيها . وعن المقداد بن الأسود قال : هي (سورة البحوث) لأنها بحثت عن سرائر المنافقين . وعن قتادة قال : هي المثيرة ؛ لأنها أثارت مخازي المنافقين . وعن ابن عباس قال : هي المبعثرة . والبعثرة والإثارة متقاربان . وعن ابن عمر : أنها المقشقة . لأنها تبريء من مرض النفاق . يُقال : تقشقش المريض إذا برأ . وقال الأصمعي : وكان يقال لسورتي الإخلاص : المقشقتان ؛ لأنهما يبرئان من النفاق « (١) » .

(١) مجموع الفتاوى : ٤٣٤/٢٨ - ٤٣٦ ، مختصراً .

ثُمَّ قَالَ - رحمه الله - في التفريق بين المنافق والمؤمن المخطئ الجاهل الضال : « والمقصود : أن الزنديق في عرف هؤلاء الفقهاء ؛ هو المنافق الذي كان على عهد النبي ﷺ ، وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره . سواء أبطن ديناً من الأديان : كدين اليهود والنصارى أو غيرهم أو كان معطلاً جاحداً للصانع والمعاد والأعمال الصالحة . ومن الناس من يقول : (الزنديق) هو الجاحد المعطل ، وهذا يُسمى الزنديق في اصطلاح كثير من أهل الكلام والعامه ، ونقله كلام الناس ، ولكن الزنديق الذي تكلم الفقهاء في حكمه : هو الأول : لأن مقصودهم هو التمييز بين الكافر وغير الكافر ، المرتد وغير المرتد ، ومن أظهر ذلك أو أسره . وهذا الحكم يشترك فيه جميع أنواع الكفار والمرتدين ، وإن تفاوتت درجاتهم في الكفر والرّدة . فإن الله أخبر بزيادة الكفر كما أخبر بزيادة الإيمان بقوله : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ .

« فهذا (أصل) ينبغي معرفته فإنه مهم في هذا الباب . فإن كثيراً ممن تكلم في (مسائل الإيمان والكفر) - لتكفير أهل الأهواء - لم يلاحظوا هذا الباب . ولم يميزوا بين الحكم الظاهر والباطن . مع أن الفرق بين هذا وهذا ثابت بالنصوص المتواترة ، والإجماع المعلوم ؛ بل هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام .

ومن تدبر هذا :

علم أن كثيراً من أهل الأهواء والبدع : قد يكون مؤمناً مخطئاً جاهلاً ضالاً عن بعض ما جاء به الرسول ﷺ ؛ وقد يكون منافقاً زنديقاً يظهر خلاف ما يبطن » (١) .

(١) مجموع الفتاوى : ٤٧١/٧ - ٤٧٢ .

الفصل الأول

قبول علانيتهم ، وإيصال سرائرهم إلى الله

قال العلامة ابن القيم : « وأما سيرته في المنافقين ، فإنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم ، ويكل سرائرهم إلى الله ، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة ، وأمر أن يُعرض عنهم ، ويُغليظ عليهم ، وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم .

ونهاه أن يصلي عليهم ، وأن يقوم على قبورهم ، وأخبر أنه إن استغفر لهم ، فلن يغفر الله لهم » (١) .

فأما قبول علانيتهم وإيصال سرائرهم إلى الله وترك ما في القلوب لخالفها فقد ثبت كل ذلك عنه ﷺ ، فمن ذلك ما أخرجه الإمام البخاري في المغازي عن كعب بن مالك في حديث المخلفين قال :

« ... فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ أَحْزَنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النَّفَاقُ ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ ...

وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا ، وَكَانَ إِذَا قَلِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ ، فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ ، وَكَانُوا بِضَعَةِ

(١) زاد المعاد : ١٦١/٣ . ط . مؤسسة الرسالة .

وَمَمَانِينَ رَجُلًا . فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَعْفَرَ لَهُمْ ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ ... » (١) .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ « أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، كَانُوا إِذَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ . وَفَرَحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَإِذَا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ . وَحَلَفُوا ، وَأَحْبَبُوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا . فَنَزَلَتْ : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ (٢) .

وقال الله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعِنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٤٦) لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (٣) .

وفي هذه الآيات دلالة على أن النبي ﷺ قبل أعدارهم فإذا نهم .

قال ابن كثير : « وقال مجاهد : نزلت هذه الآية في أناس قالوا : استأذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنْ أَذِنَ لَكُمْ فَافْعَلُوا ، وَإِنْ لَمْ يَأْذِنْ لَكُمْ فَافْعَلُوا .

ولهذا قال تعالى : ﴿ حَتَّى يَتَّبِعِنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ أي في إبداء الأعدار ، ﴿ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ يقول : هلا تركتهم لما استأذِنوك ، فلم تأذن لأحدٍ منهم في القعود ، لتعلم الصادقين منهم في إظهار طاعتك

(١) البخاري : (٦٧) - المغازي ٧٥ - باب حديث كعب : ١٦٠٣/٤ ، قطعة من حديث كعب الطويل ، رقم ٤١٥٦ .

(٢) مسلم : ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : ٢١٤٢/٤ ، رقم ٢٧٧٧ .

(٣) التوبة : الآيات (٤٣ - ٤٥) .

من الكاذب . فإنهم قد كانوا مصريين على القعود عن الغزو وإن لم تأذن لهم فيه . ولهذا أخبر تعالى أنه لا يستأذنه في القعود عن الغزو أحد يؤمن بالله ورسوله « (١) .

وعن أبي الطفيل قال : « كَانَ يَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعَقَبَةِ وَيَيْنَ حُدَيْفَةَ بَعْضُ مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ . فَقَالَ : أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ إِنْ كَمْ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ ؟ قَالَ : فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : أَخْبِرْهُ إِذْ سَأَلَكَ . قَالَ : كُنَّا نَخْبِرُ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ . فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ خَمْسَةَ عَشَرَ . وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْهُمْ حَرَبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ، وَعَذَرَ ثَلَاثَةَ . قَالُوا : مَا سَمِعْنَا مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا عَلِمْنَا بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ ، وَقَدْ كَانَ فِي حَرَّةٍ فَمَشَى فَقَالَ : إِنَّ الْغَاءَةَ قَلِيلٌ ، فَلَا يَسْبِقُنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ . فَوَجَدَ قَوْمًا قَدْ سَبَقُوهُ فَلَعَنَهُمْ يَوْمَئِذٍ « (٢) .

ومن الدلائل على هدي النبي ﷺ في تعامله بالظاهر وترك ما في القلوب لخالقها ، ما رواه أبو سعيد الخدري قال : « ... فَقَامَ رَجُلٌ .. فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ ، قَالَ : وَيَتْلُكَ لَوْنَسْتَ أَحَقُّ أَهْلَ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ ؟ ... فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أُضْرِبُ عَنْقَهُ ؟ قَالَ : لَا ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي . فَقَالَ خَالِدٌ : وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنْ لَمْ أَوْمَرَ أَنْ أَنْقَبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ ، وَلَا أَشَقُّ بَطُونَهُمْ « (٣) .

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤/١٦٦٤ .

(٢) مسلم : ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : ٤/٢١٤٤ ، رقم ٢٧٧٩/١١ .

(٣) البخاري : ٦٧ - المغازي ٥٨ - باب بعث علي وحالد إلى اليمن : ٤/١٥٨١ -

١٥٨٢ ، رقم ٤٠٩٤ ، مختصراً .

قال عمرُ : نعم ، فقال رسول الله ﷺ : والله لو قتلتَه يومئذٍ لأرغمت أنوف رجالٍ لو أمرتهم اليوم بقتله لقتلوه ، فيتحدث الناسُ أنني قد وقعت على أصحابي فأقتلهم صبراً « (١) .

ويشهد له أيضاً طلب عبد الله بن عبد الله بن أبيٍ فقد روي أنه « جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي ، فوالذي بعثك بالحق ما تأملتُ وجهه قط هيبه له ، ولئن شئت أن أتيك برأسه لآتينك به ، فإني أكره أن أرى قاتل أبي » (لحميدي) (٢) .

فهذا الهدي النبوي والسياسة الحكيمة منه ﷺ كان لها أعظم الأثر في تبصير الصحابة بنفاق بعض قراباتهم ومشاهدته بأنفسهم ، لكيلا يقع في أنفسهم شيئاً فيما لو عاقبهم النبي ﷺ .

وكان المنافقون يشهدون الخير بين ظهرائي المسلمين ؛ عند رسول الله ﷺ ، ولكنهم محرومون منه بسبب ما انطوت عليه قلوبهم من الخبث والمكر والخداع والغیظ والحسد ، فلقد كانوا يستمعون القرآن ؛ تنزّل في الأوامر والزواجر والمواعظ ، والترغيب والترهيب ، والتبشير والإنذار ، والتحذير والتذكير ، ما لو نزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله .

ولو أنهم طهّروا قلوبهم من أرجاسها وأحقادها وأضغانها ، وأحسنوا

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣٥٣٥/٨ . قال ابن كثير : « وهذا سياقٌ غريب ، وفيه

أشياء لا توجد إلا فيه » ا.هـ . ولم أقف على تصحيح له ولا تضعيف .

(٢) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، للحافظ ابن حجر : ٣/٢٨٨ - ٣٨٩ ،

رقم الحديث ٣٧٨٠ ، وقال المحقق : سكت عليه البوصري .

الفصل الثاني

الإعراض عنهم ، ووعظهم ، والصبر على أذاهم

أمر الله نبيه ﷺ في مقابلة أذى المنافقين وما يثرونه من فتن بالإعراض عنهم وترك مقابلة أذاهم بالعقوبة ، وأمره بوعظهم وأن يقول لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ..

قال الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ (١) .

قال الطبري : ﴿ أُولَئِكَ ﴾ هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك يا محمد صفتهم . ﴿ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ في احتكامهم إلى الطاغوت ، وتركهم الاحتكام إليك ، وصدودهم عنك من النفاق والزيغ وإن حلفوا بالله : ما أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً . ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ ﴾ . يقول : فدعهم فلا تعاقبهم في أبدانهم وأجسامهم ، ولكن عظهم بتخريفك إياهم بأس الله أن يحلّ بهم ، وعقوبته أن تنزل بدارهم ، وحذرهم من مكروه ما هم عليه من الشك في أمر الله وأمر رسوله ، ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ يقول : مرهم باتقاء الله والتصديق به وبرسوله ووعده ووعيده « (٢) .

قال ابن عطية ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ يعني عن معاقبتهم وعن شغل البال

(١) النساء : الآية (٦٣) .

(٢) تفسير الطبري : تحقيق : شاكر : ٥١٥/٨ .

بهم وعن قبول أيمانهم الكاذبة في قوله يحلفون ، وليس بالإعراض الذي هو القطيعة والهجر ، فإن قوله : ﴿ وَعِظْتُمْ ﴾ يمنع من ذلك ، وعظفهم معناه بالتخويف من عذاب الله وغيره من المواعظ .

والقول البليغ اختلف فيه ، فقيل : هو الزجر والردع والكفّ بالبلاغة من القول ، وقيل : هو التوعّد بالقتل إن استداموا حالة النفاق ؛ قاله الحسن ، وهذا أبلغ ما يكون في نفوسهم ؛ والبلاغة : مأخوذة من بلوغ المراد بالقول « (١) » .

قال القرطبي في قول الله ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ قال الزجاج : قد علم الله أنهم منافقون . والفائدة لنا اعلموا أنهم منافقون ﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ ﴾ قيل : عن عقابهم ، وقيل : عن اعتذارهم ﴿ وَعِظْتُمْ ﴾ أي خوفهم ، قيل : في المسأ . ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ أي ازجرهم بأبلغ الزجر في السرّ والخفاء ، الحسن : قل لهم إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلتمكم « (٢) » .

أما الزمخشري فيقول في قوله : ﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ ﴾ لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ، ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عمّا هم عليه . ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ بالغ في وعظهم بالتخويف والإنذار . (فإن قلت) : ثم تعلق قوله : ﴿ فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ . (قلت) :

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : للقاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦) ، طبعة مديرية الشؤون الإسلامية المغربية ، وتحقيق المجلس العلمي بفاس : ١٦٤/٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٢٦٥/٥ .

بقوله : ﴿ بَلِيغًا ﴾ أي قل لهم قولاً بليغاً في أنفسهم مؤثراً في قلوبهم يفتنون به اغتماماً ، ويستشعرون منه الخوف استشعاراً ؛ وهو التوعّد بالقتل والاستتصال إن نجم منهم النفاق واطلع قرنه ، وأخبرهم أنّ ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلومٌ عند الله وأنه لا فرق بينكم وبين المشركين . وما هذه المكافأة إلا لإظهاركم الإيمان وإسراركم الكفر وإضماره ؛ فإن فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق إلا السيف .

أو يتعلّق بقوله : ﴿ وَقُلْ لَهُمْ ﴾ في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولاً بليغاً وأن الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم إبطانه ، فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق وإلا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرّاً من ذلك وأغلظ .

أو قل لهم في أنفسهم خالياً بهم ليس معهم غيرهم مساراً لهم بالنصيحة لأنها في السرّ أنجع وفي الإحاض أدخل . قولاً بليغاً يبلغ منهم ويؤثر فيهم « (١) » .

قال العلامة المرزوقي في حاشيته على الكشاف :

« قال أحمد : ولكلّ من هذه التأويلات شاهد على الصحة :

أما الأوّل : فلأنّ حاصله الأمر بتهديدهم على وجه مبلغ صميم قلوبهم ، وسيق التهديد في قوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءُوكَ ﴾ يشهد له فإنّه أخبر بما سيقع لهم على سبيل التهديد .

(١) الكشاف ، للزخشري : ٢٧٦/١ - ٢٧٧ .

وأما الثاني فيلائمه من السياق قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ يعني ما انطوت عليه من الخبث والمكر والحيل ، ثم أمره بوعظهم والإعراض عن جرائمهم حتى لا تكون مواخذتهم بها مانعة من نصحتهم ووعظهم ؛ ثم جاء قوله ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ كالشرح للوعظ ولذكر أهم ما يعظهم فيه ، وتلك نفوسهم التي علم الله ما انطوت عليه من المذام ؛ وعلى هذا يكون المراد : الوعظ وما يتعلق به .

وأما الثالث : فيشهد له سيرته عليه الصلاة والسلام في كتم عناد المنافقين ، والتجاني عن إفصاحهم ، والستر عليهم حتى عُدَّ حذيفة رضي الله عنه صاحب سره عليه الصلاة والسلام لتخصيصه إياه بالاطلاع على أعيانهم وتسميتهم له بأسمائهم . وأخباره في هذا المعنى كثيرة ^(١) .

أما القاضي أبو السعود فله بعض الإضافات واللفتات ، يقول : « فأعرض عن قبول معذرتهم ، وقيل : عن عقابهم ، ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ، ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجلٍ وحذرٍ ﴿ وَعَظَّمْ ﴾ أي ازجرهم عن النفاق والكيد .

ولئن أظهروا الشقاق وبرزوا بأشخاصهم من نفق النفاق ليمسّتهم العذاب إن الله شديد العقاب ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُطَاعُ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ كلام مبتدأ جيء به تمهيداً لبيان خطيئهم في الاشتغال بستر جنائيتهم بالاعتذار بالأباطيل وعدم تلافئها بالتوبة ^(٢) .

(١) المرجع السابق : الحاشية في الصفحات نفسها .

(٢) تفسير أبي السعود : ط . دار إحياء التراث ، بيروت : ١-٢/١٩٦ ، مختصراً .

والعلامة السعدي يقول في قوله تعالى ﴿ وَعَظُّهُمْ ﴾ أي : يبين لهم حكم الله تعالى مع الترغيب في الانقياد لله ، والترهيب من تركه ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ أي انصحهم سرًا بينك وبينهم ، فإنه أنجح لحصول المقصود ، وبالغ في زجرهم وقمعهم عما كانوا عليه ، وفي هذا دليل على أن مقترف المعاصي وإن أعرض عنه ، فإنه يُنصح سرًا ، ويبالغ في وعظه ، بما يظن حصول المقصود به « (١) » .

وقد أمر الله بالإعراض عنهم وترك تأنيبهم احتقاراً لهم .

فقال تعالى : ﴿ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا اهْتَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَقْرَضُوا عَنْتَهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْتَهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جُزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٢) .

قال أبو جعفر : سيخلف ، أيها المؤمنون بالله ، لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقلدهم خلاف رسول الله إذا انصرفتم إليهم من غزوكم ﴿ لَتَقْرَضُوا عَنْتَهُمْ ﴾ فلا تؤنبوهم ﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْتَهُمْ ﴾ فدعوا تأنيبهم وخلوهم وما اختاروا لأنفسهم من الكفر والنفاق ، إنهم نجس ومصيرهم إلى جهنم « (٣) » .

وقال ابن كثير في قوله ﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْتَهُمْ ﴾ احتقاراً لهم ﴿ إِنَّهُمْ رَجِسٌ ﴾ أي خبثاء ، نجس بواطنهم واعتقاداتهم « (٤) » .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ (٥) .

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٣٦٣/١ - ٣٦٤ .

(٢) التوبة : الآية (٩٥) .

(٣) تفسير الطبري : تحقيق : شاكر : ٤٢٥/٩٩ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : د. محمد البنا : ١٦٩٨/٤ .

(٥) الأحزاب : الآية (١) .

وقال : ﴿ وَلَا تَطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾^(١) . قال ابن كثير : « أي تسمع منهم ولا تستشيرهم ﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ أي من قرآن وسنة^(٢) . وقال : « لا تطعهم وتسمع منهم في الذي يقولونه ﴾ وَدَعِ أَذَاهُمْ ﴾ أي اصفح وتجاوز عنهم وكنل أمرهم إلى الله فإن فيه كفاية لهم ، ولهذا قال : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾^(٣) .

وقال الطبري في قوله ﴿ وَدَعِ أَذَاهُمْ ﴾ يقول : وأعرض عن أذاهم لك ، واصبر عليه ، ولا يمنعك ذلك عن القيام بأمر الله في عباده والنفوذ كما كلفك^(٤) .

وقال القرطبي : « أي دع أن تؤذيهم مجازاةً على إذايتهم إياك ، فأمره تبارك وتعالى بترك معاقبتهم والصفح عن زللهم ، وفيه معنى ثان : أي أعرض عن أقوالهم وما يؤذونك ولا تشتغل به^(٥) .

وقال السعدي : « ولما كان ثم طائفة من الناس مستعدة للقيام بصدد الداعين إلى الله من الرسل وأتباعهم ، وهم المنافقون ، نهى الله رسوله عن طاعتهم ، وحذره ذلك ، ولكن لا يقتضي هذا أذاهم ، بل لا تطعهم ﴾ وَدَعِ أَذَاهُمْ ﴾ فإن ذلك جالب لهم ، وداع إلى قبول الإسلام وإلى كف كثير من أذيتهم له ولأهله^(٦) .

(١) الأحزاب : الآية (٤٨) .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٢٧٧٩/٦ - ٢٧٨٠ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٢٨٢٨/٦ .

(٤) تفسير الطبري ، ط. الباهي الحلبي : ١٨/٢٢ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ٢٠٢/١٤ .

(٦) تيسر الكريم الرحمن : ١٦٠/٤ .

ولقد صبر ﷺ على أذاهم وخداعهم وكيدهم ومراوغاتهم ، وسيرته تشهد بهذا .

فمن ذلك ما كان من رأس النفاق والمنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول حينما توعد الرسول ﷺ وأصحابه بالإخراج من المدينة :

فقد روى جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : « كُنَّا فِي غَزَاةٍ - قَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً : فِي جَيْشٍ - فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : يَا لِلْأَنْصَارِ ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ : يَا لِلْمُهَاجِرِينَ ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ . فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَعْلَبَةَ : فَعَلَوْهَا ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : دَعْنِي ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنْ مُحَقَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ . وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ ، ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ » (١) .

وفي حديث زيد بن أرقم قال : « خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ أَصَابَ النَّاسَ فِيهِ شِدَّةٌ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَصْحَابِ : لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِ ، وَقَالَ : لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ . فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَأَرْسَلَ

(١) البخاري: ٦٨ - التفسير - ٣٨٠ - باب قوله ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَفْتَرْتَهُمْ ﴾ ... الآية :

إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَسَأَلَهُ ، فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ مَا فَعَلَ ، قَالُوا : كَذَبَ زَيْدٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِمَّا قَالُوا شِدَّةً ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ تَصْدِيقِي فِي : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ فَدَعَاَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ فَلَرَوْا رُغُوسَهُمْ . وَقَوْلُهُ : ﴿ خَشِبُ مُسْنَدَةٍ ﴾ قَالَ : كَانُوا رِجَالًا أَجْمَلَ شَيْءٍ » (١) .

ثبت بهذه النصوص وغيرها أن النبي ﷺ كان يتثبت من الأخبار ، ويتأكد من القائل نفسه ، يتقرره ؛ حتى وإن كان المخبر من أصحابه ؛ والمخبر عنه منافقاً معلوم النفاق .

وثبت أيضاً أنه كان يقبل منهم أذاهم وإيمانهم ، ويُعرض عنهم ويدع أذاهم ، بل ويدعوهم ليستغفروا لهم .

فكان من أهم أسباب الصبر عليهم تألف قلوب من يُرجى إيمانه منهم أو ممن هو على شاكلتهم ، وتطبيب خواطر قراباتهم من المؤمنين .

ومن أهم أسباب الصبر عليهم وتحمل أذاهم فسح المجال لقراباتهم وأقوامهم للتعرف على نفاقهم واكتشافه بأنفسهم ، لكي تتكون القناعات في قلوبهم بنفاق هؤلاء واستحقاقهم للعقاب ، وتطمئن برؤية صبر النبي ﷺ عليهم وعفوه وسماحته وكرمه ، حتى يكونوا هم أول من يقوم في وجوههم ويأخذ على أيديهم . ويشهد لهذا ما نقله ابن كثير عن ابن أبي حاتم « أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة أرسل إلى عمر فدعاه ، فقال له رسول الله : أي عمر ، أكنت قاتله لو أمرتك بقتله ؟

(١) المصدر السابق ، الكتاب نفسه ، ٢٧٨ - باب ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَانُهُمْ ﴾ ... :

قال عمرُ : نعم ، فقال رسول الله ﷺ : والله لو قتلته يومئذٍ لأرغمت أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله لقتلوه ، فيتحدث الناسُ أنني قد وقعت على أصحابي فأقتلهم صبراً « (١) .

ويشهد له أيضاً طلب عبد الله بن عبد الله بن أبيي فقد روي أنه « جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي ، فوالذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيباً له ، ولكن شئت أن أتيك برأسه لأتيتك به ، فإني أكره أن أرى قاتل أبي » (للحميدي) (٢) .

فهذا الهدى النبوي والسياسة الحكيمة منه ﷺ كان لها أعظم الأثر في تبصير الصحابة بنفاق بعض قراباتهم ومشاهدته بأنفسهم ، لكيلا يقع في أنفسهم شيئاً فيما لو عاقبهم النبي ﷺ .

وكان المنافقون يشهدون الخير بين ظهرائي المسلمين ؛ عند رسول الله ﷺ ، ولكنهم محرومون منه بسبب ما انطوت عليه قلوبهم من الخبث والمكر والخداع والغیظ والحسد ، فلقد كانوا يستمعون القرآن ؛ تنزلُ فيه الأوامر والزواجر والمواعظ ، والترغيب والترهيب ، والتبشير والإنذار ، والتحذير والتذكير ، ما لو نزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله .

ولو أنهم طهروا قلوبهم من أرجاسها وأحقادها وأضغانها ، وأحسنوا

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣٥٣٥/٨ . قال ابن كثير : « وهذا سياقٌ غريب ، وفيه أشياء لا توجد إلا فيه » . ا.هـ . ولم أقف على تصحيح له ولا تضعيف .

(٢) المطالب العالیة بزوائد المسانيد الثمانية ، للحافظ ابن حجر : ٣٨٨/٣ - ٣٨٩ ، رقم الحديث ٣٧٨٠ ، وقال المحقق : سكت عليه البوصيري .

نياتهم ومقاصدهم في ابتغاء الحق هُتُوا إلى صراطٍ مستقيم ، ولكنهم أبوا إلا العناد والاستكبار واتباع الهوى . وقد أخبر الله نبيه بأحوالهم ، فقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ إِهَآ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْكُمُ زَادَتْ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٢) . ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٣) .

وقد تنزل القرآن في المنافقين في نحو ست وستين آية من سورة التوبة ، وسبع وعشرين آية من سورة النساء ، وأربع عشرة آية من الأحزاب ، وثلاث عشرة من البقرة ، وعشر من المجادلة ، وست من الفتح ، وبضع آيات من آل عمران ، والمائدة ، والحديد ، وعامة سورة القتال ، والحشر ، والمنافقون ، وجاء ذكر المنافقين في عامة السور المدنية .

وتما جاء من المواعظ فيهم ؛ قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعْتُوا لَوْ أِطَاعُوا مَا قُلُوا قُلْ فَأَدْرَأُ عَنْ أَهْسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤) .

(١) سورة محمد : الآية (١٦) .

(٢) التوبة : الآيتان (١٢٤ ، ١٢٥) .

(٣) التوبة : الآية (١٢٧) .

(٤) آل عمران : الآية (١٦٨) .

﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٢٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٧﴾ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ ءَانَا كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَهْسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَىٰ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تظَلْمُونَ فِتْيَانًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَّزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ

(١) النساء : الآيات (٢٨ ، ٢٩) .

(٢) النساء : الآيات (٦٦ ، ٦٧) .

(٣) النساء : الآيات (٦٦ - ٦٨) .

وَاللَّهُ يَكْتُوبُ مَا يُيْتُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَبِيرًا ﴿٨٢﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْبَتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿٧٩﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ صَابِرًا ﴿٧٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿٧٧﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْتِنِي لِي وَلَا تَتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤١﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٦٠﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنْ إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٦١﴾ .

(١) النساء : الآيات (٧٧ - ٨٢) .

(٢) النساء : الآيات (١٣٨ ، ١٣٩) .

(٣) النساء : الآيات (١٤٥ - ١٤٧) .

(٤) التوبة : الآية (٤٩) .

(٥) التوبة : الآية (٥١) .

(٦) التوبة : الآية (٥٩) .

وقوله تعالى : ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴾ ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَاللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ ^(٢) . وأمر الله نبيه ﷺ أن يعلمهم التوحيد والإيمان ، والقضاء والقدر ، فقال : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْتَمُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(٣) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ^(٤) . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نِعْمًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(٦) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا هُمُوهَا أُخِذُوا وَقُتِلُوا هَتِيلًا ﴾ ^(٧) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدُ لَسُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ ^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَحْذَرُونَ الْفِرَارَ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نِعْمًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ^(٩) .

وقوله ﷺ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا اسْتَخَطَّ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ^(١٠) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْفَانَهُمْ ﴾ ^(١١)

(١) التوبة : الآية (٦٤) .

(٢) التوبة : الآية (٦٨) .

(٣) الأحزاب : الآيات (١٦ ، ١٧) .

(٤) الفتح : الآية (١١) .

(٥) الأحزاب : الآيات (٦٠ - ٦٢) .

(٦) محمد : الآية (٢٤) .

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَتَعَرَّفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿١١﴾

وقوله تعالى - واعظاً لهم بمصيرهم الذي ينتظرهم يوم القيامة - ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُوا وَافْتَبَسُوا مِن دُونِكُمْ لَقِيلَ ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴿١٣﴾ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكم كتبنا آهسكم وترصتكم واربتتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغرتكم بالله الغرور ﴿١٤﴾ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ماؤاكم النار هي مولاكم وبئس المصير ﴿١٥﴾

أما في السنة النبوية :

فمن ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قالوا يا رسول الله ا هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ، ليست في سحابة ؟ قالوا : لا . قال : فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة ؟ قالوا : لا . قال : فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما .

قال فيلقى العبد فيقول : أي فل ا ألم أكرمك ، وأسودك ، وأزوجك ، وأسخر لك الخيل والإبل ، وأذرك ترأس وترتع ؟ فيقول : بلى . قال فيقول : أظننت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا ، فيقول : فإني أنساك كما نسيتني ...

ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك . فيقول : يا رب ا أنت بك وبكتابك

(١) عمّد : الآيات (٢٧ - ٣٠) .

(٢) الحديد : الآيات (١٣ - ١٥) .

هاهنا إذا . قَالَ : ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : الْآنَ نَبَعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ . وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ : مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ ؟ فَيُخْتَمُ عَلَيَّ فِيهِ . وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ : انْطِقِي ، فَتَنْطِقُ فَخِذَهُ وَلَحْمَهُ وَعِظَامَهُ بِعَمَلِهِ ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ ^(١) مِنْ نَفْسِهِ . وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْنَخُ اللَّهُ عَلَيْهِ ^(٢) .

قال القرطبي : « وقوله للثالث : (هاهنا إذا ؟) يعني : أهاهنا تكذب ، وتقول غير الحق ؟ »

وذلك أن هذا المنافق أنجاه كذبه ونفاقه في الدنيا من سفك دمه ، واستباحة ماله ، فاستصحب الكذب إلى الآخرة ، حتى كذب بين يدي الله تعالى ^(٣) .

وفي هذا الحديث وعظ منه ﷺ بالإخبار بالمصير الذي سيصير إليه المنافق إذا مات على نفاقه ولم يتب .

وعن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ ^(٤) بَيْنَ الْغَنَمِينَ ؛ تَعْبُرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً » ^(٥) .

(١) (ليعذر) من الإعذار ، والمعنى ليزيل الله عذره من قبيل نفسه بشهادة أعضائه عليه فلا يبقى له عذر أو حجة يتمسك بها . وأما الذي ليس بمُحَقَّقٍ فهو المُعْذِرُ على جهة المفعول ، لأنه الممرض والمقصّر يعذر بغير عذر . وقال الرازي : إن ابن عباس كان عنده أن المُعْذِرَ بالتشديد هو المُظْهِرُ للعذر اعتلالاً من غير حقيقة ، والمُعْذِرُ بالتخفيف الذي له عذر . مختار الصحاح ، ص ١٧٧ .

(٢) مسلم : ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق : ٢٢٧٩/٤ - ٢٢٨٠ ، رقم ٢٩٦٨ ، مختصراً .

(٣) المُفْهِمُ لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم : ط . دار ابن كثير . والكلم الطيب (٤٠) كتاب ذكر الموت وما بعده - (١٩) باب : شهادة أركان الكافر عليه يوم القيامة : ١٩٨/٧ .

(٤) العائرة : المزودة الحائرة : لا تدري أيهما تتبع .

(٥) مسلم : ٥٠ . كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : ٢١٤٦/٤ ، رقم ٢٧٨٤ .

وفي رواية : « تَكَرَّرَ فِي هَذِهِ مَرَّةٍ وَفِي هَذِهِ مَرَّةٍ » (١) .

وفي هذا المثل الذي ضربه النبي ﷺ تصويرٌ دقيق لحال المنافق في الحيرة والتردد بين المؤمنين والكافرين إلى أيهما ينحاز ، وفيه وعظٌ وتنبيه لهم أن يربأوا بأنفسهم عن ذلك ، ويخرجوا مما هم فيه .

وعن عبد الله بن كعب عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالْحَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ ، تَفِيئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً ، وَتَعْدِلُهَا مَرَّةً . وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالْأَرْزَةِ ، لَا تَزَالُ حَتَّى يَكُونَ أَنْجَعَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً » (٢) .

قال المباركفوري : « فكذلك المنافق يقلُّ بلاؤه في الدنيا لئلا يخفف عذابه في العقبى » (٣) .

وقال الحافظ : « قال المهلب : حتى إذا أراد الله هلاكه قصمه ، فيكون موته أشدَّ عذاباً عليه ، وأكثر ألماً في خروج نفسه » (٤) .

وفي هذا المثل منه ﷺ تحذيرٌ للمنافق أن لا يغترَّ بصحته وقوته ، وإنذاراً له لكيلا يبقى على نفاقه ، فإنَّ الله سيأخذه دفعة واحدة كإنجعاغ الأرزة .

(١) المصدر السابق : رواية بعد الحديث السابق مباشرة .

(٢) البخاري : ٧٨ - كتاب المرضى ١ - باب ما جاء في كفارة المرض : ٢١٣٧/٥ ، رقم ٥٣١٩ .

والخامة : الغض الرطب من النبات . مختار الصحاح ، ص ٨١ ، والأرزة : بسكون الراء : شجر السنوبر . مختار الصحاح ، ص ٦ . إنجعاغها : انقلاعها . النهاية : ٢٧٦/١ .

(٣) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي : ١٦٦/٨ ، شرح حديث رقم ٣٠٢٦ .

(٤) الفتح : ١١١/١٠ ، شرح الحديث رقم ٥٦٤٣ .

الفصل الثالث

عدم توقيرهم أو الاستخفاف لهم أو الصلاة عليهم والقيام على قبورهم

كان النبي ﷺ يُعرض عن المنافقين ، ويعظهم ، ويدع أذاهم ،
ويصبر عليهم ، إلا أنه كان ينهى عن توقيرهم وتعظيمهم وتسويدهم ،
والرفع من مكانتهم وشأنهم ؛ فعن بُريدة بن الحصيب قال : قال
رسول الله ﷺ : « لا تقولوا للمنافق : سيّد . فإنه إن يك سيّدًا فقد
أسخطتم ربكم ﷻ » (١) .

وكان ﷺ يستغفر لهم ويصلي عليهم حتى نهاه ربه ﷻ ؛ فعن ابن
عمر - رضي الله عنهما - قال : « لما تُوفيَ عبدُ اللهِ بنُ أبي ، جاء ابنُه
عبدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فسأله أن يُعطيَه قميصَه يُكفنُ فيه
أباه ، فأعطاه ، ثم سأله أن يُصليَ عليه ، فقام رسولُ اللهِ ﷺ ليُصليَ
عليه ، فقام عمرٌ فأخذ بثوبِ رسولِ اللهِ ﷺ ، فقال : يا رسولَ اللهِ
تُصليَ عليه ، وقد نهاك ربك أن تُصليَ عليه ؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ :
إنما خيرتني اللهُ فقال : ﴿ استغفروا لهم أو لا تستغفروا لهم إن تستغفروا لهم سبعين مرة ﴾
وسأزیده على السبعين ، قال : إنه مُنافق . قال : فصلّى عليه رسولُ اللهِ ﷺ .

(١) سنن أبي داود : كتاب الأدب : (٨٣) - باب لا يقول للملوك (ربي) و (ربي) ،
رقم الحديث ٤٩٧٧ ، وصححه الألباني ، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة
رقم ٣٧٠ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ « (١) .
 زاد مسلم في رواية له : « قَالَ فَتَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ » (٢) .

وفي حديث ابن عمر عند البخاري ، قال : « ... فَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ
 الْخَطَّابِ بِثَوْبِهِ فَقَالَ : تُصَلِّي عَلَيْهِ وَهُوَ مُنَافِقٌ ، وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ
 تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ ؟ ... قَالَ : فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ ، ثُمَّ
 أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ
 كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ « (٣) .

وفي حديث عمر ، قال : « ... فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَبَّتْ إِلَيْهِ
 فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ أَبِي وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا : كَذَا
 وَكَذَا ؟ قَالَ : أَعَدَّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : أَخْزِ عَنِّي
 يَا عُمَرُ . فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ قَالَ : ابْنِي خَيْرٌ فَاخْتَرْتُ ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي ابْنُ زَيْنٍ
 عَلَى السَّبْعِينَ يَغْفِرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا قَالَ : فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ
 انصَرَفَ ، فَلَمْ يَمُكِّثْ إِلَّا يَسِيرًا (٤) ، حَتَّى نَزَلَتِ الْآيَاتَانِ مِنْ بَرَاءَةِ : ﴿ وَلَا
 تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ . قَالَ :
 فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَاللَّهِ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ » (٥) .

(١) البخاري : ٦٨ - التفسير ، التوبة ١٦٠ - باب ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ... ﴾ :
 ١٧١٥/٤ ، رقم ٤٣٩٣ .

(٢) مسلم : ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : ٢١٤١/٤ ، رقم ٢٧٧٤ .

(٣) البخاري : الموضوع السابق عند البخاري ، برقم ٤٣٩٥ .

(٤) عَلِمَ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَنْزِلِ النَّهْيُ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَى مَنْ عَلِمَ نِفَاقَهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ صَلَّى
 النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ابْنِ أَبِي .

(٥) البخاري : الموضوع السابق : برقم ٤٣٩٤ .

قال الحافظ : « وكان النبي ﷺ في أول الأمر يصير على أذى المشركين ويعفو ويصفح ، ثم أمر بقتال المشركين ، فاستمر صفحُه وعفوه عمَّن يظهر الإسلام ولو كان باطنه على خلاف ذلك لمصلحة الاستتلاف وعدم التنفير عنه ، ولذلك قال : « لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ » . فلما حصل الفتح ودخل المشركون في الإسلام ، وقلَّ أهل الكفر وذُلُّوا ؛ أمر بمجاهرة المنافقين ، وحملهم على حكم مُرِّ الحقِّ ، ولا سيَّما وقد كان ذلك قبل نزول النهي الصريح عن الصلاة على المنافقين ، وغير ذلك مما أمر فيه بمجاهرتهم . قال الخطابي : (إنما فعل النبي ﷺ مع عبدا لله بن أبي ما فعل لكمال شفقتِه على من تعلق بطرف من الدين ، ولتطيب قلب ولده عبدا لله الرجل الصالح ، ولتألف قومه من الخزرج لرياسته فيهم ، فلو لم يجب سؤال ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي الصريح لكان سبَّه على ابنه وعارًا على قومه ، فاستعمل أحسن الأمرين في السياسة إلى أن نُهي ؛ فانتهى) . وقد أخرج الطبري من طريق سعيد ، عن قتادة في هذه القصة قال : فذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال : « وما يغني عنه قميصي من الله ، وإني لأرجو أن يسلم بذلك ألف من قومه » (١) « (٢) .

(١) أخرجه الطبري في التفسير : ٤٠٩/١٤ ، رقم ١٧٠٥٨ ، وقد حسنه د. الحميدي

في رسالته « المنافقون في القرآن الكريم » ، ص ٤٣٦ ، وسكت عنه شاكر .

(٢) فتح الباري : ٦٥ - كتاب التفسير ١٢ - باب استغفر لهم أو لا تستغفر لهم :

١٨٥/٨ ، شرح حديث رقم ٤٦٧٠ في الفتح .

الفصل الرابع

جهادهم والإغلاظ عليهم

قال الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنَسِ الْمَصِيرَ ﴾^(١) ، وقال مهديداً ومتوعداً المنافقين: ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرحطون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاوروك فيها إلا قليلاً ﴾^(٢) ملتجئين أئتماً قتلوا وقتلوا قهتيلاً^(٣) سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً^(٤) .

قال ابن منظور: « والجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء »^(٥) .

وقال ابن القيم: « فالجهاد أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين .

وأما جهاد الكفار والمنافقين فأربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، والنفس، وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان .

وقد اختلفت عبارات السلف في حق الجهاد، فقال ابن عباس: هو استفراغ الطاقة فيه، والأيخاف في الله لومة لائم، وقال عبداً لله بن المبارك: هو مجاهدة النفس والهوى .

(١) التوبة: الآية (٧٣)، وكذلك هي في سورة التحريم: الآية (٩) .

(٢) الأحزاب: الآيات (٦٠ - ٦٢) .

(٣) لسان العرب: مادة جهد: ١٣٥/٣ .

وكان رسول الله ﷺ في الذروة العُلْيَا منه ، واستولى على أنواعه كلها ، فجاهد في الله حقَّ جهاده ؛ بالقلب والجنان ، والدعوة والبيان ، والسيف والسُّنَان ، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد ، بقلبه ولسانه ويده ، ولهذا كان أرفع العالمين ذِكْرًا وأعظمهم عند الله قدرًا .

وأمره الله تعالى بالجهاد من حين بعثه ؛ وقال : ﴿ وَكُوشِنَا بَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ۝ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْتُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (١) .

فهذه سورة مكية أمر فيها بجهاد الكفار بالحجة والبيان ، وتبليغ القرآن ، وكذلك جهاد المنافقين : إنما هو بتبليغ الحجة ، وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ .

فجهادُ المنافقين : أصعب من جهاد الكفار ، وهو جهادُ خواصِّ الأمة ، وورثة الرُّسُل ، القائمون به أفرادًا في العالم ، والمشاركون فيه ، والمعاونون عليه ، وإن كانوا هم الأقلين عددًا ، فهم الأعظمون عند الله قدرًا « (٢) .

وأما الغلظ فقال القرطبي : نقيض الرأفة ، وهي شدة القلب على إحلال الأمر بصاحبه ، وليس ذلك في اللسان ، فإن النبي ﷺ قال : إِذَا زَنَتِ أُمَّةٌ أَحَدَكُمْ فَلْيَجْلِدْنَهَا الْحَدَّ وَلَا يَثْرُبْ (٣) عَلَيْهَا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَوَكَّتْ فَمَا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَهْضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ، ومنه قول النسوة لعمر : أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ .

(١) الفرقان : الآية (٥٢) .

(٢) زاد المعاد : ٩/٣ ، ١١ ، ٨ ، ٥ على التوالي ، مع الاختصار .

(٣) أي لا يوبخها ، ولا يقرعها بالزنى بعد الضرب . النهاية : ٢٠٩/١ .

ومعنى الغلظ : خشونة الجانب . وهذه الآية نسخت كل شيء من العفو والصلح والصفح « (١) .

فالغظ هو الجاني ، والغليظ القلب : القاسي القلب غير ذي رحمة ولا رافة « (٢) .

أما قوله تعالى : ﴿ لَئِن لَّمْ يَتَّهِ الْمُنَافِقُونَ ﴾ فقال القرطبي أيضاً : « أهل التفسير على أنّ الأوصاف الثلاثة لشيء واحد » (٣) .

أما الإرجاف فهو إشاعة الكذب والباطل للاغتمام به ، وقيل : تحريك القلوب ، والرجفان : الاضطراب الشديد « (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ﴾ « أي لنسلطنك عليهم فتستأصلهم بالقتل » (٥) .

أما في صفة جهاد الكفار والإغلاظ عليهم فلا إشكال ، لكن الاختلاف في كيفية جهاد المنافقين ، فقد نقل الطبري قول بعضهم : « أمره بجهادهم باليد واللسان وبكل ما أطاق جهادهم به . (عن ابن مسعود : ﴿ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ ، قال : بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، فإن لم يستطع فليكفهراً في وجهه » (٦) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ٢٠٥/٨ .

(٢) تفسير الطبري : ٣٤١/٧ ، تحقيق : شاكر .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٢٠٥/٨ .

(٤) المرجع السابق : ٢٤٦/١٤ .

(٥) المرجع السابق : ٢٤٦/١٤ .

(٦) تفسير الطبري : تحقيق : شاكر : ٢٥٨/١٤ ، وقد استعرض شاكر سند الأثر موثقاً رجاله .

وقال آخرون : بل أمره بجهادهم باللسان : عن ابن عباس :
(فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف ، والمنافقين باللسان وأذهب
الرفق عنهم) .

وقوله : ﴿ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ ﴾ واشدد عليهم بالجهاد والقتال
والإرهاب (١) .

وتم ذهب إلى استمرار الترفق بهم والصبر على أذاهم واحتمال
جفائهم الإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي صاحب
« المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم » حيث يقول في هذه
المسألة : « قوله ﷺ لعمر حين قال : دعني أضرب عنق هذا المنافق :
« لا يتخذه الناس أن محمداً يقتل أصحابه » دليل على أن المنافقين الذين
علم نفاقهم في عهد رسول الله ﷺ كانوا مستحقين للقتل ، لكن امتنع
النبي ﷺ من ذلك لئلا يكون قتلهم منفرًا لغيرهم عن الدخول في
الإسلام ؛ لأن العرب كانوا أهل أنفة وكبر بحيث لو قتل النبي ﷺ
هؤلاء المنافقين لنفر من بعد عنهم ، فيمتنع من الدخول في الدين ،
وقالوا : هو يقتل أصحابه ، ولغضب من قرب من هؤلاء المنافقين ،
فتهيج الحروب ، وتكثر الفتن ، ويمتنع من الدخول في الدين ، وهو
نقيض المقصود ، فعفا النبي ﷺ عنهم ، ورفق بهم ، وصبر على جفائهم
وأذاهم ، وأحسن إليهم حتى انشرح صدر من أراد الله هدايته ،
فرسخ في قلبه الإيمان ، وتبين له الحق اليقين ، وهلك عن بينة من
أراد الله هلاكه ، وكان من الخاسرين ، ثم أقام النبي ﷺ مستصحبا

(١) المصدر السابق : ٢٥٨/١٤ - ٢٦٠ .

لذلك إلى أن توفاه الله تعالى ، فذهب النفاق وحكمه لأنه ارتفع
مسمّاه واسمه .

وقد ذهب غير واحدٍ من أئمتنا إلى أنّ المنافقين يُعفى عنهم ما لم
يُظهروا نفاقهم ، فإن أظهروه قُتلوا ، وهذا أيضاً يُخالف ما جرى على
عهد النبي ﷺ ، فإنّ منهم من أظهر نفاقه ، واشتهر عنه حتى عُرف به ،
والله أعلم بنفاقه ، ومع ذلك لم يُقتلوا لما ذكرناه .

وقد وضح من هذا الحديث إبطال قول من قال إن النبي ﷺ لم يقتل
المنافقين لأنّه لم تقم بينة معتبرة بنفاقهم ؛ إذ قد نصّ فيه على المانع من
ذلك ، وهو غير ما قالوه .

وفيه ما يدلُّ على أنّ أهون الشرّين يجوز العملُ على مقتضاه إذا
اندفع به الشرُّ الأعظم .

وفيه القول بصحة الذرائع ، وعلى تعليل نفي الأحكام في بعض
الصور بمناسب لذلك النفي « (١) .

(١) المفهم : (٢٤) كتاب البر والصلة (١٥) باب النهي عن دعوى الجاهلية :

٥٦١/٦ - ٥٦٣ ، مختصراً من شرح حديث رقم ٢٤٩٢ .

مسألة جليلة : (تعلق الأحكام في الدنيا بالإيمان الظاهر دون الباطن وإجرائها على المنافقين ما لم يظهروا كضراً بواحاً وقيموا عليه) .

وهذه المسألة ذات صلة وطيدة وارتباط وثيق بالنفاق وأحكامه ، وفهمها من المهمات ، إذ يُبنى عليه التعامل مع المنافقين ، والالتباس في فهمها يؤدي إلى الاضطراب في التعامل معهم .

فالأحكام في الدنيا تترتب على الإسلام أي الإيمان الظاهر ولا تتعلق بالإيمان الباطن لأنه لا يعلمه إلا الله ، ولم نؤمر بالتنقيب عن قلوب الناس .

قال شيخ الإسلام : « فيجب أن يُفرَّق بين أحكام المؤمنين الظاهرة التي يحكم فيها الناس في الدنيا وبين حكمهم في الآخرة بالشواب والعقاب ، فالؤمن المستحق للجنة لا بُدَّ أن يكون مؤمناً في الباطن باتفاق جميع أهل القبلة » (١) .

ولا ينبغي الربط بين الإيمان الظاهر والإيمان الباطن عند إجراء الأحكام .

قال - رحمه الله - : « لأنَّ الإيمان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة ، فإنَّ المنافقين الذين قالوا : ﴿ ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ هم في الظاهر مؤمنون ، يصلُّون مع النَّاسِ ، ويصومون ، ويحجُّون ، ويغزون ، والمسلمون يناحكونهم ويوارثونهم كما كان المنافقون على عهد رسول الله ﷺ .

(١) الإيمان ، لشيخ الإسلام ، ص ٢٠٣ .

ولم يحكم النبي ﷺ في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر ، لا في مناكتهم ولا موارثتهم ولا نحو ذلك ، بل لما مات عبد الله بن أبي بن سلول - وهو من أشهر الناس بالنفاق - ورثه ابنه عبد الله وهو من خيار المؤمنين ، وكذلك سائر من كان يموت منهم يرثه ورثته المؤمنون ، وإذا مات لأحدهم وارث ورثوه مع المسلمين ، وقد تنازع الفقهاء في المنافق الزنديق الذي يكتم زندقته ، هل يرث ويورث ؟

على قولين ، والصحيح أنه يرث ويورث وإن علم في الباطن أنه منافق ، كما كان الصحابة على عهد النبي ﷺ لأن الميراث معناه على الموالاة الظاهرة ، لا على المحبة التي في القلوب ، فإنه لو علّق بذلك لم تمكن معرفته ، والحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة علّق الحكم بمظنتها وهو ما أظهره من موالاة المسلمين ، فقول النبي ﷺ : « لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم » لم يدخل فيه المنافقون وإن كانوا في الآخرة في الدرك الأسفل من النار ، بل كانوا يورثون ويرثون ، وكذلك كانوا في الحقوق والحدود كسائر المسلمين ، وقد أخرج الله عنهم أنهم يصلّون ويذكّون ، ومع هذا لم يقبل ذلك منهم ، فقال : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴾ (١) .

وقال : « وكذلك المنافقون الذين لم يظهروا نفاقهم يصلّي عليهم إذا ماتوا ، ويدفنون في مقابر المسلمين من عهد النبي ﷺ ، والمقبرة التي كانت للمسلمين في حياته وحياة خلفائه وأصحابه يدفن فيها كل من

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

أظهر الإيمان وإن كان منافقاً في الباطن ، ولم يكن للمنافقين مقبرة يتميزون بها عن المسلمين في شيء من ديار الإسلام ، كما تكون لليهود والنصارى مقبرة يتميزون بها ، ومن دُفن في مقابر المسلمين صَلَّى عليه المسلمون ، والصلاة لا تجوز على من عُلِمَ نفاقه بنصّ القرآن ، فعُلِمَ أنّ ذلك بناءً على الإيمان الظاهر ، والله يتولّى السرائر ، وقد كان النبي ﷺ يصلي عليهم ويستغفر لهم حتى نُهي عن ذلك ، وعُلِّل ذلك بالكفر ، فكان ذلك دليلاً على أنّ كل من لم يعلم أنّه كافر بالباطن جازت الصلاة عليه والاستغفار له وإن كانت فيه بدعة وإن كان له ذنوب» (١) .

تعامل النبي ﷺ وأصحابه مع المنافقين بعد تنزيل الفاضحة وآيات التهديد من سورة الأحزاب :

أمر الله نبيه ﷺ في هذه السورة بجهاد المنافقين والإغلاظ عليهم وهدّهم في الأحزاب بالقتيل والتشريد ، فحينما سمعوا كُتِبوا ، وكتّموا نفاقهم بعد أن كانوا يظهرونه قبل .

قال شيخ الإسلام : « ولهذا تنازع الفقهاء في استتابة الزنديق - (والزنديق هو المنافق) - فقيل : يستتاب ، واستدل من قال ذلك بالمنافقين الذين كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم ويكل أمرهم إلى الله ، فيقال له : هذا كان في أوّل الأمر ، وبعد هذا فأنزل الله : ﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخِدُوا وَقْتُلُوا قَتِيلًا ﴾ فعلموا أنهم إن أظهره كما كانوا يظهرونه قتلوا ، فكتموه .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

والزنديق هو المنافق ، وإنما يقتله من يقتله إذا ظهر منه أنه يكتُم النفاق ، قالوا : ولا تُعلم توبته ، لأنَّ غاية ما عنده أنه يظهر ما كان يظهر ، وقد كان يظهر الإيمان وهو منافق ، ولو قُبِلت توبة الزنادقة لم يكن سبيلٌ إلى تقتيلهم ، والقرآن قد توعدَّهم بالتقتيل « (١) » .

وقال : « لما كشفهم الله بسورة براءة بقوله : (ومنهم ، ومنهم) صار يعرف نفاق ناس منهم لم يكن يعرف نفاقهم قبل ذلك ، فإنَّ الله وصفهم بصفات علمها النَّاس منهم ، وما كان النَّاس يجزمون بأنها مستلزمة لنفاقهم ، وإن كان بعضهم يظنُّ ذلك ، وبعضهم يعلمه ، فلم يكن نفاقهم معلوماً عند الجماعة ، بخلاف حالهم لما نزل القرآن ، ولهذا لما نزلت سورة براءة كتموا النفاق ، وما بقي يمكنهم من إظهاره أحياناً ما كان يمكنهم قبل ذلك .

وأنزل الله تعالى : ﴿ لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٦﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا قَتِيلًا ﴿٦٧﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدُ لَسُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا تَوَعَّدُوا بِالْقَتْلِ إِذَا أَظْهَرُوا النِّفَاقَ ، كَتَمُوهُ « (٢) » .

وقال في معاملة النبي ﷺ وأصحابه لهم أيضاً :

« وكان النبي ﷺ أولاً يصلي عليهم ويستغفر لهم حتى نهاه الله عن ذلك ، فلم يكن يصلي عليهم ولا يستغفر لهم .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

ولكن دماؤهم وأموالهم معصومة لا يستحلّ منهم ما يستحلّه من الكفار الذين لا يظهرون أنهم مؤمنون ، بل يظهرون الكفر دون الإيمان ، فإنه ﷺ قال : « أَمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » . وقال : « إِنِّي لَمْ أَوْمَرْ أَنْ لَنْقُبَ عَن قُلُوبِ النَّاسِ ، وَلَا أَشُقَّ بِطُونَهُمْ » . فكان حكمه في دماؤهم وأموالهم كحكمه في دماء غيرهم لا يستحلّ منها شيئاً إلاّ بأمر ظاهر ، مع أنه كان يعلم نفاق كثير منهم ، وفيهم من لم يكن يعلم نفاقه ، وكان من مات منهم صلّى عليه المسلمون الذين لا يعلمون أنه منافق ، ومن علم أنه منافق لم يصلّ عليه .

وكان عمر إذا مات ميّت لم يصلّ عليه حتى يصلّي عليه حذيفة ، لأنّ حذيفة كان قد علم أعيانهم ، والله تعالى لما أمره في الكفارة بعثق رقبة مومنة ، لم يكن على الناس أن لا يعتقدوا إلاّ من يعلموا أن الإيمان في قلبه ، فإنّ هذا كما لو قيل لهم : اقتلوا إلاّ من علمتم أن الإيمان في قلبه ، وهم لم يومروا أن ينقبوا عن قلوب الناس ولا يشقوا بطونهم ، فإذا رأوا رجلاً يظهر الإيمان جاز لهم عتقه .

وصاحب الجارية لما سأل النبي ﷺ هل هي مومنة ؟ إنما أراد الإيمان الظاهر الذي يفرّق به بين المسلم والكافر .

وكذلك من عليه نذر لم يلزمه أن يعتق إلاّ من علم أن الإيمان في قلبه ، فإنه لا يعلم ذلك مطلقاً ، بل ولا أحد من الخلق يعلم ذلك مطلقاً .

وهذا رسول الله ﷺ أعلم الخلق ، والله يقول له : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ حَتَّى تُعَلِّمَهُمُ سُنْعَتِهِمْ مَّرْكُومِينَ ﴾ .

فأولئك إنما كان النبي ﷺ يحكم فيهم كحكمه في سائر المؤمنين ، ولو حضرت جنازة أحدهم صلى عليها ، ولم يكن منهيًا عن الصلاة إلا على من علم نفاقه ، وإلا لزم أن ينقب عن قلوب الناس ويعلم سرائرهم وهذا لا يقدر عليه بشر .

وبهذا يظهر الجواب عن شبهات كثيرة تورّد في هذا المقام ، فإن كثيراً من المتأخرين ما بقي في المظهرين للإسلام عندهم إلا عدل أو فاسق ، وأعرضوا عن حكم المنافقين .

والمنافقون ما زالوا ولا يزالون إلى يوم القيامة» (١) .

- وممن ذهب إلى تغيير الحكم في المنافقين بعد قوّة المسلمين : الحافظ ابن حجر - رحمه الله - إذ يقول : « وكان النبي ﷺ في أوّل الأمر يصبر على أذى المشركين ويعفو ويصفح ، ثم أمر بقتال المشركين ، فاستمرّ صفحه وعفوه عمّن يظهر الإسلام ولو كان باطنه على خلاف ذلك لمصلحة الاستتلاف وعدم التنفير ، ولذلك قال : « لا يتحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » ، فلما حصل الفتح ودخل المشركون في الإسلام ، وقتل أهل الكفر ، وذلوا ، أمر بمجاهرة المنافقين وحملهم على حكم مؤرّ الحق ، ولا سيّما وقد كان ذلك قبل نزول النهي الصريح عن الصلاة على المنافقين ، وغير ذلك مما أمر فيه بمجاهرتهم» (٢) .

(١) الإيمان ، لشيخ الإسلام ابن تيمية : ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٠ على الترتيب ، وباختصار في بعض المواضع .

(٢) فتح الباري : ٦٥ - كتاب التفسير ١٢ - باب استغفر لهم أو لا تستغفر لهم : ١٨٥/٨ ، شرح حديث رقم ٤٦٧٠ .

- ومنهم أيضاً الإمام أبو جعفر الطبري ، فقد اعتبره أولى الأقوال عنده بالصواب . قال : « وأولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب ما قال ابن مسعود : أن الله أمر نبيه ﷺ من جهاد المنافقين بنحو الذي أمره به من جهاد المشركين .

فإن قال قائل : فكيف تركهم ﷺ مقيمين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم ؟

قيل : إن الله تعالى ذكره إنما أمر بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر ، ثم أقام على إظهاره ما أظهر من ذلك .

وأما من إذا أطلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر وأخذ بها ؛ أنكرها ورجع عنها وقال : (إني مسلم) فإن حُكِمَ الله في كل من أظهر الإسلام بلسانه ، أن يحقن بذلك له دمه وماله ؛ وإن كان معتقداً غير ذلك .

وتوكل هو جل ثناؤه بسرائرهم ، ولم يجعل للخلق البحث عن السرائر . فلذلك كان النبي ﷺ مع علمه بهم وإطلاع الله إياه على ضمائرهم واعتقاد صدورهم ، كان يُقرهم بين أظهر الصحابة ، ولا يسلك بجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبته الحرب على الشرك بالله ؛ لأن أحدهم كان إذا أطلع عليه أنه قد قال قولاً كفر فيه بالله ، ثم أخذ به أنكر ، وأظهر الإسلام بلسانه .

فلم يكن ﷺ يأخذه إلا بما أظهر له من قوله عند حضوره وعزمه على إمضاء الحكم فيه دون ما سلف من قول كان نطق به قبل ذلك ؛ ودون اعتقاد ضميره الذي لم يُيح الله لأحد الأخذ به في الحكم ، وتولى الأخذ به هو دون خلقه « (١) .

(١) تفسير الطبري : ٣٦٠/١٤ ، تحقيق : شاكر .

الخلاصة :

كان النبي ﷺ يصير على أذى المنافقين ، ولا يقابل أذاهم بالعقاب ، إنما يعفو ويصفح ويتألفهم ، ويقبل ظواهرهم ، ويكل سرايرهم إلى الله ، ويستغفر لهم ، ويصلي على أمواتهم ، ويقوم على قبورهم ، ويجري عليهم أحكام الإسلام كاملة كالإرث ، والعتق ، والكفارات ، وغيرها . وهم يصلون ويذكرون ويحجون ويجاهدون مع النبي ﷺ سوى من نكص في بعض الغزوات ، وكانوا إذا تخلفوا عن غزوة جاءوه فاعتذروا إليه ، فقبل أعمارهم وعفا عنهم .

وإذا أظهروا نفاقاً وأخذوا به حلفوا للرسول ﷺ ما قالوه ، فيقبل إيمانهم ويعفو عنهم ، فلما نزلت سورة الفاضحة (براءة) وأمر فيها بجهادهم والإغلاظ عليهم ، كتبوا ، وكنموا نفاقهم ، ولم يعودوا يجرؤا على إظهاره .

وكفّ عن الاستغفار لهم والصلاة عليهم والقيام على قبورهم ، ومع ذلك فإن إظهارهم للإسلام لم يزل يعصم دماءهم وأموالهم وأعراضهم .

فلم يكن يأخذهم ﷺ عند إمضاء الحكم فيهم إلا بما ظهر له من أقوالهم ، وأقروا به عنده ، وأقاموا عليه . دون ما سلف منهم ، ودون ما يطنونه .

عملاً بمنهجه ﷺ : « فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » ، وقوله ﷺ : « لَا يَتَّخِذُ النَّاسُ أَنْ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ » .

فإن قيل : لِمَ لم يقتل الذين اشتهروا بالنفاق وعُرف عنهم ؟ قيل :
قد أخذ ﷺ بأقلّ الشرين ، واندفع بمقتضاه أعظم الشرين ، وتحقق
بموجبه مصلحة عظيمة ، وهي انشراح صدور كثير من المنافقين للإيمان
فرسخ في قلوبهم وتبين لهم الحقّ المبين .

وإن قيل لِمَ لم يقتل الذين أطلعه الله على نفاقهم وتأكد لديه أنهم
كفار في الباطن ، قيل : قد نُهي عن قتلهم .

كما جاء في حديث العقبة التي بين المدينة وتبوك ، وهو حديث
طويل ، وقد جاء النبي ﷺ من العقبة ، وأراد المنافقون الفتك
برسول الله ﷺ ، فحينما سأل أسيد بن حضير عن سبب سلوكه العقبة ،
وترك الوادي ، وأخبره بما هم به المنافقون ، كان ممّا قال : وإن أحببت
- والذي بعثك بالحق - فنبئني بأسمائهم فلا أبرح حتى آتيك برؤوسهم .
قال : « يا أسيد إني أكره أن يقول الناس : إن محمداً قاتل بقوم حتى إذا
أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم » .

وفي رواية : « إني أكره أن يقول الناس : إن محمداً لما أنقضت الحربُ
بينه وبين المشركين وضع يده في قتل أصحابه » . فقال : يا رسول الله ،
فهؤلاء ليسوا بأصحاب ، فقال رسول الله ﷺ : « أليس يظهرون شهادة
أن لا إله إلا الله ؟ » قال : بلى [ولا شهادة لهم] قال : « أليس يظهرون
أنّي رسول الله ؟ » قال : بلى ولا شهادة لهم ، قال : « فقد نُهييت عن
قتل أولئك » (١) .

(١) سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد : ٤٦٦/٥ - ٤٦٧ ، وقال عققوه : « أخرجه
البيهقي في الدلائل : ٢٥٧/٥ ، وانظر المغازي للواقدي : ١٠٤٣/٣ ، ١٠٤٤ ،

وقال شيخ الإسلام في معرض حديثه عن تعليق الأحكام بالإيمان الظاهر : « ... كان النبي ﷺ يمتنع من عقوبة المنافقين ، فإنَّ فيهم من لم يكن يعرفهم كما أخبر الله بذلك ؛ والذين كان يعرفهم لو عاقب بعضهم لغضب له قومه ؛ ولقال الناس : إنَّ محمداً يقتل أصحابه ؛ فكان يحصل بسبب ذلك نفور عن الإسلام ؛ إذ لم يكن الذنبُ ظاهراً ، يشترك الناسُ في معرفته .

ولما همَّ بعقوبة من يتخلف عن الصلاة ، منعه من في البيوت من النساء والذرية » (١) .

فَعَلِمَ من حديث النبي ﷺ أَنَّهُ قد نَهَى عن كل من أظهر الشهادتين (إلاَّ بحَقِّها) . هذا والنبي ﷺ قد أطلعه الله على ما تكنه قلوب هؤلاء ، فكيف بغيره ؟

وَعَلِمَ أيضاً أن كلَّ من ظهر منه نفاقاً وأخذ به ، وجيء به إلى النبي ﷺ فأنكر ولاذ بالشهادتين - سواءً من المنافقين أو من المشركين « كما قال خالد : إنما قالها تعوُّداً ، قال : أشققت عن بطنه ؟ » - لم يواخذ به ، وقُبِلَ ظاهره .

والدُرُّ المنثور : ٢٥٩/٣ ، وابن كثير في البداية والنهاية : ١٩/٥ « ١.هـ .

قال في جمع الزوائد : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح : ١٩٥/٦ .

وقال العُمَريّ : « مسند أحمد : ٣٩٠/٥ - ٣٩١ ، بإسناد حسن » . انظر :

السيرة النبوية الصحيحة : ٥٣٦/٢ في الهامش .

وقال صاحب السيرة في ضوء المصادر الأصلية ، ص ٦٣٠ : بإسناد حسن ،

ويشهد للقصة بالصحة ما رواه مسلم : ٢١٤٤/٤ ح/٢٧٧٩ .

(١) مجموع الفتاوى : ٤٢٢/٧ - ٤٢٣ .

أما من أظهر نفاقاً وأخذ به ، ثم أقام عليه ولم يُنكر بل أصرّ على ما أبطنه فإنه يأخذ حكماً آخر ، ويخرج من الإسلام ويدخل في الردّة وبهذا يصبح الجرم واضحاً يشترك الناس في معرفته ، ويكون أمراً بيننا لا لبس فيه ولا غموض ، وبهذا يُطبّق عليه قوله ﷺ : « مَنْ بَدَلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ » (١) .

ولم أقف فيما اطلعت عليه أن النبي ﷺ قتل منافقاً .

(١) البخاري: ٦٠ - الجهاد ١٤٧ - باب لا يُعذب بعذاب الله: ١٠٩٨/٣ ، رقم ٢٨٥٤ .

الفصل الخامس

معاصرتهم والتضييق عليهم وتهديدهم

لقد كان من أهم آثار السياسة الحكيمة التي انتهجها النبي ﷺ مع المنافقين ، والتي كان أهمها الصبر عليهم وترك معاقبتهم أن فسح المجال للناس ليطلّعوا على نفاقهم عن كثب ، حتى إذا فاضت قلوبهم بكراهية النفاق وأهله كانوا هم الذين يأخذون على أيدي مظهري النفاق عتاباً ، وتعنيفاً ، وطرذاً ، وإبعاداً . وفي مقدّمتهم قومهم وأهلهم وقراباتهم .

ومن ذلك ما رواه ابن إسحاق في السيرة قال :

« فلما قديم رسول الله ﷺ المدينة ، وكان عبداً لله بن أبي بن سلول ، كما حدّثني ابن شهاب الزُّهري ، له مقام يقومه كلّ جمعة لا يُنكر ، شرفاً له في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ،

إذا جلس رسولُ الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس ، قام فقال : أيها الناس ، هذا رسولُ الله ﷺ بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه وعزّروه ^(١) واسمعوا له وأطيعوا ، ثمّ يجلس ، حتّى إذا صنع يوم أحد ما صنع . ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس ، أي عدوّ الله ، لستَ لذلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعت ، فخرج يتخطّى رقابَ الناس وهو يقول : والله لكأنما قلتُ بُجراً ^(٢) أن قمتُ أشدد أمره .

(١) عزّروه : التعزير : الإعانة والتوفير والنصر مرّة بعد مرّة . النهاية : ٢٢٨/٣ .

(٢) بُجراً : أي عظيماً ، والبحر هو الأمر العظيم الداهي . ومن رواه مُجراً بالماء المضمومة فهو الكلام القبيح . السيرة النبوية لابن هشام مع شرح الخشني : ١٥٣/٣ .

فلقيه رجلٌ من الأنصار بباب المسجد فقال : مالك ؟ ويلك ! قال :
 قمتُ أشدد أمره ، فوثب عليّ رجالٌ من أصحابه يجذبونني ويُعنّفونني ،
 لكنّما قلتُ بجرأ أن قمتُ أشدد أمره . قال : ويلك ! ارجع يستغفر
 لك رسولُ الله ﷺ ؛ قال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي .

قال ابن إسحاق : كان يوم أُحد يوم بلاء ومصيبةٍ وتمحيص ،
 اختبر الله به المؤمنين ، ومحق به المنافقين ممّن كان يُظهر الإيمان بلسانه ،
 وهو مستخفٍ بالكفر في قلبه ، ويومًا أكرم الله فيه من أراد كرامته
 بالشهادة من أهل ولايته « (١) .

فهذا من الردع والكبت لرأس النفاق ، وقد جاء من الصحابة ﷺ ،
 وفيه من الذلّ والإهانة ما فيه لعدوِّ الله ، وهذا مما يُقلّل من شأنه
 ويردعه عن التمادي والإيغال في النفاق .

ومن محاصرتهم وتضييق الخناق عليهم ما أمر الله به نبيّه ﷺ بشأن
 مسجد الضرار ، وما ذكر من هدمه وتحريقه .

وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا
 وَتَفْرِقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا
 الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ لَهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿٧٣﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ... ﴿ (٢) ... الآية .

(١) السيرة النبوية لابن هشام مع شرح أبي ذر الخشني : ١٥٣/٣ ، وهذا مستفيض في
 السيرة ، فقد نقله الذهبي عن البكائي عن ابن إسحاق ، سير أعلام النبلاء ، السيرة
 النبوية : ٤٤٠/١ ، وكذا صاحب سبيل الهدى والرشاد : ٢٣١/٤ ، كلهم عن ابن
 إسحاق ، ولم أقف على من درسه حديثيًا .

(٢) التوبة : الآيتان (١٠٧ ، ١٠٨) .

روى الإمام الطبري في سبب نزولها عن ابن عباس قوله : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾ وهم أناس من الأنصار ابتنوا مسجدًا ، فقال لهم أبو عامر : ابنوا مسجدكم ، واستعدوا بما استطعتم من قوةٍ ومن سلاح ، فإني ذاهبٌ إلى قيصر ملك الروم ، فآتي بجندٍ من الروم ، فأخرج محمدًا وأصحابه ! فلما فرغوا من مسجدهم ، أتوا النبي عليه الصلاة والسلام فقالوا : قد فرغنا من بناء مسجدنا ، فُحِبُّ أن تصليَ فيه ، وتدعو لنا بالبركة ! فأنزل الله فيه : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ ... إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) .

قال الشيخ أكرم ضياء العمري في السيرة النبوية الصحيحة : « وامتنع الرسول ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار الذي بنوه وأحرقه » ^(٢) .

« ووصلت بهم الجراءة على الله ورسوله أن بينوا مسجدًا قبيل غزوة تبوك ليجتمعوا فيه ويديروا حلقات تأمرهم على المسلمين ، ويأملوا في مجيء أبي عامر الفاسق من عند الروم بجيش يغزو المدينة .

لكن الله فضح حقيقة نواياهم ، فامتنع الرسول ﷺ عن الصلاة فيه ثم أحرقه عندما عاد من تبوك » ^(٣) .

(١) تفسير الطبري : ٤٧٠/١٤ ، تحقيق شاكر ، رقم ١٧١٨٧ ، لم يعلق عليه - رحمه الله - ، لكن صاحب السيرة في ضوء المصادر الأصلية يقول في تخريجه له : « بإسناد صححه الدكتور السندي : الذهب المسبوك ، ص ٣١٦ ، وقال : وقد احتج به أهلُ التفسير ورجالُه ثقات ما عدا المنشي وعبدالله بن صالح ، وانظر الروايات في هذا عند السندي : الذهب المسبوك ، ص ٣١٤ - ٣١٩ .

انظر هذا في السيرة في ضوء المصادر الأصلية ، ص ٦٢٠ .

(٢) السيرة النبوية الصحيحة : ٥٢٧/٢ .

(٣) السيرة في ضوء المصادر الأصلية ، ص ٦١٩ - ٦٢٠ ، مختصرًا .

قال السعدي - رحمه الله - : « فبعث إليه النبي ﷺ من يهدمه ويجرقه ، فهلم وحرِّق وصار بعد ذلك مزبلة » (١) .

ومن محاصرة النبي ﷺ لهم ما ورد في السيرة أنه : « بلغ رسول الله ﷺ أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي ، يثبِّطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فبعث إليهم النبي ﷺ طلحة بن عبيد الله في نفرٍ من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة ، فاقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه ، فأفلتوا » (٢) .

وفي السيرة أيضاً ، قال ابن إسحاق :

« وكان ممن تعوذ بالإسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق من أحبار يهود : وذكرهم ، ثم قال : وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم ، فاجتمع يوماً في المسجد منهم ناسٌ ، فرآهم رسولُ الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضين أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض ، فأمر بهم رسولُ الله ﷺ فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً ... » (٣) الحديث .

وقد ذكرهم وذكر من أخرجهم .

(١) تيسر الكريم الرحمن : ٢٨٦/٢ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام بشرح أبي ذر الخشن : ٢١٧/٤ ، ٢١٨ باختصار ، وفي سند ابن هشام انقطاع ، لأن فيه تعديل على الإبهام ، فالحديث ضعيف .

(٣) المصدر السابق ، الموضوع نفسه ، ص ٢٠٠ ، وهو مستفيض في السيرة ، ولم أقف على من حكم عليه حديثياً .

وأما تهديدهم فقد أنزل الله ﷻ جملة من ذلك .

منها : قول الله تعالى : ﴿ لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۗ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا شَقُّوا أَخَذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا ۗ ﴾ (١) .

وقول الله تعالى : ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَخْرِزُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ ۗ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ ... فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتُوكُوا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۗ ﴾ (٣) .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فَلْيَصْحُقْهُوا قَلِيلًا وَلْيَنْكُرُوا كِبِيرًا ۗ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۗ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنَسِ الْمَصِيرُ ۗ ﴾ (٥) .

(١) الأحزاب : الآيتان (٦٠ ، ٦١) .

(٢) التوبة : الآية (٦٤) .

(٣) التوبة : جزء من الآية (٧٤) .

(٤) التوبة : الآية (٨٢) .

(٥) التوبة : الآية (٧٣) .

الفصل السادس

كشف مخطئهم ومؤامراتهم وإبطالها

للمنافقين بالتعاون مع اليهود أو المشركين أو منفردين مخططات كثيرة وكبيرة لإفشال الدعوة الإسلامية وذلك في أشخاص معتنقيها ، تارة بالتشكيك في الدين ، وتارة بالتفريق بين المسلمين ، وتارة بالإرجاف ، وتارة بالتحزين ، وأخرى بإحكام المؤامرات لاغتيال الرأس ؛ رأس الدعوة إلى الله وقائد الدعاة إلى الله المصطفى ﷺ .

وفي هذه المرة كان مخطئهم تحزين المسلمين على قتلهم وتشكيكهم في دينهم ، وتفريقهم عن النبي ﷺ .

ومن أسوأ أساليبهم إظهار الفرح والشماتة بالمسلمين ، لما أصابهم . قال ابن كثير في البداية والنهاية : ذكر ابن هبيرة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير سواء . قال موسى بن عقيب : وأخذ المنافقون عند بكاء المسلمين ؛ في المكر والتفريق عن رسول الله ﷺ ، وتحزين المسلمين ، وظهر غش اليهود ، وفارت المدينة بالنفاق فور المرحل ، وقالت اليهود : لو كان نبياً ما ظهوروا عليه ولا أصيب منه ما أصيب ، ولكنه طالب مُلك ؛ تكون له الدولة وعليه .

وقال المنافقون مثل قولهم ، وقالوا للمسلمين : لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم ، فأنزل الله في طاعة من أطاع ، ونفاق

من نافق ، وتعزية للمسلمين يعني فيمن قُتِل منهم ، فقال : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) « (٢) .

» وهكذا حاول اليهود والمنافقون أن يفقدوا المؤمنين ثقتهم بدينهم ونبئهم وأن يشوهوا عقيدتهم الصافية نحو قضاء الله وقدره وحكمته .

ولما كان هذا المخطط الخبيث الذي قاموا به ربّما يؤثر على بعض المؤمنين أنزل الله تعالى الآيات القرآنية تجلّي الحقائق ، وتكشف الشبهات ، وتزيل عن نفوس المؤمنين ما قد يعلق بها من الوسوس « (٣) .

وهي أيضاً تعزيهم وتواسيهم وتطمئن قلوبهم وتذهب الحزن عنهم وتمنحهم الاستعلاء بالإيمان .

وتما نزل في ذلك ، قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا يُبَيِّنُ النَّاسَ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ وَيَمْحِصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿٦﴾ . قال ابن إسحاق في قول الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا يُبَيِّنُ النَّاسَ ﴾ أي

(١) آل عمران : الآية (١٢١) .

(٢) البداية والنهاية : ٤/٤٢٥ ، طبعة دار المعرفة ، بيروت ، قال د. عبدالعزيز الحميدي :

وموسى بن عقبة هو ابن أبي عياش الأسدي مولى آل الزبير ، وهو ثقة فقيه ، إمام في المغازي ، من الطبقة الخامسة ، ولم يصح أن ابن معين لينه . مات سنة إحدى وأربعين ومائة ، وقيل بعد ذلك . انظر : « المنافقون » له ، ص ١٣٠ بالهامش .

(٣) المنافقون في القرآن الكريم ، للدكتور عبدالعزيز الحميدي ، ص ١٣٠ .

(٤) آل عمران : الآيات (١٣٩ - ١٤١) .

نُصِرْفَهَا بَيْنَ النَّاسِ لِلْبَلَاءِ وَالتَّمْحِصِ ، ﴿ وَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا . . . ﴾
 أَي لِيُمَيِّزَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالمُنَافِقِينَ ، ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ أَي المُنَافِقِينَ
 الَّذِينَ يَظْهَرُونَ بِالسُّنَنِهِمُ الطَّاعَةَ ، وَقُلُوبُهُمْ مُصِرَّةٌ عَلَى المَعْصِيَةِ « (١) .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرُدُّوكُمْ عَلَى
 أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (٢) .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نَّعَسًا يُغَشِي طَائِفَةً مِّنكُمْ
 وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَهْسُهُمْ يَنْظُرُونَ بِاللَّهِ غَيْرِ الْحَقِّ طَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ
 مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَهْسِهِمْ مَا لَا يَتَّبِعُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ
 الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي ثِيَابِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى
 مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ ﴾ (٣) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي
 الأَرْضِ وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَلُوا غَرْمًا لَوْ كَلُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا
 لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمَيِّتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤) .

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتِيِّ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ
 نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَانَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ
 يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ للإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (٥) .

(١) السورة النبوية ، لابن هشام : ١٦٠/٣ .

(٢) آل عمران : الآية (١٤٩) .

(٣) آل عمران : الآية (١٥٤) .

(٤) آل عمران : الآية (١٥٦) .

الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلْنَا قُلَّ فَاذْرُوا عَنَّا هَسِيكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾ .

﴿ وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنَبَصَرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ الْآلَا يُجْعَلَ لَهُمْ حِزَابٌ فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) .

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ... ﴾ (٣) .

قال ابن إسحاق : « فأنزل الله النعاس أمانة منه على أهل اليقين به فهم نيام لا يخافون ، وأهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية تخوف القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة ، فذكر الله ﷻ تلاومهم وحسرتهم على ما أصابهم . ثم قال الله لنبيه : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ لم تحضروا هذا الوطن الذي أظهر الله فيه منكم ما أظهر من سرائركم لأخرج الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، إلى موطن غيره يُصرعون فيه حتى يتلى به ما في صدورهم . ثم قال : ﴿ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾ أي لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله .

ويقولون إذا ماتوا أو قتلوا : لو أطاعونا ما ماتوا وما قتلوا » (٤) .

(١) آل عمران : الآيات (١٦٦ - ١٦٨) .

(٢) آل عمران : الآية (١٧٦) .

(٣) آل عمران : الآية (١٧٩) .

(٤) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح أبي ذر الحاشني : ١٦٦/٣ .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّحِيّ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال : ليميز بين المؤمنين والمنافقين ، وليعلم الذين نافقوا منكم ، أي ليظهر ما فيهم .

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا ﴾ يعني عبدا لله بن أبي وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ حين سار إلى عدوه من المشركين بأحد ، وقولهم : لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم ، ولدفعنا عنكم ، ولكننا لا نظن أنه يكون قتال ، فأظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم . وهم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي يُظهرون لك الإيمان ، وليس في قلوبهم ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ الذين أصيبوا معكم من عشائرتهم وقومهم : ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قَلَّ فَاذْرُوا عَنْ أَهْسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي أنه لا بُدَّ من الموت ، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا ، وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهاد في سبيل الله حرصاً على البقاء في الدنيا ، وفراراً من الموت « (١) .

﴿ وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ أي المنافقون . ﴿ حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْبَ ﴾ أي المنافقين « (٢) .

أما في هذه المرة فكان مخطئ المنافقين ؛ اغتيال النبي ﷺ والفتك به غيلة بليلى لا يعلمهم أحد ، قال صاحب سبيل الهدى والرشاد :

روى الإمام أحمد عن أبي الطفيل ، والبيهقي عن حذيفة ، وابن سعد

(١) المصدر السابق ، الموضوع نفسه ، ص ١٦٩ .

(٢) المصدر السابق : ١٧٣/٣ - ١٧٤ ، مختصراً .

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الضحاک ، والبيهقي عن عروة ، والبيهقي عن ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر عن شيوخه - رحمهم الله تعالى - أن رسول الله ﷺ لما كان ببعض الطريق مكر به ناس من المنافقين واتتمروا بينهم أن يطرحوه من عقبه في الطريق . وفي رواية كانوا قد أجمعوا أن يقتلوا رسول الله ﷺ ، فجعلوا يلتمسون غيرته ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يسلك العقبة أرادوا أن يسلكوها معه ، وقالوا : إذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحته في الوادي ، فأخبر الله تعالى رسوله بمكرهم ، فلما بلغ رسول الله ﷺ تلك العقبة نادى مناديه للناس : إن رسول الله ﷺ أخذ العقبة فلا يأخذها أحد ، واسلكوا بطن الوادي ، فإنه أسهل لكم وأوسع ، فسلك الناس بطن الوادي إلا النفر الذين مكروا برسول الله ﷺ لما سمعوا ذلك استعتوا وتلثموا ، وسلك رسول الله ﷺ العقبة ، وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة ويقودها ، وأمر حذيفة بن اليمان أن يسوق من خلفه ، فبينما رسول الله ﷺ يسير من العقبة إذ سمع حس القوم قد غشوه ، فنفروا ناقة رسول الله ﷺ حتى سقط بعض متاعه ، وكان حمزة بن عمرو الأسلمي لحق برسول الله ﷺ بالعقبه ، وكانت ليلة مظلمة ، قال حمزة : فنور لي في أصابعي الخمس ، فأضاءت حتى جمعت ما سقط من السوط والحبل وأشباههما ، فغضب رسول الله ﷺ وأمر حذيفة أن يردهم ، فرجع حذيفة إليهم ، وقد رأى غضب رسول الله ﷺ ومعه محجن ، فجعل يضرب وجهه وراحلهم ، وقال : إليكم إليكم يا أعداء الله تعالى ، فعلم القوم أن رسول الله ﷺ قد أطلع على مكرهم ، فانخطروا من العقبة مُسرعين حتى خالطوا الناس ، وأقبل حذيفة حتى أتى رسول الله ﷺ ، فقال : اضرب الراحلة يا حذيفة ، وامش أنت يا عمار ،

فأسرعوا حتى استوى بأعلاها ، وخرج رسول الله ﷺ من العقبة ينتظر الناس ، وقال لحذيفة : هل عرفت أحداً من الركب الذين رددتهم ؟ قال : يا رسول الله قد عرفت رواحلهم ، وكان القوم متلثمين فلم أبصرهم من أجل ظلمة الليل . قال : هل علمتم ما كان من شأنهم وما أرادوا ؟ قالوا : لا والله يا رسول الله . قال : فإنهم مكرؤا ليسيروا معي فإذا طلعت العقبة زحمتوني فطرحوني منها - إن شاء الله تعالى - قد أخبرني بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وسأخبركم بهم إن شاء الله تعالى ، قالوا : أفلا تأمر بهم يا رسول الله إذا جاء الناس أن تضرب أعناقهم ؟ قال : أكره أن يتحدث الناس ويقولوا : إن محمداً قد وضع يده في أصحابه ، فسماهم لهما ، ثم قال : اكتماهم ، فانطلق إذا أصبحت فاجمعهم لي .

فلما أصبح رسول الله ﷺ قال له أسيد ابن الحضير : يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادي ؟ فقد كان أسهل من العقبة ؟ فقال : أتدري يا أبا يحيى أتدري ما أراد بي المنافقون وما هموا به ؟ قالوا : نتبعه من العقبة ، فإذا أظلم عليه الليل قطعوا أنساع راحلتي ونخسوها حتى يطرحوني عن راحلتي ، فقال أسيد : يا رسول الله ، قد اجتمع الناس ونزلوا ، فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذي هم بهذا ، فيكون الرجل من عشيرته هو الذي يقتله ، وإن أحببت - والذي بعثك بالحق - فنبئتني بأسمائهم فلا أبرح حتى آتيك برؤوسهم . قال : « يا أسيد إنني أكره أن يقول الناس : إن محمداً قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم » .

وفي رواية : « إنني أكره أن يقول الناس : إن محمداً لما أنقضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يده في قتل أصحابه » . فقال : يا رسول الله ،

فهؤلاء ليسوا بأصحاب ، فقال رسول الله ﷺ : « أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله ؟ » قال : بلى [ولا شهادة لهم] قال : « أليس يظهرون أنني رسول الله ؟ » . قال : بلى ولا شهادة لهم ، قال : « فقد نُهيت عن قتل أولئك » (١) .

وهكذا كان مخطّط هؤلاء المنافقين القضاء على رسول الله ﷺ ، ولم يعلموا أن الله على كل شيء شهيد ، وأنه غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

فقد أحبط الله مخطّطهم على يدي نبيه عمّد ﷺ وردّهم على أعقابهم خاسرين .

فقد ورد عند البيهقي عن حذيفة بن اليمان قال : كنت آخذاً بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقودُ به ، وعمّار يسوقه ، أو : أنا أسوقه وعمّار يقودُه ، حتى إذا كنا بالعقبة فإذا أنا باثني عشر راكباً ، قد اعترضوه فيها ، قال : فأنبهُتُ رسول الله ﷺ بهم ، فصرخ بهم ، فولّوا مدبرين ... » (٢) . الحديث .

وقد ذكرت الروايات عن حذيفة ﷺ أن النبي ﷺ قد دعا عليهم ، قال : « اللهم ارمهم بالدَّيْلَةَ ، قلنا : يا رسول الله ! وما الدَّيْلَةُ ؟ قال : شهابٌ من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك » (٣) . وقد أمره ﷺ بجمعهم فقال : « فانطلق إذا أصبحت فاجمعهم » (٤) .

(١) سبق تخريجه في خلاصة البحث الرابع .

(٢) دلائل النبوة ، للبيهقي : ٢٦٠/٥ .

(٣) المصدر السابق : ٢٦٠/٥ .

(٤) المصدر السابق : ٢٥٨/٥ .

« فجمعهم رسول الله ﷺ وهم اثنا عشر رجلاً الذين حاربوا الله ورسوله وأرادوا قتله ، فأخبرهم رسول الله ﷺ بقولهم ومنطقهم وسيرهم وعلايتهم ، وأطلع الله ﷻ نبيه على ذلك بعلمه ، ومات الاثنا عشر منافقين محاربين لله تعالى ورسوله . وذلك قول الله ﷻ : ﴿ وَهُمُ ابِمَالَمِ يَنَالُوا ﴾ « (١) .

وفي صحيح مسلم عن حذيفة قال : قال النبي ﷺ : « فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مَنَافِقًا ، فِيهِمْ ثَمَانِيَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ . ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكُهُمُ الدُّنْيَا ، وَأَرْبَعَةٌ ... لَمْ أَحْفَظْ مَا قَالَ شُعْبَةُ فِيهِمْ » « (٢) .

(١) المصدر السابق : ٢٥٩/٥ .

(٢) صحيح مسلم : ٥٠ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : ٢١٤٣/٤ ، رقم ٢٧٧٩ .

الفصل السابع

منهجه ﷺ في معالجة المواقف الناجمة عن فتن المنافقين

للنبي ﷺ في التعامل مع فتن المنافقين وما ينجم عنها من مواقف
أحوال عدة :

أولاً : إذا كان النفاق الصاهر منهر ترك طاعة .

مثل الجهاد ، فمنهجه ﷺ : الإعراض عنهم وتركهم والمضي فيما
هو بصدده .

ثم التنبيه فيما بعد وتصحيح المفاهيم الخاطئة ، وإزالة ما قد يعلق
بالقلوب من آثار الفتنة .

ومن ذلك ما رواه ابن إسحاق قال : « حتى إذا كانوا بالشوط بين
المدينة وأحد انخزل عنه عبداً لله بن أبي ابن سلول بثلث الناس ، وقال :
أطاعهم وعصاني ، ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس !
فرجع بمن أتبعه من قومه من أهل النفاق والرئيب ، واتبعهم عبداً لله بن
عمرو بن حرام ، أخو بني سلمة يقول : يا قوم ، أذكركم الله ألا
تخذلوا قومكم ونييكم عندما حضر من عدوهم ؛ فقالوا : لو نعلم أنكم
تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكننا لا نرى أنه يكون قتالاً . قال : فلما
استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال : أبعدكم الله أعداء الله ،

فَسَيُغْنِي اللَّهُ عَنْكُمْ نَبِيَّهُ . قال محمد بن إسحاق : ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حرّة بني حارثة « (١) .

قال الحافظ : « نزل فخرج بهم وهم ألف رجل ، وكان المشركون ثلاثة آلاف ، حتى نزل بأحد ، ورجع عنه عبدا لله بن أبي بن سلول في ثلاثمائة ، فبقي في سبعمائة ، فلما رجع عبدا لله سَقَطَ في أيدي طائفتين من المؤمنين وهما بنو حارثة وبنو سلمة ، وصف المسلمون بأصل أحد ، وصف المشركون بالسَّبْحَة وتعبوا للقتال » (٢) .

وقد أرادوا بهذا المخطط الخبيث الغادر إحداث فتنة للمسلمين في دينهم واختلاف بينهم في وقت حرج لا يحتمل الاختلاف ؛ فقد ساروا معهم إلى قرب وصولهم ميدان المعركة ليتأكدوا أنّ القتال كائن لا محالة ، ثم يشقون عصا الطاعة ويخرجون عن جماعة المسلمين وينكصون بثلاث الجيش على مرأى ومسمع من الصحابة ليفتوا في عضد النبي ﷺ وأصحابه ويشيروا الفتنة بينهم ، ويحدثوا الاضطراب والبلبلة والذعر ، والحزن والانكسار في قلوب المؤمنين إذا رأوا العدو وكثرته وقوته في حين ينهزم ثلث الجيش وينكصون على أعقابهم .

فقد كان لنكوصهم من مشارف أرض المعركة وبحضرة العدو ، أعمق الأثر في إحداث ما يُخططون له . وهو أبلغ مما لو تخلفوا كعادتهم واعتذروا وحلفوا .

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، مع شرح أبي ذر الخشني : ٩٣/٤ . وقد أخرجه - رحمه الله - بغير إسناد .

(٢) فتح الباري : ٦٤ - كتاب المغازي ١٧ - باب غزوة أحد : ٤٠١/٧ .

إذ هو مدعاة لنكوص طوائف أخرى ، وفتح الطريق أمامها ، وتجرئتها على النبي ﷺ وأصحابه ، وقد أحدثوا بصنيعهم هذا موقفاً إعلامياً قوياً شاهده الصحابة بأعينهم ، ولا يخفى على المشركين ، ولا يبعد أن تقوى به معنوياتهم .

وقد كاد يحصل لهم بعض ما أرادوا لولا أن ثبت الله المؤمنين ؛ مصداق ذلك في قول الله تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَاقَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَقْسِلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١) . وهما بنو حارثة وبنو سلمة كما مرّ آنفاً .

وقد كانت معالجة النبي ﷺ لهذا الموقف بالإعراض عنه وعدم الالتفات إليه ، إذ ورد في رواية ابن إسحاق قوله : ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حرّة بني حارثة . أي أنه أعرض عنهم ﷺ واشتغل بإيصال جيشه إلى أرض المعركة والإعداد والتخطيط له .

أما ما كان من عبداً لله بن عمرو بن حرام ، فإذا ثبتت هذه الرواية وهي رواية مرسله لابن إسحاق عن شيوخه ^(٢) ، فهو اجتهاد منه ﷺ لم أقف على رواية تنصّ على أنّ النبي ﷺ أمره بذلك ، ولم أقف أيضاً على إقراره ﷺ لها .

لكن القرآن أثبت دعوتهم واعتذارهم بعذر واهٍ . قال الله تعالى : ﴿ وَلْيَعْلَمْ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ تَوَسُّدُ اقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ ^(٣) .

(١) آل عمران : الآية (١٢٢) .

(٢) انظر السيرة النبوية الصحيحة ، للعُمري : ٣٨٢/٢ .

(٣) آل عمران : الآية (١٦٧) .

وإعراض النبي ﷺ عنهم في هذه المواقف هو منهجه ، وقد تأكد فيما بعد في غزوة تبوك كما قال ابن إسحاق : ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَائِرًا ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ الرَّجُلُ فَيَقُولُونَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! تَخَلَّفَ فُلَانٌ ، فَيَقُولُ : دَعُوهُ ، فَإِنْ يَكُنْ فِيهِ خَيْرٌ فَسِيلْحِقْهُ اللَّهُ بِكُمْ ، وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ « (١) .

ثُمَّ بَعْدَ هَذَا الْحَدِثِ وَانْقِضَاءِ الْمَعْرَكَةِ عَقَّبَ اللَّهُ بِأَكْثَرِ مِنْ سِتِينَ آيَةً مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ، مِنْهَا جُمْلَةُ آيَاتِ فِي الْمُنَافِقِينَ .

مِنْ ذَلِكَ ؛ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلُوبًا فَادْرَأُوهُمْ عَنْ أَهْسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢) .

قال ابن كثير : « قال مجاهد ، عن جابر بن عبد الله : نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي بن سلول » (٣) .

وفي هذه الآية تصحيح لاعتقادهم الباطل في القضاء والقدر ، وأنه لا تلازم بين الخروج والقتل ، ولا بين القعود في البيوت والسلامة من الموت ، بل إن قدر الله آتٍ لا محالة في ميدان المعركة أو في البيوت أو في أي مكان .

أما في غزوة الأحزاب (الخندق) فقد أخذ المخطط شكلاً آخر ، يتمثل في الإرجاف والتخذيل عن الجهاد وعدم الوقوف مع النبي ﷺ في حفر الخندق وفي وجوه الأعداء بعد حفر الخندق .

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام : ٢٢٧/٤ ، ولم أرف على من صححها .

(٢) آل عمران : الآية (١٦٨) .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٨٠٥/٢ .

وكان منهجه ﷺ هو نفسه : الإعراض عنهم ؛ والإذن لمن كان يستأذن في الذهاب إلى البيت ، وترك النبي ﷺ والصحابة يعملون في الخندق .

وقد نزلت الآيات تقصُّ ما كان يقوله المنافقون ، وأسباب استئذانهم النبي ﷺ وتصحُّح اعتقادهم في أسباب الموت ، وتصف حالة الهلع التي كانوا يعيشونها ، وهي تُشعر بأنها نزلت بعد انقضاء أحداث الغزوة .

ونختار منها ثلاث آيات :

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَمْتَتُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(١) .

قال شيخ الإسلام : « فأخبر الله أن الفرار لا ينفع من الموت ولا من القتل . والفرار من القتل كالفرار من الجهاد . وحرف (لن) ينفي الفعل في الزمن المستقبل . والفعل نكرة . والنكرة في سياق النفي تعمُّ جميع أفرادها . فاقضى ذلك : أن الفرار من الموت أو القتل ليس فيه منفعة أبداً . وهذا خبر الله الصادق . فمن اعتقد أن ذلك ينفعه فقد كذب الله في خبره » ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ^(٣) .

(١) الأحزاب : الآية (١٦) .

(٢) الفتاوى : ٤٥٣/٢٨ .

(٣) الأحزاب : الآية (١٧) .

قال شيخ الإسلام : « ونظيره : قوله في سياق آيات الجهاد : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴾ .

فمضمون الأمر : أن المنايا محتومة . فكم ممن حضر الصفوف فسلم ، وكم ممن فرّ من المنية فصادفته ، كما قال خالد بن الوليد - لما احتضر - لقد حضرت كذا وكذا صفًا . وإنّ بيدني بضعا وثمانين ، ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ، ورمية بسهم . وهأنذا أموتُ على فراشي كما يموت العير ، فلا نامت أعين الجبناء » (١) .

وقال تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢) .

قال شيخ الإسلام : « قال العلماء : كان من المنافقين من يرجع من الخندق فيدخل المدينة ، فإذا جاءهم أحد قالوا له : ويحك ! اجلس . فلا تخرج ، ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين بالعسكر : أن اتونا بالمدينة ، فإننا ننتظركم . يشبطونهم عن القتال . وكانوا لا يأتون العسكر إلا أن لا يجدوا بُدًا . فيأتون العسكر ليرى الناس وجوههم . فإذا غفل عنهم عادوا إلى المدينة . فانصرف بعضهم من عند النبي ﷺ ، فوجد أخاه لأبيه وأمه وعنده شواء ونيذ . فقال : أنت هاهنا ، ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف ؟ قال : هلمّ إليّ ، فقد أُحيط بك وبصاحبك » (٣) .

(١) الفتاوى : ٤٥٤/٢٨ ، ٤٥٥ .

(٢) الأحزاب : الآية (١٨) .

(٣) الفتاوى : ٤٥٥/٢٨ .

فهذا طرف من الآيات التي فضحتهم ووصفت حالتهم النفسية المضطربة ، وحالة الهلع والخوف التي يعيشونها بسبب نفاق قلوبهم ، فإنَّ النفاق ومرض القلوب يوجب الرِّيب في الأنبياء الصادقة التي توجب أمن الإنسان « (١) .

وهكذا في غزوة تبوك أيضًا ، فإنَّ أكثر ما ينجم النفاق في حال القتال وخوف المنافقين من الموت .

ثانيًا : إذا نجر النفاق في هيئة فعلٍ يفعلونه وأطلعه الله عليه قبل وقوعه :

عُلم ما خطط له المنافقون لاغتيال النبي ﷺ في العقبة بين تبوك والمدينة ، وكان أول ما فعله النبي ﷺ أن أمر الناس أن يسلكوا الوادي ؛ وسلك هو العقبة ، وعندما اقترب منه المنافقون صاح بهم وأمر حذيفة أن يردّهم ، وأخذ حذيفة يضرب وجوه راحلهم .

ثم أمره بضرب راحلته ، وأمر عمّارًا أن يمشي - أي يجدّ في السّير - حتى استورا بأعلاها .

ومن هديه ﷺ أمرهما بكتمانهم حيثُ قال : « اكنماهم » . وقد طلب إليه الأمر بقتلهم وأبى ، وقال : « إنني أخره أن يتحدث الناس ويقولون : إن محمدًا قد وضع يده في أصحابه » (٢) .

ومن حكمته ﷺ عدم التشهير بهم .

(١) كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : انظر الفتاوى : ٤٥٠/٢٨ .

(٢) سبق تخريجه .

ومن هديه ﷺ معهم أن أمر بجمعهم بعد الحادثة ، فأخبرهم ﷺ بقولهم ومنطقهم وسرهم وعلانيتهم . وفي بعض الروايات أخذ يؤنبهم على صنيعهم ، ويقول بعضهم لبعض : (ويحك ما حملك على أن تقول الذي قلت ؟) .

ومن هديه ﷺ الدعاء عليهم ، كما قال حذيفة : كما رواه البيهقي : ودعا عليهم رسول الله ﷺ فقال : « اللهم ارمهم بالدنيَّة » (١) .

وبهذا أبطل النبي ﷺ مخطئهم وأحمد فتنتهم بعده ، وصبر ﷺ على أذاهم ، ومضى الأمر وكان شيئاً لم يكن بين الجيش

ثالثاً : إذا أظهروا نفاقاً في غيبته ولم يطلع الله عليه .

ومن الأمثلة التطبيقية عليه ما حدث من المنافقين في غزوة المريسيع .

قال صاحب السيرة النبوية الصحيحة :

« وعند ماء المريسيع كشف المنافقون عن الحقد الذي يضمرونه للإسلام والمسلمين ، فكلموا كسب الإسلام نصراً جديداً ازدادوا غيظاً على غيظهم ، فلما انتصر المسلمون في المريسيع سعى المنافقون إلى إثارة العصبية بين المهاجرين والأنصار .

فلما أخفقت المحاولة سعوا إلى إيناء الرسول ﷺ في نفسه وأهل بيته ، فشنوا حرباً نفسية مريرة من خلال حادثة الإفك التي اختلقوها » (٢) .

(١) سبق تخريجه .

(٢) السيرة النبوية الصحيحة للقمري : ٤٠٨/٢ . (اختلقوها) . الأولى استعمال اصطلاحها ، لأن الخلق لله وحده .

عن جابر ﷺ قال : « غزونا مع النبي ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا . وكان من المهاجرين رجل لعاب ، فكسع أنصاريًا ، فغضب الأنصاري غضبًا شديدًا حتى تداعوا ، وقال الأنصاري : يا لأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين ، فخرج النبي ﷺ فقال : ما بال دعوى أهل الجاهلية ؟ ثم قال : ما شأنهم ؟ فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري قال : فقال النبي ﷺ : دعوها فإنها خبيثة .

وقال عبدالله بن أبي ابن سلول أقذ : تداعوا علينا ؟ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .

فقال عمر : ألا تقتل يا رسول الله هذا الخبيث ؟ لعبدالله ، فقال النبي ﷺ : لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه » (١) .

وفي لفظ : « فسمعا الله رسوله ﷺ ، وفيه أيضا : أو قد فعلوا » (٢) .

وفي مرسل لابن أبي حاتم ذكر القصة وقال : فتداعوا إلى أن حجز بينهم . فانكفأ كل منافق إلى عبدا لله بن أبي فقالوا : كنت ترجى وتدفع ، فصرت لا تضر ولا تنفع ، فقال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ... » (٣) .

(١) البخاري : ٦٥ - للنائب ٩ - باب ما ينهى من دعوى الجاهلية : ١٢٩٦/٣ ، رقم ٣٣٣٠ .

(٢) المصدر السابق ٦٨ - التفسير ٣٨٢ - باب قوله : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ الآية : ٤/١٨٦٣ ، رقم ٤٦٢٤ .

فسمعا الله رسوله : أي مقولة الجاهلية .

(٣) فتح الباري ٦٥ كتاب التفسير ٥ - باب قوله : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ﴾ : ٥١٦/٨ ، وقال : وهو مرسل جيد .

وهذه القصة تدلُّ على أن هذه المشكلة بين الأنصاري والمهاجري قد انتهت ، لقوله : « إلى أن حُجِرَ بينهم » ، لكن المنافقين انتهزوا هذه المناسبة ليشعلوا نار الفتنة بين المسلمين من باب إثارة العصبية ، وأن هذه الأرض هي أرض الأنصار ، وأن المهاجرين قد ضايقوهم في أرضهم كما تذكر الروايات . فبدأ هذه الفتنة بقوله : أو قد فعلوا ؟

قال ابن إسحاق : فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله ﷺ . فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مُرُّ به عبّاد بن بشر فليقتله ، فقال له رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر إذا تحدثت الناس أن محمداً يقتل أصحابه الا ولكن أذن بالرحيل ، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها ، فارتحل الناس . ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدّر يومهم ذلك حتى آذنتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نياماً .

وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ، من حديث عبدا لله بن أبيي « (١) » .

فكان علاج النبي ﷺ لهذه الفتنة على ثلاث مراحل :

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الخشنى : ٤٠٣/٣ - ٤٠٤ ، مختصراً .

ونقل بعضه العُمري ، وقال سيرة ابن هشام من طريق ابن إسحاق عن ثلاثة من شيوخه الثقات مرسلأ ويؤيده مرسل جيد من مراسيل عمرو بن الزبير ، فتح الباري : ٦٤٩/٨ . وأصله في الصحيحين . انظر السيرة النبوية الصحيحة : ٤١٠/٢ المامش .

الأولى : علاجه للموقف الأول بقوله : « مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ؟ » ،
وقوله : « دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ » ، « دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ » . في إحدى الروايات .

الثانية : تثبته من زيد بن أرقم نفسه عن مقولة عبدا لله بن أبي ،
رغم أن عمه أو عمر هو الذي أخرج النبي ﷺ . فلم يكتب حتى دعاه
هو بنفسه ليتأكد من الخبر ممن سمعه بأذنه . بل لم يكتب بذلك حتى
دعا المنافق وأصحابه فحلفوا ما قالوا . وهذا فيه عبرة عظيمة للدعاة
والعلماء ومن ولي أمراً من أمور المسلمين بوجوب التثبت في مثل هذه
الأمور . فقد قال زيد : « فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي ، فَذَكَرَ عَمِّي لِلنَّبِيِّ ﷺ
فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ ، فَحَلَفُوا مَا
قَالُوا ، وَكَذَّبَنِي النَّبِيُّ ﷺ ، وَصَدَّقَهُمْ » ^(١) ، ثم ما لبث أن صدقه الله
وأنزل سورة المنافقين .

الثالثة : سياسته الحكيمة ﷺ حينما أمر الناس بالرحيل ، وسار
بهم يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم
ذلك حتى آذتهم الشمس . كل ذلك ليشغلهم عن فتنة المنافقين ، وقد
نجح ﷺ في إخماد الفتنة .

الرابعة : إزالة آثار الفتنة وما قد يعلق بالقلوب منها ، وذكر بعض
أوصاف المنافقين والتحذير منهم . كل ذلك بتنزل سورة المنافقين .

وما إن خرج النبي ﷺ وأصحابه من هذه الفتنة حتى دخلوا في فتنة
أشد من هذه وأعظم ، فسبحان الله ما أكثر الفتن في هذه الغزوة !!

(١) البعاري : ٦٨ - التفسير ٣٧٩ - باب قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَفْزِقْ لَكُمْ ﴾

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ٤ / ١٨٦١ ، رقم ٤٦٢١ .

وكلها من صنع المنافقين ؛ فإن حقدهم على النبي ﷺ وأصحابه ، والإسلام والمسلمين لا ينضب ، وهذه الفتنة الأخيرة ؛ هي كذلك انتهاز مناسبة أيضاً كذلك التي مضت .

ولندع أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - تروي الحادثة من حين رجوع الجيش منتصراً من هذه الغزوة وقربه من المدينة ، قالت : « فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي ، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ حَزْرٍ ظَفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي وَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ ، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي ، فَرَحَلُوهُ عَلَيَّ بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ رَكِبْتُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِيفَا ... فَلَمْ يَسْتَكْبِرِ الْقَوْمُ خِيفَةَ الْهُودَجِ ... فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا . فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ ، فَأَمَمْتُ مَنزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلْبَتَنِي عَيْنِي فَنِمْتُ . وَكَانَ صَفْرَوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ ، فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَى ، وَكَانَ رَأَى قَبْلَ الْحِجَابِ ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي ، فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجَلْبَابِي ، وَوَاللَّهِ مَا كَلِمَتِي كَلِمَةٌ وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ . حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَيَّ يَدَيْهَا فَرَكَبْتُهَا ، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُوا مُوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظُّهَيْرَةِ ، فَهَلَكَ مِنْ هَلَاكَ ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الْإِفْكَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاسْتَكَيْتُ شَهْرًا ، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ... » (١) .

(١) البخاري : ٦٨ - التفسير / النور ٢٤٤ - باب قوله : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ... ﴾ : ١٧٧٤/٤ - ١٧٧٥ ، رقم ٤٤٧٣ ، مختصراً .

وفي رواية لها : « وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَسْتَوْشِيهِ وَيَجْمَعُهُ ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ... » (١) أي عبد الله بن أبي .

وقد استغلّ المنافقون هذه المناسبة ، ونسجوا فيها هالة من الكذب والافتراء على أمّ المؤمنين - رضي الله عنها - ، وقد سماه الله إفكاً .

والذي يهمنا هنا ما فعله النبي ﷺ لمعالجة هذه الفتنة وما نجم عنها من مواقف في فتنٍ أخرى نشأت بسببها .

وكان علاجه ﷺ على خمس مراحل :

الأولى : وهي ما عبرت عنه عائشة - رضي الله عنها - بقولها : « وَهُوَ يَرِيئِي فِي وَجَعِي - أي قول أصحاب الإفك - أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي ، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَسْلَمُ ثُمَّ يَقُولُ : كَيْفَ تَيْكُم ؟ ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ » (٢) .

فقد ترك النبي ﷺ التلطف بها جرأاً قول أصحاب الإفك ، فهو بشر يصيبه ما يصيب البشر ، ويعتريه ما يعتريهم ، وقد انقطع الوحي عنه ﷺ شهراً ، فلم يُطلعه الله على حقيقة الأمر بعد .

الثانية : استشارته ﷺ بعض أصحابه في فراق زوجته :

قالت عائشة - رضي الله عنها - : « فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ

(١) المصدر السابق والكتاب نفسه ٢٥٠ - باب قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ... ﴾ ، رقم ٤٤٧٩ .

(٢) البخاري : ٦٨ - التفسير / النور ٢٤٤ - باب قوله : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ... ﴾ : ١٧٧٥/٤ ، رقم ٤٤٧٣ .

يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ ، قَالَتْ : فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْلَكَ ، وَمَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا . وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ ، وَإِنْ تَسَأَلَ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقَكَ ، قَالَتْ : فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ : أَيُّ بَرِيرَةَ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيدُكَ ؟ قَالَتْ بَرِيرَةُ : لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنْهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السَّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ تَأْكُلُهُ « (١) .

وفي رواية لها : « وَلَقَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتِي فَسَأَلَ عَنِّي خَادِمَتِي فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا عَيْبًا ، وَأَنْتَهَرَهَا بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : اصْدُقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى أَسْقَطُوا لَهَا بِهِ (٢) ، فَقَالَتْ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا مَا يَعْلَمُ الصَّائِغُ عَلَى تَبْرِ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ ، وَبَلَغَ الْأَمْرُ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي قِيلَ لَهُ ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ مَا كَشَفْتُ كَنْفَ أَنْثَى قَطُّ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقَتِلْ شَهِيدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ « (٣) .

الثالثة : استعذار النبي ﷺ من المنافق عبدا لله بن أبي من على منبر المسجد ، وطلبه إلى أصحابه أن يشيروا عليه فيمن اتهموا أم المؤمنين .

(١) المصدر السابق ، الحديث نفسه ، ص ١٧٧٦ .

(٢) صرّحوا لها بالأمر .

(٣) البخاري : ٦٨ التفسير / النور ٢٥٠ - باب قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَجْرُونَ أَنْ تَشِيخَ

الْفَاحِشَةُ ... ﴾ : ٤/١٧٨١ ، رقم ٤٤٧٩ .

قالت عائشة - رضي الله عنها - : « فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول ، قالت : فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر : يا معشر المسلمين ، من يعذرني ^(١) من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ، ولقد نكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرا ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي .

فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : يا رسول الله أنا أعذرك منه ، إن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ، قالت : فقام سعد بن عبادة ، وهو سيد الخزرج ، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ، ولكن احتملت الحمية .

فقال لسعد : كذبت لعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر على قتله . فقام أسيد بن حضير ، وهو ابن عم سعد بن معاذ ، فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لنقتلنه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين .

فتجاوز الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكنوا وسكت ^(٢) .

وفي رواية أخرى لها : ثم قال « أما بعد أشيروا علي في أناس

(١) يعذرني : قال ابن منظور : العذير : النصير ، وقال : يقال أعذرتني من هذا أي أنصفتني منه ، وقال في معنى الحديث : أي من يقوم بعذري إن كافأته على سوء صنيعه فلا يلومني ؟ انظر : مادة عذرتني ، لسان العرب : ٥٤٨/٤ .

(٢) المصدر السابق ، الكتاب نفسه : ٢٤٤ - باب قوله : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ... ﴾ : ١٧٧٦/٤ ، رقم ٤٤٧٣ .

أَبْنَاوًا ^(١) أَهْلِي ، وَأَيُّمَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سُوءٍ ، وَأَبْتُوهُمْ يَمَنُّ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَطُّ ، وَلَا يَدْخُلُ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا وَأَنَا حَاضِرٌ ، وَلَا غَيْبَتْ فِي سَفَرٍ إِلَّا غَابَ مَعِيَ ^(٢) .

ففي هذه المرحلة من علاج النبي ﷺ لهذه الفتنة استعذر من المنافق وأشهد أصحابه على صنيعه الآثم ، وأعلن الثقة في أهله بعد استقصائه من أقرب الناس التصاقاً بها ، خادمتها بريرة ، واستشارة ابن جبه أسامة وصهره وابن عمه ؛ علي . وأعلن الثقة أيضاً في الرجل .

وعندما تناور الحَيَان ، فبحكمته ﷺ وجنكته خفضهم وهدأهم حتى سكنوا وهدعوا ، وسكت هو ﷺ ولم يستمر في الخطبة .

إذ لو استمر لاستمرت الفتنة ولاقتضى إنفاذ استعداره ومعاقبة المنافق لكن سكوته ، وإنهاء الخطبة من حكمته ﷺ .

الرابعة : وعظ النبي ﷺ لأهله .

قالت عائشة : « وَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي ، فَلَمْ يَزَالَا حَتَّى دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ صَلَّى الْعَصْرَ ، ثُمَّ دَخَلَ وَقَدْ اكْتَفَنِي أَبَوَايَ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَتْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ إِنْ كُنْتِ قَارَفْتِ سُوءًا ، أَوْ ظَلَمْتِ ، فَتَوْبِي إِلَى اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ . قَالَتْ : وَقَدْ جَاءَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَهِيَ جَالِسَةٌ بِالْبَابِ ، فَقُلْتُ : أَلَا تَسْتَحْيِي مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ أَنْ تَذْكَرَ شَيْئًا . فَوَعَّظَ

(١) أبناوا : آتهموا بفعله السوء . البخاري ، تفسير سورة النور : ١٧٨٠/٤ .

(٢) المصدر السابق ، والكتاب نفسه ، رقم الحديث ٤٤٧٩ .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَالْتَفَتُ إِلَى أَبِي ، فَقُلْتُ لَهُ أَجِبْهُ ، قَالَ : فَمَاذَا أَقُولُ ؟
فَالْتَفَتُ إِلَى أُمِّي ، فَقُلْتُ : أَجِيبِيهِ ، فَقَالَتْ : أَقُولُ مَاذَا ؟ فَلَمَّا
لَمْ يُجِيبَاهُ ؛

تَشَهَّدْتُ فَحَمِدْتُ اللَّهَ وَأَثْنَيْتُ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قُلْتُ : أَمَا
بَعْدُ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ، وَاللَّهُ ﷻ يَشْهَدُ إِنِّي لَصَادِقَةٌ ،
مَا ذَاكَ بِنَافِعِي عِنْدَكُمْ ، لَقَدْ تَكَلَّمْتُمْ بِهِ وَأَشْرَبْتَهُ قُلُوبُكُمْ ، وَإِنْ قُلْتُ :
إِنِّي قَدْ فَعَلْتُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْ ، لَتَقُولُنَّ قَدْ بَاءَتْ بِهِ عَلَى
نَفْسِهَا ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا ، وَالتَّمَسْتُ اسْمَ يَعْقُوبَ فَلَمْ
أَقْدِرْ عَلَيْهِ ، إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا
تَصِفُونَ ﴾ وَأَنْزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ سَاعَتِهِ ، فَسَكَّتْنَا ، فَرَفَعَ عَنْهُ ،
وَإِنِّي لِأَتَّبِينُ السُّرُورَ فِي وَجْهِهِ ، وَهُوَ يَمْسَحُ جَبِينَهُ وَيَقُولُ : ابْشِيرِي يَا
عَائِشَةُ فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بِرَاءَتِكَ « (١) .

فهذه فتن المنافقين في هذه الغزوة قد نجح الله رسوله وأصحابه منها
وبراً أهله في قرآن يتلى إلى يوم القيامة .

المرحلة الخامسة : إزالة آثار الفتنة وما قد يعلق بالقلوب منها ،
وبيان المنهج الصحيح في تلقي الشائعات وبعض آداب المجتمع الإسلامي .

فقد أنزل الله تعالى على نبيه بياناً شافياً لهذه الفتنة وإنها خيرٌ
للمسلمين وبلاءٌ عظيم على المنافقين ، وتحذيرٌ للمؤمنين أن يشاركوا
المنافقين في فتنهم أو يُجرؤا إليها أو يتكلموا في أعراض المؤمنين ، فإن

(١) البخاري : ٦٨ التفسير / النور ٢٥٠ - باب قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ

أَفَاحِشُهُ ... ﴾ : ٤ / ١٧٨٢ ، رقم ٤٤٧٩ .

الكلام فيهم هو كلام في أنفسهم . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا
 بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ
 مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) الآيات بعدها .

(١) النور : الآية (١١) .

الفصل الثامن

إشهار علاماتهم وأعمالهم دون أسمائهم

تولّى الله في كتابه الكريم كشف صفات المنافقين وعلاماتهم وأعمالهم وأقوالهم ، وضرب لهم الأمثلة حتى يكون المؤمنون ، منهم على بينة ، ويأخذون منهم الحيلة والحذر ، فهُم العدو الداخلي ، كالسرطان ينخر في جسم الأمة . وهم أشدُّ خطرًا على المسلمين من عدوهم الخارجي من اليهود والنصارى والمشرّكين وغيرهم من ملل الكفر ؛ لأنهم يرون من أمة الإسلام ما لا يرى غيرهم من خارجهم فهم يرون الثغرات وينفذون منها ، ويتبعون العورات ويتربصون الدوائر بالمسلمين .

ولهذا فقد جلاهم الله لنبيه وللمؤمنين ، وكانهم يرونهم رأي العين ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَوَنَشَاءَ لَأَرِنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَكَتَرْتَهُمْ فِي لَعْنِ الْقَوْلِ ﴾ (١) . وقد أطلع الله نبيه ﷺ على بعضهم ، ومنهم من لا يعرفهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ دَخَنُ قُلُوبِهِمْ ﴾ (٢) .

وكان النبي ﷺ يبيّن علاماتهم ، ويضرب لهم الأمثال ، دون ذكر أسمائهم ، وربما أمر بعض أصحابه ممن عرف بعضهم بكتمانهم ، ومما

(١) عمّد : الآية (٣٠) .

(٢) التوبة : الآية (١٠١) .

يدل لذلك أنه لما أخبر حذيفة وعمّار بما أراده المنافقون به ليلة العقبة ، مرجعه من تبوك ، ثم أخبرهم بأسمائهم أمرهما بكتمانهم . فقد جاء في حديث طويل « ... فسامهم لهما ، ثم قال : اكتماهم » (١) ، وحينما قام ﷺ خطيباً في مسجده ؛ يستعذر من عبداً لله بن أبي لم يصرّح باسمه رغم أنه قد اشتهر بالنفاق .

قال ﷺ : « يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، مَنْ يَعْتَدِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَّغَنِي آذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ؟ » (٢) .

وقد أخبر النبي ﷺ حذيفة ببعضهم ، وقد كان يُدعى صاحب السرّ الذي لا يعلمه إلا هو ، قال علقمة لأبي الدرداء : « أَوْلَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ سِرِّ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ ؟ » (٣) ، وفي رواية قال البخاري : « يعني حذيفة » (٤) . وعند مسلم : « قال عمار : وَلَكِنْ حُذِيفَةُ أَخْبَرَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا ، فِيهِمْ ثَمَانِيَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ . ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكُهُمُ الدُّنْيَا ، وَأَرْبَعَةٌ لَمْ أَحْفَظْ مَا قَالَ شُعْبَةُ فِيهِمْ » (٥) .

وفي مصنف عبدالرزاق عن الزهري قال : فبينما النبي ﷺ سائر إلى

(١) سبق تخريجه في المبحث الرابع ص ١١٢٤ .

(٢) سبق تخريجه في المبحث السابق ص ١١٥٥ .

(٣) البخاري : ٦٦ - فضائل الصحابة - ٢٠ باب مناقب عمّار وحذيفة : ١٣٦٨/٣ ، رقم ٣٥٣٢ ، ٣٥٣٣ .

(٤) البخاري : ٦٦ - فضائل الصحابة - ٢٠ باب مناقب عمّار وحذيفة : ١٣٦٨/٣ ، رقم ٣٥٣٢ ، ٣٥٣٣ .

(٥) مسلم : ٥٠ كتاب صفات المنافقين : ٢١٤٣/٤ ، رقم ٢٧٧٩ .

تبوك ، نزل عن راحلته ليوحى إليه ، وأناخها النبي ﷺ ، فنهضت الناقة تجرُ زمامها مطلقة ، فتلقاها حذيفة فأخذ بزمامها يقودها حتى أناخها وقعد عندها . ثم إن النبي ﷺ قام فأقبل يريد ناقته ، فقال : من هذا ؟ فقال : حذيفة بن اليمان ، فقال النبي ﷺ : فإني أسرُّ إليك سرًّا لا تُحدِّث به أحدًا أبدًا . إني نهيتُ أن أصلي على فلان وفلان ، رهط ذوي عدد من المنافقين .

قال : فلما توفي رسول الله ﷺ واستخلف عمر ، فكان إذا مات الرجل من أصحاب النبي ﷺ ممن يظنُّ عمر أنه من أولئك الرهط أخذ بيد حذيفة فقادها ، فإن مشى معه صلى عليه ، وإن انتزع منه لم يصل عليه ، وأمر من يصلي عليه « (١) » .

كلُّ ذلك يدلُّ على أنه لم يكن من منهج النبي ﷺ إشاعة أسمائهم ، بل الواجب كتم من عُرف منهم .

وعلى النقيض من ذلك ، أعمالهم وأقوالهم وصفاتهم وعلاماتهم ، ينبغي تعليمها للأمة لأخذ الحيلة والحذر من اللسُّ لهم .

ومن ذلك ما قاله النبي ﷺ في آية المنافق : عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : « أَرَبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَتْ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَوْهَا : إِذَا أَوْثَمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » (٢) .

(١) المنافقون في القرآن الكريم للحميدي ، ص ٤٥٩ ، وقال : ورجاله ثقات ، إلا أن الزهري لم يُسنده إلى أحد من الصحابة . عن مصنف عبدالرزاق : ٢٣٨/١١ .

(٢) البخاري : شرح فتح الباري : ٢ - كتاب الإيمان ٢٤ - باب علامة المنافق : ١١١/١ ، رقم ٣٤ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ » ^(١) .

قال الحافظ : « قال النووي : والذي قاله المحققون : إن معناه أن هذه خصال النفاق ، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ، ومتخلفٌ بأخلاقهم ؛ قلت : ومحصل هذا الجواب ؛ الحمل في التسمية على المجاز ، أي صاحب هذه الخصال كالمنافق . وهو بناء على أن المراد بالنفاق نفاق الكفر ، وقد قيل : إن المراد بالنفاق نفاق العمل » ^(٢) .

وعلى أي حال فإن هذه العلامات الخمس ؛ وهي خيانة الأمانة ، والكذب في الحديث ، والغدر في المعاهدة ، والفجور في الخصومة ، وخلف الوعد تعدُّ من علامات النفاق الأكبر من باب الأولى ؛ أي أن المنافق يتَّصف بها على التمام والكمال وله النصيب الأكبر منها . إلا أن المؤمن قد يتَّصف بها أو ببعضها في العمل لا في الاعتقاد .

ومن علامات المنافقين أيضًا : التخلف عن الصلاة والتكاسل في القيام إليها ، ومراعاة الناس فيها .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى ﴾ ^(٣) .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ ﴾ ^(٤) .

(١) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم ٣٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١١٢ - ١١٣ ، مختصرًا .

(٣) التوبة : الآية (٥٤) .

(٤) النساء : الآية (١٤٢) .

وعن عبدا لله قال : « لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلَاةِ إِلَّا مُنَافِقٌ قَدْ عَلِمَ نِفَاقَهُ أَوْ مَرِيضٌ » (١) ، وفي الرواية الأخرى : « وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ » (٢) .

ولقد أحرر ﷺ أن أثقل الصلوات على المنافقين : صلاة العشاء والفجر ، فقال : « **إِنْ أَثَقَلَ صَلَاةٌ عَلَى الْمُنَافِقِينَ : صَلَاةُ الْعِشَاءِ ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ** » (٣) .

ومنها : قلة ذكر الله ، قال تعالى : ﴿ **وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ (٤) .

ومنها : البخل والجبن ، والتهرب من الجهاد والاعتذار عنه . قال الله تعالى : ﴿ **وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهَ لَئِن آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونُ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ (٥) فلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِقَاحًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ (٨) .

(١) مسلم : ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة : ٤٤ - باب صلاة الجماعة من سنن الهدى : ٤٥٣/١ ، رقم ٦٥٤ / ٢٥٦ .

(٢) مسلم : ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة : ٤٤ - باب صلاة الجماعة من سنن الهدى : ٤٥٣/١ ، رقم ٦٥٤ / ٢٥٧ .

(٣) المصدر السابق ، الكتاب نفسه ٤٢ - باب صلاة الجماعة ، وبيان التشديد في التخلّف عنها : ٤٥١/١ ، رقم ٦٥١ / ٢٥٢ .

(٤) النساء : الآية (١٤٢) .

(٥) التوبة : الآيات (٧٥ - ٧٧) .

(٦) آل عمران : الآية (١٨٠) .

وقال ﷺ : « شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ : شَحُّ هَالِغٍ ، وَجَبْنُ خَالِغٍ » (١) .

قال شيخ الإسلام : وهذه السورة - براءة - نزلت في آخر مغازي النبي ﷺ ، فكشف الله فيها أحوال المنافقين ، ووصفهم بالجبن ، وترك الجهاد . ووصفهم بالبخل عن النفقة في سبيل الله ، والشح على المال ، وهذان داءان عظيمان : الجبن والبخل » (٢) .

وأما في الجبن والخوف والفرع والفرق والهلع ، فقد قال الله تعالى في المنافقين : ﴿ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لِمَنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٦٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٦٧﴾ » .

وقال فيهم : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَتَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّ يُرِيدُونَ الْإِفْرَارَ ﴿٦٤﴾ » (٣) .

وقال : ﴿ أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورًا أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٦٥﴾ يَخْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوَأْتَهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَرْبَابِهِمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٧﴾ » (٤) .

(١) سنن أبي داود : كتاب الجهاد : ٢٢ - باب في الجرأة والجبن ، رقم ٢٥١١ ، وصححه الألباني . انظر صحيح سنن أبي داود : ٢٧٧/٢ ، رقم ٢١٩٢ .

(٢) الفتاوى : ٤٣٧/٢٨ ، مختصراً .

(٣) التوبة : الآيتان (٥٦ ، ٥٧) .

(٤) الأحزاب : الآية (١٣) .

(٥) الأحزاب : الآيتان (١٩ ، ٢٠) .

قال شيخ الإسلام : « وأما وصفهم بالجبن والفرع ، فأخبر سبحانه أنهم وإن حلفوا أنهم من المؤمنين فما هم منهم ، ولكن يفزعون من العدو . ف ﴿ تَوَجِدُونَهُمْ مَلْجَأً ﴾ يلجأون إليه من المعامل والحصون التي يفرُّ إليها من يترك الجهاد ، أو ﴿ مَغَارَاتٍ ﴾ وهي جمع مغارة . ومغارات سميت بذلك لأنَّ الداخل يغور فيها ، أي يستتر ؛ كما يغور الماء . ﴿ أَوْ مَدَخَلًا ﴾ وهو الذي يتكلف الدخول إليه ، إما لضيق بابه أو لغير ذلك ﴿ لَوْلَا ﴾ عن الجهاد ﴿ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ أي يسرعون إسراعاً لا يردُّهم شيء ، كالفرس الجموح الذي إذا حمل لا يردُّه اللجام » (١) .

وكان النبي ﷺ يحذّر من ترك الجهاد ويقول : « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ ، وَلَمْ يَحْدَثْ بِهِ نَفْسَهُ ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ » (٢) . قال العلماء : « والمراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف ؛ فإنَّ ترك الجهاد أحد شعب النفاق » (٣) .

وقال الله تعالى : في المنافقين : ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا
الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ ابِعَابَتِهِمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾

(١) الفتاوى : ٢٨ / ٤٣٧ - ٤٣٨ .

(٢) مسلم : ٢٣ - كتاب الإمارة ، ٤٧ - باب من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه
بالغزو : ٣ / ١٥١٧ ، رقم ١٩١٠ .

(٣) بهامش الحديث السابق .

لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١﴾ .

قال شيخ الإسلام : « فهذا إخبارٌ من الله بأنَّ المؤمن لا يستأذن الرسول في ترك الجهاد ، وإنما يستأذنه الذي لا يؤمن ، فكيف بالتارك من غير استئذان ١٩ وقال في وصفهم بالشح : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴾ « (٢) .

فائدة في قول الله تعالى : ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ :

قال شيخ الإسلام : « وبعض الناس يظنُّ أنَّ المعنى : سَمَّاعون لأجلهم ، بمنزلة الجاسوس ، أي يسمعون ما يقول وينقلونه إليهم ، حتى قيل لبعضهم : أين في القرآن : الحيطان لها آذان ؟ قال : في قوله : ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ ، وكذلك قوله : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ أي ليكذبوا : أن اللام لام التعدية ، لا لام التبعية ؛ وليس هذا معنى الآيتين ؛ وإنما المعنى : فيكم من يسمع لهم أي يستجيب لهم ويتبعهم .

كما في قوله : (سمع الله لمن حمده) : استجاب الله لمن حمده ، أي قبل منه .

يقال : فلان يسمع لفلان ، أي يستجيب له ويطيعه . أي يطيعه في أمره أو يصدقه في خبره . وفلان لا يسمع ما يقال له : أي لا يصدق

(١) التوبة : الآيات (٤٤ - ٤٧) .

(٢) الفتاوى : ٤٣٨/٢٨ - ٤٣٩ ، مختصراً .

الخبر ولا يطيع الأمر . ﴿ وَلَا أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ ﴾ أي لأسرعوا بينكم يطلبون الفتنة بينكم ؛ ثم قال : وفيكم مستجيبون لهم إذا أوضعوا خلالكم ؛ ولو كان المعنى : وفيكم من تجسس لهم : لم يكن مناسباً ؛ وإنما المقصود : أنهم إذا أوضعوا بينكم يطلبون الفتنة ، وفيكم من يسمع منهم : حصل الشر . وأما الجسّ فلم يكونوا يحتاجون إليه ، فإنهم بين المؤمنين ، وهم يوضعون خلالهم « (١) .

والمعنى أن قوله تعالى : ﴿ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ ﴾ أي وفيكم مطيعون لهم مستجيبون لأمرهم ونهيهم ، مصدقون لأخبارهم . وليس المقصود وفيكم من يتجسس لهم .

ومن أهمّ علاماتهم :

السعي في الأرض بالإنفساد ، والأمر بالمنكر ، والنهي عن المعروف مع دعوى الإصلاح .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلِبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

(١) الفتاوى : ١٩٤/٢٨ - ١٩٦ ، مختصراً .

(٢) البقرة : الآيات (١١ ، ١٢) .

(٣) البقرة : الآيات (٢٠٤ - ٢٠٦) .

وقال تعالى : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) .

دلّت الآيات على وجود منافقات أيضاً كالمنافيين ، وأنهم يسعون في الأرض بالفساد ، ويهلكون الحرث والنسل ، ويأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ، ومع هذا كلّهم يدعون أنهم مصلحون .

يقول السّعدي في قوله تعالى : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ : « لأنهم اشتركوا في النفاق ، فاشتركوا في تولي بعضهم بعضاً ، وفي هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم .

ثمّ ذكر وصف المنافقين العام : الذي لا يخرج منه صغير منهم ولا كبير فقال :

﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ ﴾ : وهو الكفر والفسوق والعصيان .

﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾ : وهو الإيمان والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة والآداب الحسنة .

﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ : عن الصدقة ، وطرق الإحسان ، فوصفهم : البخل .

﴿ نَسُوا اللَّهَ ﴾ : فلا يذكرون الله إلا قليلاً .

﴿ فَنَسِيَهُمْ ﴾ : من رحمته ، فلا يوفقهم لخير ، ولا يدخلهم الجنة ، بل يتركهم في الدرك الأسفل من النار ، خالدين فيها مخلّدين .

(١) التوبة : الآية (٦٧) .

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ : حصر الفسق فيهم ، لأن فسقهم أعظم من فسق غيرهم ، بدليل أن عذابهم أشد من عذاب غيرهم ، وأن المؤمنين قد ابتلوا بهم ، إذ كانوا بين أظهرهم ، والاحتراز منهم شديد « (١) .

ومن أهمّ علاماتهم أيضاً : كثرة الحلف والأعدار والاستذانات الكاذبة .

قال الله تعالى : ﴿ وَسَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١) ، ﴿ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لِمَنكُم مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴾ (٢) . ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) ، ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَقد قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ (٤) ، ﴿ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ ﴾ (٥) ، ﴿ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٦) ، ﴿ وَيَخْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٧) .

(١) تيسير الكريم الرحمن : ٢٦٢/٢ - ٢٦٣ .

(٢) التوبة : الآية (٤٢) .

(٣) التوبة : الآية (٥٦) .

(٤) التوبة : الآية (٦٢) .

(٥) التوبة : الآية (٧٤) .

(٦) التوبة : الآية (٩٥) .

(٧) التوبة : الآية (٩٦) .

(٨) التوبة : الآية (١٠٧) .

وأما اعتذاراتهم الكاذبة فكثيرة أيضاً ، منها ما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ... ﴾ (١)

﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ بَدَأَ اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ (٢)

﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ (٣)

ومن استذاناتهم الكاذبة التي ذكرها الله في كتابه : ﴿ وَسَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا الْخُرْجَانَا مَعَكُمْ يَهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٤) عفا الله عنك لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٥) لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (٦) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (٧)

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذِنْ لِي وَلَا تَنْتَهِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (٨)

وقوله : ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ قُلْ لَنْ تُخْرَجُوا مَعِيَ أَبَدًا ﴾ (٩)

(١) التوبة : الآية (٩٠) .

(٢) التوبة : الآية (٩٥) .

(٣) التوبة : الآية (٦٦) .

(٤) التوبة : الآيات (٤٢ - ٤٥) .

(٥) التوبة : الآية (٤٩) .

(٦) التوبة : الآية (٨٣) .

ومن علاماتهم : الاستهزاء واللمز والسخرية من المؤمنين .

قال الله تعالى : ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهْزَؤْنَا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ .^(١)

وفي اللمز والسخرية يقول تعالى فيهم : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴿٦٦﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٧﴾ .^(٢)

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة : عن أبي مسعود ، قال : « أمرنا بالصدقة . قال : كنا نحامل . قال : فتصدق أبو عقيل بنصف صاع . قال : وجاء إنسان بشيء أكثر منه . فقال المنافقون : إن الله لغني عن صدقة هذا ، وما فعل هذا الآخر إلا رياء . فنزلت : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ »^(٣) .

وهكذا المنافقون لا يعجبهم شيء يفعله المؤمنون أبداً .

لذا تجدد دينهم الاستهزاء واللمز والسخرية من المؤمنين .

(١) التوبة : الآيات (٦٤ ، ٦٥) .

(٢) التوبة : الآية (٥٨) .

(٣) التوبة : الآية (٧٩) .

(٤) مسلم : ١٢ - كتاب الزكاة . ٢١ - باب الحمل أجرة يتصدق بها ، والنهي الشديد عن تنقيص المتصدق بقليل : ٧٠٦/٢ ، رقم ١٠١٨ .

ومعنى كنا نحامل : أي نحمل على ظهورنا بالأجرة ، ونتصدق من تلك الأجرة .

وفي أوصافهم يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مِّنْ سِنْدَةٍ يَحْسَبُونَ كُلَّ صِخْرَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرَهُمْ قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَنْيُّ يُوْفَّكُونَ ﴾ (١) .



(١) المنافقون : الآية (٤) .

الخاتمة

الغاية

كثيرة جدًا هي النتائج التي توصل لها هذا البحث ، وفيها على سبيل المثال لا الحصر :

- ١ - ترك التزام المنهج النبويّ في الدعوة خروجاً عن سبيل المؤمنين .
- ٢ - العلم والحلم أهمّ ما يميّز دعوته ﷺ .
- ٣ - اتباع الدليل أهمّ خصائص العلم الشرعي ، والمصدر هو الكتاب والسنة ، وإجماع المسلمين .
والعلم بمفهومه الواسع (تعلّمه ، وتعليمه ، ونشره) هو من اختصاص طائفة من المؤمنين ، وليس مطلوباً من جميعهم ، بخلاف التزكية ، فإنّها واجبة على الجميع كما قرّر ذلك شيخ الإسلام .
وينبغي أخذ العلم عن أهله المشتهرين به ، مع تقديم الأهم ، والتدرّج فيه ، وعدم فصل العلم عن التربية ، بل يجب إعطاءهما معاً .
وإشعار المتعلّم أنّه يتعلّم ليطبّق .
- ٤ - رضا الله ﷻ مقصود التربية الأعظم ، وهدفها . ووسيلتها إلى ذلك : تحقيق التوحيد ، والاهتمام بأعمال القلوب ، وأنها محلّ نظر الربّ تبارك وتعالى ، مع الاجتهاد في عمل الجوارح .
- ٥ - ولقد حافظ النبي ﷺ طوال دعوته على مجموعة من المقاصد ، وهي الروابط الداخلية بين عناصر المنهج ، وتمثّل الروح التي تسري فيه .
منها : تعظيم الله ﷻ وأمره ونهيه ، والتحييب فيه ، وتعظيم قدر التوحيد ، وحماية جنابه وحمّاه ، وتجريده من الشُّرك ، وتعظيم قدر

الصلاة وجعلها عمود الدين ، وكذلك حافظ ﷺ على الأخوة الإيمانية والترابط بين أفراد المجتمع ؛ المبني على الحب في الله ، وبناء المحبة بينهم والائتلاف ، ونبذ بوادر الشحناء والفرقة والاختلاف .

هذه المحبة أصلها توحيد المحاب كلها لله ﷻ ، وينشأ عنها : محبة النبي ﷺ ، ومحبة المؤمنين ، مع احترام الفرد وحقوقه ، وعدم ذوبانها في حقوق الجماعة ، مع تنشئته تنشئة اجتماعية ، وتهيئته للعيش في جماعة . ولقد كانت ثمرة هذه التربية نشوء المجتمع الإسلامي المترابط المتكافل ، وبذلك تم تحقيق هدف التربية الثاني ؛ تكوين أمة الوسط ، لتكون شاهدة على الأمم ، داعية لها إلى الحق ، والرسول ﷺ شاهد عليها . .

٦ - ولقد مضى النبي ﷺ في دعوته وتربيته وتعليمه معرضاً عن الجاهلين ، مبيّناً للناس دينهم في رفقٍ ولينٍ وحلم ، مع ترك تنفير الناس عن دين الله ، والإغلاظ عليهم .

٧ - وكان أهم ما يميّز دعوته ﷺ للمشركين وأهل الكتاب : الرفق والحلم ، والصبر عليهم ، ودعوتهم بالحجة والبيان . ثم إذا لم تحصل الاستجابة خيّرهم بين السيف والسنان أو دفع الجزية .

أما أهم ما يميّز منهجه ﷺ في التعامل مع المنافقين : فكان في كشف مخططاتهم وأعمالهم ، وإحباطها قبل وقوعها دون فضح أسمائهم .



الفهارس

ويشتمل على :

- فهرس الآيات .
- فهرس الأحاديث .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

فهرس الآیات

فهرس الآيات الكريمة

١١١٦	ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ
١٠٧٠	ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ
٧١٥، ٧١٣	ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا
٣٢٥	ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ
٧٧١	الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ
٧٧٠	الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ
٤١٧	أَوْفَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنِّيْنَا
٥٥٧	أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ
٨٦٢	اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ
٨٦٢	اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ
٢٨٦	أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ
١٠٦٣، ٢٧٤، ١٨٠	اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرَهَابَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ
١٠٠٠	أَتْرِيدُونَ أَن تَهْتُوا مَن أَضَلَّ اللَّهُ
٩٩٦، ٥٧٧	أَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ
٤٠٧	اقْرَأُوا اللَّهَ حَقَّ قُرْآنِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ
٢٥٧	اجْعَلْ لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ
٢٥٦، ٢٥٥، ٦٥	أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
٦٨٤	ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

- اذع إلى سبيل ربك ٤٧، ٤٩، ٥٨، ٤٢٥، ٥١٢، ٨٢٤، ١٠٥٤
- أذعوا إلى الله على بصيرة ٤٤، ٤٦
- إذ هممت طافتان منكم أن تقسلا ١١٤٣، ٥٢٣
- إذا جاءك المناقضون ١٠٩٩
- أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم قدير ١٠٢٠، ١٠٧٢
- استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ٨٢٠
- استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ١١٠٨، ١١٠٩
- أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتمهم ينظرون إليك تدور أعينهم ١١٦٤
- أشداء على الكفار رحماء بينهم ٣٧٢
- أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ١٣، ٦٥، ٩٥٩
- اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ١٤٧، ٢٥٥
- اعبدوا ربكم ٣٠٧، ٦١٩، ٦٢٠
- اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ٦٧٠
- أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ٦٢٩
- أفلا يتدبرون القرءان أم على قلوب أغطالها ٣٠٠، ١١٠٤
- أفلا يتدبرون القرءان ولو كان من عند غير الله لوجئتوا فيه اخلافا كبيرا ٢٢٢، ٣٠٠، ١١٠٢
- أفلم يتدبروا القول ٢٢٢، ٣٠٠
- أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ٢٤٧
- أفلم يتسلس الذين آمنوا أن لو نشأ الله لهدى الناس جميعا ١٠٠٠
- أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ٦٢٢
- أفي الله شك فاطر السموات والأرض ٣٠٦

- ٦٧٠، ١٠١ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلْقَ
- ٢٤٥ أَكْهَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَادِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ
- ٤٢٠، ٤١٩، ١٤١، ١٣٩، ١٣٧ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
- ٤٢١ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
- ١٠٥٥، ١٠٥٤ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا
- ٤٧٩، ٢٦٠ إِلَّا إِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
- ٧٦ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ
- ٥١ أَلَا تَحْسِبُونَ أَنَّ يُغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
- ٦٢٩، ٥٠١ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
- ١٤١ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
- ٥١٥ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ
- ٧٤ الرَّكَّابِ أَتَحْكُمْتُمْ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرِ
- ٢٤٦ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا
- ٢٢٥، ٢٢١ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ
- ١٠٥٢ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ
- ٧٨٧، ٢٢٤ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
- ٧٥ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ
- ٢٢٤ اَللّٰهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
- ٢٢٢ اَللّٰهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ
- ١١٩ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ
- ١١٠٢، ١٠٠٦ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

- ١٢٨ ، ١٢٥ ، ١٢٣ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ
- ٢٤٨ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
- ٢٢٥ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
- ٧٧١ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ
- ٢٩٢ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
- ١٢٧ ، ١١٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّكَ فِينَا وَلِيدًا
- ٢٢٢ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ
- ٧٧٠ أَلَيْسَ الصَّبْحُ بِقَرِيبٍ
- ١٨٢ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ
- ١١٠٤ ، ١٠٨٥ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْعَابَهُمْ
- ١٠٢٩ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ
- ١٠٢٨ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ
- ١٠٢٨ أَمْ يَقُولُونَ قَوْلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ
- ٢٤٩ أَمْ نَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
- ٢٤٩ ، ١٧٥ أَمْ نَ يُجِيبُ الْمُضْطَرُّ إِذَا دَعَاهُ وَتَكْشِفُ السُّوءَ
- ٦٢ ، ٣٢ ، ١٣ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ
- ٥ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ
- ٤٠١ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا
- ١٤١ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
- ٢٢٢ ، ١٩٥ ، ١٤١ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ
- ٢٢٨ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا

- ٧٥ إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ
- ١١٥٨ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ
- ١٠٢٥ إِنَّ الَّذِينَ سَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ
- ٧٧٦ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا
- ٢٨٤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ
- ٥١ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا
- ٨٦ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
- ٦٧٠ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ
- ٨٧٢ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ
- ١٠٧٢، ١٠٣١ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ
- ١٠٨٠ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا
- ٧١٤ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ
- ٢٥٥، ٢٤٠ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ
- ٢٢٠، ٢١٩ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ
- ٦٨٤، ١٤١ إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
- ٢٤٧ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا
- ٤١٩، ١٤٠، ١٣٩، ١٣٧ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ
- ٤٣٦ إِنَّ تَعْدِيَّتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
- ١٠٢٢ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
- ٢٢٨، ١٤٨ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
- ٨٦٧، ٩٥ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ

- ٦٠٨، ٥٦٢، ٣٣٩، ٢٢٤ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
- ٢٢٢ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
- ٢٢٢ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ
- ١٠١٥، ٣٣٤ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ
- ٢٩٧، ١٢٠ إِنَّ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
- ١٠٦٦ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ
- ١١٠٢، ١٠٨٠ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ
- ١١٦٩، ١١٦٨ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
- ٨٢٣ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً
- ٦١٤، ٣٠١، ٧٦ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَن يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ
- ١١٢٢، ٥٢٢ إِنَّ يَمْسَسَنَكُم قَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرَحٌ مِّثْلَهُ
- ١٧١ إِنَّ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَلْبَ لَكُمْ
- ٢٤٥ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ
- ٢٤٥ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَلَّوْا كَلْشِيمَ الْمُحْتَظِرِ
- ٥٩٥ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
- ٢٥٠ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
- ٨٦٥، ٣٦ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ
- ١٠٢٠، ١٠٠٠ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ
- ١٠٢٤ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ
- ١٠٢٧ إِنَّمَا أُعْطِكُمْ بِوَاحِدَةٍ
- ٧٣ إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا

- ٤٠٢ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة
- ١٠٩٥، ١٠٩٣، ١٠٩٢ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم
- ٦٧٩ أولئك هم خير البرية
- ٧٧٠ أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
- ٣٤٦ أولم يذكروا في أنفسهم
- ٣٤٨ أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده
- ٣٤٨ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
- ٢١٣ أولم أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا
- ٢١٦، ١٨٦، ١٨٥، ١٦٠، ١٥٩ إنا لنعتد
- ١٨٠ أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
- ١١٤٦، ١١٠٢ أتيتم تكفونوا بذكركم الموت
- ١٠٥٢ بآءوا بغضب على غضب
- ٣٢٥، ٣٢١، ٣٢٠ الباري المصور
- ١٠٢٣، ٤١٤، ٩٦ بسم الله الرحمن الرحيم
- ١١٠٢ بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما
- ١٠٢٢، ١٧٠، ١٦٩ بل آتيناكم بالحق
- ١٢٨، ١٢٥، ١٢٣ بل الله يزكي من يشاء
- ٥١٣، ٣٤٦، ٣٤٥ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر
- ٨٣٠، ٢٢٢ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه
- ٦٨٠ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم
- ٤٢١ بلى إن تصبروا وتتقوا

- ٣٢٢ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
- ١٧٩ تَاللَّهِ إِنَّ كُفَّالِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ
- ١٠١٨ ، ٩٨٧ ، ٥٧٥ ، ٨٢ ثَبَّتْ بِدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ
- ٦٣٠ تَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ
- ٥١٥ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا
- ٧٧١ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ
- ٣٤٧ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ
- ١٠٦٨ ، ١٠٦٦ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ
- ٢٣٠ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ
- ٣٤٥ تَنزِعِ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَارٌ نَّحَلُّ مُتَعَمِّرٍ
- ٣١٥ ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ
- ١١٢٤ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا
- ١٩٤ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا
- ٤٢٠ ، ٤١٩ ، ١٤١ ، ١٣٩ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ
- ١١٣١ ، ١١١٣ ، ١١١٢ ، ١١١١ ، ١٠٧٣ ، ١٠٣١ ، ٥٧ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ
- ٩١٧ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً
- ١٠٦٦ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
- ١٠٢٣ ، ٧٩ حم ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
- ١٧٩ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
- ٣٢٦ ، ٩٦ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
- ١٢٣ ، ١٢٠ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا

- خُذُوا مَاءَ آتِنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ١٠٦٢، ٨٢١
- الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ٨٤٠، ٧٩٨
- ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ٧٧
- ذَلِكَ بَأْسَ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْهَاطِلُ ٣٢٧
- ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَّ عَلَي قُلُوبِهِمْ ١٠٨٠
- ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آتَبَعُوا مَا اسْتَخَطَّ اللَّهُ وَكَرَّهُوا رِضْوَانَهُ ١١٠٤
- ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ ٧٧٠
- ذَلِكَ فَصَلَّ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ٣٢٢، ١٢٣
- ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٦١٤، ٣٠١
- ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ٦٧٩
- ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ٤٩
- ذَلِكَ تَلْوَةٌ عَلَيْكَ ١٠٦٦
- ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ١٢٢
- ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ٣٢٥
- الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ١٧٤
- الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَا يَجِبُ ١٤١
- الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ٢٦٠
- الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ١٩٤
- الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ١١٤٤، ١١٣٦، ١١٣٥، ١١٠١
- الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ١١٧١
- رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّبُ الْمَوْتَى ٢١١

- ٤٣٦ رَبِّ إِنْهُمْ أَصْلَنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ
- ٣٠٧ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
- ١٥ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ
- ١٦ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ
- ١٥ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نَعْلَمُ
- ٧٨٩ ، ١٦ رَبَّنَا لَا تَوَخُّدْنَا إِنَّ دَسِينَا أَوْ أخطَانَا
- ١١٦ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ
- ١٦ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا
- ٤١٤ ، ١٠١ الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عِلْمَ الْقُرْآنِ
- ٣٢٦ ، ٤٢ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
- ٣٣٦ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ
- ٣٥١ ، ٣٣٦ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِعَيْرِ الْحَقِّ
- ١٠٢٢ ، ١٧١ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ
- ١١٦٦ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ
- ٦٤٤ ، ٣٥١ ، ٣٢٩ ، ٣٢٤ سُنِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ
- ١١٦٩ ، ١٠٩٦ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَقْبَلْتُمُ إِلَيْهِمْ تُعْرِضُوا عَنْهُمْ
- ٣٢٩ سِيرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا
- ٣٤٦ ، ٣٤٥ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ
- ٦٧٩ ، ٦٢٣ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَتْنَا بِالْقِسْطِ
- ٧٧١ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ
- ٣٦٠ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ

- طه ﴿١﴾ مَا أَدْرَأْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لَنْ نَسْتَعْتِبَ ٢٢٤
- ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ٧٧١
- عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ٢٢٠
- عَمَّا اللَّهُ عَنْكَ لَمْ آذِنْتَ لَهُمْ ١١٧٠، ١٠٩٠
- عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ١٠٢
- عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ٩٠٥
- عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ٢٩٤
- غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧٩٢
- فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ٨٦٢
- فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ٥٠١، ٦٢، ٢٤، ٢٣، ٢٢
- فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ٢١٧
- فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكُنتَ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ٧٦٧
- فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشْدَّ ذِكْرًا ٢٨٨
- فَادْكُرُوا ءَالَءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُقْلِحُونَ ٢٩٥
- فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ٢٨٧، ٢٢٠
- فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ٢٨٧، ١١٩
- فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ١٢٠
- فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٩٦١، ٦٧٩
- فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ يَا نَبِيَّ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٨٢١
- فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ٤٧٨، ١٢٢، ٦١
- فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّكَ ٤١٦

- ٤٢٢ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوْقِنُونَ
- ٤١٧، ٤١٦ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
- ٥٥٠، ٤١٧ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ
- ٩٨٧ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ
- ٦١٩ فَأَعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا
- ٢١٦، ١٧١ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ
- ٧٧١، ٣٣٢ فَأَعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ
- ١١٠٣، ١٠٩٣، ١٠٩٢ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ
- ١١٦٩، ١٠٩٦ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ
- ٨٢٤، ٦١٦، ٢٨٢، ١٥٨، ١٢٩ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ
- ٨٧ فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ
- ٥٤٦ فَأَقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
- ٧٧١ فَأَمَّا الرِّبْدُ فَيَذَمُّ جُفَاءً
- ١٠٠٠ فَإِنِ اسْتَلَمُوا فَقَدِ اقْتَدَوْا
- ١٠١٧ فَإِنِ اعْرَضُوا قُتِلُوا نَكَرْتُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ
- ٦٣٣ فَإِنِ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ
- ٦٣٦ فَإِنِ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ
- ٦٧٩، ٤٨٩، ٦٥، ١٢ فَإِنِ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ
- ٧٥٩ فَإِنِ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
- ٧٥٩ فَإِنِ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
- ١١٧٠ فَإِنِ رَجَعْتَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُواكَ لِلْخُرُوجِ قُلْ لَنْ تَخْرُجُوا

- ١١٣١ فَإِنْ تَوُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ
- ١٠٠٠ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ
- ٣٢٦ ، ١٩٠ ، ١٨٩ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى
- ٣٩٤ فَإِنِّي آتٍ إِلَيْكُمْ رَبُّكُمْ مُكَذِّبَانِ
- ٥٨٥ ، ١٣٢ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ
- ٣٣١ فَتَوُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ
- ٥٥ فَذَكَرَ إِذْ نَسِيتَ الذِّكْرَ
- ١٠٠٣ ، ٨٨٧ ، ٧٥١ ، ٥٥ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ أَنَّ مِنَ يَخَافُ وَيَعِيدُ
- ٥٣٤ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ
- ١٠٧٥ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ
- ١١٥٧ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ
- ٤١٢ ، ٤٧ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوِّقْتُمْ بِهِ
- ١٠٦٦ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَآبَاءَكُمْ
- ١٢٤ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزْكَىٰ
- ٣٢٩ ، ٣٢٤ فَهِنَا عَذَابَ النَّارِ
- ٣٥٠ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْمَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ
- ٣٥٠ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ
- ٣٩٤ فَكُلُوا مِنَّمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبَاتٍ
- ١١٠٣ ، ١٠٩٤ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابْتُم مَّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ
- ٧٨٨ ، ١٠٠ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا
- ١٧٩ ، ١٧٨ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا

- ٤٠٥ فلا تخشوا الناس واخشون
- ٢٧٨ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرضٌ
- ١٢٥ فلا تزكوا أنفسكم
- ١١١٢، ٥٦ فلا تطع الكافرين وجاهدكم به
- ٧١٤، ٤٠٩ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين
- ١٠٦٦ فلا تكن من الممترين
- ٥٨ فلذلك فادع واستعصم كما أمرت
- ٢٤٢ فلما رأوه عارضاً مستقبلاً أوديتهم
- ٧١٥ فلنستألن الذين أرسل إليهم ولنستألن المرسلين
- ٦٧٧، ١٣٤ فلولا فر من كل فرقة منهم طائفة ليضعفوا في الدين
- ٧٨٧ فليتنافس المتنافسون
- ١١٣١، ٥٣٤ فليصحبكم قليلاً وكتيلاً كثيراً جزاء بما كنتم تكسبون
- ١٢٢ فلينظر أيها أركى طعاماً
- ٢٣٥ فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا
- ١٠٦٦ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم
- ١٣٠ فمن رزق عن النار وأدخل الجنة فقد فاز
- ٤١٢ فمن عفا وأصلح فأجره على الله
- ٥٨ فمن كان يربحوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً
- ٦١٦، ٢٦٢، ٢٦١ فمن يكفر بالطاغوت
- ٦٨٦، ٦٧٠ فنبذوه وراء ظهورهم
- ٧٥٩ فهل على الرسل إلا البلاغ المبين

- ٧١٥ فَوَرِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَلُوا يَعْمَلُونَ
- ٧٨٢ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ
- ٦٨٤ فَالْيَوْمَ لَا تظَلَمُ هَسًّا شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
- ٧١٥ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ
- ١٠٧٢ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ
- ٤٠٦ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ
- ٣٢٦ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى
- ٧٦٤ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَرَّتَ
- ٤١٦ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا
- ١٧٤ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ
- ١٣٥، ١٣٥، ١٣٤، ١٣٠ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى
- ١٣٥، ١٣٤، ١٣٠ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا
- ٣٨٨ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا
- ١٠٦١، ٧٥ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ
- ٧٦٤ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
- ٦٢٥ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ
- ١١٤٦ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا
- ٧٧٠ قَضَى الْأَمْرَ الَّذِي فِيهِ تَسْتَعْجِلَانِ
- ١٨٢ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
- ٣٤٨ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا
- ١٠٥٨ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكُرْتُمْ بِهِ

- قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ٢٨٤
- قُلْ إِنْ تَحْسَبُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُهَمُّوا بِمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ١٨٩
- قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ هَيْبِي ٦١٢، ٣٠١
- قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ ٢٥٦، ٢٥٥
- قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً ١٠٦٢
- قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ٢٩٧، ١٢٠
- قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ١٧٤
- قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ٢٤٧
- قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ١٠٠٣
- قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ ١٠٢٧
- قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ١٠٠٣، ٧٢
- قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ٩٢٢
- قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٤٠٦
- قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ١٦٠
- قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ٧٧٧
- قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ٧٧٧
- قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَمْعَنَنَّ ٧٧٧
- قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ٥٠١، ٢٤٠، ٣٢
- قُلْ فَاَنى تَسْحَرُونَ ١٠٢٢، ٣٢٧، ١٧٠، ١٦٩
- قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ١١٠٤
- قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلِهِ ٧٧٠

- قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ١٠٢٨
- قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي هَقْمًا وَلَا ضِرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ١٧٢
- قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ١٢٢
- قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ١٠٢١، ١٦٩
- قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ١١٠٣
- قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ ١١٤٥، ١١٠٤
- قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ ١١٢٥، ١١٢٤
- قُلْ مَنْ يَبْدِهِ مَلَكُوتٌ كُلُّ شَيْءٍ ١٠٢٢، ٣٢٧، ١٧٠، ١٦٩
- قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ ١١٤٥، ١١٠٤
- قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ١٠٢١، ٣٢٧، ١٦٩
- قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ١٠٥٢
- قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ٣٢٦
- قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ٥٤، ٤٤، ٢٨
- قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٦٧٩
- قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ٧٢٩، ٣١٤
- قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ٢٢٢، ٩٤، ٧٦
- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ١٠٦٠، ٦٢١
- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ١٠٦١
- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ١٠٦٠
- قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ١٨٨
- قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٥٦، ٥

- ٧٦٧ كَانَهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ
- ٧٦٧ كَانَهُنَّ بَيْضٌ مَكُونٌ
- ٧٢ كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ
- ٣٠٠، ٢٢٢، ٩٤ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ
- ١٠٢٣، ٧٩، ٧٤ كِتَابٌ فَصَّلْنَا آيَاتِهِ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
- ٧٧٠ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلَّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ
- ٤٠٦ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ
- ٢٤٥ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ
- ١٠٢، ٧٢ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لُتَلْوُ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
- ٥٠ كَذَلِكَ كُتِبَ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
- ٧٧١ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ
- ٧٧٠ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ
- ٤١٧ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
- ٤٠٣ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ
- ٢٦٨ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
- ١٧٢ كَلَّا نَمِذُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ
- ٧٧١ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَبِيرَةٌ
- ٥٣٢ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ
- ١١٩، ١١٨، ٧٠ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ
- ١٢١، ٣ كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
- ١٠٤٦، ٨٥٢، ٨٣٧، ١١٢ كُونُوا رَبَّائِنًا بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ

- ٦١٤ لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرُّسُلِ
- ١١٣١، ١١١٩، ١١١٣، ١١١١، ١١٠٤ لئن لم ينته المنافقون
- ٤٩ لا تجعل مع الله إلهاءً آخر فتعبد مذموماً مخذولاً
- ٨٦٧، ٩٥ لا تحرك به لسانك
- ١٠٩٠ لا تحسن الذين فرحون بما آتوا وحبون أن يخذلوا
- ١١٧٠ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم
- ١١٢٩، ١١٢٨ لا تقم فيه أبداً
- ١١٢٥، ١١٢٤ لا تكونوا كالذين كفروا
- ٣٦١ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين
- ١٧٠ لا يستأمن عمن يفعل وهم يستأمنون
- ١١٧٠، ١١٦٥، ١٠٩٠ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا
- ٧٧١ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها
- ٥٤ قد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب
- ١٤٧ قد أرسلنا نوحاً إلى قومه
- ٥٨٥، ٤٣٥ قد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم
- ٧٦٠، ٧٤٤، ٥٤٦ قد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب
- ٥٥٢، ٥٥١، ٢٧٠، ٢٢٦ قد كان لكم في رسول الله أسوةٌ
- ١٠٦٤، ١٠٦٣ قد كهر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم
- ١٣٢، ١١٩، ١١٧، ٧٠ قد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم
- ٣٧ لكل جعلنا منكم شرعةً
- ٧٧٠ لكل نبياً مستعزراً

- ٢٢٠ لَكِي لَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ
- ٧٨١ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
- ٧٧١ لِيُثَلَّ مَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ
- ٦٨٤ لِنَلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
- ٤٧٦ لَوَافَقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَقَمْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ
- ٦٩١، ٥٩ لِيَلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
- ١٠٠٠ لَيْسَ عَلَيْكَ هَذَا هَمٌّ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
- ٣٢٧، ١٦٧ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
- ١٠٠٧، ٩٩٩ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ
- ٧٧٠ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ
- ٢١٥ لِيَكْفُرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ
- ١٠٢٢، ١٧١ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَكَيْدٍ
- ١١٠٢، ٢١٣ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ
- ٦٩٦ مَا ضَرُّوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا
- ٧٧١ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ
- ١١٢٥ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ
- ١٠٢٠ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ
- ١٧٠ مَا مِنْ دَائِبَةٍ إِلَّا هُوَ أَخَذَ بِنَاصِيَتِهَا
- ١٨١ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى
- ٧٦٧ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ
- ٧٦٧ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ

- ٧٦٩ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا
 ١١٣١، ١١١٩، ١١١٨، ١١١١، ١١٠٤ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا هُمُوهَا أُحْزِنُوا وَقَتَلُوا نَفْسِيًّا
- ٩٦ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ
 ٣٢٤، ١٨٤، ١٨٣ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ
- ٣١٣، ١٣١ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
 ١٠٥٣، ١٠٥٢، ١٠٥٠ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ
- ٧٧٠ مَنْ كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَتَذَكَّرْهُ الرُّحْمَنُ مَدًّا
 ٢٣٠ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ
- ٤٦٩ مَنْ يَسْتَفَعِ شَفَاعَةَ حَسَنَةٍ
 ٧٧٠ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ
- ١١٦٨ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ
 ١١٦٨، ٣٣٥ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ
- ٣٥١، ٧٦ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ
 ٦١٤، ٣٠١ هَذَا بَيِّنَاتٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ
- ١٠١٧ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ
 ٦٨٤ هَلْ تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
- ٧٧١ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ
 ١٠٨٥، ١٣٦، ٢ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ
- ١٩٤ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ
 ٧١٣ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ
- ٦٦٩، ١٣٣، ١٢٤، ١١٨، ١٠٢، ٧٠، ٥٨، ٥٥ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ

- ١٠٢٢ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
- ٢٨٧ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ
- ٢٢٥ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
- ٢٢٥ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ
- ٢٢٦ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
- ٢٤٨ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا
- ١٠٩٧، ٨٦٢ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
- ٨٦٢ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ
- ٤٠٥ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىٰ آدَمَ بِالْحَقِّ
- ٦٤٧ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا
- ٢٢٨ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا
- ٥٨٥ وَاخْضِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ
- ٥٨ وَادْع إِلَىٰ رَبِّكَ
- ٦٨٦، ٦٧٠ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ
- ٢٨٥ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
- ١٠٦٢ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ
- ١١٢٢ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ
- ١٠٦٤ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَدْتَ قُلْتَ
- ١١٦٤ وَإِذْ قُلْتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَرْبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا
- ١٠٦٢ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهُ جَهَنَّمَ
- ٢٤٩ وَإِذَا أَدَقْنَا لِلنَّاسِ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرَفِي ءَايَاتِنَا

- وَإِذَا تَلَّيْت عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ٢٢٢، ١٩٤
- وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ٦٨٠
- وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ٦٥
- وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَعْجَبُكَ أَجْسَامُهُمْ ١١٧٢، ١٠٩٩
- وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَلَى ١١٦٢
- وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا ٨٦٢
- وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ ١١٠٢، ٦٥
- وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ لَا تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ١١٦٧
- وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ زَادَ اللَّهُ هَذِهِ إِيمَانًا ١١٠١، ٢٢٢
- وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ١١٠١
- وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا الْجِنَّةَ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَاتِمًا ٢٤٩
- وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًا ٢٤٩
- وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ٦٤٨
- وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرَ الْعَالَمِ قَالِحُونَ ٢١٩
- وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ٤٧٨، ١٣٢، ٦١
- وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ١٠٠٦، ٨٢٢، ٤١٢، ٤٧
- وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ٨٦٢
- وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ٢٢٩
- وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ١٣٢، ٦١، ١٢
- وَأَعِثُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَقْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ٦٤٤
- وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاخْذَرُوا ١٨٩

- ٢٢٨ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
- ٢٥٤، ١٧٨ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ
- ١٤١ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ
- ١١٢٩، ١١٢٨ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا
- ١٤٩ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى
- ٨٢١، ٢٣٦، ١٤٩ وَالَّذِينَ جَاهَلُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا
- ٢٥١ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ
- ٧٦٧، ١٤٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ
- ١٠١٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ
- ٤٠٠ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ
- ٧٥٢ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ
- ٨٢١ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكَأْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ
- ١١٠٢ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ
- ٩٨٢ وَالرَّجْزَ فَاقْصِرْ
- ٢٢٥ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ
- ٢ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
- ١١٢٤، ١١٢٣، ٥٢٢ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ
- ١١٢٩ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
- ١١٦٩، ٦٥ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ
- ٢٧٢ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ
- ٢٧٢ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

- وَالِي عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ١٤٧
- وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ٤١٦
- وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ٤١٥، ٥٤
- وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ٩٢٦
- وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ٧٢
- وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَاتَّقُوا ٤٢١
- وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ٢٩٢
- وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ٤٠٦
- وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ١٨٩
- وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلَا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ٤٧٥
- وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ٤١٢، ٤٧
- وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ١٢٢
- وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا دَرَأْنَا عَلَىٰ عِبَادِنَا ١٠٢٨
- وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ٥٠١، ٦٢، ٢٤، ٢٣، ٢٢
- وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ٤٧٦
- وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِصُفْرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ٢٤٩، ١٧٤
- وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ٧٢
- وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ١٠١٩، ١٠١٨، ٩٨٩، ٩٨٨، ٩٨٧، ٥٧٥، ٥٧٤، ١٨١، ٨٢، ٨١
- وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ١٠٠٢
- وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا ذُرِيَ إِلَيْهِمْ ١٠٠٢، ٨٤٤، ٦٦٩، ٦٤٧، ٣٠٢، ٥٧
- وَإِنَّكَ لَتَلْقَىٰ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٩٤٤، ١٠٢

- وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ٥٥٦، ٢٢٦
- وَأِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ٢٨٤، ٧٤
- وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنِ لِتُدْرِكُ بِهِ مَن يَلْعَنُ ٧٢
- وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ٢٤٤
- وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ٨٩٦، ١٣٢
- وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَصْرِئِهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٧٦٩
- وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَصْرِئِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ٧٦٩
- وَتِلْكَ الْأَيَّامُ دِدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ ١١٣٢، ٥٢٣
- وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ٥٢٢
- وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَلَىٰ بِاللَّهِ وَكَيْلًا ١١٠٣، ١٠٩٧
- وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ٣٢٦
- وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ ٤١٥، ٢٥٨
- وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذِنَ لَهُمْ ١١٧٠
- وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٧٥١، ٥٤٦
- وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ١٠٥٤، ٧٦٤، ٦٩٦، ٤٢٥، ٤٨، ٤٧
- وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ١٠٠٣، ٨٨٧، ٧٢
- وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ٤١٦
- وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ٢٤٧
- وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يُهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا ٤٢١، ٤١٥، ١٩٥
- وَحَنَانًا مِن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ هَٰئِنَا ١٢١
- وَخُورًا عِزًّا كَأَمْثَالِ اللَّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ٧٦٧

- ٤٠٥ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
- ٤١ وَالذَّارِيَاتِ ذُرُورًا
- ٧٥١، ٥٨، ٥٥ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ
- ٧٥١ وَذَكَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ
- ٤١٥، ٢٠٢، ٢٥٨ وَرَبِّكَ فَكَبِيرًا
- ٩٤٤، ٩٤، ٨٨ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ لِتَرْتِيلًا
- ٨٥٢، ٩٥ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا
- ٤٠ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
- ٢٨٧ وَسَبَّحُوا بُكْرَةً وَأَصِيلًا
- ١٨٩ وَمَسْرُودُونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ
- ٢٤٧ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
- ٢٤٧ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ
- ١١٧٠، ١١٦٩ وَسَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا خُرُوجًا مَعَكُمْ
- ٩٢٧، ٥٨٥، ١٢٢ وَشَاوَرْتَهُمْ فِي الْأَمْرِ
- ٢٤١ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ
- ٤٥٥ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ نَّبِيِّ إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ
- ١٠١٦، ٧٦٩ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ
- ٢٢٨ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا
- ١٢٩ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
- ١١٠٤ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ
- ٧٧٠ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

- ١٢٩، ١٣٧ وَالْقَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ
- ١٠٩٢، ٧٥١ وَعِظْتَهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا
- ٦٨٧ وَعَلَّمْتُمْ مَالَهُمْ تَعَلَّمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ
- ١٠١ وَعَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُن تَعْلَمُونَ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا
- ٥٤٠ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَّتْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ
- ٧١٤ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ
- ٢٤٤، ٢٣١ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ
- ١١٦٧، ١١٦٦، ٧٧٠ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ
- ١٠٢١ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ
- ١٠٢١ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ
- ١٠١٦ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا
- ٨٥٢ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً
- ١٠٦٢ وَقَالَتِ الْيَهُودُ غَيْرُ آبْنِ اللَّهِ
- ١٠٦٢ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ دَخَنُ آبْنَاءِ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ
- ٤١٧ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا لَنَا قَطْعًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ
- ١٠٦٤ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَبُوا
- ١٠١٨ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا
- ١٠٦٢ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً
- ١٤٩ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُمْ نَارًا مَشُورًا
- ٨٥٢، ٧٤٩، ٩٥، ٨٨، ٧٢ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْتَبٍ
- ٩٨٧ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ

- ٧١٦ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ
- ٣٣٩ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا
- ١١٤ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْنَاهُمَا كَمَا رَحِمْتَ رَبِّيَ صَغِيرًا
- ١٠٩٦ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٢ ، ٧٥١ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا
- ٧٧١ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ
- ١٠٥٥ ، ١٠٥٤ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ
- ١١٤٣ ، ١١٣٦ ، ١١٣٤ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا
- ١٠٥٦ ، ٦٩٦ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْرَهَ شَيْءٍ جَدَلًا
- ١٠١٥ ، ٤٠٦ ، ٣١٨ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ
- ٦١٣ ، ٣٠١ ، ١٠١ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا
- ٩٢١ ، ١٣٢ ، ٣ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا
- ٣٠٨ وَكَلَّمْنَا بَرْتَكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا
- ٦٨٦ وَكُلِّ إِنْسَانًا أَلَمْنَاهُ طَلُوقَهُ فِي غُنْقِهِ
- ٧٦٠ ، ٥٤٦ وَكُلَّا هَصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبَّتْ بِهِ فَوَازَكَ
- ٨٤٠ وَكُلُّوا وَاشْتَرُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ
- ٨٢٥ وَكُلُّوا وَاشْتَرُوا وَلَا تَسْرِفُوا
- ٣٠١ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ
- ١٠٢١ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
- ١٠٢١ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَلَّىٰ يُؤْفَكُونَ
- ١٠٢١ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
- ١٠٠٦ ، ٤١٢ ، ٤٧ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَهَوْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ

- ١٠٥٦، ١٠٥٤ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
- ٤٩ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَى فِي جَهَنَّمَ
- ٥٢٦ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا
- ١٠١٦ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ
- ١٧٤ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ
- ١١٠٩ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا
- ١٠٩٧، ١٠٩٦ وَلَا تَطْعَمِ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ
- ٢٧٥ وَلَا تَهْرَبُوا الرِّبَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَسَاءَ سَبِيلًا
- ٥٠١، ٥١ وَلَا تَهْرَبُوا مَالَ الرِّبِيِّ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
- ٢٢٠، ٢١٩ وَلَا تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ
- ٦١، ١٢ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هَرَقُوا وَاخْتَلَفُوا
- ٢٢٠ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ
- ١٢ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَضَلُّوا وَتَذْهَبَ رِجَالُكُمْ
- ١١٢٢، ٥٢٢ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
- ١٠١ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ
- ١١٦٦، ١١٦٢، ١١١٧ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى
- ١١٢٦، ١١٢٥ وَلَا يَخْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ
- ١١٦٢ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنْفُسِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ أَلَمْ يَكُنْ
- ٧٧٠ وَلَا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ
- ١١٦٢ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا
- ٧١٥ وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ

- ١٨٤، ١٨٣ وَلَا يَسْتَفْعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادُوا أَنْ يَنْتَفِعُوا بِهِ
- ٧٧١ وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِآيَاتِهِ إِلَّا الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
- ١١٦٧، ١١٦٦ وَلَا تَضَعُوا حِلَالَكُمْ يَبْغُوا بِكُمْ الْفِتْنَةَ
- ١٣٢، ٦١ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
- ٦١٩ وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ
- ٢٤٥ وَقَدْ تَرَكَآءَاءُ آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ
- ٥٢٢ وَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعِدَّةً إِذْ تَخْشَوْنَهُمْ يَأْذِبُهُ
- ٧٦٨ وَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذِهِ الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ
- ٤١٦ وَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبِرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا
- ٦٨٤ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقِفَهُمْ أَعمالَهُمْ
- ٧٧٤ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
- ٢٤٢ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَرَزَقْنَاهُ فِي قُلُوبِكُمْ
- ١٢٣، ١١٦ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ
- ١٠٤٦، ١١٣، ١١٢ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّائِنًا
- ٢٨٦ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ
- ٢٩٦، ٢٨٧، ٢٢٥، ١٦٢ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا
- ٦٢٤ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا
- ٧٤٠ وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ
- ١٠٢٥ وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِطُونَ
- ٤٠٥ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ
- ٤١٦ وَكَلْبُوكُمْ حَتَّىٰ تَقْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ

- ٧٦٧ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ
- ١١٠٢ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ
- ١١٠٣ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
- ١١٠٢، ٢١٦ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا
- ١٠١٥ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ
- ١١١٢، ٥٦ وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا
- ١٠٠٠، ٤٧٧ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ
- ١٠٠٠ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا
- ١١١٢، ٥٨٥، ١٣٢ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ
- ١١٥٩، ١١٠٥، ١٠٨٥ وَلَوْ نَشَاءُ لَأرْتِفَاكُمْ فَلمَرْفَعَتِهِمْ بِسِيمَاءِم
- ١١٦٩، ١١٢٨ وَلِيَحْفَظُنَّ إِنَّا أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى
- ٥١ وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا
- ١١٤٣، ١١٢٤ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَاقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَمَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
- ١١٢٤، ١١٢٣، ٥٢٣ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
- ٨٩٦، ٣٦٠، ٣٥٩، ٣ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
- ٧٥٦ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا
- ٦٧٩، ٤٨٩، ١٣ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ
- ١٠٩٥ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ
- ٨٠٢، ٦١٦، ١٤٧ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ
- ٥٨٥ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
- ١٣٢، ٥ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا

- ٥٥٧ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ
- ٢١٢ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ
- ١١٣٦ ، ١١٣٤ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ
- ٩ وَمَا أَكْزَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ
- ٨٠٢ ، ٦١٩ وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْتَبُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
- ٢٤٩ ، ١٧٢ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ
- ٢٢٦ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ
- ٦١٩ ، ٣٠٩ ، ٣٠٦ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْتَبُونَ
- ٧٥٩ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
- ١٣٤ ، ١٢٨ ، ١٢١ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَرْكُبِي
- ٢١٩ ، ٢١٨ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ
- ٦٢٩ ، ٢٢٨ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَضِيعَ إِيْمَانُكُمْ
- ٧٣ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُتَوَلِّكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا
- ١٣٤ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً
- ٦١٤ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا
- ١٠١٨ ، ٢٩٤ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَشِيرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ
- ٤١٥ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا
- ١١٦٦ ، ١١١٧ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمُ هَضَمَاتِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
- ٧٧٠ وَمَا فَهَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَتْنِهِ
- ٧١٢ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا دَخَنُ فِتْنَةٍ
- ١١٥٩ ، ١١٢٠ ، ١٠٨٦ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ

- ٢٥٠ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ
- ٢٥٠ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ
- ٢٤٨ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً
- ٤١٥، ٥٨ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا
- ٢١٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا
- ٣٥٤، ٣١٧، ١٧٨ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ
- ١١٦٧ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
- ٦٤٧ وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوْتِيَ خَيْرًا كَبِيرًا
- ١٤٩ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ
- ١٠٠٠ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
- ٦٥٠، ٤٠، ٢٨ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ
- ١٩٠ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ
- ٦٤ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
- ٦٤ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا
- ٧٧٤، ٦٤ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
- ٢٦٦ وَمَنْ يَعْتَسِفْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ هَبِيسًا لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ
- ١٤٩ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ
- ٥٦ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَلَنَارُ مَوَاعِدُهُ
- ٧٧٠ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً
- ١١٦٣ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ يَأْتِيَنَّاهُمْ فَصَلَّاهُمْ لَنْصَلِّقَنَّ
- ١١٠١ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا

- وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أُنزِلَ لِي وَلَا تَقْتِنِي ١١٧٠، ١١٠٣
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ١١٧١
- وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ٦٦٩
- وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ٧٤٧، ٦٤٣، ٢٢٢، ٧٦
- وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ٨٥٢، ٧٤٩، ٧٢
- وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٢٢٢، ٧٦
- وَنُودُوا أَن تِلْكَمُ الْبَحَّةُ أَوْ رُحْمُوها بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٦٨٤
- وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ٧٦
- وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٧٦
- وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ٢٤٢
- وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ١٣٤، ١٢٨، ١٢٣
- وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ٥٢
- وَيَخْلُقُونَ بِاللَّهِ إِهْمًا لِمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ ١١٦٩، ١١٦٤
- وَيَخْرُجُونَ لِلأَذْقَانِ يَسْكُونُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ٢٢٢، ٧٥
- وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ٥٢٢
- وَيُرِيدُكُمْ أَيَاتِهِ فَلْيَأْتِ أَيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ٢٥١
- وَيُرِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ١٩٤
- وَسَأَلُونكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ١٠٤٨
- وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَبْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ١٨٢
- وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٦٤٧

- وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ١١٨، ١١٧، ١١٦، ١٠٢، ٧٠، ٥٨، ٥٥، ٤٩
- ٨٢٧، ٦٦٩، ٦٤٧، ١٣٥، ١٣٣، ١٣٢، ١٢٤
- ١٨٢ وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُتْلَسُ الْمُجْرِمُونَ
- ٥٢٤ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُرُوتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا
- ١٠٤٦ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
- ١٠٦١ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ
- ١٠٦٠ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ
- ١٠٦٠ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ
- ٨٢٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ
- ١٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
- ١١٣٤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْذِلْكُمُ عَلَى أَعْقَابِكُمْ
- ٥١٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ
- ١٠٧٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
- ٣٦١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
- ٣٦١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ
- ٣٦١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ
- ٥١٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَهْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى
- ١١٣٤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا
- ٥٥٧ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ
- ٣٧٢، ١٣٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ
- ١٠٧٤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ

- ١٠٦٠ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا دَرَأْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ
- ٢٦ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا
- ٩٩٩، ٦٧٠، ٦٦٩، ٥٨، ٥٥ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
- ٩٨٢، ٩٨١، ٤١٥، ٢٠٢، ٢٥٨ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ
- ٢٩٤ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
- ٦١٩ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ
- ٧٥١ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ
- ١٠٩٦ يَا أَيُّهَا النَّسِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ
- ١١٢١، ١١١٢، ١١١١، ١٠٧٣، ١٠٣١، ٥٧ يَا أَيُّهَا النَّسِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ
- ١٠٦١ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ
- ٤١٥ يَا بَنِي آدَمَ اقِمُوا الصَّلَاةَ وَآمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ
- ٨٢١ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا كِتَابَ بَيْتِكُمْ
- ١١٧١، ١١٣١، ١١٠٤ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ
- ١١٦٩ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ
- ١١٦٩، ١٠٨٠ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَكَذَّبُوا قَوْلَهُمْ كَلِمَةً الْكُفْرِ
- ١١٦٩ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ
- ٦٧٩ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ
- ٥١٦ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
- ٢٣٤ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا
- ١١٧٠ يَتَذَكَّرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ
- ٢٩٤ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا

١٨٩، ١٨٨	يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ
١١٤٣، ١١٣٦، ١١٣٤	يَقُولُونَ يَا فَوَهِيمٌ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
١٥٧، ١٥٥، ٣	الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
٣٢٧	يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ الْكُتُبِ
١١٠٥	يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا
٣١٩	يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
١٠١٦	يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا



فهرس الأحيث

الشريفة

فهرس الأحاديث الشريفة

- أَيْنَ مَنْ حَوْلَكَ ٦٠٤
- الآن قَدِمْتَ ؟ ٦٠١
- أَمْرُكُمْ بِأَرْبَعٍ ، وَلِنَهَاكُمْ عَنْ لَرْبَعٍ ٩٩١
- الآن يَا عُمَرُ ٣٦٧
- آيَةُ الْمَنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِنَّا حَدَّثَ كَذَبٌ ١١٦٢
- أَنْتِ لَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ فَأَخْبِرْتُمَا ٤٦٢
- اِقْتُونِي لِكْتُبِ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَصِلُوا بَعْدِي ٥٠٢
- اِقْتُونِي بِأَعْلَمِ رَجُلَيْنِ مِنْكُمْ ١٠٧١
- اِقْتُونِي بِأَمِّ خَالِدٍ ٦٠٧
- اِقْتُونِي الْعَشِيَّةَ لِبَعَثِ مَعَكُمْ الْقَوِيَّ الْأَمِينِ ١٠٦٧
- أَبَايَحُكُمْ عَلَى لَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ٩٩١
- أَبْشُرُوا آلَ عَمَارٍ وَآلَ يَاسِرٍ فَإِنْ مَوَّعَكُمْ الْجَنَّةَ ٥٢٩
- أَبْشُرِي يَا عَائِشَةُ فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بِرَأْسِكَ ١١٥٧
- أَبِي وَأَخْلِقِي ٦٠٨ ، ٦٠٧
- أَبْهَذَا أَمَرْتُمْ ؟ أَمْ بِهَذَا بَعَثْتُمْ إِلَيْكُمْ ٦٩٨
- أَبُوكَ حَذَافَةٌ ٦٦٦ ، ٤٤٨
- أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ ٤٤٨
- أَبَيْتُمْ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَنَا الْحَاشِرُ ١٠٥٨
- أَتَانِي جَبْرِيْلٌ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مِنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ٦٢٥
- أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ ، فَذَهَبَتْ مَعَهُ فَقَرَأَتْ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ٩٩٠

- أتبع جملتك ؟ ٦٠١
- أتجدون في كتابكم الرجم ؟ ١٠٧٢
- أتحبه لأملك ؟ ٧٦٤، ٢٧٥
- أتدرون ما هذا ؟ ٢٤١
- أتدرون ما يقول ؟ قال : السام عليك ١٠٧٠
- أتذري أين تذهب ؟ (يعني الشمس) ٢٤١
- أتذري ما أراد بي المنافقون وما هموا به ؟ ١١٢٨
- أتذري يا أبا يحيى ١١٢٨
- أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون ٤٧٩، ٤٣٠
- أترون هذه طارحة وأدها في النار ؟ ٧٤٠
- أتسمعون يا معشر قرينش ؟ ٩٩٦
- أتق الله حيثما كنت ٧٧٥
- أتق الله وأمسك عليك زوجك ٧٤٨
- أتقروهن عن ظهر قلبك ؟ ٨٧١، ٨٦٩
- اتقوا الله ، وعليكم بالسمع والطاعة ٢٢٦
- اتقي الله يا حفصة ٥٩٩
- أتيت ليلة أسري بي على قوم تفرض شفاهم ٦٩٢
- اجتمعن يوم كذا وكذا ٧٤٢
- أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل ٤٠١
- أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل ٩٥١، ٨٢٤، ٦٨٥، ٢٩١
- أحب الحديث إلى أصدقائه ، فأختاروا إحدى الطائفتين ٥٨٠
- أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل ٧٥٨
- أحب الناس إلى الله تعالى : انفعهم للناس ٤٦٠، ٢٧٩

- ٤٩٥ احسبوا هذا اللبن بيوتنا
- ٤٥٧ احشوا في وجوه المداحين التراب
- ٨٢٠، ٢١٦ احرسن على ما يتفعلك ، واستعين بالله ولا تفجز
- ٧٢٩ احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلاث القرآن
- ٧٧٦، ٢٠٥، ١٧٢ احفظ الله يحفظك
- ٨٦٦ احفظوه ، وأخبروه من وراءكم
- ١٠٥٠ أخبرني بون جبريل أنفا
- ١٠١٢ أخبروا مالكا إنه إن لتاني مسلما رددت إليه أهله وماله
- ٢١٥ أخبروه أن الله نجبه
- ١١٠٩ أخز عني يا عمر
- ١٠٦٧ أخرج معهم ، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه
- ٦٠٢ أخرج من عندك
- ٥٠٢ أخرجوا المشركين من جزيرة العرب
- ٢٦٥ إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم
- ٥٠٦ ادع خابزة فلتخبز معي
- ٤٦١ ادع غرماك فأوفهم
- ٧٤٨ ، ١٤٢ ادعهم إلى شهادة إن لا إله إلا الله
- ٧٦٤ ، ٢٧٥ ادنئة ... فدنا منه قريبا
- ٧٩١ إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة
- ٢٧٤ إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه إياه
- ٢٧٠ ، ٢٦٩ إذا أحب الله عبدا غسلة
- ٢٧٠ إذا أراد الله بعبده خيرا استعمله
- ٤٤١ إذا أراد الله بعبده خيرا أدخل عليهم الرفق

- ٤٩٧ إذا استصَحَّ لحدكُم آخاه فليتنصَح له
- ٤٣٩ إذا لم أهدكُم الناس فليخفف
- ٧٧٤ ، ٧٠٢ ، ٢٩٨ إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم
- ٧٥٨ إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم
- ٧٩٢ إذا أمن الإمام فأمنوا
- ٤٦١ إذا جدتكم فوضعتكم في المرزب أدنت رسول الله ﷺ
- ٨٠٦ إذا جمع الله الناس يوم القيامة ؛ ليوم لا ريب فيه
- ١١١٢ إذا زنت أمة أهدكُم فليجلدها الحد ولا يترب عليها
- ٢٠٥ ، ١٧٢ إذا سألت فاسأل الله
- ١٠٧٠ إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا
- ٧٨٩ إذا شك أهدكُم في صلاته ، فليتحز الصواب
- ٥٨٤ إذا صلى لهدكُم للناس فليخفف
- ٥٠٢ إذا طبخت مرقا فأكثر ماء
- ٦٤٣ إذا عطس أهدكُم فليقل
- ٧٩٢ إذا قال الإمام ؛ سمع الله لمن حمده ، فقولوا
- ٧٩٢ إذا قال الإمام ؛ غير المغضوب عليهم
- ٨٩٨ ، ٨٧٠ ، ٩٠ إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار نكرة
- ٥٢١ إذا قمت إلى الصلاة فكبر
- ٩١٢ إذا كانت عليكم أمراء بأمرؤكم بالصلاة والزكاة
- ٤٢٩ إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما
- ٤٠٩ إذا مات أهدكُم فإنه يعرض عليه مقعدة بالفداء والغشي
- ٤٦٦ إذا ماتت فأذنبوني
- ٢٤٤ إذا مر بالطفة يتتان وأربعون ليلة

- ٨٦٢، ٧٠٢، ٢٩٨ إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَأَجْتَنِبُوهُ
- ٧٥٨ إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ
- ٦٤٢ إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رُكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ
- ١٠٧١ اذْكُرْكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي نَجَّاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ
- ٤٦٥ اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ : إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أُمَّةِ النَّارِ
- ٤٦٨ اذْهَبِ النَّاسَ رَبِّ النَّاسِ
- ١٦٢ اذْهَبْ بِنِعْلِي هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ
- ٤٧٢ اذهبوا به ، فاقطعوا عني لسانه
- ٧٩٤ اذريت إذا منع الله القمركة ، بم يأخذ أحدكم مال أخيه ؟
- ٧٦٦ اذريت لو كان على أمك دين لكنت قاصيته ؟
- ٩٨٧ ، ٥٧٤ ، ٨٢ اذريتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي
- ١٠١٨ اذريتكم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل ، لكتتم مصدقي ؟
- ١٠٥٠ اذريتكم إن أسلم عبد الله بن سلام ؟
- ٥٢٢ اذريتكم لو أن نهرا بباب أحدكم يتقسل منه
- ١١٦١ اذرع من كن فيه كان منافقا خالصا
- ٥٨٢ اذرع إليها فأخبرها : إن لله ما أخذ
- ٥٢١ اذرع فصل ، فإنك لم تصل
- ٥٨٥ ، ٤٢٨ اذرعوا إلى أهليكم ، فعلموهم
- ٦٦٢ اذرعوا فكونوا فيهم ، وعلموهم
- ١٦٨ ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء
- ١٥٢ أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوتان
- ٤٤١ أرفقي ، فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيرا دلهم على باب الرفق
- ٢٣١ ازهد في الدنيا يحبك الله

- ٤٨٥ استأبنت فلانا ؟
- ٨٦٦ استذكروا القرآن ، فإنه أشدُ تفصيلاً من صدور الرجالِ
- ٨٩٧ ، ٨٦٦ استذكروا القرآن ، فلهو أشدُ تفصيلاً
- ٣٧٠ استعد للفاقة
- ٧٨٤ استقروا القرآن من أربعة
- ٦٢٦ ، ١٨٤ أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه
- ٩٩٣ ، ١٩٨ الإسلام ؛ أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ
- ٦٢٤ الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً
- ١٠٧٢ أسلموا تسلموا ، واعلموا أن الأرض لله ورسوله
- ٢٥٠ أشد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد
- ٢٥٢ أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله
- ٤٧٠ اشتقوا توجروا
- ٤٦٩ اشتقوا فلتتوجروا ، وليقض الله على لسان نبيه ما أحب
- ١١٢٥ اشتقت عن بطنه ؟
- ٢٦١ أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
- ٦٢٤ أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص
- ٥٢٩ اصبروا آل ياسر موعدكم الجنة
- ١١٣٧ اضرب الراحلة يا حذيفة ، وامش أنت يا عمار
- ٥٣١ أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قديم بشيء ؟
- ٧٤٦ أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء ؟
- ٤٠٩ أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت
- ٥٨٧ أظفوني رديني
- ٥٧٩ أظفوه سناً مثل سنه

- ٥٧٩ أفطوه ، فإن من خفركم أهنكم قنء
- ٣٧٤ أفمفة ؟
- ١٠٥٦ أفموا أنما الأرض لله ورسله
- ٦٩١ أفني على نفسك بكثرة السجود
- ٨٢٤ أفتم خمساً قبل خمس
- ١٠٢٣ أفزوا باسم الله في سبيل الله
- ١٠٢٣ أفزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا
- ٤٨٧ أفان يا معاذ
- ٧٦٤ ، ٢٧٥ أففة لابنك ؟
- ٨ أفرفت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة
- ١٠٥٧ أفرايتم إن أسلم ؟
- ٧٧٩ ، ٣٧٨ ، ٣٦٠ أفشوا السلام بينكم
- ٣٨٨ أفضل الدعاء : الحمد لله
- ٣٨٨ أفضل الذكر : لا إله إلا الله
- ٥٦٦ أفضل الصيام بعد رمضان : شهر الله المحرم
- ٢١٠ أفضل المؤمنين : رجل سمح البيع سمح الشراء ...
- ٥٣٦ أفلا أبشرك بما لقي الله به لباك ؟
- ٥٦٠ أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً ؟
- ٤٤١ أفلا تنقي الله في هذه البهيمة
- ٦٠١ أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؟
- ٤٦٤ أفلا كنتم أذنتموني ؟
- ٤٨٥ أفنلت من أمه ؟
- ٧٨٩ ، ٦٦٧ لفي القوم أبي بن كعب ؟

- اقتدوا باللذين من بعدي ، لبي بكر وعمر ٨٢٩ ، ٦٥٠ ، ٦٤٩
- اقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ ٤٤٥
- أقذ قضي ؟ ٥٨٢
- اقرأوا القرآن ما اتلفت عليه قلوبكم ٧٠٠
- اقرأ علي ٧٨٨
- اقرأ القرآن في أربعين ٨٧
- اقرأ القرآن في شهر ٨٨ ، ٨٧
- اقرأ قل يا أيها الكافرون ١٨٨
- اقرأ : والشمس وضحاها ، وسبح اسم ربك الأعلى ونحوها ٤٨٦
- اقضوا الله الذي له ٧٦٦
- أقيموا الصلوة ، وحاذوا بين المتكيب ٧٥٢
- اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ١٠٠٩
- اكتب ، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق ٩٠٢
- اكتب : من محمد بن عبد الله ١٠٠٩
- اكتب ، من محمد رسول الله ١٠٠٩
- اكتبوا لأبي شاه ٩٠٢
- اكتمام ، فانطلق إذا أصبحت فاجمعهم لي ١١٢٨
- اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون ٢٨٩
- الأكثرون أمولا ، إلا من قال هكذا ، وهكذا ٧٧٨ ، ٦٦٧
- اكره أن يتحدث الناس ويقولوا : إن محمدا قد وضع يده في أصحابه ١١٢٨
- أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ٨١٤ ، ٢٠٩
- ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله ؟ ٢٨٩
- ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه ؟ ٦٢٠

- ٦٣٠ الا اخبرك بملاك ذلك كله ؟
- ٧٥١ الا اخبركم باكثر الكتاب ؟
- ١٠٢٤ الا اخبركم بخير الناس منزلة ؟
- ٢٧٩ الا اخبركم بالمؤمن ؟
- ١٨٧ الا اخبركم بما هو اخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟
- ٥٦٧ الا اخبركم بما يذهب وحر الصدر ؟
- ٦٦٤ الا اخبركم عن النقر الثلاثة ؟
- ٦٣٠ الا اذك على ابواب الخير ؟
- ٧٥٠ الا اذككم على ما يمنحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟
- ٤٥٢ ، ٤٢٨ الا استحي من رجل تستحي منه الملائكة
- ٨٩١ الا ان ربي امرني ان اعلمكم ما جهلتم
- ٢٤٢ الا ان الناس لم يؤتوا في الدنيا شيئاً خيراً من اليقين والعافية
- ٢٨٨ الا انبئكم بخير اصنافكم ، ولزناها عند مليككم
- ٧٢٩ الا انها تغدو ثلث القران
- ٦٤٩ الا اني اوتيت الكتاب ومعه
- ٤٧٤ الا اي بلد تعلمونه اعظم حرمة ؟
- ٤٧٤ الا اي شهر تعلمونه اعظم حرمة ؟
- ١٧٥ الا تبأيعون رسول الله ؟
- ١٨٠ الا تسلم فاعلمك كلمات ؟
- ٥٨٢ الا تستمعون ؟ ان الله لا يعذب بدمع العين
- ٩٩٨ الا رجل يحيلني الى قومي ؟
- ٢٤٩ الا فلا تتخذوا القبور مساجد
- ١٤٩ ، ١٢١ الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله

- ٢٤٩ ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون
- ٦٤٩ ألا يوشك رجل شفتان على أريكته يقول
- ٥٢٨ إلام يضحك أحدكم مما يفعل ؟
- ١٠٢٥ الذي يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله (لكمل المؤمنین إيماناً)
- ٨٨٩ ألسنت تاكل الميتاع ؟
- ١٠٤٢ ، ٨٨٩ ألسنت ترأس قومك ؟
- ٢٢٦ أليس لكم في أسوة ؟
- ٢٧٤ ، ١٨٠ أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه
- ١١٢٩ ، ١١٢٤ أليس يظهرون أني رسول الله ؟
- ١١٢٩ ، ١١٢٤ أليس يظهرون شهادة لن لا إله إلا الله ؟
- ١٠٥٨ أما أيقا فتفتنون عليه من الخير ما أفتيتكم
- ٦٦٤ أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله
- ٦٠٥ أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين
- ٦٠١ أما إنك قادم ، فإذا قدمت فالكيس الكيس
- ١٠٥٠ أما أول أشراط الساعة ؛ فنار تخشع الناس
- ١١٥٦ أما بعد لشيروا علي في أناس لبتوا
- ٥٨٠ أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء قد جاءونا تائبين
- ٢ أما بعد ؛ فإن خير الحديث كتاب الله
- ٤٣٢ أما بعد فوالله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل
- ١١٥٦ أما بعد يا عائشة إن كنت قارفت سوءا ، لو ظلمت ، فتوبي إلى الله
- ٤٣١ أما ترضون لن يزجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم ؟
- ٥٥٥ أما لكم في أسوة ؟
- ٢٤٢ أما مررت بوابك محلاً

- ٩٩٦ أما والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بالذبح
- ٥٦٠ ، ٥٥٥ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له
- ١١٢٠ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله
- ١٠٢٩ ، ٦٢٣ ، ٦١٣ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله
- ٦١٨ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله
- ٦٩٧ ، ٥٣ إن أبغض الرجال إلي الله الألد الخصم
- ٢٨٤ إن اتقاكم وأعلمكم بالله أنا
- ١١٦٣ إن أثقل صلاة على المنافقين : صلاة العشاء ، وصلاة الفجر
- ٥٦٧ ، ٣٩١ إن أحب الصيام إلى الله صيام داود
- ٣٨٩ إن أحب الكلام إلى الله سبحانه الله ويحمديه
- ٣٤٤ إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً
- ١٨٧ إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر
- ١٠٤٨ إن اسمي محمد الذي سمي به أهلي
- ٢٥٢ إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصرون
- ٢٥٢ إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة
- ٧٠٤ ، ٦٧٤ إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه
- ٣٧٠ ، ٣٦٩ إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال
- ٣٧١ إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم
- ٧٨١ إن الله أمرني أن أقرئك القرآن
- ٧٨١ إن الله أمرني أن أقرأ عليك
- ٩٨٤ إن الله بعثني إليكم ، فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدق
- ٣٧٠ إن الله تعالى ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحميه
- ٣٣٥ إن الله تعالى يصنع كل صنعة وصنعتة

- ٤١٠..... إن الله خلق الرحمه يوم خلقها مائة رحمه
- ٤٢٩..... إن الله رفیق حب الرفق
- ٦..... إن الله زوى لى الأرض
- ١٠٠١..... إن الله لا خلق خلقه فى ظلمة
- ٨٠٥..... إن الله كتب الحسنات والسئآت ثم بین ذلك
- ٦٦٨..... إن الله كره لكم ثلاثا
- ٦٥٠..... إن الله لا یجمع أمتى أو قال أمة محمد ﷺ على ضلالة
- ٥٨٢..... إن الله لا یعذب بدمع العين
- ٨٥٧..... إن الله لا یقبض العلم لتزاعا یتزاعه من العباد
- ٧٠٢، ٦٧٢..... إن الله لم یبعثنى معتبا ولا متعتتا
- ٢١٨..... إن الله لیملى للظالم حتى إذا أخذة لم یقلعه
- ٧٠٥، ٦٨٢..... إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضین حتى النملة فى جحرها
- ٥٩٤، ٤٢٩..... إن الله یحب الرفق فى الأمر كله
- ٢٧٢..... إن الله یحب العبد التقی، الفنی، الخفی
- ٨٦٨..... إن الله یرفع بهذا الكتاب لقواما، ویضع به آخرین
- ٢٧٥..... إن الله یقول يوم القيامة
- ٢١٧..... إن الله یلوم على العجز
- ٨٤٥، ٨٢٧..... إن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال
- ٤٥٢..... إن آمن الناس على فى ماله وصحبته أبو بكر
- ٦٨٠، ٦٧٤..... إن الأنبياء لم یورثوا دینارا ولا درهما
- ٤٤٧..... إن الأنصار كرشى وعیبتى
- ٤٠٨..... إن المؤمن أهل النار عدابا
- ٧٦٢..... إن أول ما نبدأ به فى يومنا هذا أن نصلی

- ٨٠٣..... إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه
- ٢٤٩..... إن أولك إذا كان فيهم الرجل الصالح ، فمات
- ٢٤٢..... إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب
- ٤٥٢..... إن بئسكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون
- ٨٠٥..... إن بالمدينة لقواماً ما سيرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم
- ٢٥٢..... إن النبي الذي فيه الصوز لا تدخله الملائكة
- ١٧٩..... إن تجعل لله نداً وهو خالقك (اعظم الذنب)
- ٩٩٢ ، ٦٣٤ ، ١٩٨ ، ١٩٠ ، ١٢٧..... إن تعبد الله كأنك تراء (الإحسان)
- ٨٩٧ ، ٧٨٠ ، ٦٧١..... إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة
- ١٠٠٥..... إن الحمد لله نحمده وتستعينه
- ٦٠١..... إن خياركم أحسنكم قضاء
- ١٠٢٦..... إن دعوت هذا العذوق من هذه النخلة ، أتشهد لني رسول الله ؟
- ٤٧٠..... إن الرجل ليسألني الشبهة فأمعنه ، حتى تشققوا فيه فتقجروا
- ٤٦٤ ، ٣٧٥..... إن رجلاً زار لخالاً له في قرية أخرى
- ٤٨٠..... إن رسول الله ﷺ نهى عن النجس
- ٤٢٩..... إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه
- ١٠٢٨..... إن سياحة أمي : الجهاد في سبيل الله تعالى
- ٣٤٢..... إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد
- ٧٤٥ ، ٦٧٥..... إن طالب العلم لتحف به الملائكة وتظله بأجنحتها
- ٧٤٢..... إن طول صلاة الرجل ، وقصر خطبته ، مكنة من فقهه
- ٤٢٩..... إن عثمان رجل حبي
- ١٠٦٨..... إن العذاب قد أظلم نجران
- ١٠٢٥..... إن في الجنة مائة درجة

- ٥٨١..... إن فيك خصلتين يحبهما الله
- ٨١٤، ٣٧٣..... إن فيك لخصلتين يحبهما الله
- ٤٣١..... إن قرئنا حديث عهد بجاهلية ومصيبة
- ٤٥٦..... إن كان لحدنكم مابحا لا محالة فليقل
- ٧٨٥..... إن لكل أمة أمينا
- ٨٦٧..... إن لله أهلين من الناس
- ٣٢٢، ٣٢٥..... إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما
- ٧٧٣..... إن المؤمن للمؤمن كالبنيان
- ١٠٩١..... إن الماء قليل ، فلا يسبقني إليه أحد
- ٤٩٧..... إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل
- ٣٧٩..... إن المسلم إذا عاد أخواه المسلم لم يزل في خرقة الجنة حتى يزجج
- ٤٢٧..... إن المسيح الدجال رجل قصير أفحج
- ٧٠٤..... إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته
- ٤٢٩..... إن من إجلال الله إكرام ذي الشئبة المسلم
- ٧٠١، ٥٩٧..... إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة
- ٩١٥..... إن من أشرط الساعة ثلاثا : إحداهن أن يلمس العلم عند الأصغر
- ٣٧٧..... إن من الإيمان أن يحب الرجل رجلا لا يحبته إلا لله
- ٧٧١..... إن من البيان سحرا
- ٥٩٦..... إن من خياركم أحاسنكم أخلاقا
- ٤٧٩..... إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء
- ٧٤٦..... إن من نعمة الله عليكم أنه ليس أحد من الناس يصلي هذه الساعة غيركم
- ٨٢٦..... إن المنبت لا لرضا قطع ولا ظهرا أبقى
- ٤٠٧..... إن منهم من تأخذ النار إلى كعبيه

- ٥٦٨ إن النبي ﷺ حج ثلاث حجج
- ٥٥٩ إن هذا أتاني وأنا نائم ، فأخترط ستيقي
- ١٠١٤ إن هذا اخترط ستيقي وأنا نائم
- ٨٢٦ إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق
- ٦٦٢ إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس
- ٤٦٤ إن هذه القبور مملوءة ظلماً على أهلها
- ١٣١ أن يعلم أن الله ﷻ معه حيث كان
- ١٠٧٥ إنا إذا نزلنا بساحة قوم
- ٢٨٧ ، ٢٨٤ أنا أعرنكم بالله واشدكم له خشية
- ١٠٤٣ ، ٨٨٩ أنا أعلم بدينك منك
- ٣٦ أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم
- ١٠٠٤ أنا رسول الله ، بعثني إلى العباد أدعوهم
- ٧٠٠ أنا زعيم بينت في رخص الجنة لمن ترك المرأة وإن كان محققاً
- ١٠٣٦ أنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وهاجر بينت في رخص الجنة
- ٨٧٠ أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة
- ٥٩٢ إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً
- ٥٨٠ إنا لا ندري من أين منكم في ذلك
- ٥٩٢ إنا لم نقض الكتاب بعد
- ٢٤٨ أنا محمد عبد الله ورسوله
- ١٤٨ إنا معشر الأنبياء ديننا واحد
- ٥٧٨ ، ٥٠٦ إنا نازل
- ١٠٠٥ ، ١٥٣ إنا نبي
- ٥٨٨ أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

- ٤١٨..... الأنبفاء ثم الأمثل فالأمثل (لشد الناس بلاء)
- ٣٦٦..... أنت مع من أحببت
- ٤٥٣..... أنت منى بمنزلة هارون من موسى
- ٧٩٠..... أنتم أعلم بأمر دنياكم
- ٥٦٠، ٥٥٥..... أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟
- ٤٧٩، ٤٣٠..... الأنصار شعار ، والناس دثار
- ١٠٧٢، ١٠٥٦..... انطلقوا إلى يهود
- ٤٩٦..... أنظرت إليها ؟
- ٣٩٦..... انظروا إلى من أسقل منكم
- ٥٤٢، ٣٨٢..... انظروا هذين حتى يصطلحا
- ١٠٧٦..... انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم
- ٤٨٥، ٣٧٩، ٣٦٥..... إنك امرؤ فيك جاهلية
- ٣٨٤..... إنك تقدم على قوم أهل كتاب
- ١٠٤١، ٩٩٠..... إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب
- ١٥٣..... إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا
- ٥٩٩..... إنك لابنة نبي ، وإن عمك لنبي
- ٤٥٦..... إنك أسئت منهم
- ٨٤٠، ٧٩٨..... إنك لعريض القفا إن لنبصرت العيظين
- ٤٧٩، ٤٣٠..... إنكم ستلقون بغدي لفره
- ٣٥٧..... إنكم لتركبن سنن من كان قبلكم
- ٣٨٤..... إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أحب إليه من شيء خرج منه
- ١٠٦٥..... إنكما لم تسلما فأسلما
- ٨٠١، ٧٧٦، ١٨٦..... إنما الأعمال بالنيات

- ٨٠٢ إنمأ الأعمال بالنفة ، وإنمأ لامرئ ما نوى
- ٤٧١ إنمأ لنا أشقغ
- ٧٩٠ إنمأ لنا بشر ، إذا أمرتكم بشئ من دبتكم فخذوا به
- ٧٠٨ ، ٦٧٢ إنمأ لنا لكم مغل الوالد لوأده أعلمكم
- ٢٩٨ إنمأ أمالك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم
- ٨١٢ ، ١٢١ إنمأ بعثت لأتمم صالح الأخلاق
- ٥٨٤ إنمأ بعثتم ميسرين
- ١١٠٨ إنمأ خيرني الله فقال
- ٧٧٧ إنمأ الدنيا لأربعة نفر
- ٨٦٩ إنمأ مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة
- ١٠٢ إنمأ هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم
- ٢٠١ ، ٧٢ إنمأ هما اثنتان : الكلام والهدى
- ٦٦٢ إنمأ هو التسييح والتكبير وبراءة القرآن
- ٥٨٢ إنمأ يزحم الله من عباده الرحماء
- ٧٦١ إنه قد أوحى إلي أنكم تكفنون في القبور
- ٤٥٠ إنه قد شهد بدرا
- ٥٨٦ ، ٤٤٠ إنه لا ينبغي لن يعذب بالنار إلا رب النار
- ٥٨٨ ، ٥٠٨ إنه لبحر
- ٧٨٩ إنه لو حدث في الصلاة شئ لنبأكم به
- ٥٨٥ ، ٢٠٩ إنه ليس برحمة لحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة الناس
- ٦٨٢ إنه ليس كفر للعالم من في السموات ومن في الأرض
- ٥٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٦٨ إنه ليغان على قلبي
- ١٠٤٢ أنه ما يمنعك لن تسلم خصاصة تراها ممن حولي

- ٢٥٢ إنها حبة لبيك
- ٥٦٢ إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء
- ٥٩٢ إنها كانت ، وكانت ، وكان لي منها ولد
- ٤٩٤ إني أرجو أن تكون أحبكم لله ، وأعلمكم بما نتقي
- ١٠١١ إني أعطي قرينًا لتالفهم ، لأنهم حديث عهد بجاهلية
- ١٠١٢ إني أعطي قومًا أخاف ظلمهم وجزعهم
- ١١٤٧ إني لكره أن يتحدث الناس ويقولون : إن محمدًا قد وضع يده في أصحابه
- ١١٢٨ ، ١١٢٤ إني لكره أن يقول الناس : إن محمدًا لما انقضت
- ١٠٠٦ إني أمرت بالعرف ، فلا تتأثروا
- ١١٠٩ إني خيرت فأخترت
- ٤٦٢ إني قد أذن لي بالخروج
- ٤٢٧ إني قد حذرتكم النجال
- ٧٢٩ إني قلت لكم : ساقرا عليكم فث القرآن
- ٥٧٢ ، ٥١٠ إني لا أقول إلا حقًا
- ٤٢٢ إني لأحبك يا معاذ
- ٤٤٠ إني لأدخل الصلاة أريد إطالتها
- ٢٦٨ إني لأستغفر الله لكتر من سبعين مرة
- ٥٦٩ ، ٢٧٠ إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة
- ٤٢٧ إني لأعطي الرجل وغيرة أحب إلي منه
- ٦٠٥ إني لأعلم إذا كنت عني راضية ، وإذا كنت علي غضبي
- ٥٢٧ إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد
- ٥٨٢ إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها
- ٥٩١ إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة

- ١١٢٠ ، ١٠٩١ ، ٤٤٥ إنبى لَم أومز لن أنقب عن قلوب الناس
- ٤٨٧ إنبى ومعاندا حول هاتين
- ٤٥٦ أهلكم لو قطعتم ظهر الرجل
- ٢٩٢ أو غير ذلك ؟
- ٤ أوثق عرى الإيمان : ... والحب في الله ، والبغض في الله
- ٢٦١ أوثق عرى الإيمان : الموالاة في الله ، والحب في الله
- ١٥٢ ، ١٥٠ أوسعوا للشيخ
- ٧٦٢ ، ٢٧٥ أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول
- ٧٥٢ ، ٢٩٨ أوصيكم بتقوى الله ، والسنع والطاعة
- ٥٠٢ أوصيكم بثلاث : لخرجوا المشركين من جزيرة العرب
- ٢٥٥ أووف بذكرك ، فإنه لا وفاة لنذر في مغبة الله
- ٤٠٩ أوول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر
- ٢٤٩ أوولئك شركاء الخلق عند الله يوم القيامة
- ٧٧٩ ، ٢٧٨ ، ٢٦٠ أولا أدلكم على شيء إذا فلقتموه تحاببتم ؟
- ٥٩٤ ، ٢٢٩ أولم تسمعني ما قلت ؟
- ٩٨٢ أومخرجني هم ؟
- ٢١٠ أي الإيمان أفضل ؟ قال : ((حلق حسن
- ١١٥٤ أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك ؟
- ١٠٥٠ أي رجل عبد الله فيكم ؟
- ١٠٠٨ أي سغد ! ألم تسمع إلي ما قال أبو حباب ؟
- ١٠٢٠ أي عم ، إنك أعظم الناس علي حقا
- ١٠١٩ أي عم ، قل : لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله
- ١٠٩٩ أي عمر ، لكنت قاتله لو أمرتك بقتله ؟

- ٢٨٩ أي الكلام أحب إلى الله ﷻ ؟ قال : ما اصطفاه الله لملائكته
- ٨٧٠ أي هؤلاء أكثر أخذاً للقران ؟
- ٤٥٦ إيمانكم والتمازح فإنه الذئب
- ٢٨١ إيمانكم والظن
- ٧٨٤ إيمانكم ينسبط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا
- ٧٢٠ إيمان رجل من أمي سببته سنة
- ٦٢٧ إيمان بالله وجهاد في سبيله (أي الفصل أفضل ؟)
- ٦٢٤ الإيمان بالله وملائكته والكتب والنبين وتوطين بالقدر
- ٩٩٤ ، ٢٠٠ الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة
- ٢٠٢ الإيمان بضع وسبعون باباً
- ١٠٢٦ أين تريد ؟
- ٥٧٢ أين السائل عن قضى نهبه ؟
- ١٠٤٩ أينفك شئ إن حدثتلك ؟
- ٧٩٤ أينقص الرطب إذا يبس ؟
- ٦٢٤ أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا
- ٢٤٠ ، ١٨٧ أيها الناس ، اتقوا هذا الشرك
- ٨٧٠ أيهما أكثر أخذاً للقران ؟
- ٨٦٦ بفس ما لأحدهم لن يقول ، نسيت آية كيت وكيت
- ١٠٠٥ بأن يعبد الله وتكسر الأوثان (لمن سأله بما أرسلك ؟)
- ٢٨٢ بحسب امرئ من الشر لن يحقر أخاه المسلم
- ٦٦١ بخ بخ لقد سألت بعظيم
- ٦٥٧ بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ
- ٢٠٩ البدء من الجفاء ، والجفاء في النار

- ٢١٠..... البذافة من الإبمان
- ٩١٥..... البركة مع لكابركم
- ٧٤٦..... بَشُرُوا وَلَا تَتَفَرُّوا ، وَبَسُرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا
- ٧٧٤ ، ٧٧٢..... بُعِثَتْ بِجَوامِعِ الْكَلِمِ
- ٧٤٤..... الْبَكْرُ بِالْبَكْرِ جَلْدٌ مِائَةٌ وَتَفِي سَنَةٌ
- ١٥١..... بكيت من صنع عمران
- ١٠٠٧ ، ٥٧٨..... بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا
- ٧٨٩ ، ٦٦٧..... بل نسيتها
- ١٠٠١ ، ٧٠٢ ، ٥٢٠..... بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً
- ٩٩٤ ، ٦٢٠..... بَنِي الْإِسْلَامِ عَلَى خَمْسٍ
- ٦٢١..... بَنِي الْإِسْلَامِ عَلَى خَمْسٍ دَعَائِمِ
- ٨٢٢..... بورك لأمتي في بكورها
- ٦٢٢..... بَيْنَ الرَّجْلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرَكَ الصَّلَاةَ
- ٦٢٢..... بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ أَوْ الْكَفْرِ تَرَكَ الصَّلَاةَ
- ٦٢١..... بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكَفْرِ تَرَكَ الصَّلَاةَ
- ٦٢١..... بَيْنَ الْكَفْرِ وَالْإِيمَانِ تَرَكَ الصَّلَاةَ
- ٧٨٤..... بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ قَدَمًا لَتَيْتُ بِهِ
- ٥٨١..... التَّوَدُّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ
- ٥٦٨..... تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ
- ٧٩٥..... تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِيدْرَتَهَا
- ٧٩٥..... تَأْخُذُ مَاءً فَتَطْلُوهُ ، فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ
- ٨١٥ ، ٥٨١..... التَّانِي مِنَ اللَّهِ ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ
- ٨٧٥..... تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَابِدِينَ

- ٤٥٥ التحدث بِنِعْمَةِ اللَّهِ شَكَرٌ
- ٦٤١ التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ
- ٤٠٨ تَخْرُجُ عَنْقُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ
- ٦٦٥ تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَخُفُّ لَكُمْ إِذَا وَضَعْتُمْ يَدَيْكُمْ وَأَنَّ يَدَيْكُمْ تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَخُفُّ لَكُمْ إِذَا وَضَعْتُمْ يَدَيْكُمْ وَأَنَّ يَدَيْكُمْ تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَخُفُّ لَكُمْ إِذَا وَضَعْتُمْ يَدَيْكُمْ وَأَنَّ يَدَيْكُمْ
- ٣٤١ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟
- ٤٠٨ تَدْرُونَ مَا هَذَا ؟
- ٢٢٦ تَرَكْتُمْ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمْسِكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي
- ٢٤ تَرَكْتُمْ عَلَى الْمَحْجَةِ ، لَيْلَهَا كُنْهَارُهَا سِوَاهُ
- ٦٠١ تَزَوَّجْتِ ؟
- ٨٩٧ ، ٨٦٦ ، ٩١ تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ
- ٩١ ، ٩٠ تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ
- ٢٤٤ تُعْرَضُ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْخَصِيرِ
- ٢٥٤ ، ٢٣٩ تَعَسَّ عِنْدَ الدِّيْقَارِ
- ٥٤٢ تَفْتَحُ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ كُلَّ يَوْمٍ لثَنِينَ وَخَمِيسٍ
- ٢٨٢ تَفْتَحُ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ
- ٧ تَكُونُ النَّبُوءَةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ
- ٤٨٠ تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ يَمُنُّ كَأَنَّكُمْ قَبْلَكُمْ . فَقَالُوا
- ٤٥٧ تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ
- ١٠٥٢ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ
- ٤٨٤ ، ٤٨٠ ، ٣٧٨ تَهَادُوا تَحَابُوا
- ٧٩٦ تَوَضَّعِي بِهَا
- ٦٢٠ تَكَلَّمْتُكَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِمْ لَوْ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا حَصَلَتْ أَسْبَابُهُمْ
- ٤٩٧ ثَلَاثُ حِصَالٍ لَا يَفْلُحُ عَلَيْهِنَّ قَلْبٌ مُسْلِمٌ

- ١٢٦ ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان
- ٥٦٦ ثلاث من كل شهر . ورمضان إلى رمضان
- ٣٧٧ ، ٣٦٦ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان
- ٢٠٧ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان
- ٧٧٧ ثلاثة أقسم عليهن وأحدنكم حديثاً فاحفظوه
- ١٠٤٧ ثلاثة لهم أجران
- ٥٥٢ ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون
- ٢٨ ، ٧ ثم تكون خلافة على منهاج النبوة
- ٦٢٩ ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقدام
- ٢٤١ ثم فوق ذلك ثمانية أوعال
- ٦٢٦ ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله
- ١٠٢٨ جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم واستبئكم
- ١٠٧٤ جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم واستبئكم
- ٩٧ الجاهز بالقران كالجاهز بالصدقة
- ٤٧٠ جذ له فأوف له الذي له
- ٤٥٥ الجماعة رحمة ، والفرقة عذاب
- ٣١٥ حبك إياها أنخلك الجنة
- ٧٧٦ الحرب خدعة
- ٧٨٨ ، ١٠٠ حسبتك الآن
- ٢٠٦ حق الله على عباده : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً
- ١٠٤٢ ، ٤٦٧ الحمد لله الذي أنقذنا من النار
- ٧٧٦ الحمم الموت
- ٧٧٦ الحياء خير كله

- ٢٠٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢ الحفاء من الإفمان
- ٢٠٣ الحفاء والعف شعبتان من الإفمان
- ٦٠١ خذُ جملك . ولكُ ثمتة
- ٧٤٤ خذوا عني . خذوا عني
- ٨٥٩ ، ٨٤٠ ، ٧٨٢ ، ٤٥٤ خذوا القرآن من أربعة
- ٧٥١ خذوا من الأعمال ما تطبقون
- ٥٦٥ خذوا من العمل ما تطبقون
- ٨٠٧ خرج ثلاثة نفر فمثنون فأصابهم المطرُ
- ٦٢٧ خرجت من النار
- ٢١٠ خصلتان لا تجتمعان في مؤمن
- ٣٢ خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً فقال
- ٨١٤ ، ٢٠٩ خياركم خياركم لئسابهم
- ٤٤٧ خفر الناس أذرهم للناس
- ٦٥٠ خفر الناس قرني
- ٤٥٢ خفركم قرني ثم الذين يلونهم . ثم الذين يلونهم
- ٨٢٧ ، ٧٠٤ ، ٦٧٤ خفركم من تعلم القرآن وعلمة
- ٧٥٤ الخفل معقود في نواصبها الخفر إلى يوم القفامة
- ٤٠٩ الخفمة ذرة مجوفة
- ٢٠٢ دعه فإن الحفاء من الإفمان
- ١٠٩٨ ، ٤٨١ دعه لا يتحدث الناس لن محمداً يقتل أصحابه
- ١١٧ دعوة أبي إبراهيم . وبشرى عيسى
- ٢٨٠ دعوة المرء المسلم لأخفه بظهر الففب مسجابة
- ٥٠٢ دعوني فالذي أنا ففه خفر

- دَعُوْنِي مَا تَرَكْتَكُمْ ٨٦٢، ٧٠٢، ٢٩٨
- دَعُوْهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا ٥٧٩
- دَعُوْهُ ، وَأَمْرِيقُوا عَلَيَّ بِوَلِيِّهِ ذُنُوبًا مِنْ مَاءِ ٥٨٤
- دَعُوْهَا فَإِنَّهَا خَبِيْثَةٌ ١١٥١، ١١٤٩، ٤٨١، ٢٦٥
- دَعُوْهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ ١١٥١، ١٠٩٨، ٤٨١، ٢٦٥
- دَلُوْنِي عَلَيَّ قَبْرِهِ ٤٦٤
- الدِّينُ النَّصِيْحَةُ ٧٧٢، ٥٠٠، ٤٩٦
- ذَاقْ طَعْمَ الْإِيْمَانِ مِنْ رِضِيْ بِاللَّهِ رَبًّا ٩٥٢، ٢٠٨
- ذَٰلِكَ يَوْمَانِ تَعْرَضُنَّ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ٥٦٧
- ذَٰلِكَ أُرِيدُ ، أَسَلِمُوا تَسَلَّمُوا ١٠٥٦
- رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ٦٣٠
- رَأَيْتُ بِضْعَةَ وَثَلَاثِيْنَ مَلَكًا يَتَدَرَّوْنَهَا ٧٩٢
- رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا ٢٧١
- رَبِّ اعْنِي عَلَيَّ ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ ٤٣٣
- رَبِّ اعْنِي وَلَا تَعِنِّ عَلَيَّ ٢٧١
- رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٠٠٧، ٥٩٢
- رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ ٥٧٠
- رِيَابُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيْمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ ١٠٣٧
- رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ لُوْذِيْ بِكَثْرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ ١٠١٢، ٤٣٠
- رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ ، فَيَسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ ٥٩٤، ٢٢٩
- رَفَعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ ٢٠٥، ١٧٢
- رَمَلُوْنِي رَمَلُوْنِي ٩٨٢
- رَبَّنَا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ ٩٨

- ٧٩٥ سُبْحَانَ اللَّهِ تَطْهَرِينَ بِهَا
- ٤٣١ سَتَجِدُونَ أَثْرَةَ شَدِيدَةً فَاصْبِرُوا
- ٤٠١ سَدُّوا وَقَارِيُوا ، وَعَلَّمُوا أَنْ لَنْ يَدْخُلَ لِحَدِّكُمْ عَمَلَةُ الْجَنَّةِ
- ٤٠٠ سَدُّوا وَقَارِيُوا ، وَأَعْدُوا وَرَوْحُوا ، وَشَيْءٌ مِنَ الدَّلْجَةِ
- ٦٦٠ سَلَفِي عَمِّ شَيْثُ
- ٤٤٨ سَلَوْنِي ، سَلَوْنِي
- ١٠٥١ سَلَوْنِي عَمَّا شَيْتُمْ ، وَلَكِنْ اجْعَلُوا لِي ذِمَّةَ اللَّهِ
- ٣١٥ سَلَوْهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ ؟
- ٦٧٣ سَيَأْتِيكُمْ أَقْوَامٌ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ
- ٢٤٨ السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
- ١١٦٤ شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ : شَحُّ هَالِكٍ ، وَجَبْنُ خَالِعٍ
- ٩٠ شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ
- ١٨٧ الشُّرْكُ الْخَفِيُّ : أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّيَ فَيَزِينُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ
- ٢١٠ الصَّبْرُ وَالسَّمَاةُ . (جَوَابًا لِمَنْ سَأَلَهُ : مَا الْإِيمَانُ ؟)
- ٢٩١ الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا (أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ)
- ٥٦٣ الصَّلَاةُ لِأَوَّلِ وَقْتِهَا (أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ)
- ٦٥٦ صَلُّوا فِي نَعَالِكُمْ . خَالَفُوا الْيَهُودَ
- ٥٨٥ ، ٥٥٤ ، ٤٣٨ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي
- ٨٧ صَمٌّ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةٌ
- ٦٣٠ الصُّومُ جَنَّةٌ
- ٥٦٦ صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، أَحْسَبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكْفُرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ . وَالسَّنَةُ الَّتِي بَعْدَهُ
- ٣٣ ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا
- ٦٧٥ طَلَّبَ الْعِلْمَ فَرِيضَةً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ

- ٢٥٢، ٢٤٧ الطيرة شرك
- ٧٧٦ الظلم ظلمات يوم القيامة
- ٢٢٨ العز إزاره ، والكبرياء رداؤه
- ٢٧١ عظم الجزاء مع عظم البلاء
- ٧٠٢، ٦٧٢ علموا ويسرّوا ، ولا تعسرّوا
- ٧٤٦ على رسلكم أنبشروا
- ٥٩٤، ٢٢٩ عليك بالرفق ، وإياك والعنف
- ٢٩٢ عليك بكثرة السجود
- ٨٧٨ عليكم بالقران ، فإنكم ستفخرون إلى قوم يشتهون الحديث عني
- ٨٢٥، ٧٧٩ عليكم بما تطيقون
- ٥٦٩ عمرة في رمضان تعدل حجة
- ٦٣٢ العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة
- ٤٤٧ غارت أمكم
- ٧٤٧، ٥٣١، ٤٣٧ فأبشروا وأملوا ما يسرّكم
- ٥٨٤ فأجعلها له زكاة ورحمة
- ٥٨٢ فأجعلها له صلاة وزكاة وقربة
- ٥٨٤ فأجعلها له كفارة وقربة تقرّبه بها إليك
- ٥٦٧ فأحب أن يفرض عملي وأنا صائم
- ٧٢ فأحسن الكلام كلام الله
- ٥١٤، ٢٨٤ فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وأيّتهم
- ٨٥٢، ٦١٦ فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله
- ٦٦٢ فإذا حضرت الصلاة فليؤتون لكم أحدكم
- ٧١٢ فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه

- ٦٧٢ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَقُولُوا لَهُمْ : مَرْحَبًا مَرْحَبًا
- ١٠٢٥ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ
- ١٥٢ فَإِذَا سَمِعْتِ بِي قَدْ ظَهَرْتَ فَأْتِي
- ٢١٧ فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ
- ١٠٢٩ ، ٦٢٣ ، ٦١٢ فَإِذَا فَعَلُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا
- ٧٢ فَإِذَا فِي الْمَجْلِسِ اخْتِلَافٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْمُشْرِكِينَ عِبْدَةَ الْأَوْثَانِ ، وَالْيَهُودِ
- ١١٢٣ ، ١١٢٠ فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا
- ٤٩٦ فَأَذْهَبَ فَاَنْظَرَ إِلَيْهَا
- ٢٩٢ فَأَعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ
- ٨٨ ، ٨٧ فَأَقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ
- ٦٢٦ فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ! الْاَذْنَ لِي فِيمَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
- ٦٢٦ فَأَقُولُ : يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي ،
- ٤٧٤ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا
- ٤٧٢ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ
- ٧٥٨ ، ٧٥١ ، ٥٦٥ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُ حَتَّى تَمَلُّوا
- ٧٤٢ ، ٦٦٠ ، ٢٠ فَإِنَّ الْجَوَارِزَ هِيَ خَيْرٌ
- ١٠٤٣ ، ٨٨٩ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَحِلُّ لَكَ فِي بَيْتِكَ
- ٥٦٩ فَإِنَّ عُمْرَةَ فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً
- ٥٨٤ ، ٤٣٩ فَإِنَّ فِي النَّاسِ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ
- ٤٩٧ فَإِنَّ قَبْلَ مِنْهُ فَذَلِكَ
- ٤٩٨ فَإِنَّ قَبْلَهَا قَبْلَهَا ، وَإِنْ رَدَّهَا كَانَ قَدْ أُدِيَ الَّذِي عَلَيْهِ
- ٢٢٧ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ
- ٩٩٢ ، ٦٣٤ ، ١٩٨ ، ١٩٠ ، ١٢٧ فَإِنَّ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ

- ٨٢٠، ٢١٧ فَإِنْ لَوْ تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ
- ٧٤٨، ١٤٢ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِدَاكَ ، فَأَعْلَمَهُمْ
- ١٠٥١ فَإِنْ وُلِّيَ جِبْرِيلُ ^{عَلَيْهِ السَّلَامُ}
- ١٠٥١ فَأَنْشَدَكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى
- ١١٢٩ فَاَنْطَلِقْ إِذَا أَصْبَحْتَ فَاجْمَعِهِمْ
- ٧٢٠ فَإِنَّمَا لَنَا مِنْ وَدِّ آدَمَ أَغْضَبَ كَمَا يَغْضَبُونَ
- ٩٩٢ فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ لَتَأْتِكُمْ يَعْلَمُكُمْ دِينَكُمْ
- ٧٩٢ فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينَةَ تَأْمِينِ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ
- ٧٩٢ فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ
- ٢٩٨ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بِغَدْبِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا
- ٢٧٠ فَإِنِّي أَنُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ
- ٧٩٠ فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ
- ٤٦٤، ٣٧٥ فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ ، يَا آلَ اللَّهِ قَدْ أَحْبَبَكَ
- ٦٠٢ فَإِنِّي قَدْ أُنِيتُ لِي فِي الْخُرُوجِ
- ١٠١٨ ، ٩٨٧ ، ٥٧٤ ، ٨٢ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ
- ١٠٥٧ فَأَيُّ رَجُلٍ فَيُكْمِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ؟
- ٦٦٧ فَبِمَ يُشَبِّهَهَا وَلَدَهَا ؟
- ٩٨٢ فَبَيْنَمَا لَنَا أَمْشِي ، إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ
- ٤٨٦ فَتَانٌ ، فَتَانٌ ، فَتَانٌ
- ٣١٧ فَتَلْقَاهُ بِرَحْمَتِهِ
- ٢٧٤ ، ١٨٠ فَتِلْكَ عِبَادَتِهِمْ
- ٥٢٢ فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ
- ٧٠٤ فَذَلِكَ مِثْلُ مَنْ فَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ

- فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ ٧٥٠
- فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ . فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ ٧٥٠
- فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ٨٧٥
- فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَا فِقْهَ لَهُ ٨٧٢
- فَسَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاَهُمْ إِلَى اللَّهِ ٧٢
- فَسَلُّوْنِي عَمَّا شِئْتُمْ ١٠٥١
- فَضَّلَ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضَّلَ الْقَمَرَ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ٦٨٢
- فَضَّلَ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضَّلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ٦٨٢
- فَضَّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ ٩٨٩ ، ٧٧٢
- فَضَّلْتُ عَلَيْهِمْ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا ، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرْفِهَا ٤٠٨
- فَطَاشَتْ السُّجُلَاتُ وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ ٦٢٨
- فَطَوَّبِي لِلْغُرَبَاءِ ٦٥٧
- فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ ٦٤٩ ، ٥٥٢ ، ٢٩٩
- فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ٨٢٨
- فَفَرَضَ اللَّهُ ﷻ عَلَىٰ أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً ٦٢٩
- فَقَدْ نُهَيْتَ عَنْ قَتْلِ أَوْلَاكَ ١١٢٩ ، ١١٢٤
- فَكَذَلِكَ يَحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ٢٤٢
- فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ ٩٩٥
- فَكَيْفَ يَا عَمْرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ لَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ١١٥٠
- فَلَا تَدْعُ لَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ ٤٢٢
- فَلَا جِهَادَ وَلَا صَدَقَةَ ؟ فِيمَ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِذَا ؟ ٦٢٧
- فَلْتَصْنَبِزْ وَلْتَحْتَسِبِ ٥٨٢ ، ٤٢١
- فَلَوْلَا صَلَاتِي بِسْمِ اللَّهِ اسْمُ رَبِّكَ ٤٨٦

- فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُؤْحَدُوا اللَّهَ ١٠٤١، ٩٩١، ٨٤٣، ٦١٧، ٦١٦، ١٤٢، ١٣٠
- فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُؤْحَدُوا اللَّهَ ١٤٧
- فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةَ اللَّهِ ٥١٤، ٢٩٣، ٢٨٤
- فَمَا يَمْتَعِكَمَا أَنْ تَرْجُمُوهُمَا ؟ ١٠٧١
- فَمَرَّ بِرَأْسِ التَّمَالِ الَّذِي فِي النَّيْتِ يَطْعُ ٢٥١
- فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْتَدِينَ ٧٥٢
- فَمَنْ تَعَدَّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ ؟ ١٨٠
- فَمَنْ جَاءَهُمْ بِيَدَيْهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ٥٥٣
- فَمَنْ رَغِبَ عَنِ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ٥٦٠، ٥٥٥، ٢٢٧
- فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَصِيمٌ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهِ إِلَّا بِحَقِّهِ ٦١٨
- فَمَنْ يَغْدِلُ إِذَا لَمْ يَغْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟ ١٠١٢
- فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ ١٠١٤
- فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدَيْهِ لَهَوُ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عَقْلِهَا ٩٠
- فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدَيْهِ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَا رَيْكُم ١١٠٥
- فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدَيْهِ لَهَوُ أَشَدُّ تَفَصُّيًا مِنَ الْإِبِلِ ٨٩٧، ٨٦٦، ٩١
- فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ٧٤٧، ٤٣٧
- فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا ٨٢٥
- فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْزُ النَّعْمِ ١٠٧٦
- فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ٥٣١
- فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مَنَاقِبًا ١١٦٠، ١١٤٠
- فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ ، لَا يُؤَافِقُهَا مُسْلِمٌ ٧٩٣
- فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَخْرُفُونَ ٢٨٤
- فَيَخْرُجُونَ كَاللُّوْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمِ ٦٢٧

- فَيَقَالُ لِي : انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ ادْنَى ادْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ ٦٢٦
- فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ ٦٢٧
- فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْغُثَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ ٦٢٨
- فِيهِ الْوُضُوءُ (الْمَذْي) ٦٦٨
- فَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ١٠٢٣
- قَالَ اللَّهُ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ٤٠٩
- قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ ٩٩٢ ، ١٨٦
- قَالَ اللَّهُ ﷻ : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ ٨٠٢
- قَالَ اللَّهُ ﷻ : قَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ مِنِّي ٣٧٣
- قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ٧٦١
- قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ٨١
- قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى تَوَزَّعَتْ قَدَمَاهُ ٥٦١
- قَدْ أَحْبَبْتُكَ ٥٠٤
- قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرٍ مِنْ ذَلِكَ فَصَبَرَ ٥٧٣
- قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ ٤٥ ، ٣٨
- قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ٧٤٤
- قَدْ خَبَأْتُ هَذَا لَكَ ٤٤٣
- قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْقَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ ٧٦٠
- قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَّمِ قَبْلَكُمْ مُحَدِّثُونَ ٤٥٢
- الْقَصْد ، الْقَصْد ، تَبَلَّغُوا ٩٥١
- قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِيمْ ٧٧٦
- قُلْ : اللَّهُمَّ الْهَمْنِي رَشْدِي ، وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي ١٨٠

- ٢٧٢، ١٥١ قل : اللهم اني استهديك لأرشد أمري
- ٢٧١ قل : اللهم اني أعوذ بك من شر سماعي
- ٦٤٢ قل : اللهم اني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً
- ٢٤٤ قل : اللهم ! اهدني وسدّني
- ١٠٦٧ قُمْ يَا لَبَّا عَبِيدَةَ بِنَ الْجِرَاحِ
- ٢٤٠، ١٨٨ قولوا : اللهم انا نعوذ بك من ان نشرك بك شيئاً نعلمه
- ٢٤٨ قولوا بقولكم أو بغض قولكم
- ٩٩٧، ٨١ قولوا لا إله إلا الله تفلحوا
- ٤٢٨ قوموا إلى سيديكم
- ٥٥٤ قوموا فأنحزوا ، ثم احلقوا
- ١٥١ قوموا فشيئوه إلى منزله
- ٩٠٢ قيّدوا العلم بالكتاب
- ٥٦٢ كَانَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مُصَلَاةٍ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا
- ٢٢٥ كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ
- ٥٥٨، ٤١٧ كَانَ الرَّجُلُ فَيَمُنُ قَبْلَكُمْ يَحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ
- ٢١٦ كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ
- ٥٩٦ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا
- ٥٩٠، ٢٢٢ كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَدَمٍ
- ٦٨٢ كَانَ فَيَمُنُ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا
- ٩٨٩ كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يَبْتَغِي إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً
- ٥٦٦ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَحَرَى صَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ
- ٥٦٩ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ
- ٥٦٨ كَانَ يَعْكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ

- ٣٢٨ الكبرياء رديني ، والعظمة إزاري
- ٦١ كتاب الله ، هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض
- ٥٧٦ كَذَبَ ، قَدْ عَلِمَ لَنِي مِنَ اتِّقَائِهِمِ لِلَّهِ وَأَدَائِهِمِ لِلْأَمَانَةِ
- ١٠٥٨ كَذَبْتُمْ ، لَنْ يَقْبَلَ قَوْلَكُمْ
- ١٠٦٥ كذبتما ، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا
- ٦٣٠ كَفَّ عَلَيْكَ هَذَا
- ٩١٩ كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا لَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ
- ٧٨٩ كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون
- ٣٩٨ كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى
- ٦٠٦ كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، وَلَكِنْ ابْنِي ارْتَحَلَنِي
- ٧٧٤ كُلُّ عَمَلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ
- ١٠٤٢ كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ
- ٣٨٢ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ
- ٢٥٢ كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتَعْدُبُهُ فِي جَهَنَّمَ
- ٩٩٢ كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ
- ١٠٢٨ كُلُّ النِّيَّةِ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ
- ٦٩٩ كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ ، وَلَا تَخْتَلِفُوا
- ٥١٨ كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ
- ٣٩٠ كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ
- ٥٠٦ كُلِّي هَذَا وَأَهْدِي
- ٧٦٨ ، ٢٣٢ كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ
- ٣٧٢ كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطُّيُورُ
- ٣٢١ كُنَّا نُهَيِّئُهَا لَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ

- ٤٠٧ كئف تجدك ؟
- ٩٩٥ كئف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامه ؟
- ٤٨٧ كئف تصنع يا ابن أخي إذا صليت ؟
- ٨٧ كيف تقوم ؟
- ١١٥٢ كئف تكم ؟
- ٧٨٨ كيف صنعت في استلامك الحجر ؟
- ٥٩٨ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك
- ٧٢٢ لا ، إني أخاف أن يتكلموا
- ٨٤٠ ، ٧٩٨ لا ، بل هو سواد الليل ، وبياض النهار
- ٤٥٢ لا تبقي في المسجد خوفا إلا خوفا أبي بكر
- ٥٢٧ لا تكيه . أو ما تكيه ؟
- ٢٥١ لا تجعلوا بيوتكم قبورا
- ٢٨٢ لا تحاسدوا ، ولا تناجسوا
- ٥٥٩ ، ٢١٥ لا تحزن إن الله معنا
- ٤٢٧ لا تحقرن من المعروف شيئا
- ٦٢٨ لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا
- ٧٧٩ ، ٣٧٨ ، ٣٦٠ لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا
- ٩٢١ ، ١١ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق
- ١١ لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورين
- ١١ لا تزال طائفة من أمتي يقتلون على الحق
- ٤٢٨ لا تزيموه
- ٨٢٢ لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامه من عند ربه حتى يسأل
- ٩٠٨ ، ٦٩٥ ، ٦٨٥ لا تزول قدما عبد يوم القيامه حتى يسأل عن أربع

- ٤٧٢ لا تسبوا أحدا من أصحابي
- ١٠٧٠ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم
- ٢٥٠ لا تصلوا إلى القبور
- ٤٥٧ لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم
- ٢٤٨ لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح
- ٥٠٢ لا تفضب
- ١٠٣٧ لا تفعل ، فإن مقام أحبكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما
- ٤٧٢ لا تقل ذلك ، ألا تراه قد قال : لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله ؟
- ١١٠٨ لا تقولوا للمنافق : سيد
- ٢٤٧ لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان
- ٢٤٢ لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم
- ٥٤٢ لا تكونوا عون الشيطان على أحبكم
- ٥٤٢ ، ٣٥٩ لا تلعنوه فوالله ما علمت إنه يجب الله ورسوله
- ٥١١ لا تمار أخاك ولا تمارجة
- ٨٦٤ لا تمنعوا نساءكم المساجد
- ٤٤١ ، ٢٠٩ لا تنزع الرحمة إلا من شقي
- ٢٨١ لا تهجروا ، ولا تاجشوا
- ٨٦ لا حسد إلا على اثنتين
- ٧٨٦ ، ٦٨١ لا حسد إلا في اثنتين
- ١٠٩١ ، ٤٤٥ لا ، لعلة لن يكون يصلي
- ٤٥٥ لا ما دعوتكم الله لهم ، ولثنيتم عليهم
- ٢٦٧ لا والذي نفسي بيده ، حتى لكون أحب إليك من نفسك
- ٧٧٨ لا ومقلب القلوب

- لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ لُكُونَ أَحِبَّ إِلَيْهِ ٢٦٧، ٢٥٨
- لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ٢٧٧، ٢٦٠
- لا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ ٤٠٠
- لا يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَىٰ بَيْعِ لَخِيهِ ٤٨٠
- لا يَبْقَىٰ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا لَنَخْلَةَ اللَّهِ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ ٦
- لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ لَنْ مَحْتَدًا يَكْتُلُ أَصْحَابَهُ ١١٢٣، ١١٢١، ١١١٤، ١١١٠، ١٠٩٨، ٤٨١
- لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ لَنْ كَانَ يَكْتُلُ أَصْحَابَهُ ١١٤٩
- لا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمُؤْتَمِرِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو ، وَأَمَنَّهُ بِمَا يَخَافُ ٤٠٧
- لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله ٢٠٧
- لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ٥٤٢
- لا يدخل الجنة قاطع ٦٢٨
- لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ٦٢٨
- لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم ١١١٧
- لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون ٩٢١
- لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ١١
- لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ١٩٢
- لا يشكر الله من لا يشكر الناس ٤٥٥
- لا يعلم ما تفيض الأرحام إلا الله ٣٢٠
- لا يفقه من قرأ القرآن في لقل من ثلاث ٩٢، ٨٨
- لا يقل أحدكم : اسق ربك ٢٥٢
- لا يكون لمسلم أن يهجر مسلماً فوق ثلاثة ٥٤١
- لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين ٧٨٥ ، ٤٥٢
- لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين ١٠٦٧

- ١٠٧٦ لأعطين الراية غدا رجلاً يفتح على يديه
- ٢٦٢ لأن يمتلئ جوف أحدكم قنبحاً خبز له من أن يمتلئ شيفراً
- ٢٦٢ لأن يمتلئ جوف رجل قنبحاً يريه
- ٢٨٠ لأن يمنح الرجل أخاه أرضه خبز له من
- ٧٤٥ ، ٥٥٤ لتأخذوا مناسككم
- ٨ لتتبعن سنن من كان قبلكم شيزاً بشيزٍ ودرعاً بدرع
- ١٠٧٤ ، ١٠٣٦ للشهيد عند الله ست خصال
- ٧٩٠ لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً
- ٢٤٩ لعن الله اليهود والنصارى
- ٢٤٩ لعنة الله على اليهود والنصارى
- ١٠٠٨ لقد أوديت في الله وما يؤذى أحد
- ٤٢٩ لقد حجزت وأسعاً
- ٩٨٢ لقد خشيت على نفسي
- ٥٩٢ لقد رأى هذا ذعراً
- ٧٤٢ ، ٦٦٠ ، ٢٠ لقد رأيت . لو أمرت . لن لتجوز في القول
- ٧٥٤ لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق
- ٦٢٠ لقد سألتني عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه
- ١٠٠٧ ، ٥٧٨ لقد لقيت من قومك ما لقيت
- ٥٨٨ ، ٥٠٨ لقد وجدته بحراً
- ٧٨٥ ، ٤٥٢ لكل أمة أمين
- ٤٥٢ لكل نبي حوارى وحوارى الزبير
- ٤٣٦ لكل نبي دعوة مستجابة
- ٩٩٠ لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم

- ٥٦٠.٥٥٥ لَكِنِّي اصُومُ وَأُفْطِرُ
- ٧٤٠ اللَّهُ أَرْحَمَ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوَالِدِهَا
- ٢٨٧.٢٨٦ لِلَّهِ تَسْفَعَةٌ وَيَسْتَفْعُونَ اسْمًا
- ٩٩٥ لِمَ قَتَلْتَهُ ؟
- ٥٨٥.٢٠٩ لَنْ تَوْمِنُوا حَتَّى تَرْحَمُوا
- ٥٨٨.٥٠٨ لَنْ تَرَاغُوا ، لَنْ تَرَاغُوا
- ١١ لَنْ يَزَالَ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ
- ٤٠٠ لَنْ يَنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ
- ٦٢٦ لَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا حَزَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ
- ٩٩٢ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ بِهِ
- ٢٥٧ اللَّهُ كَبِيرٌ ، إِنَّهَا السَّنَنُ ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى
- ١٠٧٥ اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْرٌ
- ١٢٦ اللَّهُمَّ أَتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا
- ٢٢٢ اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوَّةً
- ٢٦١ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَابِينَ
- ٢٨٢ اللَّهُمَّ احْبِبْهُمَا فَرَانِي احْبِبْهُمَا
- ٥٩٠ اللَّهُمَّ احْبِبْنِي مَسْكِينًا ، وَأُمَّتِي مَسْكِينًا
- ٥٨٢ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَرَانِي ارْحَمْهُمَا
- ١١٤٨ ، ١١٢٩ اللَّهُمَّ ارْحَمِهم بِالذَّبِئِلَةِ
- ٤٦٧ اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا ، وَأَتَمِّمْ لَهُ هِجْرَتَهُ
- ١٠٠٢ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ
- ١٠٥١ اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِم
- ١٠١٠ اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ خَاصَّةً

- ٢٦٢، ٢٧٥ اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك
- ٢٧١ اللهم اغسل قلبي بماء الثلج والبرد
- ٢٦٥، ٢٧٥ اللهم اغفر ذنبي ، وطمأ قلبي ، وحصن فرجة
- ٢٤٢ اللهم ا اغفر لي وارحمني وامدني وعافني
- ٢٤١ اللهم اقسيم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك
- ٤٢٦ اللهم أمّتي أمّتي
- ٢٤٦ اللهم إن تشأ لا تعبّد بعد اليوم
- ١٠٢٤ اللهم أنت عضدي ولنت نصيري وبك أقاتل
- ٢٧٤ اللهم انتم من أحب الناس إلي
- ٥٨٢ اللهم اني أتخذ عندك عهدا لن تخلفيه
- ٦٠٧، ٢٨٢ اللهم اني أحبه فأحبه
- ٢٤٢ اللهم اني أسالك الهدى والتقى
- ٢٧٢، ١٥١ اللهم اني أستهديك لأرشد لمرى
- ٦٤٢ اللهم اني أعوذ بك من الخلل
- ٢٧١ اللهم اني أعوذ بك من شر سمني
- ٢٧١ اللهم اني أعوذ بك من شر فتنة المسيح الدجال
- ١٢٦ اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل
- ١٢٦ اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع
- ٢٧١ اللهم اني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار
- ٢٤٦ اللهم اني أنشدك عهدك ووعدك
- ١٠١١ اللهم اهد أم لبي هريرة
- ١٠١٠، ٥٩٤ اللهم اهد دوسا وأت بهم
- ٨٢٢ اللهم بارك لأمتي في بكورها

- ٢٤٢ اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا
- ٢٨٢ اللهم حبب عبديك هذا
- ٢٤٢ اللهم زيننا بزينة الإيمان
- ٨٧٦ ، ٧٨٤ ، ٤٣٣ اللهم علّمنا الحكمة
- ٨٧٥ ، ٨٣٧ ، ٦٨١ اللهم علّمه الكتاب
- ١٠١٠ اللهم عليك بعمر بن هشام ، وعتبة بن ربيعة
- ١٠١٠ اللهم عليك بقرينش ، اللهم عليك بقرينش ، اللهم عليك بقرينش
- ٨٧٥ ، ٨٣٧ ، ٧٨٤ اللهم فقهه في الدين
- ٢٥٠ اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد
- ٥٠٦ اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة
- ٢٤٢ اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك
- ٤٤١ اللهم من ولي من أمر أممي شيئاً فشقق عليهم فاشقق عليه
- ١٠٧٥ اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اللهم اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم
- ١٠٣٢ اللهم ! منزل الكتاب ، ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرتنا عليهم
- ٥٨٩ اللهم نزل نصرتك
- ١٠٦٨ اللهم هؤلاء أهلي
- ١٠٧١ لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود
- ١١٠٩ لو أعلم أني إن زدت على السنين يغفر له زدت عليها
- ٢٣٢ لو أن ابن آدم أعطي وادياً مثلاً من ذهب أحب إليه ثانياً
- ٤٠٧ لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت
- ١٠٧١ لو تابعتي عشرة من اليهود لم يبق على ظهرها يهودي إلا أسلم
- ٤٤٩ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً
- ٤٨٢ لو دعيت إلى زراع لو كراع لأجبت

- ٤٧١ لَوْ رَاجَعْتَهُ
- ٥٣٧ لَوْ قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ
- ٤٣٢ لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطَيْتَكَ هَكَذَا
- ٤٣٢ لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ لَقَدْ أَعْطَيْتَكَ هَكَذَا
- ٦٣٤ لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجِبْتَ
- ٥٨٧ لَوْ كَانَ لِي عِدَّةٌ هَذِهِ الْعِضَاءِ نَعَمًا لَقَسَمْتُ بِئِنَّكُمْ
- ٤٥٢ لَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ لَهَا بَكْرًا خَلِيلًا
- ٢١١ لَوْ لَبِثْتُ فِي السُّجُنِ طَوْلَ لَبِثِ يُوسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ
- ٥٨٦ لَوْ لَمْ أَحْضَيْتُهُ لَحَنَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
- ٧٩٠ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلَحَ
- ٤١٠ لَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرِّحْمَةِ
- ٥٢٦ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النُّدَاءِ وَالصَّنْفِ الْأَوَّلِ
- ٥٨١ لَوْلَا لَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّي
- ٤٤٠ لَوْلَا لَنْ أَشَقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
- ٤٧٩ ، ٤٣٠ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ
- ٧٠٣ لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ
- ٢١٠ لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ ، وَلَا اللَّعَانِ
- ٣٢٠ لَيْسَتْ نَفْسٌ مَخْلُوقَةٌ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهَا
- ٥٢٢ لَيَقْفَنَ أَحَدَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ
- ٦٦٢ لِيُنَوِّا لِمَنْ تَعْلَمُونَ ، وَلِمَنْ تَتَعْلَمُونَ مِنْهُ
- ٤٦٦ أَلَمْ أَمُرْكُمْ أَنْ تُؤَدِّبُوا نَفْسَكُمْ بِهَا ؟
- ٥٧٢ أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ الْعَدْلِيُّ لِيَزِيدٍ وَأَسَامَةَ
- ٥٠٩ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْنِبُ عَلَى لَذَائِمِهِمْ ، أَكْثَرُ أَجْرًا

- ٦٩٤ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالْأَتْرَاجَةِ
- ٨٢٠ ، ٢١٦ ، ١٢١ الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ
- ٤ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَيْتَانِ يَشُدُّ بِغَضَّةٍ بَعْضُهُمَا
- ٤٩٩ الْمُؤْمِنُ مِرَاةُ الْمُؤْمِنِ
- ١٠٢٥ مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ (أَي النَّاسِ لَفْضِل)
- ٤ الْمُؤْمِنُونَ كَرَجَلٍ وَاحِدٍ . إِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ
- ٧٥٠ ، ٦٧٤ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بَيْتَاتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ
- ٣٢٠ مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أذى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ
- ٨١٥ ، ٥٨١ مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مَعَاذِيرَ مِنَ اللَّهِ
- ٣٤٢ مَا أذْرِي لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ
- ٩٧ مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا لَئِنْ لَبِثِي حَسَنَ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجُوزُ بِهِ
- ٣٦٦ مَا أَعْدَدْتِ لَهَا ؟
- ٢٠٠ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ فَاتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ
- ٥٨٩ مَا أَمْسَى عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ صَاعٌ بُرٍّ ، وَلَا صَاعٌ حَبًّا
- ٣٩ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي
- ٦٥٥ ، ٦٤٩ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي
- ٢٢٤ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَكَابٍ اسْتَنْظَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا
- ٢١٠ مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ : الصَّبْرُ وَالسَّمَاةُ
- ٤٩٢ ، ٢٨٤ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ ؟!
- ١١٤٩ ، ٤٨١ مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ؟
- ١١٥١ ، ١٠٩٨ ، ٤٨١ ، ٢٦٥ مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ؟
- ٢٥٢ مَا بَالُ هَذِهِ النَّمْرَقَةِ ؟
- ٦٤٤ مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقْرَبُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعَدُ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ

- ٥٢٧ ما تضحكون ١٩ لرجل عبد الله لثقل في الميزان يوم القيامة من أحد
- ٤٨٩، ٤٨٨، ٤٨٧ ما حملك على الذي صنعت ؟
- ٨٠٥ ما ذنبان جانعان أرسلنا في غم
- ٥٢٧ ما زالت الملائكة تظله بأجحتها حتى رفع
- ٦٠١، ٤٦٤ ما شأنك ؟
- ١١٤٩، ٤٨١ ما شأنهم ؟
- ٥٦٤ ما صلى رسول الله ﷺ صلاة لوقتها الأخر مرتين حتى قبضه الله
- ٦٩٦، ٢٨ ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل
- ٥٢٠، ٣١٥ ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟
- ٥٥٩ ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ؟
- ٣٢٠ ما عليكم أن لا تفعلوا ، فإن الله قد كتب من هو خالق إلى يوم القيامة
- ٤٨٨ ما فعل خصمي وخصمك ؟
- ٤٧٥ ما فعل كعب ؟
- ١٠١٣ ما فعل مالك بن عوف ؟
- ٥٢٦ ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب
- ٢٢٤ ما لي وما للدنيا
- ٨٢٥ ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن
- ٧٧٤ ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه
- ٧٤ ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما يشاء من عليه البشر
- ٦٧٢ ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم
- ٧٦١ ما من شيء لم تكن لريقته إلا قد رأيت في مقامي هذا
- ٨١٤ ما من شيء يوضع في الميزان لثقل من حسن الخلق
- ٤٦٨ ما من مسلم يقود مسلما غدوة ، إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي

- ٥٥٢ ما من نبى بعثه الله في أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون
- ٥٢٢ ما منكم إلا مناجر ربه
- ٧٤٢ ما منك من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة
- ٧٧٧ ما نقص مال عبد من صدقة
- ١٠٣٧ ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة
- ٤٣٠ ما يمنعكم أن تحببوا رسول الله ﷺ ؟
- ١٠٤٩ ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر
- ٨٦٩ ماذا معك من القرآن ؟
- ٦٦٤ مالي أراكم عزين ؟
- ٦٨١ الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة
- ٩٨ الماهر بالقرآن مع الكرام البررة
- ٨٧٠ ، ٨٦٧ ، ٦٨١ مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له
- ٦٩٤ مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه
- ٧٧٢ مثل الكافر كمثل الأرزة
- ٧٦٨ مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة
- ٧٧٢ مثل المؤمن كمثل خامة الزرع
- ٧٧٢ مثل المؤمن كمثل الزرع
- ٤ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد
- ٥٢٦ ، ٥١٩ مثل المذنب في حدود الله والواقع فيها
- ١١٠٧ ، ٧٧٢ مثل المنافق كالأرزة
- ١١٠٦ ، ٧٧٢ مثل المنافق كمثل الشاة العائرة
- ٧٧٢ مثل المنافق كمثل شجرة الأرز
- ٨٠٤ مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر

- ٢٧٩ المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ
- ٧٧٥، ٣٧٦، ٣٦٧ العزء مع من أحب
- ٤٢٦ مرحبًا بالوفد ، الذين جاءوا غير خزايًا ولا ندامى
- ٧٤٥ مرحبًا بالوفد أو القوم غير خزايًا ولا ندامى
- ٤٢٦ مرحبًا بأم هانئ
- ٧٤٥، ٦٧٥ مرحبًا بطالب العلم
- ٤٢٦ مرحبًا يا بنتي
- ٧٧٥ المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ
- ٤٦٠، ٣٨٢ المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ
- ٧٧٦، ٤٧٤ المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ
- ٢٧٩ المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ
- ٧٧٥ المُسْلِمُونَ تَكَافَأَ بِمَاؤُهُمْ ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ
- ٥ المُسْلِمُونَ تَكَافَأَ بِمَاؤُهُمْ : يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ
- ٤ المُسْلِمُونَ كَرَجَلٍ وَاحِدٍ . إِنْ اشْتَكَى عَيْتَهُ اشْتَكَى كُلَّهُ
- ٣٢٠ مَقَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ
- ١٠٢٥ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ
- ٧٩٢ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ
- ٤٤٨ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ
- ٧٨٢ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ
- ٣٧٧، ٣٦٢ مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ ، وَابْتِغَى لِلَّهِ ، وَأَعْطَى لِلَّهِ
- ٥٩ مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ
- ٤٩٧ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا يَنْبَغُ عَلَيْهِ عِلَانِيَةٌ
- ١٧٢ مَنْ أَسَدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافُوهُ

- ٣٩٨ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ
- ٢٠٤ مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ ، وَمَنْعَ لِلَّهِ ، وَأَحَبَّ لِلَّهِ ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ ، وَلَنَكَحَ لِلَّهِ ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ
- ٧٥٤ مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَعَاهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ
- ١١٢٦ مَنْ بَدَلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ
- ٦٠٧ مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ ؟
- ١٢٨ ، ١١٥ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ تَمَرَةً مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ
- ٢٤٧ مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ
- ٨٠٢ مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ
- ٨٢١ ، ٦٧٢ مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا ، لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ
- ٥٨٦ ، ٤٤٠ مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ ؟
- ١٨٥ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ
- ٢٤٧ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ
- ٧٥٣ مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ
- ٧٦٢ مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَرَأَيْنَا هُوَ لَحْمٌ عَجَلَةٌ لِأَهْلِهِ
- ٥١٩ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنْكِرًا فَلْيُغَيِّرْهُ
- ٤٤١ مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ ؟
- ٤٧٤ مَنْ رَدَّ عَنِ عَرِضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنِ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
- ٧٠٥ مَنْ سَأَلَ عَنِ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ الْجَمُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنَ النَّارِ
- ٨٠٥ مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ
- ٤٦٠ مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
- ٢٨٠ مَنْ سَتَرَهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللَّهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
- ٦٧٤ مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَتَّقِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ
- ١٨٧ مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ ، وَمَنْ رَأَى رَأَى اللَّهِ بِهِ

- مَن سَمِعَ سَمِعَ اللّٰهَ بِهِ ... ٨٠٤، ٨٠٣
- مَن صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ، بَعَدَ اللّٰهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ٧٩٤، ٧٥٣
- مَن صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ، جَعَلَ اللّٰهُ بَيْتَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خُنْدَقًا ١٠٣٧
- مَن صَمَتَ نَجَا ٩٢٨
- مَن صَوَّرَ صُورَةً فَإِنَّ اللّٰهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّى يَنْفَخَ فِيهَا الرُّوحَ ٢٥٣
- مَن طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصَيِّبَهُ ٨٠٤
- مَن طَلَبَ العِلْمَ لِيَمَارِي بِهِ السُّفَهَاءَ ٨٠٣
- مَن عَادَ مَرِيضًا ، أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللّٰهِ ؛ نَادَاهُ مَنَابِرُ ٤٦٣
- مَن عَادَى لِي وَوَلِيًا فَقَدْ أَدْبَعَهُ بِالْحَرْبِ ٣٩٠، ٣٦٩
- مَن عَلَّمَ عِلْمًا فَلَهُ أَجْرٌ مِّنْ عَمَلٍ بِهِ ٧٥٠، ٧٠٤
- مَن عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي ، تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ ٩٩٢، ١٨٦
- مَن عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ ٣٩٧، ١٨٦، ٦٠
- مَن فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِيهَا ؟ ٥٨٦، ٤٤٠
- مَن فَرَجَ عَنِ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَجَ اللّٰهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِّنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ٤٦٠
- مَن قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَوَاقَ نَاقَةَ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ١٠٣٧
- مَن قَالَ سُبْحَانَ اللّٰهِ العَظِيمِ وَيَحْمَدُهُ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ ٨٣٣
- مَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِّنْ دُونِ اللّٰهِ حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمَهُ ٦١٧
- مَن قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يَكْتَبْ مِنَ العَاقِلِينَ ٨٧
- مَن قَاتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رِيحَةَ الْجَنَّةِ ٧٥٥
- مَن قَرَأَ : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّبَ النَّمُوتَىٰ ﴾ ، فَلْيَقُلْ : بَلَىٰ ٣٢٢
- مَن قَرَأَ بِالْأَيْتِينَ مِّنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةِ كَفْتَاهُ ٨٧
- مَن قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي شَبَابِهِ اخْتَلَطَ الْقُرْآنُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ ٨٧٢
- مَن كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ٦٣٩

- ٢٢٩ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره
- ٢٣١ من كانت الدنيا همه فرق الله عليه امزة
- ١٠٠١، ٧٠٣، ٥٢٠ من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار
- ٥٩٧ من كظم غيظا ، وهو يستطيع ان ينفذه
- ١٦٨ من لا يرحم لا يرحم
- ٧٢٣ من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة
- ٤٥٥ من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير
- ٤٥٥ من لم يشكر الناس لم يشكر الله
- ١٠٢٨ من لم يفر أو يجهز غازيا أو يخلف غازيا في امله بخير
- ١١٦٥ من مات ولم يفر ، ولم يحدث به نفسه
- ١٠٨٧، ١٠٢٨ من مات ولم يفر ، ولم يحدث نفسه بالفز
- ٣٥٤، ٣١٧ من مات وهو يدعو من دون الله بدا دخل النار
- ٧٩٢ من المتكلم ؟
- ٩٠ من قام عن حزيه ، أو عن شيء منه
- ٢٨٠ من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا
- ٥٤٢ من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه
- ٥٤٢ من هجر فوق ثلاث فمات دخل النار
- ٩٩٨ من يؤمني وينصرني حتى لبلغ رسالات ربي فله الجنة
- ٥٢٠ من يأخذ مني هذا ؟
- ٩٥٨ ، ٨٩١ ، ٨٧٥ ، ٦٨١ من يريد الله به خيرا يفقها في الدين
- ١٠٠٥ من يهده الله فلا مضل له
- ٧٧٩ مة ، عليكم بما تطيقون
- ٢٧٩ المهاجر من هجر الخطايا والذنوب

- ٤٧٢ مهلاً يا خالد . دع عنك اصحابي
- ٥٩٤، ٢٢٩ مهلاً يا عائشة
- ٤٠٨ نَارُكُمْ جُزءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ
- ٨٧٥، ٧٧٥ النَّاسَ مَعَابِينَ
- ٢١٢، ٢١١ نَحْنُ أَحَقُّ بِالشُّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ
- ٧٧٢ النَّدَمُ تَوْبَةٌ
- ٧٠٢ نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتي فَبَلَّغَهَا
- ٨٧٥، ٨٧٢ نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفَظَهُ
- ٧٩٢ نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ
- ٩٩٦ نَعَمْ ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ
- ١٠٠٩ نَعَمْ ، إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ
- ٧٨٢ نعم ، باسمك ونسبك في الملأ الأعلى
- ٦٦٧ نَعَمْ تَرَبَّتِ يَمِينُكَ
- ٧٦٦ نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا
- ١٠١٤ نَعَمْ ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ
- ٨٢٤ نِعْمَتَانِ مَغْبُوتُونَ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
- ٢٢١ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَرُزُّوْهَا
- ١٠٦٧، ٧٨٥ هَذَا آمِنٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ
- ٩٩٢ هَذَا جَبْرِيلُ إِرَادَ أَنْ تَعْلَمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا
- ٤٠٨ هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا
- ٢٢ هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ
- ٥٧٢ هَذَا مِنْ قَضَى نَحْبَةٍ
- ٦٠٥ هَذِهِ بَطْلُكَ السَّبِيْقَةُ

- ٥٨٢ هذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ
- ٢٢ هذِهِ سَبِيلٌ ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ
- ٢١٩ ، ٢٨٥ هَلْ يَبْتَئِكُمْ وَبَيِّنَةٌ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا ؟
- ٢٤٢ هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟
- ٢٠٦ هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ؟
- ٢٠٦ هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ ؟
- ١١٠٥ هَلْ تَضَارُونَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ فِي الظُّهَيْرَةِ ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ ؟
- ١٠٥١ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرِضًا شَدِيدًا
- ١١٢٨ هَلْ عَرَفْتَ أَحَدًا مِنَ الرِّكَبِ الَّذِينَ رَدَدْتَهُمْ ؟
- ١١٢٨ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَمَا أَرَادُوا ؟
- ٧٦٦ هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْزَقٍ ؟
- ٢٥٥ هَلْ كَانَ فِيهَا عَيْدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ ؟
- ٢٥٥ هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ ؟
- ١٠٢٦ هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ ؟
- ٧٦٦ هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ ؟
- ١٠٠٤ هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ ؟
- ٧٥٥ ، ٧٠١ هَلْكَ الْمُتَطَفُّونَ
- ٧٧٨ ، ٦٦٧ هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الْكَفَّةِ
- ٤٨٥ هُمُ إِخْوَانُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ
- ١٠٤٩ هُمُ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ
- ٤٧٩ هُمُ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ
- ١٠٢٢ هُمُ مِنْهُمْ (نِسَاءَ الْمُشْرِكِينَ وَذُرَارِيهِمْ)
- ٢٧٦ هُمُ نَاسٌ مِنْ أَقْنَاءِ النَّاسِ ، وَتَوَازَعِ الْقَبَائِلِ

- ٦٠٧ هُما ربحانَتاي مِن الدنيا
- ١٠٦٧ هو روح الله ، وكلمته ، وعبدالله ، ورسوله
- ٤٨٢ هُوَ لَها صَدَقَةٌ وَأَنا هَدِيَةٌ
- ٨٥٢ وَأَتَى دَعْوَةَ المَظْلُومِ
- ٧٤٢ وَاثْنينِ وَاثْنينِ وَاثْنينِ
- ٧٢ وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيِ مُحَمَّدٍ ﷺ
- ١٠٣٦ وَأَخْرَى يَرْفَعُ بِها العَبْدَ مائةَ دَرَجَةٍ في الجَنَّةِ
- ٤٢٩ وَإِذا قَامَ وَحِدَةً فَلْيَطِلْ صَلاتَهُ ما شاء
- ١٠٣٢ وَإِذا لَقِيتَ عَدُوكَ مِنَ المُشْرِكينَ فادْعُهُم إِلى ثَلاتِ خِصالٍ
- ٢٤٤ وانكِرِ بالهدى هدايتك الطريق
- ٢٤٢ واسلِ سخيمة صدري
- ١٠٣٢ واعلموا أَن الجَنَّةَ تَحْتِ ظلالِ السُّوفِ
- ٦ وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ! لا يَسْمَعُ بي أَحَدٌ مِنَ هذِهِ الأُمَّةِ
- ٧٧٨ وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ تَعَلَّمُونَ ما أَعَلَّمَ ، لَيَكُنْتُمْ كَثيْرًا
- ٥٠٧ وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوِدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو في سَبيلِ اللَّهِ فَأَقْتُلَ
- ٥٠٧ وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلا لَنْ يَشقَّ عَلى المُسْلِمينَ
- ٦٣٧ وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ما شَحَبَ وَجَةَ ولا اغْبَرَّتْ قَدَمٌ
- ٢٢٥ وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! إِنْ لَوْ تَدَوَّمُونَ عَلى ما تَكُونُونَ عِنْدِي
- ٣٦٠ وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا
- ٤٤٨ وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ عَرِضتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ وَالنَّارُ إِنفا
- ٧٥٤ وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ هَمَمْتُ لَنْ أَمَرَ بِحَطَبٍ فَيُحطَبُ
- ٧٥٥ وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعَلَّمُ أَحَدُهُم لَنَّهُ يَجِدُ عَرَقًا سَمِينًا
- ٦١٠ وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوِدِدْتُ لَنِّي أَقتُلُ في سَبيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحيا

- والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْلَا أَنْ رَجُلًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ٦١٠
- والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يَكَلِّمُ أَحَدًا ٧٧٨
- وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ كَثْرًا مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً ٥٦٩ ، ٢٧٠
- وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ٢٨٠
- وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ ٧٧٨
- وَاللَّهُ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ لَنْهُ عَنْكَ ١٠٢٠
- وَاللَّهُ لَوْ قَتَلْتَهُ يَوْمئِذٍ لَأَرْغَمْتَ أَنْوْفَ رِجَالٍ ١١٠٠
- وَاللَّهُ لَيَبْتِمَنَّ هَذَا الْأَمْرَ ، ٧٦٠ ، ٥٥٨ ، ٤١٨
- وَاللَّهُ لِيَهْدِكَ الْعِلْمَ أَبَا الْمُنْذِرِ ٧٨٧
- وَإِنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالُ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ ٧٥١
- وَإِنَّ اللَّهَ وَتَرُّ يُحِبُّ الْوَتْرَ ٢٨٦
- وَإِنْ أُمَّتِي سَتَفَرَّقَ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِائَةً ٦٤٩
- وَإِنْ أُمَّتِي سَتَبْتَلُغُ مَلَكُهَا مَا ذُوِي لِي مِنْهَا ٦
- وَإِنْ لَمِيْنَا أَيْتَاهَا الْأُمَّةُ : لَبُو عَيْنِيَّةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ٧٨٥
- وَإِنْ صَاحِبِ حَسَنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصُّومِ وَالصَّلَاةِ ٨١٤
- وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ ١٠٠٢
- وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَيْمَةَ الْمُضَلِّينَ ٨٥٧
- وَإِنَّهُ عَارِضَتِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ ٨٩٧ ، ٧٨٠ ، ٦٧١
- وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ لَرَأَى اللَّهَ بِهِ الْخَيْرَ ٦٦١
- وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ٨٦٢ ، ٧٥٢ ، ٦٤٩ ، ٢٩٩ ، ٢٢٧
- وَالْبِذَاءُ وَالْبِيَانُ شِعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ ٢٠٣
- وَيَعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَأَنَّهُ ٥
- وَتَوَقَّ كَرَامَتِ أَمْوَالِ النَّاسِ ١٠٤١ ، ٩٩١ ، ٨٤٣

- ٩٨٩، ٧٧٢ وَجَعَلَتْ لِي الْأَرْضَ طَهْرًا وَمَسْجِدًا
- ٩٩٤، ٨١٤، ٢٠٠ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ
- ١١٠٦ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ
- ٨٧٥ وَرَبِّ حَامِلٍ فَقِهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ
- ٩٨ وَذَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ
- ١١٠٨ وَسَازِيدَهُ عَلَى السَّبْعِينَ
- ٦٩٣، ٦٨٩، ٢٢٩ وَالصَّدَقَةُ بِرَهَانٍ
- ٥٦٦ وَصِيَامُ يَوْمٍ عَاشُورَاءَ ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ
- ٦٩٣ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ
- ١٠٠٧، ٥٧٨ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ
- ٥ وَكَانَ النَّبِيُّ يُنْفِثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَةً
- ٩٩٥ وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟
- ٤٠٠ وَلَا لَنَا ، إِلَّا أَنْ يُتَّقَمِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ
- ٧٦٥، ٢٧٥ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخْوَالِهِمْ
- ٢٢٢ وَلَا يَسُدُّ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ
- ٤٦٠، ٣٧٩ وَلَئِنْ أَمْشَى مَعَ لَخِي فِي حَاجَةٍ لِحُبِّ إِلِي مِنْ لَنْ أَعْتَكَفَ
- ٧٦٦ وَلَعَلَّ هَذَا عِرْقُ نَزْعَةٍ
- ٢٤٢ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ
- ٢٢٥ وَلَكِنْ يَا حَتَّالَةَ ! سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ
- ٤٠٠ وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيَصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُمْ
- ٥٣١ وَأَلْكِنِي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا
- ١١ وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ
- ٢٣٦ وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قَلُوبِكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذُّكْرِ لَصَافَحْتُمْ الْمَلَائِكَةَ

- ولو وجبت لم تقوموا بها ٦٢٤
- وَأَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خُرْدٍ ٥٥٢
- وَمَا ذَلِكَ ؟ ٧٨٩ ، ٢٨٨ ، ٢٣٥
- وَمَا يُبْكِيكَ ؟ ٥٩٩
- وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ لَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ ٤٥٠
- وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَائِلِ حَتَّى لَحِيَّةٍ ٣٩٠ ، ٢٨٤ ، ٢٦٩
- وما يفني عنه قميصي من الله ١١١٠
- وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ ٨٢٠
- وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ٧٥٠ ، ٦٧٤
- وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ٤٦٠
- ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تنهيا له أثبت الله قدمه يوم تزلزل الأقدام ٤٦٠ ، ٣٧٩
- وَهَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بَيْنَ أَظْهُرِهِمُ الْمَصَاحِفُ ، لَمْ يَتَعَلَّقُوا مِنْهَا بِحَرْفٍ ٨٥٨
- وَهَلْ يَكْبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا حَصَادِئُ أَسْتَيْتِهِمْ ٦٣٠
- وَهُوَ وَتَرُّ يُجِبُّ الْوَتْرَ ٢٢٢ ، ٢٨٧
- وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِّبِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ١٠١٩ ، ٩٨٨ ، ١٨١ ، ٨٢
- وَيَحْكُ تَطَلَّعَتْ عُنُقُ صَاحِبِكَ ٤٥٦
- وَيَحْكُمُ ، أَوْ وَيَلْكُمُ لَا تَرْجِعُنْ بَعْدِي كُفَّارًا ٤٧٤
- وِيلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ ٧٥٩ ، ٧٥٤ ، ٦٦١
- وَيَلِّكَ أَوْلَسْتَ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ لَنْ يَنْقِيَ اللَّهَ ١٠٩١ ، ٤٤٥
- يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ٤٠٨
- يُؤْتَى بِالرِّجْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ ٩٠٩ ، ٦٩٢ ، ٥٢٠ ، ٤٩٨
- يَوْمَكُمْ أَقْرَبَكُمْ ٨٦٨
- يا أبا بكر قل : اللهم فاطر السموات والأرض ١٨٨

- ٥٩٨ يا لبا بكر ا لعلك اغضبتهم ؟
- ٥٩٣ يا لبا جندل ا اصبر واحسب
- ٢٦٥ يا لبا ذر اعيرته بانه ؟
- ١٠٣٦ يا لبا سعيد ، من رضي بالله ربا
- ٦٠٦ ، ٥٠٩ يا لبا عمير ما فعل النفير ؟
- ٤٤٣ يا لبا المسور خبات هذا لك
- ٧٨٧ يا لبا المنذر ا لتدري اي اية من كتاب الله معك اعظم ؟
- ٧٨٨ ، ١٠١ يا لبا موسى لقد اوتيت مزارا من مزامير آل داود
- ١٠٥٧ يا ابن سلام اخرج عليهم
- ٤٤٥ يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله ؟
- ١١٢٨ ، ١١٢٤ يا اسيد اني لكره ان يقول الناس : ان محمدا قاتل بقوم
- ٦٠٧ يا لم خالد ، هذا ستاه
- ٥٧٥ يا لم فلان ا انظري اي السكك شئت ، حتى اقضي لك حاجتك
- ٦٠٦ يا اناجش ، زويدك سوتك بالقوارير
- ٣٢٧ يا ايها الناس ارتعوا على انفسكم
- ٣٧٦ يا ايها الناس ، استمعوا واطعوا
- ٤٩٢ يا ايها الناس ا ان منكم منفرين
- ٨٢٨ يا ايها الناس اني قد تركت فيكم ما ان اعصمتم به فلن تضلوا
- ٧٠١ يا ايها الناس اياكم والفلو في الدين
- ٥٦٩ ، ٢٧٠ يا ايها الناس توبوا إلى الله
- ٧٥١ يا ايها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون
- ٢٤٨ يا ايها الناس قولوا بقولكم
- ٩٩٧ ، ٦١٦ يا ايها الناس قولوا : لا اله الا الله تفلحوا

- ١٠٣٢ يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو
- ٩٨٩ يا بني عبد مكَاف يا صَباحاة
- ٩٨٧، ٥٧٤، ٨٢ يا بني فِهْر ، يا بني عَدِي
- ٩٨٨ يا بني كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ اُنْقِدُوا اَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ
- ٥٠٥ يا بني النُّجَارِ ثَامِنُونِي بِحَابِطِكُمْ هَذَا
- ٥٢٦ يا جَابِرُ مَا لِي اُرَاكَ مُنْكَسِرًا ؟
- ٤٥٠ يا حاطب ما هذا ؟
- ٢٧٢، ١٥٠ يا حُصَيْنِ اِنْ لَبِي وَلِبَاكِ فِي النَّارِ
- ٢٧٢، ١٥٠ يا حُصَيْنِ كَمْ تَعْبُدُ مِنْ اِلهٍ ؟
- ٦٠٠ يا حُمَيْراءِ اَلْحَمِيْنِ اِنْ تَنْظُرِي اِلَيْهِمْ ؟
- ٤٦١ يا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ ، بِرَحْمَتِكَ اَسْتَفِيْثُ
- ١٠١٨ ، ٩٨٨ يا صَباحاة
- ٦٠٤ يا عَائِشَةَ ! هَذَا جَبْرِيلُ يَقْرُؤُكَ السَّلَامَ
- ٤٤١ يا عَائِشَةَ ارْفُقِي
- ٥٦١ يا عَائِشَةَ اِنْ عَيْنِي تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي
- ٧٢٠ ، ٧٢١ يا عَائِشَةَ لَوْلَا قَوْلُكَ حَدِيْثُ عَهْدِهِمْ
- ٥٢٢ يا عِيَادِي اِنَّمَا هِيَ اَعْمَالُكُمْ اَلْحُصِيْبُ لَكُمْ
- ٤٧١ يا عَبَّاسُ ! اَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيْثِ بَرِيْرَةَ ، وَمِنْ بَغْضِ بَرِيْرَةَ مُغِيْثًا ؟
- ١٠٤٢ يا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ اَسْلِمِ تَسْلِمًا
- ٩٩٢ يا عَمْرُ ! اَلْتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ ؟
- ١٧٢ يا غُلامُ اِنِّي اَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ
- ٩٩٠ يا مُعَاذُ اَلْتَدْرِي مَا حَقُّ اللّٰهِ عَلَيَّ الْعِيَادِ ؟
- ٤٨٧ ، ٤٨٦ يا مُعَاذُ ! اَلْفَتَانُ اَنْتَ ؟

- ٢٠٦ يا معاذ بن جبل ...
- ٧٦٢، ٢٧٥ يا معاذ والله إنني لأحبك
- ٤٧٧، ٤٣٠ يا معشر الأنصار ، ألم أجيدكم ضللاً فهداكم الله بي
- ١٠١٩، ٩٨٨ ، ١٨١ ، ٨١ يا معشر قريش ، لو كلمة نحوها ، اشتروا أنفسكم
- ١١٦٠ ، ١١٥٥ يا معشر المسلمين ، من يعذرني
- ٧٥٥ يا معشر النساء تصدقن ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار
- ١٠٥٨ يا معشر اليهود ! لؤذي التي عشر رجلاً يشهدون
- ١٠٥٦ يا معشر يهود ! أسلموا تسلموا
- ١٠٥٧ يا معشر اليهود ويحكم الله
- ٢٤٢ يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك
- ٦٩٠ يأتي القرآن وأهله الذين يعملون به في الدنيا
- ٣٢٨ يتذكر ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا
- ٩٠٩ يجاء برجل فيطرح في النار ، فيطحن فيها كطحن الجمار برحاه
- ٨٦ يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن
- ٢١١ يزحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد
- ٥٧٧ يزحم الله موسى قد لؤذي بأكثر من هذا فصبر
- ١٠٤٢ يسراً ولا تغسراً ، وبشراً ولا تنفراً
- ٧٤٦ يسروا ولا تغسروا ، وبشروا ولا تنفروا
- ٦٢٧ يصاح برجل من أمي يوم القيامة على رؤوس الخلائق
- ٢٨٠ ، ٢٧٩ يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة
- ٦٢٨ يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمتاً
- ٨٦٩ يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة : اقرأ واصعد
- ٢١٨ يقبض الله الأرض ، ويطوي السموات بيمينه

- ١٨٧ يقول الله ﷻ - إذا جرى الناس بأعمالهم
- ٢١٩ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي
- ٣٧٨ يقول الله ﷻ : قد حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي
- ٣١٤ يقول الله ﷻ : كَذَّبْتِي ابْنُ آدَمَ
- ٣١٩ يَكْشِفُ رَيْثًا عَنْ سَابِقِهِ
- ١٠٦٥ يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدُ
- ١٠٤٩ يَنْحَرُ لَهُمْ ثَوْبُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا
- ١٠٤٩ يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتَكَ ؟



فهرس

المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
حسب العدة الكوفي (٦٢٣٦) آية .
- الآداب الشرعية والمنح المرعية ، محمد بن مفلح المقدسي .
دار أهد .
- اتباع السنن واجتباب البدع ، محمد عبدالواحد المقدسي ، تحقيق : علي حسن
علي عبدالحميد .
دار ابن القيم ، الدمام ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .
- الإقتان في علوم القرآن ، للسيوطي .
دار المعرفة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٩٨ هـ .
- إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزالي ، تحقيق : سيد إبراهيم .
دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة ، د. أحمد عبدالعزيز الحداد .
دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .
- أدب الدنيا والدين ، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي ، تحقيق : مصطفى السقا .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٣ .
- الأدب المفرد ، البخاري .
دار عالم الكتب ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .
- الأذكار ، النووي ، تحقيق : عبدالقادر الأرناؤوط .
دار الهدى ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعز الدين ابن الأثير علي بن محمد الجزري .
مطبعة الشعب ، القاهرة .

- الأسلوب النبوي في الدعوة ، د. الشريف حمدان راجح الحجاري .
دار الهدى للطباعة ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .
- الأسماء والصفات ، الحافظ البيهقي ، تحقيق : عماد الدين حيدر .
دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- اشتقاق أسماء الله الحسنى ، للزحاجي ، تحقيق : عبدالمحسن المبارك .
بيروت ١٩٨٦ م .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، الحافظ ابن حجر ، تحقيق : عادل عبدالموجود ، وعلي معوض .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
- إصلاح القلوب ، عبدالمهدي وهي .
مكتبة الدليل ، الجليل ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .
- أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، عبدالرحمن النحلاوي .
دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق . ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي .
عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ .
- الاعتصام ، لأبي إسحاق إبراهيم الشاطبي ، تحقيق : سليم الهلالي .
دار ابن عفان ، الخبر ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- إعجاز القرآن . والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، تحقيق : عبد الله المنشاري .
مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع ، المنصورة ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي .
مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ،
تحقيق : د. ناصر العقل .
- شركة العبيكان للطباعة والنشر ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ .
- اقتضاء العلم العمل ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني .
المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٩٧ هـ .

- إكمال المُعلِّم بفوائد مسلم ، القاضي عياض ، تحقيق : د. يحيى إسماعيل .
دار الوفاء ، المنصورة ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- الأهداف الربوية السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيمية ، فوزية رضا خياط .
مكتبة المنارة ، مكة المكرمة ، طباعة : دار البشائر الإسلامية ، بيروت ،
ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لابن هشام .
دار الجليل ، بيروت ، ط ٥ ، ١٣٩٩ هـ .
- الإيمان ، الحافظ أبي بكر عبد الله بن أبي شيبة ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني .
دار الأرقم ، الكويت ، طباعة دار النور ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .
- الإيمان ، شيخ الإسلام ابن تيمية .
المكتب الإسلامي ، ط ٣ ، ١٤٠١ هـ .
- البحر المحيظ في التفسير ، لأبي حيان الأندلسي الغرناطي ، عناية : عرفان حسونة .
طبعة صدقي محمد جميل ، المكتبة التجارية ، مصطفى الباز ، مكة .
- بدائع الفوائد ، ابن القيم ، تحقيق : بشر محمد عيون .
دار البيان ، دمشق ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
- البداية والنهاية ، ابن كثير ، عناية وتوثيق : عبدالرحمن اللازي ، ومحمد بيضون .
دار المعرفة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٨ هـ .
- البدع والنهي عنها ، محمد بن وضاح القرطبي ، تحقيق : عمرو عبدالمنعم سليم .
مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .
- البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .
المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩١ هـ .
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، الفيروز آبادي .
المكتبة العلمية ، بيروت .
- بيان فضل علم السلف على علم الخلف ، الحافظ ابن رجب ، تحقيق : محمد ناصر
العجمي .
دار الأرقم ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ .

- تاريخ الثقات ، للإمام الحافظ أحمد بن عبد الله العجلي ، توثيق وتخريج : د. عبدالمعطي قلعجي .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي .
دار الكتاب العربي ، بيروت .
- التبيان في آداب حملة القرآن ، النووي ، تحقيق : عبدالقادر الأرناؤوط .
دار الرشاد ، ط ٢ ، حدة ، ١٤٠٨ هـ .
- التبيان في أقسام القرآن ، ابن قيم الجوزية ، تصحيح : محمد الفقي .
دار المعرفة ، بيروت .
- تجريد التوحيد المفيد ، أحمد بن علي المقرئ ، تحقيق : علي العُمران .
دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، مكة ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- تحفة الأحياء (الرسالة التبوكية) ، ابن القيم .
طبع إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ .
- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ، محمد المباركفوري ، تصحيح ومراجعة عبدالوهاب عبداللطيف .
دار الفكر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٣٩٩ هـ .
- التحفة العراقية في أعمال القلوب ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : سليمان مسلم الحرش .
دار الهدى ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ .
- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ، عبدالرحمن بن رجب ، تحقيق : بشير محمد عيون .
مكتبة دار المويد ، الطائف ، ودار البيان ، دمشق ، ط ٣ ، ١٤١٣ هـ .
- تذكرة الحفاظ ، للإمام الذهبي .
دار إحياء التراث العربي ، عن مكتبة الحرم المكي ، مكة المكرمة ، ١٣٧٤ هـ .
- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، ابن جماعة الكنتاني ، تحقيق : السيد محمد هاشم الندوي .
رمادي للنشر ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .

- التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري .
مركز الدراسات والإعلام ، دار إشبيليا ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- التربية المقارنة ، د. عبدالله عبدالرحمن الفاتز .
مطبعة سفير ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .
- تربية النبي ﷺ لأصحابه في الكتاب والسنة ، خالد عبدالله القرشي .
رسالة ماجستير لم تُطبع ، جامعة أم القرى ، ١٤١٣ هـ .
- ترتيب القاموس المحيط ، الطاهر أحمد الزاوي .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ .
- الترغيب والترهيب ، الحافظ المنذري ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد .
مطبعة السعادة بمصر ، ط ١ ، ١٣٧٩ هـ .
- تزكية النفس ، شيخ الإسلام ابن تيمية .
دار المسلم ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
- تزكية النفس ، سعد الطخيس .
دار الصمعي للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .
- تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف : ابن رجب ، وابن القيم ، وأبي حامد الغزالي ، جمع وترتيب : د. أحمد فريد ، تحقيق : ماجد بن أبي الليل .
دار القلم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- التصفية والتزبية وأثرهما في استئناف الحياة الإسلامية ، علي حسن عبدالحميد .
دار التوحيد للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
- التعريفات ، علي بن محمد الجرحاني .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ .
- تعظيم قدر الصلاة ، الإمام محمد بن نصر المروزي ، تحقيق : د. عبدالرحمن الفيواي .
مكتبة الدار ، المدينة ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- تعليم المتعلم طريق التعلم ، الإمام برهان الإسلام الزرنوجي .
دار الفكر للطباعة والنشر ، الدار السودانية ، الخرطوم .
- تفسير الجلالين ، جلال الدين المحلي ، وجلال الدين السيوطي .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، توزيع مكتبة عباس أحمد الباز .

- تفسير أبي السعود ، أبي السعود محمد العمادي .
دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤١٤ هـ .
- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تحقيق : د. محمد إبراهيم البنا .
دار القبة ، ومؤسسة علوم القرآن ، ودار ابن حزم ، بيروت ، ١٤١٩ هـ .
- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير .
دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ .
- تفسير القرآن ، للإمام حجة أهل السنة والجماعة أبي المظفر السمعاني ، تحقيق : ياسر إبراهيم وغنيم عباس .
دار الوطن ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، للراغب الأصبهاني ، تحقيق : د. عبد الحميد النجار .
دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
- تقريب التهذيب ، للحافظ ابن حجر ، تحقيق : محمد عوامة .
دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، دار الرشيد ، حلب ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- التمهيد في علم التجويد ، محمد بن محمد الجزري ، تحقيق : د. علي حسين البواب .
مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- التمهيد في الكلام على التوحيد ، يوسف بن حسن عبد الهادي الدمشقي الخنبلي ، تحقيق : د. محمد السّمهري .
دار بلنسية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- تهذيب الأخلاق ، العلامة عبدالحى الحسيني .
المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت .
- تهذيب التهذيب ، الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني .
دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ .
- تهذيب سيرة ابن كثير ، مروان كحك ، تخريج : فتحي الجندي .
دار طيبة ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ المزني ، تحقيق : د. بشار عواد معروف .
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٦ هـ .

- التوشيح شرح الجامع الصحيح ، للحافظ أبي الفضل عبدالرحمن السيوطي ، تحقيق : رضوان جامع رضوان .
شركة الرياض ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، عبدالرحمن بن ناصر السعدي .
مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ١٤٠٦ هـ .
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب .
المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط ٦ ، ١٤٠٥ هـ .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، تقديم : محمد النجار ، وتصحيح محمد البسام .
دار الذخائر ، الدمام ، ١٤١٤ هـ .
- الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبدالله محمد الأنصاري القرطبي .
ط ٢ ، ١٣٧٢ هـ .
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : د. محمد عجاج الخطيب .
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- جامع بيان العلم وفضله ، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالبر ، تحقيق : أبي الأشبال الزهيري .
دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : عمود محمد شاكر ، مراجعة وتخريج الأحاديث : أحمد محمد شاكر .
دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٧٤ هـ .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري .
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي ، ط ٣ ، ١٣٨٨ هـ .
- جامع الرسائل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم .
دار المدني ، جدة ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .

- الجامع الصحيح ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . عناية د. مصطفى ديب البغا .
- دار ابن كثير واليمامة ، دمشق ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ .
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، للإمام الحافظ ابن رجب ، تحقيق : شعيب الأرنؤان ، وإبراهيم باحس .
- مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤١٣ هـ .
- الجرح والتعديل ، ابن أبي حاتم الرازي .
- دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- جماع العلم ، للإمام محمد بن إدرس الشافعي ، تعليق وتحقيق : أحمد محمد شاكر .
- مكتبة ابن تيمية لطباعة ونشر الكتب السلفية ، القاهرة ، ١٣٥٩ هـ .
- الجماعات الإسلامية بين العاطفة والعقل ، سعود العنزري .
- دار البلد الأمين ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د. علي بن حمد بن ناصر ، وزميلاه .
- دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- الجواب المفيد في بيان أقسام التوحيد ، محمد صالح العثيمين .
- دار طويق ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
- حاشية ثلاثة الأصول ، عبدالرحمن بن قاسم النجدي .
- ط ٦ ، ١٤٠٨ هـ .
- الحث على حفظ العلم ، وذكر كبار الحفاظ ، الحافظ جمال الدين أبي الفرج ، عبدالرحمن بن الجوزي .
- دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- الحث على طلب العلم والاجتهاد فيه ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق : يوسف محمد فتحي ، ومراجعة : أ.د. كاظم الطواهري .
- دار الصحابة للتراث ، بطنطا ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- حفظ القرآن الكريم ، محمد عبد الله الدويش .
- دار الوطن للنشر ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .

- حكم الانتماء ، بكر أبو زيد .
- دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط ٢ ، ١٤١٠ هـ .
- الحكمة في الدعوة إلى الله ، سعيد بن وهف القحطاني .
- مطبعة سفير ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ .
- حلية الأولياء ، لأبي نعيم الأصبهاني .
- دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- الحوار ، يحيى زمزمي .
- دار التربية والتراث ، مكة المكرمة - رمادي للنشر ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- الحوار مع أهل الكتاب ، خالد القاسم .
- دار المسلم ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- حياة الصحابة ، محمد يوسف الكاندهلوي .
- دار المعرفة ، بيروت .
- الداء والدواء (الجواب الكافي) ، ابن القيم .
- دار المدني ، جدة ، ١٤٠٣ هـ .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي .
- دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية ، عبد الحميد بن باديس ، ضبط وتعليق : علي حسن عبد الحميد .
- دار المنار ، الخرج ، ١٤١٢ هـ .
- الدرر في اختصار المغازي والسير ، ابن عبد البر ، تحقيق : د. شوقي ضيف .
- دار المعارف ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ .
- الدرر الكامنة ، الحافظ ابن حجر .
- دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- الدعوة إلى الله ، علي حسن عبد الحميد .
- مكتبة الصحابة ، جدة ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- دعوة النبي ﷺ للأعراب ، حمود جابر الحارثي .
- دار المسلم ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .

- دلائل النبوة ، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني ، تحقيق وتخرىج : عبدالرّ عبّاس ومحمّد قلعجي .
المكتبة العربية ، حلب ، ط ٢ ، ١٣٩٠ هـ .
- دلائل النبوة ، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، لأبي بكر أحمد البيهقي ، تحقيق :
د. عبدالمعطي قلعجي .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- ديوان الشافعي ، تحقيق : محمّد عبدالرحمن .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١٩٨٤ م .
- الدرّعة إلى مكارم الشريعة ، لأبي القاسم الحسين بن محمّد الراغب الأصفهاني ،
تحقيق : د. أبو اليزيد العجمي .
دار الصحوة ، القاهرة ، دار الرفاء ، المنصورة ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- ذمّ الهوى ، ابن الجوزي ، تصحيح : أحمد عبدالسلام عطا .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ .
- الرّحية في علم الفرائض ، للإمام الرّحبي ، بشرح سبط ابن المارديني ، وحاشية
العلامة البقري .
طبعة دار إحياء التراث الإسلامي ، قطر ، مؤسسة دار العلوم للطباعة ،
ط ١٤٠٨ هـ .
- الرّحيق المختوم ، صفّي الرّحمن المباركفوري .
دار المؤيد ، الرياض ، ١٤١٨ هـ .
- رسالة الألفة بين المسلمين ، شيخ الإسلام ابن تيّبة ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة .
مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، طباعة دار البشائر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- الرسالة التبوكية ، ابن القيم ، تحقيق : طارق السعود .
مكتبة المنار ، الزرقاء - الأردن ، ط ٣ ، ١٤٠٥ هـ .
- الرسول المبلّغ ، د. صلاح الخالدي .
دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
- الرسول المعلم وأساليبه في التعليم ، عبدالفتاح أبو غدة .
مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ،
ط ١ ، ١٤١٧ هـ .

- الروضُ الأتفُ في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، للإمام المحدث عبدالرحمن السهيلي ، تحقيق : عبدالرحمن لوكيل .
مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه ، عبدالله بن أحمد بن قدامة .
مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
- رياض الصالحين ، النوري ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني .
المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط ٣ ، ١٤٠٦ هـ .
- زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وعبدالقادر الأرنؤوط .
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢٨ ، ١٤١٥ هـ .
- زبدة التفسير من فتح القدير ، د. محمد سليمان الأشقر .
دار الفحاء ، دمشق ، دار السلام ، الرياض ، ط ٥ ، ١٤١٤ هـ .
- الزهد ، للإمام أحمد بن حنبل ، مراجعة وضبط : لجنة من العلماء بإشراف الناشر .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ .
- سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، الإمام محمد بن يوسف الصالحى ، تحقق : عادل عبدالمرجود ، وعلي معوض .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- سبيل الدعوة الإسلامية ، د. محمد أمين المصري .
دار الأرقم ، الكويت ، ط ٣ ، ١٤٠٣ هـ .
- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني .
المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط ٣ ، ١٤٠٣ هـ .
- السنة ، للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني .
المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .
- سنن الترمذي ، أبو عيسى الترمذي ، تحقيق : عبدالرحمن محمد عثمان .
دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٦٤ م .
- سنن الدارمي ، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن ابن الفضل الدارمي ، عناية : محمد أحمد دهمان .
دار إحياء السنة النبوية - دار الكتب العلمية ، بيروت .

- سنن أبي داود ، أبو داود السجستاني ، إعداد عزت عبيد دعاس ، وعادل السيد . دار الحديث ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٣ هـ .
- السنن الكبرى ، الحافظ أبي بكر البيهقي . دار المعرفة ، بيروت .
- سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن ماجه ، تحقيق : محمد فواد عبد الباقي . دار إحياء التراث ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١٣٩٥ هـ .
- سنن النسائي ، أحمد بن شعيب النسائي . دار الفكر ، بيروت ، ط ١٩٨٧ م .
- سير أعلام النبلاء ، للإمام محمد بن أحمد النُهَيْي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ .
- سيرة الرسول ﷺ ، محمد عزة دروزة . المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، طبعة دار إحياء التراث الإسلامي بقطر ، ١٤٠٠ هـ .
- السيرة النبوية ، للحافظ النهي ، تحقيق : حسام الدين القدسي . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ .
- السيرة النبوية ، ابن كثير ، تحقيق : مصطفى عبدالواحد . دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٨ هـ .
- السيرة لابن هشام ، مع شرح أبي ذر الخشني ، تحقيق : د. همام سعيد ومحمد عبد الله أبو صعلبيك . مكتبة المنار ، الأردن ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .
- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، د. مهدي رزق الله أحمد . عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- السيرة النبوية الصحيحة ، د. أكرم ضياء العمري . مكتبة العلوم والحكم ، المدينة ، ط ٦ ، ١٤١٥ هـ .
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم ، الإمام أبي القاسم هبة الله اللالكائي ، تحقيق : الأستاذ : د. أحمد سعد حمدان الغامدي . دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ .

- شرح السنة ، للإمام البغوي ، تحقيق : زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط .
المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ .
- شرح السنة ، لأبي محمد الحسن بن عليّ الربهاري ، تحقيق : أبي ياسر خالد بن قاسم الراددي .
مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- شرح السنة ، لأبي محمد الحسن بن عليّ الربهاري ، تحقيق : د. محمد سعيد القحطاني .
رمادى للنشر ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
- شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق : جماعة من العلماء ، وتخريج : محمد ناصر الدين الألباني .
المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٨ ، ١٤٠٤ هـ .
- الشريعة ، الإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجرّي ، تحقيق : محمد حامد الفقي .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ .
- شعب الإيمان ، الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : أبي هاجر / محمد السعيد زغلول .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض ، تحقيق : عليّ البحاري .
دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ .
- الصّحاح ، الجوهرى .
صحیح الأدب المفرد ، محمد ناصر الدين الألباني .
دار الصديق ، الجليل ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- صحیح الرّغيب والرّهيب ، للحافظ المنذري ، اختيار وتحقيق : محمد ناصر الدين الألباني .
المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ .
- صحیح جامع بيان العلم وفضله ، أبو الأشبال الزّهيري .
مكتبة ابن تيميّة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .

- صحيح الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين .
المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط ٣ ، ١٤٠٢ هـ .
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، الأمير علاء الدين بن بلبان ، تحقيق :
شعيب الأرنؤوط .
- مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
- صحيح سنن الترمذي ، محمد ناصر الدين الألباني .
مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
- صحيح سنن أبي داود ، محمد ناصر الدين الألباني .
مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .
- صحيح سنن ابن ماجه ، محمد ناصر الدين الألباني .
مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ .
- صحيح سنن النسائي ، محمد ناصر الدين الألباني .
مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
- صحيح السيرة النبوية ، إبراهيم العلي .
دار النفائس ، الأردن ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
- صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . عناية : محمد
فؤاد عبدالباقى .
- دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٧٦ هـ .
- صفات المنافقين ، ابن القيم .
المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٩٩ هـ .
- صيد الخاطر ، ابن الجوزي ، تحقيق : عامر بن علي ياسين .
دار ابن خزيمة ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤١٩ هـ .
- الضوء المنير على التفسير (مجموع كلام ابن القيم في التفسير) ، جمع : علي
الحمد الصالحى .
- مؤسسة النور للطباعة بالتعاون مع مكتبة دار السلام ، الرياض .
- الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى الكاملة ، ١٤١٠ هـ .

- العبر في خبر من غير ، الحافظ الذهبي ، تحقيق : محمد زغلول .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١٤٠٥ هـ .
- العزلة ، الخطابي .
- العبودية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تصحيح : محمد منير الدمشقي .
طبعة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ .
- عشرة النساء ، النسائي ، تحقيق : عمرو علي عمر .
مكتبة السنة ، القاهرة ، النشرة الثالثة من الطبعة ، ١٤٠٨ هـ .
- عقيدة السلف أصحاب الحديث ، أبو إسماعيل عبدالرحمن بن إسماعيل الصابوني ،
تحقيق وتخريج : بدر البدر .
الدار السلفية ، حولي - الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ .
- عون المعبود شرح سنن أبي داود ، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم
آبادي ، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية ، تحقيق : عبدالرحمن محمد عثمان .
دار الفكر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٣٩٩ هـ .
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ، لابن سيد الناس ، تحقيق : د. محمد
الخطراوي ومحيي الدين مستور .
مكتبة دار التراث ، المدينة ، ودار ابن كثير ، دمشق ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .
- غذاء الألباب شرح منظومة الآب ، محمد السفاريني .
موسسة قرطبة ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن رجب ، تحقيق : محمود شعبان
عبدالمقصود ، وزملاؤه .
مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ،
شرح وترقيم ومراجعة : محب الدين الخطيب ، محمد فواد عبد الباقي ، وقصي الخطيب .
دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني .
دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ .

- فتح المجيد ، شرح كتاب التوحيد ، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ، تحقيق : عبدالقادر الأرناؤوط .
مكتبة المؤيد ، الطائف ، مكتبة دار البيان ، دمشق — بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ .
- فتح المفت بشرح ألفية الحديث للعراقي ، الإمام أبي عبدالله محمد السخاوي ، تحقيق : علي حسين علي .
دار الإمام الطبري ، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ .
- الفرق بين الفرق ، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- فقه الدعوة الفردية ، د. علي عبدالحليم محمود .
دار الوفاء ، المنصورة ، ط ١٤١٢ هـ .
- فقه السيرة ، محمد الغزالي ، تخريج محمد ناصر الدين الألباني .
دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٥ م .
- الفقيه والمتفقه ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي .
دار ابن الجوزي ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- الفكر الربوي عند ابن تيمية ، د. ماجد عرسان الكيلاني .
دار الأندلس الخضراء ، جدة ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- الفكر الربوي عند ابن القيم ، د. حسن علي الحجاجي .
دار حافظ ، جدة ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
- الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، تخريج : أحمد راتب عرموش .
دار النفائس ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٣ هـ .
- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن القيم .
دار الكتب العلمية .
- القاموس المحيط ، الفيروزآبادي .
دار الجليل ، بيروت .
- قضاء الحوائج ، ابن أبي الدنيا .

- القول المفيد على كتاب التوحيد ، محمد بن صالح العثيمين .
دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط ٣ ، ١٤١٩ هـ .
- القول المفيد في أدلة التوحيد ، لأبي إبراهيم محمد بن عبد الوهاب الرصافي .
مكتبة الضياء ، جدة ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ .
- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (القصيدة النونية) ، ابن القيم ، عناية :
عبد الله العُمير .
دار ابن عزيمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .
- الكبائر ، النهي ، تحقيق : عبد الرحمن فاحوري .
دار السلام ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٠٥ هـ .
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ ، لأبي بكر بن عزيمة ، تحقيق :
د. عبدالعزيز الشهوان .
دار الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
- كتاب الزهد ، للإمام عبد الله بن المبارك ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .
دار الكتب العلمية ، بيروت .
- كتاب السنة ، عبد الله بن أحمد بن حنبل ، تحقيق : د. محمد سعيد القحطاني .
دار ابن القيم ، الدمام ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- كتاب العلم ، الحافظ أبي خيثمة ، زهير بن حرب النسائي ، تحقيق : محمد ناصر
الدين الألباني .
المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ .
- كتاب الكبائر ، الإمام الحافظ شمس الدين النهي .
دار الندوة ، بيروت .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل ، أبي القاسم /
جار الله محمود الزمخشري .
دار المعرفة ، بيروت .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفة .
دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ .

- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ، الحافظ ابن رجب ، تخريج وتعليق : عماد طه فرّة .
دار الصحابة للتراث ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ، الحافظ ابن رجب ، تحقيق : بشير محمد عيون .
مكتبة دار البيان ، دمشق ، مكتبة المويد ، الطائف ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- الكلّيات ، معجم المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الكفري ، تحقيق :
عدنان درويش ، ومحمد المصري .
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١٩٩٣ م .
- كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال ، علي بن حسام الدين الهندي .
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٥ ، ١٤٠١ هـ .
- لسان العرب ، لابن منظور .
دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ .
- لطائف المعارف ، الحافظ ابن رجب ، تحقيق : ياسين السّوّاس .
دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .
- مجتبي الفوائد الدعوية والتربوية ، من مؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ،
إعداد : محمد عبدالله الرائي .
دار الوطن ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .
- مجمع الأمثال ، لأبي الفضل أحمد النيسابوري ، تحقيق : محمد محيي الدين
عبد الحميد .
دار الفكر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٣٩٣ هـ .
- مجمع الزوائد ومنبع الزوائد ، للهيتمي .
دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٢ هـ .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع : عبدالرحمن بن قاسم .
مكتبة المعارف ، الرباط ، توزيع خدام الحرمين الشريفين الملك خالد بن
عبد العزيز - رحمه الله .
- مجموعة التوحيد ، عدد من العلماء ، منهم : شيخ الإسلام ابن تيمية ، والإمام محمد
ابن عبد الوهاب ، تحقيق : بشير محمد عيون ، ومراجعة : عبدالقادر الأرنؤوط .
مكتبة دار البيان ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ .

- مرويات الإمام أحمد في التفسير ، جمع وتخريج : حكمت بشير ياسين .
مكتبة المؤيد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- المستدرک علی الصحیحین ، للحافظ أبی عبدالله محمد الحاکم النیسابوری ، دراسة وتحقیق : مصطفى عبدالقادر عطا .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ .
- مسند أبی یعلی ، أبو یعلی الموصلي ، تحقیق : حسین أسد .
دمشق ، ط ٢ ، ١٤١٠ هـ .
- المسند ، للإمام أحمد بن حنبل ، شرح : أحمد محمد شاكر .
دار المعارف ، مصر ، ط ١ ، ١٣٧٧ هـ .
- المسند ، للإمام أحمد بن حنبل ، مراجعة وضبط : صدقي محمد جميل العطار
دار الفكر ، مصر ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
- المصنّف ، لأبي بكر عبدالرزاق الصنعاني ، تحقیق : حبيب الرحمن الأعظمي .
المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١٩٨٣ م .
- المطالب العالیة بزوائد المسانید الثمانية ، الحافظ ابن حجر ، تحقیق : حبيب الرحمن الأعظمي .
دار المعرفة ، بيروت .
- معالم فی السلوك وتزکیة النفوس ، عبدالعزيز العبد اللطيف .
دار الوطن للنشر ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- معجم الأدباء ، یاقوت الحموي الرومي ، تحقیق : إحسان عباس .
دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣ م .
- معجم ألفاظ القرآن الکریم ، عن مجمع اللغة العربية .
مصر ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ .
- معجم الصحابة ، أبی الحسین عبدالباقي بن قانع ، ضبط وتعلیق : صلاح المصراتي .
مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة النبوية ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
- المعجم الأوسط ، للحافظ الطبرانی ، تحقیق : د. محمود أحمد الطحان .
مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الکریم ، لمحمد فواد عبدالباقي .
دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ .

- معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق : عبدالسلام هارون .
دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ .
- المعجم الوسيط ، جمع اللغة العربية ، د. إبراهيم أنيس وزملاؤه .
المكتبة الإسلامية ، استانبول - تركيا ، ط ٢ ، ١٣٩٢ هـ .
- معرفة السنن والآثار ، للحافظ أبي بكر البيهقي ، تحقيق : سيد كسروي حسن .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- معرفة الصحابة ، لأبي نعيم الأصبهاني ، تحقيق : عادل العزازي .
دار الوطن للنشر ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- مفتاح دار السعادة ، ابن القيم .
دار الكتب العلمية ، بيروت .
- مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داودي .
دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- المفهم لما أشكل من غليص كتاب مسلم ، للحافظ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي ،
تحقيق : محيي الدين ديب مستر وزملاؤه .
دار انب كثير ، دمشق ، بيروت ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت ،
ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- المنافقون في القرآن الكريم ، د. عبدالعزيز الحميدي .
دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .
- مناقب الشافعي ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : السيد أحمد صقر .
دار التراث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩١ هـ .
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، الإمام محيي الدين النووي .
دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- منهج الإسلام في تزكية النفوس ، د. أنس أحمد كرزون .
دار نور المكتبات ، جدة ، ودار ابن حزم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- منهج الأنبياء في تزكية النفوس ، سليم الهلالي .
دار ابن عفان ، الخبر ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان ، د. علي ناصر الفقيهي .
ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .

- موارد البلاغري ، د. محمد حاسم المشهداني .
مكتبة الطالب الجامعي ، مكة ، ط ١٤٠٧ هـ .
- الموافقات ، لأبي إسحاق إبراهيم الشاطبي ، تحقيق وتخريج : أبي عبدة مشهور حسن آل سلمان .
دار ابن عفان ، الخبر ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- الموطأ ، للإمام مالك بن أنس .
دار النفائس ، بيروت ، ط ٦ ، ١٤٠٢ هـ .
- النبأ العظيم ، د. محمد عبدالله درّاز .
إدارة إحياء التراث الإسلامي ، قطر ، ط ١٤٠٥ هـ .
- نور اليقين في سيرة سيّد المرسلين ، محمد الخنصري ، دار الندوة الجديدة .
بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- النشر في القراءات العشر ، الحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ، أشرف على تصحيحه : الشيخ عليّ محمد الضباع شيخ عموم المقارئ بالديار المصرية .
دار الفكر للطباعة والنشر .
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، إعداد : مجموعة من المختصين ، بإشراف صالح بن حميد وعبدالرحمن ملوّح .
دار الوسيلة ، جدة ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
- النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ، تحقيق : طاهر الزاوي ، وعمود الطناحي .
دار الباز .
- النية وأثرها في الأحكام الشرعية ، د. صالح بن غانم السدلان .
دار عالم الكتب ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
- الوايل الصيّب من الكلم الطيب ، ابن القيم ، دراسة وتحقيق : محمد عبدالرحمن عوض .
دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
- وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة منهج أهل السنة والجماعة ، عبدالقادر عبدالعزيز .
دار الأخلاء ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .

- وصايا الأئمة في لزوم السنة ، ابن بطه ، إعراج : عبدالله العبيلان .
مكتبة الصحابة ، حدة ، مكتبة التابعين ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- اليهود في السنة المطهرة ، د. عبدالله الشقاري .
دار طيبة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- اليهود في القرآن والسنة ، د. محمد أديب الصالح .
دار الهدى ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .



فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

١	هملر و تقمير
٢	منهج النبى ﷺ في الدعوة
٢	المقدمة :
١٧	منهج البحث
٢٤	خطة البحث
٣١	تمهيد :
٣٢	تقرير وجوب اتباع المنهج النبوي
٣٢	أولاً : الأمر باتباع الصراط ، وترك السبل .
٣٦	ثانياً : هين الأنبياء واحدا ؛ ولكل نبي شريعة ومنهاجا .
٤٠	ثالثاً : الوعيا الشعيها لمن اتبع غير سبيل المؤمنين .
٤٤	رابعاً : الأمر ببيان منهجه ﷺ هو وأتباعه .
٤٧	خامساً : الأمر بالعموة بأسلوب محكم .
٥٨	سادساً : (العموة بماعة) يجب فيها (الاتباع) .
	سابعاً : اتباع المنهج النبوي يؤرث الاجتمام والانتلاف المأمور به ؛
٦١	وتركه يقضي إلى التفرق والاختلاف المنهي عنه .
٦٤	قاعدة مهمة في العبادات :

الفسر الأوّل

(منهجه ﷺ في دعوة المسلمين) ٦٨

- ٦٩ الباب الأوّل (التلاوة)
- ٧٠ الفصل الأوّل : التلاوة من أولى مهمات النبي ﷺ
- ٧٤ الفصل الثاني : وتأثيرها العميق في النفوس
- ٧٩ الفصل الثالث : تلاوة النبي ﷺ وأصحابه على الناس (تطبيقات)
- ٧٩ الأوّل : مباحثهم بتلاوة القرآن عليهم :
- ٨٠ الثاني : تلاوة القرآن بعد التمهيد لها :
- ٨١ الثالث : الاهتمام ببيان ما يدعو إليه :
- ٨٣ تلاوة الصحابة القرآن على الناس :
- ٨٥ الأمر الأوّل :
- ٨٥ الأمر الثاني :
- ٨٥ الأمر الثالث :
- ٨٦ الفصل الرابع : قدر قراءة النبي ﷺ وأصحابه
- ٩٢ خلاصة هذا الفصل :
- ٩٤ الفصل الخامس : صفة تلاوة النبي ﷺ
- ١٠٦ الخلاصة :

- ١٠٧..... خلاصة بعب التلاوة :
- ١١٠..... الباب الثاني
- ١١٠..... المنهج النبوي في التربية والتزكية
- تمهيدا : في معاني التربية والتزكية وعلاقتها ، ومقاصد التربية وأهمياتها ، وشواهد تصنيف منهجها :
- ١١٠..... أولاً : التربية في اللغة :
- ١١٢..... ثانياً : التربية في الاستعمال الشرعي :
- ١١٥..... ثالثاً : التزكية في اللغة :
- ١١٦..... رابعاً : التزكية في الاستعمال الشرعي :
- ١٢٧..... خامساً : علاقة التزكية بالتربية :
- ١٢٩..... الخلاصة :
- ١٢٩..... سادساً : غاية التربية النبوية ومقصودها الأعظم :
- ١٣٠..... سابعاً : أهداف التربية النبوية :
- ١٣٣..... ثامناً : شواهد تصنيف منهج التربية النبوية :
- ١٣٦..... أ. محتوى التربية والتزكية ومضمونها مرتباً :
- ١٣٧..... ب. شواهد المضمون والترتيب :
- ١٤٧..... الفصل الأول : التربية والتزكية النبوية
- ١٤٧..... المبحث الأول : (تعليم الهدى وهين الحق) .
- ١٤٧..... المطلب الأول : (تعليم الهدى) .
- ١٤٧..... المسلك الأول : الدعوة إلى التوحيد :
- ١٥٠..... التطبيقات النبوية :

- المسلك الثاني: (التربية النبوية على تحقيق التوحيد): ١٥٨ _____
- المسألة الأولى: معرفة التوحيد، وكيفية التحقق به، وقول الله تعالى:
- ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ... ﴾ : ١٥٨ _____
- توحيد الربوبية: ١٥٨ _____
- توحيد الألوهية: ١٦٠ _____
- توحيد الذات والأسماء والصفات: ١٦١ _____
- كيفية التحقق بالتوحيد: ١٦٢ _____
- المسألة الثانية: التربية النبوية على تجريد التوحيد: ١٦٩ _____
- المسلك الثالث: التربية النبوية على ترسيخ الإيمان: ١٩١ _____
- الأساليب النبوية في ترسيخ الإيمان: ١٩٧ _____
- الأسلوب الأول، والثاني، والثالث: ١٩٧ _____
- الأسلوب الرابع: تعليم مراتب الدين. ١٩٨ _____
- الأسلوب الخامس: التبيه على عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها،
والحث على استكمالها. ٢٠٠ _____
- الأسلوب السادس: الدلالة على خصال استكمال الإيمان. ٢٠٤ _____
- الأسلوب السابع: تعليق القلوب بالله وقطع تعلقها بغيره. ٢٠٥ _____
- الأسلوب الثامن: تعظيم قدر التوحيد في القلوب. ٢٠٦ _____
- الأسلوب التاسع: غرس أسباب وجود حلاوة الإيمان وذوق طعمه. ٢٠٧ _____
- الأسلوب العاشر: استكمال الإيمان بحسن الخلق. ٢٠٩ _____
- الحادي عشر: زيادة طمأنينة القلب بالعلم وتظاهر الأدلة. ٢١١ _____
- الثاني عشر: الحث على العمل والعبادة والاستعانة بالله. ٢١٦ _____

- الثالث عشر : استحضار أمور الإيمان واستدامة الذكر وعدم الففلة . ٢١٩
- الرابع عشر : تلاوة القرآن وتعلمه وتدبره . ٢٢٢
- الخامس عشر : النظر بتدبر في آيات الله في الآفاق وفي الأنفس . ٢٢٤
- السادس عشر : التعريف بأسماء الله الحسنى والتعبُّد بها . ٢٢٥
- السابع عشر : التأسي بالنبي ﷺ ، ومعرفة سنته واتباعها . ٢٢٦
- الثامن عشر : التربية على معرفة صفات أهل الإيمان . ٢٢٨
- التاسع عشر : التربية على الزُّهد . ٢٣٠
- العشرون : الجلسات الإيمانية . ٢٣٥
- الحادي والعشرون : التحذير مما يُنافي الإيمان أو يُنقصه . ٢٣٨
- الثاني والعشرون : الدعاء لهم وحثهم على ذلك . ٢٤١
- المسلك الرابع : التربية النبوية على حماية جناب التوحيد وحماه ،
وسد ذرائع الشرك : ٢٤٦
- المبحث الثماني : تربية العمل بالعمل (إصلاح أهلة العمل) : ٢٥٨
- المطلب الأول : إصلاح القلوب وتربية الإرادة . ٢٥٨
- المسلك الأول : (تطهير القلوب) . ٢٥٨
- المسألة الأولى : أهمية تطهير القلوب ، مع الأدلة : ٢٥٨
- المسألة الثانية : الأسلوب النبوي التطبيقي في تطهير القلوب : ٢٧٠
- أولاً - بالتوبة والاستغفار : ٢٧٠
- ثانياً - بالدعاء لتطهير القلب وتنقيته : ٢٧١
- ثالثاً - بالأمر بالاستعاذة من شره : ٢٧١
- رابعاً - الإقناع العقلي : ٢٧٢

- ٢٧٢ _____ وفيما يلي صور وتطبيقات من طريقته ﷺ في الإقناع :
- ٢٧٩ _____ خامساً - إنكار التصرف الناجم عن عدم لكمال طهارة القلب :
- سادساً - بشاره من أتصف بطهارة القلب والدلالة عليه وإثارة
- ٢٧٩ _____ التنافس في ذلك :
- المسلك الثاني : تربية المعرفة (معرفة الله وأسمائه وصفاته ،**
- وآلته وأعماله) :** _____ ٢٨٢
- ٢٨٢ _____ المسألة الأولى : المعرفة المقصودة وتأثيرها في القلوب :
- ٢٩٢ _____ المسألة الثانية : الواجب في أسماء الله وصفاته وتعلقاتها ومقتضياتها وآثارها
- ٢٩٢ _____ الواجب في أسماء الله وصفاته .
- ٢٩٣ _____ حكم معرفة الله ﷻ وأسمائه وصفاته .
- ٣٠٠ _____ المسألة الثالثة : الطريقة النبوية في التربية على المعرفة :
- ٣٠٠ _____ الطريق الأول . التفكير في آياته وتحببها .
- ٣١٣ _____ التطبيقات النبوية على غرس المعرفة :
- ٣٢٩ _____ الطريق الثاني . النظر في مفعولاته .
- ٣٣٩ _____ التطبيقات النبوية في نعت أنظار الصحابة للتأمل في الأنفس والآفاق :
- المسلك الثالث : (تربية المحبة) .** _____ ٣٥٢
- ٣٥٤ _____ توحيد المحبة هو أصل العبادة وحقيقتها وسرُّها .
- ٣٦٤ _____ الأساليب النبوية في غرس المحبة في القلوب :
- ٣٦٤ _____ الأسلوب الأول : التربية على المعرفة .
- الأسلوب الثاني : الترغيب في محبة الله ورسوله ، وبيان فضلها وثمراتها ،
- والترهيب من التقصير فيها . _____ ٣٦٦
- الأسلوب الثالث : التبشير بثمار محبة الله للعبد ومآله وما أعد الله له . _____ ٣٦٩

- الأسلوب الرابع : الإعلام بعلامات محبته وأحيائه . ٣٧٠
- الأسلوب الخامس : إشاعة المحبة بين المؤمنين وتعميقها ، وإثارة التنافس في ذلك ٣٧٤
- الفرع الأول ، الإعلام بالحب وإخبار الرجل بمحبته . ٣٧٤
- ومن التطبيقات : ٣٧٤
- الفرع الثاني ، الإعلام بفعل الحب في الله . ٣٧٥
- الفرع الثالث ، بيان أن من خصال الإيمان الحب في الله . وأن يحب
لأخيه ما يحب لنفسه . ٣٧٧
- الفرع الرابع ، الأمر بإفشاء السلام ، والدلالة على أنه سبب في
حصول المحبة بين المؤمنين . ٣٧٨
- الفرع الخامس ، إخبارهم بأعمال تهمم المحبة بينهم . ٣٧٨
- الفرع السادس ، النهي عن مفسدات المحبة وموانعها . ٣٨١
- الأسلوب السادس : الدعاء لهم بالمحبة . ٣٨٣
- الأسلوب السابع : الدلالة على أسباب جلب المحبة وتقويتها . ٣٨٤
- ١ - قراءة القرآن ، وتحببه ، والعمل به . ٣٨٤
- ٢ - الحديث على ذكر الله ذكراً كثيراً . ٣٨٧
- ٣ - التقرب إلى الله بالتواضع بعد الفرائض مع الاجتهاد والاستدامة . ٣٩٠
- ٤ - دلالتهم على استدامة استحضار منة الله عليهم ، وفضله
ورحمته وآياته ونعمه . ٣٩٢
- ٥ - إخبارهم بشرط المحبة . ٣٩٧
- ٦ - تربيتهم على الرجاء في رحمة الله وعدم الركون إلى العمل . ٣٩٩
- المسلك الرابع : تربية الخوف والرجاء . ٤٠٣
- المبحث الثالث : (التواصي بالحق ، والتواصي بالصبر . ٤١١)

- ٤٢٤ الفصل الثاني : الأساليب والوسائل التربوية النبوية
- ٤٢٤ المبحث (الأول) : (الأساليب التربوية النبوية) .
- ٤٢٤ الأسلوب في اللغة :
- ٤٢٦ . ١ . مقابلتهم بالترحيب وطلاقة الوجه والتبسم في وجوههم ، وعدم حجيم
- ٤٢٨ . ٢ . إنزالهم منازلهم واحترام مشاعرهم :
- ٤٣٠ . ٣ . تألفهم واستمالة قلوبهم :
- ٤٣٥ . ٤ . الحرص على هدايتهم والخوف والشفقة عليهم :
- ٤٣٨ . ٥ . الرفق بهم ورحمتهم :
- ٤٤٣ . ٦ . مداراتهم وملاطفتهم :
- ٤٤٥ . ٧ . قبول ظواهرهم وإيكال سرائرهم إلى الله :
- ٤٤٧ . ٨ . قبول أعتذارهم والتجاوز عن أخطائهم :
- ٤٥٢ . ٩ . إشهار فضائلهم :
- ٤٥٥ . ١٠ . شكرهم والثناء عليهم :
- ٤٦٠ . ١١ . تفريج كرباتهم وقضاء حوائجهم :
- ٤٦١ ومن الأمثلة التطبيقية لتفريج الكربات .
- ٤٦٣ . ١٢ . زيارتهم وتقدير أحوالهم والاهتمام بهم :
- ٤٦٦ . ١٣ . عيادة مرضاهم :
- ٤٦٩ . ١٤ . الشفاعة الحسنة لهم ، وقبولها منهم :
- ٤٧٠ ومن الأمثلة التطبيقية له ﷺ في الشفاعة لأصحابه .
- ٤٧٢ . ١٥ . الذب عن أعراضهم :
- ٤٧٣ وقد طبَّ النبي ﷺ الغيبة عن نفسه بالمال .

- ١٦ . التأليف بين قلوبهم : ٤٧٦
- ١٧ . قبول هداياهم ، ومكافأتهم عليها : ٤٨٣
- ١٨ . عتابهم ، وإنكار المنكر عليهم : ٤٨٥
- ١٩ . مواساتهم : ٤٩٥
- ٢٠ . نصيحتهم : ٤٩٦
- ٢١ . وصيتهم : ٥٠١
- ٢٢ . مشاركته في الأعمال ، وعدم التمييز عنهم : ٥٠٤
- ٢٣ . مخالطتهم وعدم الاحتجاب عنهم : ٥٠٩
- ٢٤ . تقديم الأهم ، والتدرج فيه : ٥١٣
- ٢٥ . التعويد على العمل وتحمل المسؤولية : ٥١٨
- ٢٦ . الإقراع بينهم في المشكلات : ٥٢٥
- ٢٧ . استغلال المواقف والأحداث في تربيتهم : ٥٢٨
- ٢٨ . معالجة المواقف التي تسبب انكساراً في النفس : ٥٣٦
- ٢٩ . التربية بابتسامة الغضب ، وإظهار الغضب ، والإعراض ، وقطع الكلام والسلام وردّه ، والهجر ، وإقامة الحدّ ، كل ذلك مع حبه لهم ٥٣٩
- ٣٠ . التربية بالقصة : ٥٤٤
- ٣١ . تربية النبي ﷺ أصحابه بالقدوة والأسوة الحسنة : ٥٤٩
- كيف ربّى النبي ﷺ أصحابه بأسلوب القدوة ؟ ٥٥٣
- الأوّل : الدعوة إلى الاقتداء به قولاً وفعلاً ٥٥٣
- الطريق الثاني : سيرته ﷺ ، وقيامه بالتطبيق العملي الكامل للوحي : ٥٥٦
- المحور الأوّل : ٥٥٨

٥٦٠..... المحور الثاني :

٥٧٠..... المحور الثالث :

الباب الثالث (المنهج النبوي في التعليم) :

٦١١..... تعليم الكتاب والحكمة

٦١٢..... الفصل الأول : مضمون تعليمه ﷺ ومقاصده

٦١٢..... المبحث الأول : أصل العلم والإيمان .

٦١٦..... المبحث الثاني : رأس الأمر التوحيد .

٦٢٩..... المبحث الثالث : عمود الإسلام وبعينه وسائر شرائعه .

٦٤٧..... المبحث الرابع : معاصر العلم وطريق فهمه .

٦٥٩..... الفصل الثاني : طريقة النبي ﷺ وأساليبه في التعليم

٦٥٩..... المبحث الأول : صفة تعليمه وتحديثه ﷺ ، ورفقه بالمتعلم .

٦٦٤..... المبحث الثاني : صفة مجلس تحفيته ﷺ وأهله أصحابه .

٦٦٩..... المبحث الثالث : تعليمه ﷺ ، وأمره بطلب العلم ، والترغيب فيه .

٦٨٤..... المبحث الرابع : أمره ﷺ بالعمل بالعلم :

٦٨٤..... المطلب الأول : بيان أن المراد بالعلم العمل .

٦٨٨..... الأول : تصحيح النية :

٦٨٩..... الثاني : الاستعانة على طلب العلم بالصوم وعلى حفظه بالعمل به .

٦٨٩..... الثالث : الوعظ بالأعمال مقدم على الوعظ بالأقوال .

٦٨٩..... الرابع : القطر على الصفا .

٦٩٠..... الخامس : أولي الناس بالله ، وبكلامه :

٦٩٠. _____ السادس : الأكثرُ علماءً ، الأحسنُ عملاً .
٦٩٣. _____ المطلب الثاني : (بيان أن العلم حجةٌ لك أو عليك) .
٦٩٦. _____ المطلب الثالث : (فتح الجدل ومنع العمل) .
٧٠٣. _____ المبحث الخامس : أمره ﷺ بتعليم العمار وتبليغه ونشره : _____
٧١١. _____ المبحث السادس : (ما يُنشر من العلم وما لا يُنشر) .
٧١٢. _____ القسم الأول :
٧١٢. _____ القسم الثاني : علمٌ لا يُنشر مطلقاً
٧٢١. _____ القسم الثالث : علمٌ في نشره تفصيلٌ متعلق بالعلم ، أو بالوقت ، أو بالمكان .
٧٢١. _____ أولاً : (علمٌ يُنشر في قومٍ دون قوم) .
- ثانياً : العلم المتعلقُ نشره بالأوقات : (وهو النوع الثاني من العلم
٧٢٩. _____ الذي في نشره تفصيل) :
- ثالثاً : العلم المتعلقُ نشره بالأحوال (وهو النوع الثالث من العلم
٧٣٠. _____ الذي في نشره تفصيل) :
٧٣٢. _____ ضوابط نشر العلم :
٧٣٥. _____ المبحث السابع : (الأساليب النبوية في التعليم) .
٧٣٥. _____ ١. أوقات تعليمه ﷺ وأماكنه :
٧٣٩. _____ ٢. أمره ﷺ أصحابه بحضور مجلسه :
٧٣٩. _____ ٣. انتهاء المناسبات العارضة للتعليم (أو ما يُسمى بالربط بالأحداث) .
٧٤٠. _____ ٤. التغول والتجوُّز :
٧٤٢. _____ ٥. تخصيص النساء بأيام معلومة لتعليمهنَّ ووعظهنَّ :
٧٤٣. _____ ٦. التطويل في الموعظة والعلم نادراً :

٧. أمره ﷺ بأخذ العلم عنه ابتداءً . _____ ٧٤٤
٨. ترحيبه ﷺ بطالب العلم : _____ ٧٤٥
٩. الأمر بالتيسير والنهي عن التفسير والتنفير : _____ ٧٤٦
١٠. تعليمه ﷺ كل ما كان من أمر الدين . _____ ٧٤٧
١١. التدرج في التعليم وتقديم الأهم : _____ ٧٤٨
١٢. حفز الأهم للعلم والتعليم بالتذكير بفضلهما : _____ ٧٥٠
١٢. البدء بالفائدة دون السؤال عنها : _____ ٧٥٠
١٤. تعليمه ﷺ بالوعظ والتذكير : _____ ٧٥١
١٥. تعليمه بالترغيب والترهيب : _____ ٧٥٢
- أولاً : الجمع بين الترغيب والترهيب : _____ ٧٥٢
- ثانياً : التعليم بالترغيب : _____ ٧٥٢
- ثالثاً : التعليم بالترهيب : _____ ٧٥٤
١٦. تعليمه ﷺ في الوقت المناسب ، وعدم تأخير البيان عن وقته : _____ ٧٥٩
١٧. تعليمه بالقصص : _____ ٧٦٠
١٨. تعليمه ﷺ بالخطابة : _____ ٧٦١
١٩. تعليمه بالوصية : _____ ٧٦٢
٢٠. الحوار والمجادلة والتي هي أحسن : _____ ٧٦٤
٢١. الإقناع بالقياس (قياس النظر بنظيره) : _____ ٧٦٥
٢٢. تعليمه ﷺ بالتشبيه : _____ ٧٦٦
٢٢. تعليمه ﷺ بضرب الأمثال : _____ ٧٦٨
٢٤. تعليمه ﷺ بجوامع الكلم : _____ ٧٧٢

٢٥. تأكيد ما يعلمه بالقسم : ٧٧٧
٢٦. أسلوب العرض على الشيخ : ٧٧٩
٢٧. القراءة من الشيخ : ٧٨٠
٢٨. عنايته بالثخبة من أصحابه وإشهار فضائلهم في العلم ، وبيان مراتبه ، وأمره بالأخذ عنهم ، (وفيه إشارة إلى التخصص) : ٧٨١
٢٩. إثارة التنافس والغبطة بينهم في العلم : ٧٨٦
٣٠. التشجيع والتهنئة بالعلم : ٧٨٧
٣١. اعترافه ﷺ بالنسيان ، وتلطف أصحابه في الرد : ٧٨٩
٣٢. اهتمامه ﷺ بضبط العفظ : ٧٩١
٣٣. ذكر ثواب العمل بعد أدائه لاستدامته ، وقبله ترغيباً فيه وتشويقاً إليه ٧٩٢
٣٤. تعليمه ﷺ بذكر عملة الحكم ليثبت الفهم ويمكن القياس : ٧٩٤
٣٥. اكتفاؤه ﷺ بالإجمال والتعريض دون التفصيل في تعليم ما يستحي منه ٧٩٥
٣٦. مداعبة من أخطأ تخفيفاً عنه ، وبيان خطئه في راقق ولين من غير تعنيف ٧٩٨
- الفصل الثالث : أصول وقواعد منهجية في طلب العلم مستقربة من المنهج النبوي ٨٠٠**
- المبحث الأول : التهيؤ للمعلم والاجتهاد فيه ٨٠٠**
- المطلب الأول : إخلاص النية في طلب العلم : ٨٠٠
- النية : ٨٠٠
- الإخلاص : ٨٠١
- مثال تطبيقي في الإخلاص : ٨٠٧
- المطلب الثاني : العلم قبل العلم ٨١٣
- العلم لغة : ٨١٣

- ٨١٣ وفي الاصطلاح :
- ٨١٥ ومن الأمثلة التطبيقية لحلم النبي ﷺ .
- ٨١٩ المطلب الثالث : الجد والمجاهدة في طلب العلم .
- ٨٢٣ المطلب الرابع : (حفظ العمر والشباب خاصة) .
- ٨٢٧ المبحث الثاني : (ما يؤخذ من العلم ومن يؤخذ) .
- ٨٢٧ المطلب الأول : أخذ المهم ، وتقديم الأهم والتدرج فيه .
- ٨٢٧ المسلك الأول : أخذ المهم من كل علم ، ثم التفصّل .
- ٨٤٠ مثال تطبيقي في طلب الصحابة تفسير القرآن :
- ٨٤٣ المسلك الثاني : تقديم الأهم .
- ٨٥٢ المسلك الثالث : التمرّج في التعلّم .
- ٨٥٧ المطلب الثاني : (أخذ العلم من أهله ، ومن كلّ شيخ ما يُعِين) .
- ٨٦١ المطلب الثالث : اتباع السُنّة وتعظيمها وترك التقليد .
- ٨٦١ الاتباع لغة :
- ٨٦١ وفي الاصطلاح :
- ٨٦٦ المبحث الثالث : (حفظ العلم وفهمه واستغفاره) .
- ٨٦٦ المطلب الأول : الجمع بين الحفظ والفهم .
- ٨٦٦ المسلك الأول : (الحفظ أصل في المنهج النبوي) .
- ٨٧٥ المسلك الثاني : (الفهم أصل في المنهج النبوي) .
- ٨٨٧ المسلك الثالث : الحاجة إلى الجمع بين الحفظ والفهم .
- ٨٩٧ المطلب الثاني : استنكار العلم وتماهله .
- ٩٠٣ المطلب الثالث : كتابة العلم وتقييمه .

- المبحث الرابع : (تطبيق عملي) ، (هليل طهيب العلي) . ٩٠٦
- المطلب الأول : أوصاف علماء السنة الذين يؤخذ عنهم العلم . ٩٠٦
١. أقرب الناس سمياً وهدياً ودلاً بالنبي ﷺ : ٩٠٦
٢. سلامة العقيدة واستقامة الطريقة : ٩٠٧
٣. ثبوت العدالة والضبط : ٩٠٨
٤. ربانياً : ٩٠٨
٥. أن يكون ممن رباه العلماء وأخذ عنهم مع طول صحبته وملازمة لهم . ٩١٠
٦. اتباع الكتاب والسنة وإجماع الأمة : ٩١١
٧. التواضع والرفق بالمتعلم : ٩١٢
٨. أن يكون من الأكابر : ٩١٥
٩. الأعلم والأورع ، والأتقن والأحفظ ، مع الشجاعة وعلو الإسناد : ٩١٨
١٠. متدرجاً في تعليمه : ٩١٨
١١. العالم الذي ينتقى الحديث انتقاءً ، ولا يحدث بكل ما سمع ،
ولا يحدث بالشاذ ، ولا يحتبم الغرائب : ٩١٩
١٢. إنفاؤه للعلم في المساجد وغيرها علانية إلا لعارض : ٩٢٠
- أوصاف من تؤخذ عنه الفتوى : ٩٢٢
- تفقد أحوال المفتين وغيرهم من أهل العلم : ٩٣٠
- المطلب الثاني : (خوارم المنهج وموقلاته) . ٩٣٢
- المطلب الثالث : (مراحل سلم التعلم) . ٩٣٧
- الطريقة الأولى : (طريقة المغاربة) . ٩٣٧
- الطريقة الثانية : (طريقة المشارقة) . ٩٣٧

- ٩٣٨ أولاً : مرحلة التأسيس :
- ٩٣٨ مقاصد هذه المرحلة :
- ٩٣٩ الوسائل :
- ٩٣٩ الخصائص والضوابط :
- ٩٣٩ ثانياً : مرحلة التوسُّط :
- ٩٣٩ مقاصدها :
- ٩٤٠ الوسائل :
- ٩٤٠ الخصائص والضوابط :
- ٩٤٠ ثالثاً : مرحلة التوسُّع والمملوآت :
- ٩٤٠ مقاصد هذه المرحلة :
- ٩٤١ الوسائل :
- ٩٤١ خصائص هذه المرحلة :
- ٩٤١ رابعاً : مرحلة التخصص :
- ٩٤٣ المطلب الرابع : (مفردات منهج طلب العلم في ضوء سَلَمِ التعلُّم) .
- ٩٤٣ أولاً : حفظ القرآن الكريم :
- ٩٤٣ طريقة الحفظ :
- ٩٤٤ تجويد القرآن :
- ٩٤٥ ثانياً : تفسير القرآن الكريم .
- ٩٤٥ المرحلة الأولى :
- ٩٤٦ المرحلة الثانية :
- ٩٤٦ المرحلة الثالثة :

- ٩٤٧..... ثالثاً: حفظ السنّة .
- ٩٤٧..... المرحلة الأولى :
- ٩٤٧..... المرحلة الثانية :
- ٩٤٨..... المرحلة الثالثة :
- ٩٤٨..... المرحلة الرابعة :
- ٩٤٩..... المرحلة الخامسة : التوسّع في حفظ السنّة :
- ٩٤٩..... الطريقة الأولى .
- ٩٥٠..... الطريقة الثانية .
- ٩٥٠..... الطريقة الثالثة .
- ٩٥١..... طريقة حفظ الحديث :
- ٩٥٢..... كيفية المذاكرة بالحديث :
- ٩٥٢..... نصائح في حفظ الحديث :
- ٩٥٤..... رابعاً: فقه الإيمان :
- ٩٥٤..... المرحلة الأولى :
- ٩٥٤..... المرحلة الثانية :
- ٩٥٥..... المرحلة الثالثة :
- ٩٥٥..... المرحلة الرابعة :
- ٩٥٥..... مرحلة التوسّع :
- ٩٥٦..... ملحظ :
- ٩٥٧..... خامساً: اللغة :
- ٩٥٧..... المرحلة الأولى : المقدّمة الاجرؤمية .

- ٩٥٧ _____ المرحلة الثانية : مُلحةُ الإعراب ، للحريري .
- ٩٥٧ _____ المرحلة الثالثة : ألفيةُ ابن مالك ، وتُسمى الخلاصة .
- ٩٥٨ _____ مرحلة التوسُّع :
- ٩٥٨ _____ سادساً : الفقه :
- ٩٦١ _____ كتب الفقه :
- ٩٦٢ _____ التربية على اتباع الدليل والانتفاع بجهود العلماء دون تمذُّب :
- ٩٦٥ _____ أولاً : مدرسة الإمام أبي حنيفة النعمان . رحمه الله .:
- ٩٦٥ _____ المرحلة الأولى : أحد المختصرات :
- ٩٦٥ _____ المرحلة الثانية : أحد كتب المتوسطات .
- ٩٦٦ _____ المرحلة الثالثة :
- ٩٦٦ _____ ثانياً : مدرسة الإمام مالك بن أنس . رحمه الله .:
- ٩٦٦ _____ المرحلة الأولى :
- ٩٦٧ _____ المرحلة الثانية :
- ٩٦٧ _____ المرحلة الثالثة :
- ٩٦٧ _____ ثالثاً : مدرسة الإمام الشافعي . رحمه الله .:
- ٩٦٧ _____ المرحلة الأولى :
- ٩٦٨ _____ المرحلة الثانية :
- ٩٦٨ _____ المرحلة الثالثة :
- ٩٦٨ _____ رابعاً : مدرسة الإمام أحمد . رحمه الله .:
- ٩٦٨ _____ المرحلة الأولى :
- ٩٦٩ _____ المرحلة الثانية :

- ٩٦٩..... المرحلة الثالثة :
- ٩٧٠..... المرحلة الرابعة : مرحلة التوسُّع في الفقه .
- ٩٧٠..... سابغاً : مصطلح الحديث :
- ٩٧٠..... المرحلة الأولى :
- ٩٧١..... المرحلة الثانية :
- ٩٧١..... المرحلة الثالثة :
- ٩٧١..... المرحلة الرابعة :
- ٩٧٢..... ثامناً : أصول الفقه :
- ٩٧٢..... المرحلة الأولى :
- ٩٧٢..... المرحلة الثانية :
- ٩٧٢..... المرحلة الثالثة :
- ٩٧٣..... تاسعاً : سيرة النبي ﷺ ، وفقهما :
- ٩٧٣..... المرحلة الأولى :
- ٩٧٣..... المرحلة الثانية :
- ٩٧٣..... المرحلة الثالثة :
- ٩٧٣..... عاشرأ : القرائض :
- ٩٧٣..... المرحلة الأولى :
- ٩٧٥..... ضوابط في اختيار المنظومات :
- ٩٧٦..... طريقة حفظ المنظومات :
- ٩٧٧..... محاذير في حفظ المتون :

القسر الثاني

دعوة غير المسلمين (الكفار) ٩٧٨

٩٨٠. الباب الأول (دعوة المشركين عامة)
٩٨١. الفصل الأول : دعوتهم إلى التوحيد
١٠٠٣. الفصل الثاني : الأساليب النبوية في دعوة المشركين
١٠٠٣. المبحث الأول : هاموتهر بالحكمة .
١٠٠٣. ١. تبليغ ما جاء به وبيانه ، وجاهدهم به :
١٠٠٤. ومن الأمثلة للتطبيقية .
١٠٠٦. ٢. الصبر على أذاهم ، والكف والعلم ، والعفو عنهم :
١٠١٠. ٣. الدعوة بالتألف بالدماء بالهدى لهم :
١٠١١. ٤. تألفهم بالعطايا والهدايا :
١٠١٤. ٥. التألف بما يحب الدموع :
١٠١٤. ٦. الإعراض عن أخطائهم ، والعفو عنهم :
١٠١٥. المبحث الثاني : هاموتهر بالمومظة الحسنة .
١٠٢١. المبحث الثالث : مجلطهر ، ومحلوزتهر .
١٠٢١. أولاً : . الاستشهاد بما يقرونه على ما ينكرونه .
١٠٢٣. ثانياً : . الصبر على سماع عروضهم ، والرد عليهم في حلم ورفق .
١٠٢٤. ثالثاً : . مجادلتهم وإفهامهم .

١٠٢٥. رابعاً : استجابة النبي ﷺ لسؤال المشركين أن يرهم آية .
١٠٢٧. خامساً : دعوتهم إلى التفكر .
١٠٢٨. سادساً : التعدي والإعجاز حال الرفض .
١٠٢٩. سابعاً : تغييرهم في الإسلام أو دفع الجزية أو جهادهم .
١٠٣٠. الفصل الثالث : وسائله ﷺ في الدعوة
١٠٣٠. الجهل :
١٠٤٠. الباب الثاني (منهجه ﷺ في دعوة أهل الكتاب)
- الفصل الأول : دعوتهم إلى التوحيد والتدرج في إخبارهم بالفرائض ،
١٠٤١. وإخبار رسوله أنه يأتي قوماً أهل كتاب
- الفصل الثاني : بشارتهم بالسلامة والأجر مرتين إن هم استجابوا ،
- وعدم اتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله
١٠٤٦. الفصل الثالث : إجابته ﷺ على أسئلتهم التعجيزية
١٠٤٨. الفصل الرابع : مجادلتهم وإقامة العجة عليهم
١٠٥٤. ١. النداءات القرآنية التي تغاطب العقل من خلال الوجدان ؛
١٠٦٠. ٢. الوعظ والتذكير بالنعم والنقم ؛
١٠٦١. ٣. تحديهم في إثبات دعاوهم ؛
١٠٦٢. ٤. توضيح بطلان عقيدتهم في أنبيائهم وأخبارهم وربانهم ،
- وتعليبهم الاعتقاد المسيحي ؛
١٠٦٣. الفصل الخامس : دعوتهم إلى المباينة حال الرفض
١٠٦٥. الفصل السادس : هديه ﷺ في التعامل معهم
١٠٧٠. من هديه ﷺ في ذلك :
- ١٠٧٠.

- ١٠٧٣..... الفصل السابع : جهادهم
- ١٠٧٧..... الباب الثالث (منهجه ﷺ وهدية في المنافقين)
- ١٠٧٨..... تهديد
- ١٠٧٨..... في معنى النفاق ، وأقسامه ، وأحكامه ، ونجومه
- ١٠٨١..... نجوم النفاق :
- ١٠٨٩..... الفصل الأول : قبول علانيتهم ، وإيصال سرانهم إلى الله
- ١٠٩٢..... الفصل الثاني : الإعراض عنهم ، ووعظهم ، والصبر على أذاهم
- الفصل الثالث : عدم توقيفهم أو الاستغفار لهم أو الصلاة عليهم
- ١١٠٨..... والقيام على قبورهم
- ١١١١..... الفصل الرابع : جهادهم والإغلاظ عليهم
- مسألة جليلة : (تعلق الأحكام في الدنيا بالإيمان الظاهر دون الباطن
- ١١١٦..... وإجرائها على المنافقين ما لم يظهروا كفرًا بواحا ويقيموا عليه) .
- تعامل النبي ﷺ وأصحابه مع المنافقين بعد تنزل الغاشية وآيات
- ١١١٨..... التهديد من سورة الأحزاب :
- ١١٢٣..... الغلظة :
- ١١٢٧..... الفصل الخامس : معاصرتهم والتضييق عليهم وتهليلهم
- ١١٣٢..... الفصل السادس : كشف خصلتهم ومؤامراتهم وإبطالها
- ١١٤١..... الفصل السابع : منهجه ﷺ في معالجة المواقف الناجمة عن فتن المنافقين
- ١١٤١..... أولاً : إنا هان النفاق الصلوات منهج ترك طاعة .
- ١١٤٧..... ثانياً : إنا نجر نفاق في هيئة فعل يفعلونه وأمرهم الله عليه قبل وقوعه
- ١١٤٨..... ثالثاً : إنا أظهرنا نفاقاً في غيبته ولم يعلمه الله عليه .

- ١١٥٩ _____ الفصل الثامن : إشهار علاماتهم وأعمالهم دون أسمائهم
- ١١٦٦ _____ فائدة في قول الله تعالى : ﴿ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ ﴾ :
- ١١٦٧ _____ ومن أهم علاماتهم :
- ١١٧٤ _____ الغاتمة
- ١١٧٦ _____ الفهارس
- ١١٧٨ _____ فهرس الآيات الكريمة
- ١٢١٨ _____ فهرس الأحاديث الشريفة
- ١٢٧٨ _____ فهرس المصادر والمراجع
- ١٣٠٢ _____ فهرس الموضوعات

